فهم اللغة:

نحو علم لغة لما بعد مرحلة

چومسكي

تأليف

تيرينس موور وكريستين كارلنغ

ترجمة

الدكتور حامد حسين الحجاج

مراجعة

الدكتور سلمان داود الواسطي



إهــــــداء ٢٠١٢

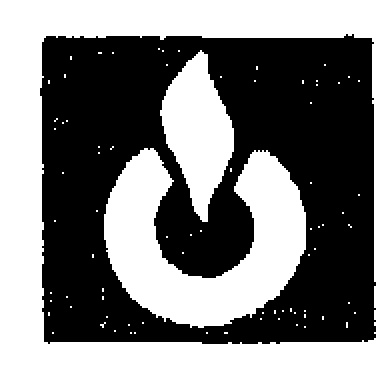
محمد صالح الضالع

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٩٨



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف - ٤٤٣٦٠٤٤

سلسلة المائة كتاب

فهم اللغة : نحو علم لغة لما بعد مرحلة چومسكي

تأليف
تيرينس موور و كريستين كارلنغ
ترجمة
الدكتور حامد حسين الحجاج

مراجعة
الدكتور سلمان داود الواسطي

الطبعة الاولى - بغداد - ١٩٩٨

٤٠٠ و ١
م ٩٩٤ موور، تيرينس
فهم اللغة : نحو علم لغة لما بعد مرحلة
جومسكي / تاليف تيرينس موور ، كريستين
كارانغ ؛ ترجمة حامد حسين الحجاج ــ
بغداد : دار ثقافة الاطفال ، ١٩٩٨ .
ص ؛ ٢٤ سم (سلسلة المائة كتاب)
١ ــ اللغة ــ نظريات أ ــ كارانغ ، كريستين
ب الحجاج/حامد حسين (مترجم) جـ العنوان
م . و (م م)
١٦٥/ ١٩٩٨ ي . السلسلة

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٥ لسنة ١٩٩٨ .

مقدمة المترجم

تعد ترجمة الكتب التي تبحث في الجوانب اللغوية النظرية غاية في الاهمية ، حيث تؤثر مثل هذه الترجمات ، بشكل ايجابي جداً ، في طرائق ومناهج البحث العلمي اللغوي بعامة وذلك من خلال الاطلاع على آخر التقنيات المستخدمة في هذا المجال . تعد الموضوعات التي عالجها هذا الكتاب ، الذي ظهر للمرة الاولى في العام ١٩٨٢ ، من أهم ما يشغل علماء اللغة في الوقت الحاضر ، إذ انها تركزت حول نقد واستعراض الارث العلمي اللغوي النظري الضخم الذي أنجزه وبناه عالم اللغة والفيلسوف الشهيرنعوم‌چومسكي خلال العقود الاربعة الماضية من هذا القرن ، واقتراح بعض الطرائق العلمية البديلة في النظر الى اللغة ، ومن ثم تقديم بعض النظريات والافتراضات في هذا الاطار .

ونظراً لتنوع موضوعات هذا الكم العلمي الكبير والهائل الذي يتوزع على مساحات شاسعة من علم النفس والفلسفة وعلم اللغة ونظرية المعرفة ، ولاستحالة أن يلم بها كتاب واحد فقد ركز مؤلفا هذا الكتاب على علميْ النحو والدلالة لما لهما من أهمية استثنائية في مجمل الاطار العام للنظرية التوليدية التحويلية في اللغة التي جاء بها چومسكي في أواخر الخمسينات والتي ما زالت تهيمن على معظم العمل المنجز في اطار علم اللغة النظري .

ان أبرز الصعوبات التي واجهت ترجمة هذا الكتاب واخراجه بهذا الشكل كانت سمة الدقة والتركيز الكبيرين اللذين امتازت بهما اللغة الاصلية للكتاب لكونه يتعامل مع قضايا لغوية نظرية تعد غاية في التجريد والشكلية . لقد اخترت والحالة هذه أن أكون واضحاً قدر الامكان وأن أكون بعيداً جداً عن التصرف المؤدي الى ضياع فكرة النص الاصلي ومعناه .

لقد تعمدت اضافة بعض الهوامش من أجل توضيح بعض القضايا المهمة التي لا يمكن الاستغناء عن فهمها . واتماماً للفائدة ، يجد القارىء الكريم ، في آخر الكتاب ، كشافاً شاملًا بالمصطلحات والعبارات الاصطلاحية المستخدمة والشائعة في الأدب اللغوي العالمي . أخيراً ، أود تسجيل شكري وامتناني البالغين لكل من ساهم في اخراج هذه الترجمة الى النور وأخص من هؤلاء الآنسة ميادة نزار الجصاني والآنسة زينة منذر العزاوي والسيدة مي عبدالقادر الشيخلي والسيدة رسل علاء الخزرجي ، حيث كان لهن جميعاً دور كبير في اعادة كتابة مسوّدات هذه الترجمة باكملها .

المترجــــم

١٩٩١

شكر وتقدير المؤلفين

ان من يتحرر من وهم الاطار المهيمن على حقل البحث العلمي الذي يتخصص فيه سيألف المشاكل والالام التي ترافق الارتداد البطيء عن ذلك الوهم ؛ فهناك إحساس عارم بضياع مناهج البحث وصيغ النقاش المألوفة ، وهناك وعي جاد أن أناساً قادرين وموهوبين لا يزالون يواصلون العمل ضمن الاطار القديم ، غير منزعجين ، ظاهرياً ، مما صار يبدو درجة غير مقبولة من القطيعة بين حقل البحث وإطاره القديم .

في ظرف كهذا ، تكتسب قيمة لا حدود لها جماعةٌ تطرح نقاشات بنّاءة متعاطفة لافكار لم تكتمل بعد ، وتشجّع الشكوك المثارة حول افتراضات نظرية تعمّقت جذورها . إحدى هذه الجماعات في « كمبردج » كانت جماعة الثلاثاء التي بدأت لقاءاتها المنتظمة اعتباراً من الفصل الدراسي الاول (فصل القديس مايكل) للعام الدراسي ١٩٧٨ خلال وقت تناول وجبات الغداء الخفيفة ، وتبادلت الآراء حول المشاكل العامة لفهم اللغة الطبيعية ، وتفحّصت الكيفية التي عولجت فيها تلك المشاكل في بعض صيغ النظرية التحويلية ـ التوليدية .

لقد عُرض على تلك المجموعة الكثير من آراء هذا الكتاب ، والمسوّدات الأولى لفصوله ، لهذا فاننا ندين لجميع المشاركين في تلك اللقاءات ، لكننا نود أن نشير هنا فقط الى النواة الصُلبة لتلك المجموعة المتكوّنة من : أنثوني أبيا Anthony Appiah وأيان بوال Iain Boal وجيما ـ جيوفجن دوبوا ـ Gemma Geoghegan Dubois وروب ڤان اويرسو Rob Van Oirsouw ومارتن سپول Martin Spaul وفيل تورتسكي Phil Turetsky .

كذلك فان هناك اناساً آخرين في كمبردج قد ساهموا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في انجاز هذا الكتاب ، سواء في مجال من قدم نقداً بناءً أو هداماً بشأن اقسام معيّنة من هذا الكتاب ، نود أن نشكر وبشكل خاص كلًا من : سليڤيا ادمسن Sylvia Adamson وستيفن ليڤنسن Stephen Levinson وفرانسس نولان Francis Nolan ونايجل فنسينت Nigel Vincent وجم وودهاوس Jim Woodhouse .

فضلًا عن ذلك ، هناك عدد من المعلمين ممن لهم تاثير واسع وعميق في تشكيل آرائنا ، لكننا لا نستطيع إيفاءهم حق الشكر والاعتراف بالفضل خلال الطرائق الاكاديمية المألوفة ، ونذكر من هؤلاء وبشكل خاص كلًا من : آر . جي . كولنكوود R.G.Collingwood وأم . پولاني M. Polanyi وأنكس سنكلير Angus Sinclair .

وبرغم كل هذا ، فان الشخصية التي ألقت بظلالها الكبيرة على مجمل هذا العمل العلمي هي شخصية نعوم چومسكي . اننا نختلف معه ، إلا اننا لا نختلف مع هدفه المعلن في توضيح الأسس العقلية في حقلي اكتساب اللغة وكيفية عملها ولكن نختلف مع طرائقه ونموذجه التوضيحي .

اننا مدركون اننا قد توصلنا الى صياغة آرائنا وافكارنا الخاصة حول اللغة بشكل أكثر وضوحاً من خلال محاولتنا فهم طبيعة آراء چومسكي .

ان چومسكي محفّز كبير ، والمحفّزون العظام من أمثاله نادرون جداً حيث ان الثناء عليهم واجلالهم وتقديرهم قد يكون خارج الحدود التي يمكن أن يُعبّر عنها باللغة الاعتيادية التي يمارسها الفرد عادة .

اننا أنفسنا مدركون تماماً للحقيقة التي عبّر عنها چومسكي نفسه عندما قال « ليس هناك من خطأ في أن تكون على خطأ » .

أخيراً ، كانت هناك امرأة نحن مدينون لها بدين خاص وكبير ، دين لا يمكن أن يرد أبداً ، انها رتيفا ليزا كليري Ritva - Liisa Cleary التي استطاعت بصبر وهدوء وبفعالية رقيقة أن تحول مخطوطة تفتقر الى الترتيب الى كتاب مطبوع باناقة وجمال منتظم . ولولا العمل الكبير الذي أدته ليزا والذي نوهنا عنه في أعلاه لتاخر ظهور هذا الكتاب كثيراً .

ان هذا الكتاب هو عمل مؤلفَين ، ولا نعلم الكيفية التي يمكن بها لمؤلفين متشاركين في تاليف كتاب أن يتدبرا أمرهما في انجاز عملهما ، أما فيما يخصنا فاننا نجد من الصعب الاعتقاد بأن أي عمل مشترك آخر يمكن أن يفوق الجهد الموحد الذي بُذل في كل فصل وفي كل قسم وفي كل جملة في الكتاب وفي النهاية منح موضوعه لكل كلمة يتضمنها هذا الكتاب . ان أعمق وآخر إمتنان واعتراف بالشكر يمكن أن نقدمه هو الامتنان الذي يكنّه كل منا للآخر .

المؤلفان

تيرينس موور و كرستين كارلنغ

ان جوهر اللغة نشاط انساني ، نشاط من جانب شخص ما لكي يفهمه شخص آخر ، وهو كذلك نشاط من جانب الشخص الآخر لكي يفهم ما يدور في خلد الشخص الأول . ان هذين الشخصين وعلاقات أحدهما بالآخر ينبغي أن نتذكرها دائماً إذا ما أردنا أن نفهم طبيعة اللغة وذلك الجزء من اللغة الذي نتعامل معه في موضوع النحو . لكن ، في الماضي ، كان يُتغاضى عن هذه الرؤية في الغالب وكان يُتعامل مع

المفردات اللغوية والصيغ وكأنها أشياء لها وجود قائم بذاته . وهي بهذا تشكل مفهوماً قد تعزز الى حد بعيد خلال الانهماك والاستغراق مع المفردات اللغوية المكتوبة أو المطبوعة إلا انه مفهوم خاطىء أساساً كما سيُرى بسهولة مع القليل من التفكير .

افتتاحية مقدمة كتاب اوتو جيسبرسن الموسوم بـ (فلسفة النحو) ١٩٢٤

قلّما نتأمل حقيقة ان الانسان يحتاج الى التذكير أكثر من حاجته الى التعليم .

صموئيل جونسن

يجب أن يكون هناك الكثير من الفلسفة لكي نعرف كيف يمكن أن نراقب ما نراه كل يوم .

جان جاك روسو

تمهيـــــــــد
PROLOGUE

ان الاحساس المتنامي بالقلق نتيجة للكم الهائل من العمل في مجال البحث اللغوي الذي تم انجازه ويتواصل الآن في الاطار الحالي لعلم اللغة النظري Theoretical Linguistics هو السبب الرئيس للشروع في وضع هذا المؤلَّف فضلًا عن شعورنا بأن هذا القدر الكبير من البحث في الجانب النظري لعلم اللغة لم ينجح في تسليط ما يكفي من الضوء على اللغة بوصفها موضوع البحث .

لقد كان واضحاً ان الكثير من اولئك الذين لجأوا الى علم اللغة النظري على افتراض انه سيساعدهم في آخر المطاف على فهم طبيعة اللغة ، قد اصيبوا بخيبة الامل . كنا مدركين بأن حشداً كبيراً من المهتمين بدراسة اللغة ، منهم علماء نفس ومدرسون وعلماء اجتماع ومتخصصون في علم الحاسب الآلي وفلاسفة ، قد أخذوا يتجاهلون بشكل متزايد البحث النظري في علم اللغة . ومن الامور التي تدعو الى عدم الارتياح اتساع الهوة المستمر بين الاهتمامات النظرية في دراسة اللغة من ناحية والغموض الكبير الذي يكتنف موضوع فهم اللغة Language Understanding وانتاجها Language Production من ناحية اخرى والذي لم يتم توضيحه بطريقة مقنعة حتى الان . مع هذا ، فقد بذل الباحثون جهوداً عظيمة في مجال علم اللغة النظري وصرفوا كثيراً من طاقتهم وعملوا بشكل مكثف لتطوير نماذج نظرية Theoretical Models وصيغ عمل تكون قادرة على توضيح ميادين ضيقة جداً في علم اللغة . في الوقت ذاته ، أهملت كلياً مشكلات كثيرة ذات صلة بانتاج اللغة وفهمها . قد لا تكون هذه الفجوة خطيرة لو ان المبادىء الأساسية لاستخدام اللغة أخذت بالظهور من خلال البحث النظري في اللغة . ولعدد من الاسباب ، يعد التوصل الى فهم كامل للغة وطرائق انتاجها تفاؤلًا عسيراً على التبرير . سنقوم في القسم الأول من هذا الكتاب بتحديد الاسباب الرئيسة الكامنة في هذا الانحراف البيّن والاختلاف الكبير بين علم اللغة واللغة بوصفها مادة هذا العلم بشكل دقيق .

سنبدأ تقويمنا للعمل الجاري في مجال اللغة النظري من خلال دراسة أهم فرضياته الأساسية ، حيث تاتي في المقام الأول دراسة وتقويم الفرضية القائلة بأن على علم اللغة أن يهدف الى توضيح وتعليل جوانب اللغة المختلفة وليس وصفها فقط .

أما فيما يخصنا هنا ، فان هذا الأمر ليس بالقضية المهمة طالما اننا نفترض أيضاً بأن مسمى علم اللغة وهدفه هو تقديم صياغة دقيقة وتوضيحات مقنعة للسلوك اللغوي ، بوجه عام .

أما المشكلة فانها تكمن في ماهية التوضيح المناسب . ان موقفاً قوياً قد تم اتخاذه بشكل خاص في علم اللغة فيما يتعلق بشكل التوضيح اللغوي الملائم والمطلوب ، وذلك بسبب التأثير الكبير والضخم لرجل واحد - ونعني به چومسكي - على مجمل التفكير اللغوي المعاصر .

سنبحث في ثنايا كتابنا هذا درجة ملاءمة صيغة التوضيح المطلوبة في عموم علم اللغة . أما فرضيتنا فانها تعد ابتعاد اللغة عن مادتها قد تفاقم بسبب تبني صيغة غير مناسبة في التوضيح اللغوي . على العموم ، تُعرف صيغة التوضيح المستخدمة في علم اللغة الآن باسم نظرية الصياغة الاستدلالية Deductively Formulated Theory كما تُسمى بشكل غير رسمي بإسم النظرية المعيارية Received View . انها نوع من التقنيات المستخدمة في التوضيح التعليلي النظري حيث تعد ناجحة جداً في مجال بعض العلوم الطبيعية وليس كلها . ان الفائدة المرجوة من تبني نظريات من هذا النوع تتأتى من انها تساعدنا الى حد ما في رؤية ما يبدو لنا على انها ظواهر متباينة على السطح ، ومع هذا يمكن لنا تعليلها وتفسيرها من خلال مبادىء عامة للبنية العميقة لهذه النظريات . مع ذلك ، ولكي تكون مثل هذه النظريات مناسبة للبحث اللغوي ، فانها يجب أن تفي بمتطلبات عدد من الشروط . شرطان من هذه الشروط لهما أهمية خاصة ، أولهما ، انه يتوجب على الظاهرة التي يريد العالم اللغوي Linguist توضيحها وتعليلها أن تكون محددة بشكل كافٍ ، وثانيهما ، أن تكون الظاهرة من النوع الذي يمكن أن يكون قابلًا لأن يعبِّر عنه بسهولة بمجموعة من الرموز الاصطلاحية الشكلية .

سنحاول أن نُظهر بوضوح ان الشروط التي يمكن أن تجعل من نظرية الصياغة الاستدلالية ملائمة كنموذج نظري تحليلي لا يمكن الحصول عليها في ميدان علم اللغة . في متابعتنا لهذا الرأي وتعقبه سنجد أنفسنا مضطرين لأن نثير سؤالًا للنقاش يتصف بكونه ذا أشكال عام وهو : ما هو الانموذج النظري التوضيحي والتفسيري الملائم للبحث في العلوم الانسانية Human Sciences بشكل عام ؟

ان چومسكي هو الذي أيَّد لاول مرة وما زال ينادي بالرأي الذي يذهب الى ان نظرية صياغة استدلالية يمكن بل يجب أن يتم نقلها من بعض أكثر العلوم الطبيعية

تطوراً الى أكثر العلوم الانسانية حداثة وهو علم اللغة . لقد سيطرت نظرية چومسكي التحويلية التوليدية في اللغة Transformational Generative Theory على حقل البحث اللغوي النظري لاكثر من عقدين من الزمن ونتيجة لهذا الوضع تم انجاز الكثير من العمل اللغوي النظري ، تارة تاييداً واستجابة لما جاء به چومسكي واخرى كرد فعل ضد التنقيحات المتعاقبة لنظريته ، مع هذا ، فقد كان ما عمله چومسكي ذا تاثير كبير جداً وذلك بسبب اللغة والطريقة التي يعرض بها ما يريد أن يقول واللغة والمنهج الذي يعتمده في رده على من يحاول التقليل من شأن ما جاء به علم اللغة النظري ، ولم يتاتَ هذا التاثير الكبير ، في رأي عدد غير قليل من علماء اللغة ، مما سلطه من ضوء على اللغة .

ان هذه المعارك الضروس والقاسية ، البعيدة كل البعد عن روح التمدن الحضاري ، بين چومسكي وانصاره من جهة وبين مناوئيه من جهة اخرى ، لم تكن كما نراها بذات أهمية لأن الاهم في رأينا هو ان شكل وصيغة التوضيح Explanation التي يريد علماء اللغة التوصل اليه لدعم ما جاء به چومسكي اصلاً قد وقف بشكل فعلي حائلاً في طريق التطور النظري المستمر . هناك سببان للوصول الى هذه الحالة ، أولهما ، اهتمام انصار چومسكي المفرط بالنظريات التي تعتمد الشكل Form Theories دون أن يقترن هذا باهتمام كافٍ بجوانب الاثبات التجريبي لهذه النظريات ، وثانيهما ، ان نظرية التوضيح التعليلي التي استعارها چومسكي من العلوم الطبيعية والتي تعد موضع خلاف بين فلاسفة العلوم ، على العموم ، قد اثرت بشكل عميق في انواع معينة من المشاكل حيث عدها علماء اللغة من الموضوعات التي تستحق البحث والتقصي العلميين ، وعند البحث في العديد من هذه المشاكل يتوضح لنا أنها لم تنشأ نتيجة لكونها تشكل جزءاً من بعض الموضوعات الغامضة التي تشتمل عليها اللغة ولكنها نشأت ، في الواقع ، من الاطار النظري Theoretical Fromework الذي فرضه چومسكي على علم اللغة وهو ان النظرية اللغوية التوضيحية التحليلية ينبغي أن تكون ذات صياغة وشكل استدلاليين . ولهذا فقد حدث تحول مهم في علم اللغة ، من الاهتمام بطبيعة اللغة الى الاهتمام بشكل وصيغة النظرية اللغوية ، حيث يمكن لهذا التحول في الاهتمام الى النظريات التي تعتمد الشكل في مضمونها أن يُبرر شريطة أن يتم ابتكار وايجاد اجراءات تجريب واختبار منطقية قوية وصارمة . أما المدهش في هذا السياق فهو ان علماء اللغة ، العاملين لترصين نظرية چومسكي في الاطار العام لعلم اللغة النظري ، يبذلون

قصارى جهودهم لتجاهل أهمية المعايير المنطقية للبرهان التجريبي في البحث اللغوي . هذه هي أهم الأشياء التي وددنا ذكرها الآن علماً باننا سنتناول النظرية الصياغية الاستدلالية التي قدمها وقام بتطويرها جومسكي والتي لم تكن بذات صلة على الاطلاق باية معطيات غير مختلف عليها .

نود أن نذكر ، من البداية ، ان منهج جومسكي النظري في علم اللغة لم يكن مستقراً في يوم من الأيام ، وما هو لافت للنظر ، في رأينا ، وبشكل خاص من وجهة نظر تاريخ الفكر هو وصف المختصين لنظرية جومسكي بأنها غير مستقرة علمياً الى درجة كبيرة ، ومع هذا ، فانها تعد ذات تأثير حاسم جداً على مجمل حقل الدراسات اللغوية المعاصرة .

سيكون الشغل الشاغل للقسم الأول من الكتاب الحالي موضوع اعطاء توضيح تحليلي لكيفية أن تكون هناك نظرية غير مستقرة الاسس ، ومع ذلك ، تسيطر على ميدان علم اللغة النظري برمته .

وجدنا من المفيد أن نتبنى في نقاشنا التفسير الذي حدده نورثروب F.S.C.Northrop للطريقة والمنهج العلميين اطاراً عاماً لتحليلنا للنحو التحويلي التوليدي Transformational Generative Grammar .

يبدأ نورثروب نقاشه بنبذ الاستنتاج المتسرع الخاطىء والقائل بان هناك منهجاً صحيحاً واحداً فقط في البحث العلمي ، حيث يصر على مسالتين : أولًا ، ان البحث العلمي يبدأ بوجود مشكلة وان طبيعة المشكلة المعينة هي التي تقرر طريقة أو منهجية البحث ودرجة ملاءمتها ، وثانياً ، ان البحث العلمي يتقدم على مراحل ، وان هناك طرائق ملائمة واخرى غير ملائمة لكل مرحلة من مراحل البحث .

يفرق نورثروب بين ثلاث مراحل في البحث العلمي تقابلها ثلاثة مناهج اساسية للغرض ذاته . يطلق نورثروب تسمية تحليل المشكلة Analysis fo the Problem على المرحلة الأولى في البحث العلمي ويعدها من أكثر المراحل أهمية في اجراء أي بحث علمي وذلك لانها تشتمل على خطوة أساسية جداً وهي اقتفاء أثر المشكلة موضوع البحث ابتداءً من جذورها الأولى وتخليصها من كل ما لحق بها من افتراضات وموروثات تقليدية ، حيث يمكن للباحث في هذه المرحلة أن يستخدم كل ما متوفر له من معلومات غير نظرية حول الظاهرة التي هو بصدد بحثها ، بالاضافة الى امكانية الاستعانة بالحقول العلمية الاخرى ذات الصلة ، وبالنظرية الموجودة في هذه العلوم لتفسير المشكلة في هذه المرحلة . أما الثانية فقد أطلق عليها نورثروب تسمية مرحلة

التاريخ الطبيعي Natural History Stage حيث تشتمل بشكل أساس على جمع كافة المعطيات أو البيانات data ذات الصلة بالمشكلة نتيجة تحليلها وابتكار مفاهيم مناسبة بطريقة تمكن الباحث من ترتيب هذه المعطيات باسلوب منظم وقد أسمى نورثروب المرحلة الثالثة بمرحلة صياغة النظرية بالاستدلال حيث تنطوي على البحث لايجاد مبادىء مجردة Abstract Principles يمكن أن يقال عنها بانها قادرة على توضيح وتعليل جوانب من الظاهرة قيد البحث .

من المهم أن نشير هنا ، ويشكل يتطابق مع وجهة نظر المنهج الذي يعتمده هذا الكتاب ، الى اعتبار نورثروب للمرحلة الثالثة بأنها ليست ملائمة بالضرورة لكل أنواع البحث العلمي . ان كون المرحلة الثالثة ملائمة أو غير ملائمة يعتمد الى حد كبير على طبيعة المشكلة التي هي موضوع التحليل ، ونوع التفسير الذي تسمح به مادة هذه المشكلة ، يشير نورثروب بهذا الخصوص الى المخاطر التي يمكن أن تنجم عن التحول الى المرحلة الثالثة في البحث العلمي قبل الوقت المناسب ، حيث ينتج عن ذلك ، كما يؤكد ، نظرية غير ناضجة وغير مدروسة وتكون ذات سمة جازمة وتبقى في المحصلة النهائية غير ذات أهمية على الاطلاق (٣٧ : ١٩٥٩ ، نورثروب) .

سنقوم ، في هذا الكتاب ، بوضع ما قام چومسكي بانجازه في سياق تاريخي Historical Context آخذين بنظر الاعتبار ما بيّنه نورثروب في ما تقدم ذكره ، وسيتم توسيع هذا السياق التاريخي ليشتمل على عدد من علماء اللغة من أمثال هاريس Harris وجووز Joos وهوكيت Hockett وبلوك Bloch وتراغير Trager وسمث Smith الذين عملوا زمناً طويلًا على تحقيق وانجاز وصف شامل ومتكامل للنظامين الصرفي Morphology والصوتي الوظيفي Phonology لعدد من اللغات التي يتكلمها هنود امريكا الشمالية ، وسنحاول وضع هؤلاء اللغويين في مجموعة واحدة تحت اسم : علماء اللغة الوصفيين في امريكا الشمالية North American Descriptivists . وفقاً لما يراه نورثروب ، يمكن أن يُقال بأن علماء اللغة الوصفيين في امريكا الشمالية قد تبنوا منهج التاريخ الطبيعي Natural History Approach في بحث اللغة وتحليلها . أما چومسكي فقد اهتم بشكل كبير في بناء نظرية لغوية شكلية Formal Linguistic Theory ، يبدو بجلاء وبما لا يقبل الشك ، انها مختلفة جداً من ناحية المنهج العلميُ المعتمد . ان هذا الاختلاف الواضح في المنهجين كان باعثاً على ترسيخ ادعاء أصبح شيئاً مألوفاً في كتب علم اللغة المنهجية حتى العام ١٩٧٩ ، مفاده ان كتاب البِنى النحوية Syntactic Structures الذي يعد أول وأهم كتاب قام چومسكي

بنشره قد اعلن ثورة في التفكير اللغوي .

اننا نرغب بتفنيد هذا الزعم ونقول بأن العمل الذي أنجزه چومسكي لم يكن ليظهر الى الوجود لولا تأثره البالغ بعدد من الفرضيات والطروحات اللغوية التي استعارها من علماء اللغة الوصفيين في امريكا الشمالية . اننا نتفق مع من يرى بأن چومسكي كان الى حد ما ذا نزعة ابتكارية وتطويرية ، لكنه وبقدر ما يتعلق الامر بدراسة اللغة عموماً ، لا يمكن أن يعد ثورياً على الاطلاق .

بسبب الاهمية الفائقة التي أسندها چومسكي لوصف وتبيان قوة نظريته التوضيحية التحليلية ، سنقوم بإفراد مجال واسع لمناقشة الانموذج النظري الشكلي الذي ابتكره ، وكذلك ستتم مناقشة جوانب السلوك اللغوي الذي زعم ان بمقدوره توضيحه وتفسيره . ستقودنا مناقشة هذه الموضوعات الي توجيه انتباه خاص الى جوانب معينة في نظريته أجبر على أن يضفي عليها صفة مثالية مطلقة لكي يكون قادراً على تقديم عرض جوانب اللغة المختلفة باسلوب التدوين الرمزي الشكلي . ان حقيقة اضفاء الصفة المثالية المطلقة اثناء العرض النظري للغة الذي قام به چومسكي ليست بالذات عرضة للنقد وذلك لأن من المألوف في مجال البحث العلمي أن يتطلب البحث النظامي في أية ظاهرة اضفاء هذه الصفة المثالية بدرجة ما ، وليس هناك ، كما نرى ، بحث علمي واحد يمكن أن يتقدم دون أن يعتمد على خطوة كهذه .

مع هذا فان الطابع المثالي في البحث النظري للغة لا يخلو من هفوات ولعل من أبرزها الخطر الذي يمكن أن يؤدي بالمنظّر الى الفشل في ملاحظة الفجوة الواسعة بين موضوع البحث الذي اضفى عليه الطابع المثالي المطلق ، والموضوع المجرد من أي طابع مثالي . ان المشكلة الرئيسة في أمثلة أي جانب أو مرحلة من مراحل البحث اللغوي تكمن في كيفية تثبيت علاقة واضحة والحفاظ عليها بين الظاهرة المؤمْثَلة idealized لاغراض التحليل العلمي والظاهرة نفسها غير المؤمْثَلة للأغراض ذاتها وقد أسمينا هذه العملية بمشكلة الانسجام (في البحث العلمي) Problem of Congruence . ان الوصول الى انسجام مثمر Productive Congruence أمر مهم وصعب أيضاً ، وعلى هذا الأساس ، لا يجوز للمنظّر أن يبالغ في تصوير صعوبة التوصل الى هذا الهدف لان الفشل في تحقيق الاهداف التي ينشد الوصول اليها يشبه الى حد كبير عملية الشروع في رحلة باتجاه تعوزه الدقة الى حد ما ، حيث اننا كلما أبتعدنا عن الاتجاه الصحيح كان الانحراف عن الطريق المطلوب

أكبر . وسوف نعطي كثيراً من الاهتمام لمناقشة مشكلة الانسجام أثناء دراسة نظرية جومسكي في اللغة ، ولعل السبب المبرّر لاهتمامنا هذا ، هو ان جومسكي ، ومنذ البداية ، قدم عدداً من الاحكام العامة في بحوثه النظرية في علم اللغة أضفى عليها صفة مثالية وبما لا يمكن تبريره منطقياً أو لغوياً وأهم هذه الأحكام ، في رأينا ، حكمه بأن مستخدمي اللغة الام Native Users of Language ، يمتلكون مقدرة خاصة وفائقة بحيث انهم قادرون ، بشكل مطلق ، على التمييز بين الجمل الصحيحة نحوياً وبين تلك غير الصحيحة نحوياً في لغتهم دون الاشارة الى المعنى . انه لم يقل بهذا لانه قد توصل بطريقة قبل نظرية بأن هذه المقدرة موجودة أو انها كانت مصدراً لغموض لغوي من نوع معين ، أو انها كانت سبباً في ظهور مشاكل أو مسائل لغوية أو ان هناك من هو مهتم بهذه الامور على الاطلاق ، انه جاء بهذا الحكم المطلق ، في الحقيقة ، لسبب غريب . لقد افترض بأم متكلمي اللغة الأم يمكن أن يفرّقوا بين الجمل الصحيحة نحوياً Grammatical Sentences من تلك غير الصحيحة نحوياً - Non Grammatical Sentences في اللغة التي يتكلمونها بشكل مستقل عن المعنى ، لأن النظرية التي أراد جومسكي صياغتها تتطلب منه أن يقول بهذا من أجل أن تصمد للاختبار التجريبي . لقد جاء اضفاء الصفة المثالية على القدرة اللغوية Linguistic Ability التي فرضها جومسكي على متكلمي اللغة الأم نتيجة لتلبية متطلبات نوع خاص لنظرية كان يحاول ايجادها . وقد ولدت هذه النظرية بدورها من فرضية قوامها ان رؤية خاصة في التوضيح التعليلي مستعارة من منهج البحث في العلوم الطبيعية يمكن أن تكون ملائمة تماماً لعلم اللغة . ولقد ذهب جومسكي أبعد من ذلك حينما ادّعى بأن الانموذج النظري الذي جاء به يمكن أن يُعطى تفسيراً علمياً صارماً للعوامل التي تؤسس عليها القدرة اللغوية لمتكلمي اللغة الواحدة Native Speakers .

ان الاتجاه الذي سار عليه جومسكي في التحليل النظري اللغوي ، والذي يبدأ عادة من توفير المتطلبات التي يقتضيها نوع معين من النظريات وصولاً الى المقدرة التي توضح الأساس الذي تعتمد عليه هذه النظريات ، كان مدهشاً الى الحد الذي يمكن فيه أن يتم تبريره عند الاختبار وبدقة كبيرة .

سوف ندرس بشيء من الدقة العلمية ، التساؤل الذي يقول : هل مقدرة متكلمي اللغة المثاليين التي يتطلبها الانموذج النظري الذي أتى به جومسكي منسجمة مع القدرات الفعلية التي يتمتع بها هؤلاء عادة ؟ فاذا لم يتوافر لها

الانسجام المطلوب فقد يعني هذا بأن نظرية جومسكي لا تتمتع باساس قوي من الرصانة العلمية ولا تمتلك الاستقرار النظري والمنطقي المطلوبين وفي هذه الحالة لا تكون منسجمة منذ البدء .

ومما له صلة قوية بمسالة الانسجام النظري Theoretical Congruence ، بشكل عام ، وجود مشكلة يمكن أن تكون خاصة بعلم اللغة النظري لكننا نشك بانها مالوفة في العلوم الاجتماعية Social Sciences بشكل أكثر وضوحاً . انها مشكلة صلة الوصف بموضوع البحث Problem of Relevance of Description ، فانقطاع الصلة Irrelevanceايمكن أن ينشأ عندما يبتكر المنظّرون انموذجاً Model لا ينسجم إلا مع الجوانب الهامشية لموضوع البحث . وهذا شائع جداً في العلوم الاجتماعية ، إذ كثيراً ما اضطر أصحاب النظريات لأن يُبرزوا ، بشكل أكبر ، تلك الجوانب لكي تكون منسجمة مع الصياغة العامة التي تسعى اليها النظرية . أما فيما يخص النظرية اللغوية ، فاننا سوف نبين بأن في التفسير الذي طرحه جومسكي فيما يتعلق بموضوع الابداع Creativity مثالًا على هذه المشكلة .

نحن نعتقد ، بشكل عام ، بأن السبب في عدم تمخض البحث في مجال علم اللغة النظري عن نتائج يمكن أن تُعطي الشيء الكثير لميادين البحث الاخرى ، التي تسعى لتحقيق هدف فهم اللغة ، يُردُّ بمجمله الى مسألة صلة الوصف بموضوع البحث . لقد اعطينا اهتماماً كبيراً لدراسة وبحث المسائل المتولِدة عن اضفاء الطابع المثالي على جوانب من البحث اللغوي عند جومسكي حيث سيكون هذا الموضوع الاكثر تكراراً في القسم الأول من هذا الكتاب انطلاقاً من اعتقادنا الثابت بأن اضفاء المثالية المطلقة الذي اعتمده علماء اللغة النظريون تقليداً راسخاً في البحث اللغوي لم يتأتَ نتيجة لتحليل المشاكل اللغوية وانما فرضته النظرية التوضيحية التحليلية التي تبناها جومسكي ومَنْ سار على نهجه . وللأسف الشديد لم ينتج عن هذه المثالية في البحث اللغوي ما يؤدي الى تبسيط منهجي مثمر يمكّننا - من دراسة القدرات اللغوية المختلفة باسلوب ميسّر ، بل العكس قد حصل حيث ان هذه المثالية المفرطة التي سادت البحث اللغوي عند جومسكي قد أصبحت سبباً رئيساً في تشويه مادة البحث العلمي اللغوي بعامة . ان جذور ابتعاد علم اللغة عن اللغة من جهة اخرى ، تكمن الى حد ما في هذه المسألة . لقد أتت طريقة معالجة المعنى ودراسته في نظرية جومسكي اللغوية بتوضيحات معقدة لهذه المشكلة ، حيث شرع وبشكل صريح في كتابه الموسوم بالبنى النحوية ، في اعطاء تفسير

لجوانب من المعرفة اللغوية على شكل فصائل نحوية Syntactic Categories وعمليات نحوية صرفة Pure Syntactic Operations ، وقبل ذلك كتب جومسكي قائلًا :

« المعنى فكرة يصعب تحديدها فاذا استطعنا أن نوضح وبشكل ثابت ان المعنى والمفاهيم الاخرى ذات الصلة يمكن أن تلعب مجتمعة ، دوراً مهماً في عملية التحليل اللغوي ، تُصبح نتائجه واستنتاجاته حينئذ خاضعة لكل انواع الشكوك والغموض والابهام التي يعاني منها المعنى . وستكون بمثابة ضربة قاضية للأسس التي تقوم عليها النظرية اللغوية » ، (١٤١ ـ ١٩٥٥ ، جومسكي) . وهكذا سوف نبين ان النظرية التوليدية عانت من مشكلة الانسجام منذ بدايتها .

كان هدف البحث اللغوي ، المحاط بهالة كبيرة من المثالية ، يفتقر الى الاعتماد المتبادل Interdependence بين البنية Structure وبين المعنى Meaning حيث سيتبين بأن مشكلة وثاقة الصلة والتي تعد ذات **أهمية قصوى** في علم اللغة النظري ، يمكن أن تُردّ الى الفرضية الاصلية وهي ان الشكل Form ينبغي فصله بسهولة عن المعنى .

بالرغم من الشكوك والهواجس التي عبّر عنها جومسكي بشكل متطرف نسبياً فيما يخص امكانية ادخال المعنى في عملية التحليل اللغوي فان التنقيحات اللاحقة للنظرية التحويلية التوليدية في اللغة قد تضمنت محاولات لتوسيع ميدانها ليشمل اعطاء توضيح آني اولي لبعض الجوانب المهمة في المعنى . في منتصف الستينات ، اضاف جومسكي المكوّن الدلالي Semantic Component لأنموذجه الشكلي ، الذي أسسه على مبادىء نحوية صرفة ، وتم اعتبار هذا العمل بمثابة محاولة للتغلب على مشكلة الانسجام في التحليل اللغوي المتاتية اصلًا من المثالية المفرطة التي أدخلها جومسكي في البحث النظري اللغوي ، والتي تم بموجبها استبعاد المعنى بشكل كلي ، مع هذا ، فاننا نعتقد بأن مشكلة الانسجام التي أشرنا اليها كثيراً ، في هذا التمهيد ، لا زالت قائمة بالرغم من اضافة المكوّن الدلالي . هناك سببان ، في رأينا ، لاستمرار هذه الحالة ، يكمن الأول في الفشل الذي لاحق علماء اللغة التوليديين Generative Linguists في مسألة عدم مقدرتهم في التعرف على أهمية وجدوى ادخال مكوّن Component في الأنموذج الشكلي Formal Model لنظرية جومسكي ، يكون ذا صلة بشيء يُوصف عادة بأنه غير محدّد المعالم ومحيّر كالمعنى .

لقد استبعد جومسكي أي احتكام أو لجوء الى المعنى عند التحليل اللغوي Linguistic Analysis على أساس ان المعنى لا يعدو أن يكون مفهوماً غامضاً ومبهَماً الى حد كبير . ولاسباب مماثِلة سعى وصفيّو امريكا الشمالية الى التقليل ، بقدر ما يستطيعون ، من أهمية الاشارة الى المعنى . وفضلًا عن هذا ، هناك بعض الفلاسفة ممن اهتموا بدراسة المعنى من بينهم الفيلسوف تارسكي Tarski ، الذي قدم دراسة اكتسبت صدىً واسعاً في هذا المجال حيث توصل فيها الى ان علم دلالة شكلي Formal Semantics للغة طبيعية Natural Language لا يمكن أن يُنجز باية صيغة من الصيغ . لذلك عندما تم ادخال المعنى في النظريات اللغوية Linguistic Theories لم يتم توضيح إلّا القليل جداً من المعلومات التفصيلية لكيفية التخلص من الغموض والابهام اللذين يلازمان مفهوم المعنى عادة كي يصبح جزءاً من أنموذج نظري شكلي .

أما السبب الثاني فانه ذو صلة بالأول ، وهو ان علماء اللغة التوليديين المهتمين بعلم الدلالة Semantics ، قد تأثروا بشكل غير منطقي وغير مبرَّر بالتقنيات الشكلية Formal Techniques التي كان قد تم تطويرها لتحليل وتوضيح الابنية النحوية . فالنقاش والجدل ، اللذان كانا سائدين في أدبيات النحو التحويلي التوليدي في مرحلتي الستينات والسبعينات كانا يدوران حول العلاقات التي يمكن أن توجد بين النحو Syntax وعلم الدلالة كما كان هناك نقاش وجدل محتدمان قد تكررا كثيراً خلال هذه المدة حول الملاءمة بين هذا الجانب أو ذاك من الأدوات النحوية Syntactic Apparatus التي يمكن أن يتم بها وصف بعض جوانب المعنى .

ان اضافة المكوّن الدلالي كانت ، في الواقع ، محاولة لاضافة مكوّن موحَّد للمعنى قائم على أساس الوسائل التي كانت متاحة آنذاك في موضوع الوصف اللغوي وبالأخص تلك التي كان بمقدورها تقديم تفسير وشرح وافٍ للجوانب النحوية للغة دونما حاجة الى أية اشارة من قريب أو بعيد الى المعنى . لقد قادت هذه المحاولة ، في آخر الأمر ، الى تجزئة حقل البحث اللغوي .

نتج عن ذلك ظهور ما يسمى بعلم الدلالة التفسيري Interpretative Semantics ، ومذهب الحالات النحوية Case Grammar ، وعلم الدلالة التوليدي Generative Semantics ، ونظرية تتبع الأثر النحوي Trace Theory ، فضلًا على عدد كبير آخر من النظريات الجديدة التي لم تعمِّر طويلًا .

السبب المهم وراء الفوضى الحالية التي تميز علم اللغة النظري قد نشأ من

عدم استطاعة علماء اللغة التوليديين التعرف على الصعوبات المتأصلة في مسألة ابتكار نظرية الصياغة الاستدلالية طالما ان شيئاً كغموض مفهوم المعنى وعدم وضوحه بالشكل المطلوب لم يعد مستبعداً في ميدان البحث اللغوي الحالي . استخدم جومسكي المثالية في أوجه اخرى ساهمت في ابتعاد اللغة عن موضوعها فاضطر الى تجاهل تنوع اللغة Language Variety وتغيرها Language Change . لقد افترض ، خلافاً للواقع ، بأن المجتمعات اللغوية Speech Communities متجانسة التكوين اللغوي بشكل كامل لكي يفي بمتطلبات وشروط الانموذج التوضيحي النظري الذي نادى به ، وبالاضافة الى هذا ، فقد افترض جومسكي ان متكلمي اللغة الواحدة يمتلكون معرفة لغوية بحتة Pure Linguistic Knowledge يمكن فصلها بيسر عن أي نوع من أنواع المعارف الاخرى التي يمتلكها الانسان عادة كامكانية فصل المعرفة عن الاعتقادات Beliefs أو المواقف Attitudes أو التجارب Experiences أو التوقعات Expectations التي يمتلكها مستخدمو اللغة Language Users . ان هذا الجانب من مثالية جومسكي يمكن أن يعد امتداداً لما افترضه اصلاً وهو ان متكلمي اللغة الواحدة قادرون على التفريق بين الجمل اللغوية التي تكون مقبولة من الناحية النحوية وتلك التي لا تكون كذلك دونما أية اشارة الى المعنى . وعندما طور جومسكي الانموذج النظري ليشمل العناصر الدلالية Semantic Elemnts والعناصر الصوتيه الوظيفية Phonological Elements ، وتلك التي تتعلق بالمعجم ومفردات اللغة Lexicon ، تحول ميدان نظريته من توضيح المفهوم النحوي في اللغة الى شرح وتفسير ما هو أكثر عموماً بكثير مثل المعرفة اللغوية الصرفة . ومن وجهة النظر هذه ، فان اصرار جومسكي ، في بداية الأمر ، على استقلال النحو عن علم الدلالة يمكن أن يُنظر اليه من زاوية عدّه حالة خاصة لرؤيته الأكثر عموماً وهي استقلال المعرفة اللغوية الصِرفة عن الانواع الاخرى من المعرفة الانسانية والتي لها علاقة من قريب أو بعيد بالاستخدام اللغوي كما نوهنا عن ذلك مسبقاً .

وكما هي الحال بالنسبة لاهتمامه الشديد بمبدأ خضوع التعبير اللغوي للقوانين النحوية الصارمة ، لم ينشأ اهتمام جومسكي بالمعرفة اللغوية الصِرفة من انه برهن على وجود مثل هذه المعرفة قبل النظرية بشكل مستقل عن انواع المعرفة الاخرى ، وانما نشأت هذه المعرفة وتولد ذلك الاهتمام من التزامه الشخصي بتطوير نظرية توضيحية تعليلية Explanatory Theory من طراز خاص قادته ، في آخر الأمر ، الى ابتكار وتطوير أنموذج نظري شكلي اتخذ شكل قوانين ونظم نحوية . وكما

نوّهنا آنفاً ، فان هذا الانموذج قد صيغ اصلًا ليكون نحوياً بالكامل من أجل أن يظل على توافق منطقي مع مبادىء التجريب المعتَمَدة علمياً. ومع فرضيته التي تنص على ان متكلمي اللغة الواحدة يمتلكون القدرة اللغوية على التمييز بين الجمل اللغوية سليمة البناء النحوي من تلك التي لا يتوافر فيها البناء النحوي الصحيح لذلك فان أنموذجه النظري الموسَّع Extended Model تطلّب أن يمتلك متكلمو اللغة الأم معرفة لغوية مطلقة ، يمكنهم تطبيقها ، وبشكل مستقل عن الانواع الاخرى من المعرفة . لقد قيل أن الانموذج النظري الموسَّع الذي جاء به چومسكي يفسر قدرة المتكلم باللغة لاستخدام معرفته اللغوية البحتة من أجل الحكم على صحة الجمل Well - Formedness of Sentences من النواحي النحوية والدلالية والصوتية الوظيفية . لقد عانى الانموذج النظري الموسَّع ، الذي جاء به چومسكي من مشاكل أكثر بكثير من تلك التي واجهت انموذجه النظري الاصلي المحدود . من هذه المشاكل ، في سبيل المثال لا الحصر ، انه من الصعوبة بمكان أن يستطيع عالِم اللغة تمييز المعرفة اللغوية من غيرها اذا ما تم الاعتماد على الانموذج النظري الموسَّع لچومسكي . لقد سلَّم چومسكي في أحدث عمل له بشكل خاص بأن « عوامل مهمة مثل البديهة والادراك ونظم الاعتقاد لدى الانسان ، تلعب دوراً مهماً في الاستخدام اللغوي للفرد . كذلك فقد أقرَّ بأن ربما يكون من الصعب جداً بل من المستحيل أن يكون الفرد قادراً على التفريق بشكل واضح بين المكوِّنات اللغوية Linguistic Components والمكوِّنات غير اللغوية Non - Linguistic Components للمعرفة الانسانية والاعتقاد » (٤٣ : ١٩٧٥ . چومسكي) .

ان استمرار چومسكي في التزامه الشديد في ابتكار نظرية صيغت استدلالياً وتطويرها ، يعني ، في الواقع ، تسليمه جدلًا بأن تفريقاًمعرفياً كهذا ، يمكن أن يُنجز أو في الأقل ان المعاني المتضمنة لهذا التفريق تستحق أن يتواصل البحث من أجل تحقيقها . سنحاول أن نبرهن في نقاشنا الذي سيأتي تباعاً بأن المحاولات التي بذلها چومسكي لتوسيع ميدان البحث اللغوي ، بشكل عام ، والنحوي ، بشكل خاص ، من أجل تطبيق نظريته التي صيغت صياغة استدلالية لم تُفضِ إلا الى قيادة علم اللغة التوليدي Generative Lingustics الى مستوى أبعد باتجاه طرق مسدودة كلياً .

ان الكشف عن القيود التي فُرضت على عمل چومسكي والتي كان سببها الطابع المثالي ، الذي أُضيف بشكل كبير على مجمل ابحاثه في اللغة ، والذي يمكن أن

يكون قد أكره عليه ليتم بناء نظريته التي صيغت بشكل استدلالي ، يعد هدفاً ضرورياً ولكنه تمهيدي بالنسبة لنا في هذا الكتاب .

انه هدف تمهيدي عندنا لأننا نعتقد ان الكثير من علماء اللغة قد عملوا ضمن اطار نظري عام غير صحيح ، ولكن هذا لا يعني عندنا ان البحث في علم اللغة النظري ينبغي أن يُترك . ان هذا يعبّر عن رأي مجموعة كبيرة من علماء اللغة الذين لم يؤيدوا كل ما جاء به چومسكي ، أما نحن فنعتقد بأن هناك الشيء الكثير الذي يمكن الحصول عليه وذلك من خلال تعرفنا بشكل أعمق على خصائص اللغة ووظائفها على وجه العموم . ان معرفة كهذه يمكن أن تكون لها نتائج اجتماعية مهمة ، فاذا عرفنا ، على سبيل المثال ، كيف يمكن لمتكلمي اللغة الواحدة أن يفهم أحدهم الآخر ، يمكن لنا حينئذٍ أن نفهم بشكل أفضل كيف لا يفهم متكلمو اللغة الواحدة أحدهم الآخر أيضاً ، أو كيف يستخدمون لغة مشتركة Common Language إلا انهم يفشلون في تكوين اتصال لغوي ناجح بينهم . اذا استطعنا أن نفهم أكثر بشأن كيفية عمل اللغة ، عند ذلك يمكن أن نكون في حالة أفضل ونكون قادرين على تمييز كيفية معالجة الكم اللغوي المتولد عن الكلام في محادثة اعتيادية من كم لغوي آخر يكتسبه الفرد اثناء عملية تعلم الكلام حيث سيكون لهذا نتائج تربوية مهمة .

يبدو ان كثيراً من المفردات التي يتم تصميمها لموضوعات اكاديمية عديدة تتم على اساس فرضية مفادها ان الطالب الذي يسمع يجب أن يكون قادراً على الفهم بالضرورة ، وفي الوقت نفسه ، يتعلم ، مع هذا ، فان اغلبنا قد تعلم القليل جداً بعد تعرضه لساعات كثيرة من الدرس اللغوي سواء في الصفوف المدرسية أو في قاعات المحاضرات . لذلك نود أن يكون منهجنا في تحليل هذه المشكلة مبنياً على ما ذكرناه آنفاً . يبدو واضحاً اننا اذا أردنا أن نلقي شيئاً من الضوء على هذه المشاكل فيجب علينا والحالة هذه أن نعلم الكثير عن العملية التي ينطوي عليها استخدام اللغة . ان ظاهرة انتاج الاصوات اللغوية التي يقوم بها مستخدمو اللغة وما يرافق هذه الاصوات من معانٍ لا تزال مسألة غامضة على علماء اللغة الى حد كبير .

واذا أردنا أن نوضح هذا الغموض ، فيجب علينا اذن أن نبعد أنفسنا تماماً عن إضفاء أي طابع مثالي على اللغة ، والذي هو بشكل أو بآخر صفة غالبة على البحث في علم اللغة ، لانه يؤدي الى خلق تصور ووصف عامين للغة بمعزل عن مستخدميها ، بالاضافة الى ان هذه المثالية ، تضع علم اللغة في ميدان العلوم الطبيعية . ثم ننتقل من هذه المثالية التي نعدّها تشويهاً للنظر الى اللغة في اطار

استخدامها استناداً الى عمليات لغوية ممكنة الحدوث بين مستخدمي اللغة اثناء انتاجها وفهمها .

ففي المرحلة الاولى من بحثنا ، مرحلة تحليل المشكلة ، رفضنا الرأي الذي يقول بأن أحسن طريقة لدراسة اللغة هي اعتبارها نظاماً مستقلًا أو شبكة من العلاقات Network of Relations مختلفة الانواع مفضلين عليه رأي من يرى السلوك اللغوي Linguistic Behaviour مركباً من العمليات المتفاعلة المنظمة ذاتياً .

لقد ركزنا انتباهنا على موضوع فهم اللغة في محاولة لتجسيد الرأي الذي نوهنا عنه قبل قليل ، حيث سلكنا اتجاهين لمناقشة ودراسة هذه القضية . حاولنا أولًا دراسة بعض ما تمتاز به اللغة بوجه عام والتي تظهر بوضوح عندما لا يُنظر اليها على انها ممكنة الفصل عن مواقف واعتقادات وتوقعات وخبرات مستخدمي اللغة . هنا يبرز شيئان وبشكل فوري ، أولًا ، ان اللغة هي ظاهرة مصاحبة Epiphenomenon حيث سندرس في الفصل الرابع من هذا الكتاب ماذا نعني بالظاهرة المصاحبة والمصاحبة لاي شيء ، ثانياً ، اننا نفترض ان العملية التي يشتمل عليها الاستخدام اللغوي تحدث ضمن اطار معقد من المعارف والخبرات والتوقعات والمواقف والاعتقادات التي يمتلكها مستخدمو اللغة ، ويشتركون فيها الى مدىً محدود . لقد اطلقنا تسمية الاسناد Support على هذا الاطار ، ونعتقد بأن اللغة دون اطارها الاسنادي Supportive Framework لا يمكن أن تُعد نظام اتصال System of Comunication أو نظام تعبير System of Expression قابلًا للتطبيق . ان الرأي القائل بأن اللغة ، دونما إسناد تكون فارغة ، متوافق بشكل كبير مع الطرح العام للقسم الأول من هذا الكتاب حيث سنبين لماذا تُعد المحاولات التي جرت ، حتى الآن ، لدراسة الشكل اللغوي Linguistic Form ، بمعزل عن الامور الأخرى ، عقيمة بالضرورة .

أما الميزة المهمة الثانية للغة عند الاستخدام ، فهي ان المعنى لا يمكن أن يُعدَّ خاصية متأصلة Inherent Property في الكلمات Words والجمل Sentences بل ناشئة عنهما . أما منهجنا في بحث هذه الميزة في اللغة فسيكون بمضاهاتها بما ندعوه بنظرية وعاء المعنى Container View of Meaning أو نظرية ناقل المعنى Conveyor View of Meaning . تُعدُّ نظرية وعاء المعنى من النظريات واسعة الانتشار وبصيغ متنوعة بين عامة الناس من مستخدمي اللغة وعلماء اللغة والفلاسفة المهتمين بدراسة اللغة ، وهي ان الكلمات تحتوي على معان ضمن

ابنيتها ، معان يتم ايصالها أو نقلها الى فرد آخر اثناء استخدام اللغة . إذا ما أردنا أن ننقد هذا الرأي فاننا سنحول اهتمامنا من اللغة الى مستخدميها الذين نعتقد بانهم كافراد يقعون داخل شرك حدود تجاربهم الخاصة حيث سيكونون بذلك محدودي المعرفة الشخصية للعالم الخارجي وبخاصة عندما يحاولون ادراكه أو ادراك جزء منه ، اننا نفترض بان أي فرد يمتلك ما يمكن أن ندعوه بقاعدة معرفية Knowledge Base تمثّل تجاربه وخبراته المتراكمة التي تكون قادرة على تصنيف البيئة التي يعيش فيها ، فاذا ما أراد أن يفهم اللغة ، فان مجموعة الاصوات الكلامية Speech Sounds أو الحروف اللغوية المكتوبة Written Characters ، التي يستخدمها عادة ، يجب أن تمكنه من الوصول الى المناطق المناسبة في قاعدته المعرفية . ان القاعدة المعرفية لاي فرد ، مع هذا ، لا يمكن أن تُفهم على انها خزين ثابت من المعلومات Static Store of Information ، انها في حقيقة الامر ، تُمثّل بكونها منظومة ذاتية تتصف بكونها متغيرة بشكل متواصل ودائمة التعديل والتكييف والتحول نتيجة للمعطيات الجديدة الواردة الى الفرد الذي يتكلم اللغة ، كذلك فان فهم جزء من اللغة يتطلب من متكلم اللغة أن يكون قادراً على الوصول الى ما يُعرف بقاعدة المعلومات Information Base التي تتصف بكونها دائمة التغير بحسب الحاجة والسياق . ان كل فهم لأي تعبير لغوي تكون له القدرة على التاثير لاحداث ترتيب وتنظيم جديدين للقاعدة المعرفية للفرد . ومع هذا ، يمكن أن تكون التغيرات التي يحدثها تصرف أو محاولة لفهم تعبير لغوي معين ضئيلة نسبياً ، ففي بعض الظروف ، مثلًا ، وفي اثناء توافر تعلم لغوي حقيقي ، يمكن أن تكون اعادة تنظيم قاعدة المعرفة كبيرة وجوهرية . سنتحول الآن الى جوانب أكثر تفصيلًا لعملية الفهم اللغوي مع الابقاء على تذكر المميزات العامة للغة التي كنا بصددها الآن .

ان الشق الآخر لهجومنا على مبدأ تحليل المشكلة سيركّز على ما ندعوه بالوحدات اللغوية Linguistic Units . تلك الوحدات التي يسمعها ويعالجها بشكل دقيق من يتكلم اللغة اثناء عملية الفهم اللغوي دونما علم بالمبادىء النظرية لهذه العملية . في الوقت ذاته ، لا يمكن لنا أن نتقدم الى ما هو أبعد في نقاشنا وبحثنا حول فهم اللغة دون أن تتوافر لدينا نظرية عمل تتعلق بطبيعة هذه الوحدات اللغوية . لقد أوجدنا عدداً من المفاهيم النظرية المؤقتة Tentative Theoretical Concepts في محاولة للتغلب على هذه المشاكل . وقد توصلنا الى ايجاد فرضية اساسية فيما يتعلق بما ندعوه ، لاجل التوضيح ، بـ « فاهم » اللغة ، حيث نفترض ، في هذا

المجال ، بأن مهمة من يحاول فهم اللغة تشتمل في الأقل على استخدام العبارات اللغوية ليعين في قاعدة المعلومات الخاصة به منطقة المعرفة أو الاعتقاد الذي يتماثل الى حد ما مع ما يسمعه . بتعبير آخر ، ان فاهم اللغة لا يتلقى معلومات من القول الذي سمعه بل انه يستخدم القول ليحصل على جواز للوصول الى المعلومات الضرورية والتي يمتلكها ، بشكل ما ، في ذات الوقت . من هذا المنظور ، فإن اللغة تستخدم لانتزاع المعنى من فاهم اللغة والمعنى في هذه الحالة ، لا يكمن في اللغة كما تقول به نظرية الوعاء سالفة الذكر وانما ينحصر دور اللغة في المساعدة في تعيين المعرفة الموجودة والخبرة اللغوية لمستخدمي اللغة بشكل يجعل فهم اللغة ممكناً ، الى حد ما . ان ما قلناه حتى الآن هو تعبير فج أو غير ناضج لعملية تتصف بشدة التعقيد .

فاذا ما أخذنا مثالاً بسيطاً وافترضنا ان أحداً ما يريد أن يقول :

« أنا ذاهب الى البلدة » (I am going into town) .

يمكن أن نقول ، في مثل هذه الحالة ، بأن جزءاً من المهمة التي يتوجب على فاهم اللغة انجازها ، في الأقل ، هي أن يعين في قاعدة معلوماته نوع النشاط الخاص الذي يمكن أن تستدعيه مجموعة الوحدات ـ أنا ـ ذاهب ـ الى ـ البلدة . أما اذا أراد مسافر في سيارة أن يقول في مناسبة اخرى :

(Be careful , the car is going into the wall)

« احذر ان السيارة ستصطدم بالحائط » .

ففي هذه الحالة ، يكون جزءاً من مهمة فهم سائق المركبة لقائل الجملة هو التعيين في خزين الخبرة المتراكمة Store of Accumulated Experience نوع النشاط الذي يستدعيه مجموع الوحدات اللغوية (ان ـ السيارة ستصطدم بالحائط) ـ (car - go into - wall) . لاحظ ان كلمة تصطدم (go into) تأتي في كِلا المثالين . ففي المثال الأول وبالاتحاد مع كلمتي (أنا وبلدة) (I , town) كوّنت جزءاً من وحدة Unit استدعت نشاطاً معقداً : هو ان فرداً يقوم برحلة الى ... يتوقف ويقوم بانجاز اشياء معينة في بلدة . أما في المثال الثاني ، وبالائتلاف مع كلمتي (سيارة وحائط) (car , wall) تم تكوين جزء من وحدة استدعت نشاطاً بسيطاً يُشير الى اصطدام أو يشير الى تأثر سلبي معين .

يمكن لعبارة (go into) أن ترد في وحدات عديدة مختلفة الأنواع فجملة : « سأنخرط في مهنة التمريض » (Iam going into nursing) قد تسبب نشاطاً من

نوع مختلف يمكن أن يُثار في ذهن فاهم اللغة بينما يمكن لجملة : « سانظر في الامكانية بشكل دقيق » (Iam going into the possibility very carefully) أن تؤول مرة اخرى بشكل مختلف .

ومن الأشياء التي يجب ملاحظتها هو ان الوحدة اللغوية ذاتها في هذه الحالة (go into) تأتي في تراكيب لغوية متنوعة ، كل تركيب يمكن أن يكون سبباً في جعل فاهم اللغة يمتلك الوسيلة المطلوبة للوصول الى ميدان مختلف من الخبرة ، وتُعدُّ هذه العملية ذات أهمية كبيرة . اذا استطاعت هذه الوحدات أن تسهم بشكل مساوٍ في المجاميع كافة ، التي حدثت فيها . عندها تبدو المشكلة بسيطة أو غير موجودة بالمرة فمثلًا في : « اقتطفَ الفاكهة » (He Picked the fruit) فان كلمة اقتطف (pick) لها فعلياً التأثير ذاته لو كانت في : « اقتطف الزهرة » (He picked the flower) ، مع هذا ، فمن الواضح بأن المشكلة ليست بهذا المستوى من البساطة . ان (go into) في جملة (Iam going into town) ليست ، في الواقع ، مثل (go into) في جملة The car is going into the wall ، ففاهم اللغة لا يصل فقط الى مناطق مختلفة لقاعدة معلوماته في كل حالة من الحالات أعلاه ، بل كذلك ، ان المجموعة الاولى يمكن أن تستدعي مجموعة من الافعال تكوّن نشاطاً مفتوح النهايات : (رحلة + وصول + نشاط أو سلسلة من الانشطة في بلدة) ، في حين ان المجموعة الثانية يمكن أن تستدعي نشاطاً يتسم بكونه أبسط وأكثر تحديداً وانها ، أي المجموعة ، مقيّدة بدرجة كبيرة .

اذن اصبح لدينا الوضع الحالي : يستخدم ناطقو اللغة الأم ، على ما يبدو ، الوحدات اللغوية ذاتها في مجموعات متنوعة لتعني أشياء مختلفة .

ونتيجة لذلك ، لا يستطيع فاهمو اللغة أن يتقدموا بشكل كبير بالبحث في « معجم عقلي » Mental Lexicon عن معاني الكلمات التي تكوّن الاقوال التي عالجها مستخدمو اللغة طالما ان معنى أي جزء من القول يمكن أن يعتمد على معنى التعبير بِاكمله ، ففي مثال :

(Be careful , the car is going into the wall)

يحتاج فاهم اللغة لأن يتعرف على حقيقة ان هذا القول يُقيم علاقة ما بين كلمة (car و wall) وهي علاقة تاثر ، لكن هذا التفسير لا يمكن أن يتاتى إلا من فهم للقول بكامله وليس من فهم معنى كلمة (go into) .

سيكون عملنا في الفصلين الرابع والخامس منصبّاً حول استكشاف مفهوم

المعنى المنبثق Emergent Meaning الذي سنقارنه مع مفهوم « وعاء المعنى » الذي يُعدُّ أكثر انتشاراً من الأول . ان الميزة التي يتمتع بها مفهوم المعنى المنبثق هي انه على خلاف مفهوم وعاء المعنى لا يحتاج الى اضفاء طابع مثالي ينص على ان الكلمات تحتوي على معانٍ واضحة المعالم يمكن فصلها وتدوينها في قوائم معجمية خاصة .

نبين في الفصل الخامس من هذا الكتاب بعض عيوب هذه المثالية حيث سنقترح طرائق معينة سينتج عنها تفصيل أكثر لمفهوم المعنى المنبثق . لا بد أن يميز علماء اللغة بأن الموضوع الذي ناقشناه له صلة بما يدعونه بالوحدات أو الكلمات متعددة المعاني . حتى الآن ، وبشكل يدعو الى الاندهاش ، لم يقم علماء اللغة ببذل أي جهد متميز لما نراه احدى خصائص اللغة المهمة وهي ان الكلمات التي تدخل في تركيب العبارات اللغوية ليست ثابتة ، أي ان الكلمات ، وهذا شيء واضح ، تعني اشياء متنوعة في سياقات مختلفة . اتجه علماء اللغة لتبني ما يمكن أن يُدعى بالمنهج المعجمي Dictionary Approach فيما يخص هذه المسألة حيث يقرون بأن الكلمات يمكن أن تحتوي على عدد من المعاني ، ويفترضون بأن المعاني المنفردة يمكن فصلها وتحديدها . اذا استطعنا أن نفهم اللغة ونحللها بوصفها مجموعة من العمليات فعندئذ يجب أن ينظر الى هذه الخاصية على انها ذات تأثير حاسم على تنظيم المعطيات Data المخزونة في ذهن فاهم اللغة الذي يستطيع بدوره أن يصل اليها وقتما يشاء ، وكذلك يستطيع أن يصل الى التدابير أو الاستراتيجيات Strategies المطلوبة بأنواعها لتساعده على تحديد مناطق الخبرة المتراكمة والمصنفة المناسبة للتعبير الذي يكون متكلم اللغة بصدد معالجته . ولو كانت الوحدات اللغوية احادية المعنى Monosemous عند ذلك يمكن أن نفترض بأن الكلمات في اللغة تقوم بمهمة العناوين addresses (بمصطلح الحاسوب) لتمثيلات المعاني Meaning Representations المخزونة التي تتطور بدورها نتيجة للتجارب المتراكمة ، كما ان هذه التمثيلات المخزونة Stored Representations تكون قابلة لان تتحد مع بعضها لتُعطي فاهم اللغة معنى التعبير الذي يريد ادراكه كلياً . لكن حقيقة ان الوحدات اللغوية متغيرة تعني اننا لا نستطيع أن ندعم هذه الفرضية البسيطة ولا بد أن نتخيل طريقة للوصول الى تحديد دقيق لاستراتيجيات تكون أكثر تعقيداً من سابقاتها . لقد تمت مناقشة بعض العوامل التي يجب أن تأخذها هذه الاستراتيجيات بنظر الاعتبار في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

لقد ركزنا بشكل كبير ، في اثناء دراستنا في هذا الفصل على طبيعة الظاهرة المصاحبة للغة والمتغيرات الّتي تحتوي عليها الوحدات اللغوية وقد قادنا هذا التركيز الى أن ننظر الى اللغة بوصفها أداة وعرة لكنها قادرة على تحقيق الاتصال الى حد ما بين أفراد من متكلمي اللغة بأسـرهم شـــرك خبراتهم الخاصة . ان اللغة كما نفهمها نحن ، أداة غير كاملة بالضرورة ، كما ان مستخدمي اللغة أكثر وعياً ، برأينا ، من علماء اللغة أنفسهم بل ويتفوقون عليهم في قضية الاحساس بجوانب القصور في اللغة . ان تعبيرات مثل : « هل تعلم ما أعني ؟ » أو « هل فهمت ؟ » كثيرة الاستخدام وانها محتملة الحدوث عندما يكون هناك شك فيما يتعلق بوجود اسناد كافٍ يأخذ شكل اعتقادات مشتركة أو خبرة تكون حاضرة في وقتها لتمكين متكلم اللغة من أن يؤدي وظيفته بشكل ناجح .

من المحتمل أن يكون مستخدمو اللغة على اطلاع ووعي كاملين بمواطن الضعف وعدم مناسبة وملاءمة اللغة حالما يخرجون من اطار الحديث عن الأشياء المألوفة الشائعة . أما علماء اللغة فانهم لم يُعيروا هذا القصور في اللغة أي اهتمام جاد ومع هذا ، فان محاولة فهم كيف تعمل اللغة مسالة مهمة وذلك لان فهم جوانب القصور اللغوي يمكن أن تكون خير من يزودنا بمؤشرات واضحة لبعض أهم الخصائص الاساسية للغة .

ان اضفاء الطابع المثالي على جوانب القصور هذه في اللغات جعل علم اللغة يفترض ضرورة أن تكون اللغة ذات نظام صارم ومنظم الى درجة كبيرة . وبينما ليس هناك من يُنكر الجاذبية الكامنة في النظر الى اللغة ، من وجهة نظر العلم بهذه الطريقة ، مع هذا ، فان رأينا الذي نسجله في هذا الكتاب هو ان هذا الافتراض سيكون عقيماً في آخر الامر وذلك لانه يهدف الى اضفاء وتجاوز الطبيعة المفتوحة والتنظيم الذاتي للمعالجات التي تحتويها عملية فهم اللغة وانتاجها . نحن نعتقد بأن الفشل في التعرف على هذه الخصائص قد قاد الى اختلاف وانحراف كبيرين بين علم اللغة ومادة بحثها .

بدأ بعض علماء اللغة النظريين ، في السنوات الاخيرة ، التركيز بشكل أكبر على أهمية تفسير لغة ما Interpretation of Language وهو ما يشيرون اليه باسم « العالَم » أو الواقع المعيش World ونشاهد اثر ذلك في ميدان بحث يزدهر الآن

بشكل متواصل تحت اسم البراگماتية(*) Pragmatics ، وهو علم يهتم بتصوير اللغة اثناء الاستخدام الفعلي لها . نحن متعاطفون مع بعض جوانب هذا العلم . ان العاملين في هذا الميدان التخصصي يفترضون ، عموماً ، بأن نتائج عملهم يمكن دمجها بطريقة ما بالنماذج النظرية الشكلية الحالية ، كذلك فانهم ينظرون الى عملهم باعتباره يُكمل ويُضيف الى ولا يحل محل القيم اللغوية لبعض جوانب اللغة التي جاءت بها النماذج النظرية التي صيغت استدلالياً Deductively Formulated Theoretical Models والتي ابتكرها چومسكي اصلًا .

ان احدى نتائج هذا ، هو الموضوع دائم التكرار في علم اللغة النظري ، في فترة السبعينات ، الذي ركز على مسألة أين يمكن أن نضع الخط الفاصل بين علم الدلالة والبراگماتية . ان هذا يذكرنا بالمناقشات التي كانت حامية الوطيس في حقبة الستينات بشأن العلاقة المتبادلة بين علم النحو وعلم الدلالة ، مع هذا ، طالما لم يتم تطوير مكوّن دلالي شكلي Formal Semantic Component واضح المعالِم ، الى حد معقول ، للغة طبيعية ، فان مسألة العلاقات بين علم الدلالة والبراگماتية ، أي العلاقات بين معرفة معاني الكلمات والجمل ومعرفة العالم تبقى محيِّرة وغير ثابتة الى حد ما . أما من وجهة نظر الموضوع الذي نحن بصدد تطويره في هذا الكتاب ، فان العاملين في مجال البحث البراگماتي لم يتعقبوا مشكلتهم التي أشرنا اليها ، من بدايتها ، بل الأكثر من ذلك ، انهم لم يتمكنوا من معرفة أهم ما يميز هذه المشكلة ، وبتعبير آخر ، يعني هذا ، بأن البحث البراگماتي لم يكن حاسماً ولا جذرياً الى حد كافٍ في تناول القضايا اللغوية في محيطه .

اذا أردنا أن نتعقب جذور مسألة علاقة اللغة ليس بالعالَم وانما برأي مستخدم اللغة بالواقع فاننا يمكن في مثل هذه الحالة أن نتنبأ بمرحلة تاريخ طبيعي طويل لعلم اللغة . لقد قيل بأن علم الفيزياء قد استمر في مسيرته التاريخية التطويرية طوال فترة الحضارة الاغريقية حتى مرحلة القرون الوسطى باكملها ليتم بعد ذلك تطور مرحلة التاريخ الطبيعي لهذا العلم وعبر الى المرحلة الاستدلالية Deductive Stage من خلال العقلين اللامعين الاستثنائيين لغاليلو Galileo ونيوتن Newton . أما فيما يتعلق بعلم اللغة بوصفه علماً انسانياً فانه لكي يستمر في تقدمه

(*) اقترح أن يُستخدم مصطلح « تداولية » ترجمة لهذا المصطلح ، فهذا « العلم » يدرس اللغة من زاوية « تداولها » بين مستخدميها . (المراجع) .

الى أمام فان السؤال الذي يمكن وضعه في هذه المرحلة المبكرة من تطوره ليس : كيف يمكن اضفاء طابع مثالي على اللغة لكي نستطيع ربطها بنظرية صياغية استدلالية ؟ ولكن : كيف يمكن لعلم اللغة أن يفتح امكانات مثمرة جديدة للبحث في المسائل اللغوية ؟

اذا ما تم قبول دور مصغر ، للنظرية التي صيغت استدلالياً ، في التحليل اللغوي ، واعتباره انموذجاً نظرياً حقيقياً وحيداً ، في التوضيح التعليلي في علم اللغة ، فان الدور السلبي لعلماء اللغة النظريين Theoretical Linguists سيكون واضحاً وظاهراً للعيان أكثر من ذي قبل عندما كان اطار ودور النظرية الصياغية الاستدلالية في التحليل اللغوي كبيراً وغير ذي حدود ، لذلك يجب على علماء اللغة أن يقاوموا الاغراءات التي يشتمل عليها انموذجهم النظري . ولكي نسير في اتجاه أكثر ايجابية ، ينبغي لعلماء اللغة أن يقوموا بتطوير شكل جديد للتوضيح التعليلي في التحليل اللغوي يكون أكثر ملاءمة للعلوم الانسانية ويكون ، في الوقت نفسه ، قادراً على الاندماج مع المنهج الجديد والرؤية الجديدة في تحليل اللغة نظرياً ، ويجب على هذا الشكل النظري الجديد الابتعاد ، قدر الامكان ، عن اضفاء الطابع المثالي الكامل على الاغراض والاعتقادات والتوقعات لدى مستخدمي اللغة .

هوامش المؤلفين

١ - في دراستنا للمصطلحات اللغوية الخاصة بالعمليات التفاعلية [بين مستخدمي اللغة] ، يبدو اننا نشارك العاملين في مجال الذكاء الاصطناعي Artificial intelligence وجهة نظرهم .

ان علماء هذا التخصص يحاولون برمجة حاسباتهم الآلية Computers من أجل تنفيذ مهمات تتطلب ذكاءً لو قام الانسان بعملها أو انجازها . احدى هذه المهمات هي اللغة ، ولقد تم تطوير انظمة حاسبات آلية يتمكن الانسان بواسطتها من أن يتحاور وباللغة الطبيعية ، مع الآلة .

ان انظمة كهذه تضم محفزات للاستخدام اللغوي ، وان أحد المبررات العلمية لعمل من هذا النوع هو الضوء الذي يمكن أن يلقيه على العمليات الحقيقية التي تجري اثناء انتاج الكلام الانساني وفهمه . وبرغم هذا ، فاننا غير قادرين بشكل دقيق على تقويم موضوعي لامكانية علم الذكاء الاصطناعي في توضيح مشاكل انتاج اللغة الطبيعية وفهمها ، فضلًا على كون هذا الموضوع خارج الاهتمام الاصلي لكتابنا الحالي .

PART 1

CHOMSKY'S THEORY OF GRAMMAR : THE DIVERGENCE OF LINGUISTICS FROM LANGUAGE

القسم الأول

نظرية النحو عند چومسكي :
انحراف علم اللغة عن اللغة

الفصل الأول

نظرية چومسكي اللغوية : الرابطة التاريخية

ان أفضل صياغة للنحو هي أن يكون دراسة قائمة بذاتها مستقلة عن علم الدلالة .

نعوم چومسكي

لقد اثارت الابحاث التي قام بها چومسكي ، ومنذ البداية ، مشاعر من الصدمة والاثارة والاضطراب ، كما أثارت لدى بعض الأوساط شعوراً من الفزع والعداء وسوء الفهم . لقد بدا لمعاصريه متحدياً مباشراً لافتراضات وممارسات كانت أساسية لعلم اللغة في أمريكا الشمالية في ذلك الوقت . وسرعان ما أصبح مالوفاً القول بأن چومسكي قد استطاع تثوير علم اللغة في امريكا الشمالية ، ولم يكن ذلك بالرأي قصير العمر فقد استمر حتى العام ١٩٧٩ ، ففي هذا العام ، وُضع كتاب تمهيدي منهجي لمقرّر دراسي في علم اللغة يحمل العنوان الفرعي « نتائج ثورة چومسكي في اللغة » . ان أساس الاختلاف بين چومسكي وبين معاصريه الأوائل من علماء اللغة يكمن في اختلافهم حول ما الذي يكوّن « النشاط العلمي » .

لقد كان اهتمام علماء اللغة الامريكان خلال الأربعينيات والخمسينيات يتركز في اصرارهم على ممارسة علم اللغة بصورة تؤسس للموضوع مكانة علم قريب من العلوم الطبيعية . لم يشك چومسكي للحظة واحدة في افتراض ان علم اللغة يمكن ، بل ينبغي له أن يُمارس ، باعتباره علماً ، لكنه برغم هذا انحرف عن الاطار الاستقرائي inductive الوضعي في البحث العلمي ، ذلك الاطار الذي كان السمة الغالبة في علم اللغة ، ليتبنى منهجاً افتراضياً استدلالياً أكثر تعقيداً Sophisticated Hypothetico- Deductive Approach .

سنناقش ، في هذا الفصل ، المنهج الاستقرائي في البحث العلمي الذي اعتمده معاصرو چومسكي والذين سبقوه مباشرة ذلك المنهج الذي فرض عليهم جميعاً أن ينظروا الى مادة البحث ، أي اللغة ، من خلال منظار ضيق . لقد فرضت هذه النظرة الضيقة عليهم مثلًا أن يستبعدوا أية اعتبارات ذات علاقة بالمعنى والتركيز بدلًا من ذلك على الشكل . بالاضافة الى ذلك ، لقد اجبرتهم هذه النظرة على اهمال مستخدمي اللغة وبالاخص تجاهل أي تفهم أو تصور عميق يمكن أن يمتلكه مستخدم

اللغة فيما يتعلق بلغته الأم . وكانت تلك وجهة نظر علم استهدف أن يجعل اللغة مادة بحث مستقلة عن السياق ومستقلة عن مستخدميها .

سنطرح فكرة ان چومسكي وبالرغم من كونه قد ادخل رؤية مختلفة لمفهوم العلم في علم اللغة ، إلا انه ، في الحقيقة ، قد فُرض عليه كما فُرض على غيره . وبالرغم من ان ميدان البحث العلمي لدى چومسكي يختلف من وجوه عديدة مهمة مع ذلك الذي يعمل معاصروه في اطاره ، فقد كان هناك عدد من الافتراضات لم يشك چومسكي في صحتها أبداً ، بل الاكثر من ذلك ، كان لهذه الافتراضات تأثير عميق ومستمر على مجمل اتجاهه . وأهم هذه الافتراضات أولًا : ان المعنى يمكن فصله تماماً عن الشكل وثانياً : استبعاد ما يتعلق بمستخدمي اللغة من معرفة واعتقادات وقيم راسخة وتوقعات من ميدان البحث العلمي اللغوي اذا ما أُريد لعلم اللغة أن يكون علماً ذا منهج صارم دقيق .

ان الفرضية العامة التي نطرحها هنا هي ان مشاركة چومسكي لمعاصريه الرأي الذي يدعو الى وجوب أن يكون علم اللغة علماً دقيقاً وذا منهج صارم واستمراره في هذا التقليد ، قد اثبت فشله ويرهن على عقمه وخلوه من النظرات المتعمقة في كيفية عمل اللغة . وبسبب افتراض امكانية ان توفر العلوم الطبيعية الانموذج المناسب لعلم انساني دقيق مثل علم اللغة ، أُجبر علماء اللغة في امريكا الشمالية على استبعاد جوانب في اللغة سنثبت انها اساسية في فصول لاحقة من هذا الكتاب ، في محاولة نمذجة أنفسهم نمذجةً قريبةً من العلوم الطبيعية ، بدأ علماء اللغة في امريكا الشمالية خلال الأربعينيات والخمسينيات عملية واصلها چومسكي ، عملية انحرفت بعلم اللغة الجديد من وجوه عدة مهمة عن موضوعه : اللغة .

ويمكن القول ان چومسكي بتطويره مقتربهم هذا للغة قد جلب لعلم اللغة نظرات متعمقة جديدة في العلم لا نظرات جديدة متعمقة في اللغة .

علماء اللغة الوصفيون في امريكا الشمالية

THE NORTH AMERICAN DESCRIPTIVISTS

لقد كانت هناك مجموعة من علماء اللغة عاصرت چومسكي وكانت لها آراء في البحث اللغوي اصبحت خلال مدة وجيزة ذات تأثير كبير حيث عُدَّت السبب الحقيقي في تأسيس وترسيخ علم اللغة النظري والوصفي Theoretical and Descriptive

Linguistics في امريكا الشمالية . سوف نُشير الى هذه المجموعة باسم الوصفيين في امريكا الشمالية ، تلك التسمية التي استخدمتها المجموعة نفسها حيث فضلتها على التسمية الاكثر شيوعاً وهي البنيويون Structuralists . أما علماء اللغة الذين تشملهم هذه المجموعة فهم ، من بين آخرين عديدين ، كل من زيلگ هاريس Zellig Harris وچارلس هوكيت Gharles Hockett ومارتن جووز Martin Joos وبيرنارد بلوك Bernard Bloch وجورج تراغير George Trager وهارولد سمث Harlod Smith وفريمان تويدل Freeman Twaddell . ومن بين هؤلاء جميعهم ، يبرز لنا اثنان من علماء اللغة الوصفيين في امريكا الشمالية : أولهما زيلگ هاريس ، استاذ چومسكي في جامعة بنسلفانيا University of Pennsylvania والذي تشرب چومسكي وتبنى منه كثيراً من اهتماماته المنهجية في البحث اللغوي . أما الثاني ، ويشكل يدعو الى الدهشة والاستغراب ، فهو چارلس هوكيت الذي يمكن أن نجد في كتاباته الكثير مما اهتم به چومسكي في بحوثه النظرية في علم اللغة ، وبخاصة موضوعة وثاقة الصلة الشديدة بين الجانب النفسي وبين النماذج النظرية لعلم اللغة . لن نقوم ، عند مناقشتنا للافكار العلمية لهؤلاء الوصفيين ، بتقديم صورة تفصيلية شاملة لكل واحد على حدة ، وانما سوف نبحث بدلًا من ذلك عن مواقف وفرضيات نضعها في أُطر عامة ، يمكن لها ، برأينا ، أن تمثل أفكارهمومبادءهم التي يتميزون بها عن الآخرين . ومن بين أهم المصادر التي يمكن أن توضح آراء الوصفيين اللغوية ، وجدنا عملين اثنين مفيدين جداً بهذا الخصوص . العمل الأول هو كتاب زيلك هاريس الموسوم بـ « علم اللغة البنيوي » Structural Linguistics ، أما العمل الثاني فهو كتاب مؤلف من مجموعة من الابحاث اللغوية البارزة قام بتحديده وجمعه مارتن جووز تحت عنوان « قراءات في علم اللغة » Readings in Linguistics .

انه لواضح جداً من خلال الاطلاع على مقدمة كتاب « قراءات في علم اللغة » ان محرره وجامعه مارتن جووز يشعر بثقة عالية بانه بجمعه هذا العدد من الابحاث اللغوية التي تمثل الحالة التي كانت سائدة في علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics في شمال امريكا ، قد عبّر عن الاسلوب الامريكي في الفكر اللغوي ، (جووز ١٩٥٧ : ٧) .

ومع هذا ، فان من أغرب المصادفات وأكثرها سخرية ، لكنها ليست غير مألوفة في التاريخ ، هي ان العام الذي تم فيه نشر كتاب « قراءات في علم اللغة » هو العام ذاته الذي قام فيه چومسكي بنشر الطبعة الاولى لنظريته الجديدة في اللغة ، أما

السنة التي نقصدها فهي ١٩٥٧ ، وأما كتاب چومسكي فقد كان « البنى النحوية » .

نظرة وصفييّ امريكا الشمالية للعلم

THE NORTH AMERICAN DESCRIPTIVISTS' VIEW OF SCIENCE

ان الفكرة العلمية التي سادت بشكل كبير في علم اللغة حتى الخمسينات كانت مدينة الى التاثير الضخم الذي أحدثه ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield في مجمل التفكير اللغوي . لقد اعترف وصفيّو امريكا الشمالية بفضل بلومفيلد عليهم . لقد وُصف جووز بأنه « نيوتن علم اللغة » « The Newton of Linguistics » وعُدّ أحد أبحاثه « دستوراً لعلم اللغة الوصفي المعاصر » « The Charter of Contemporary Descriptive Lingusitics » أما بلوك الذي كان يعمل محرراً لاشهر مجلة لغوية وهي مجلة « اللغة Language » ، فقد أكد بأن المساهمة الكبرى التي أسداها بلومفيلد لعلم اللغة كانت : تحويله هذا التخصص المعرفي الى علم حقيقي ، حيث يقول : « ليس هناك أدنى شك في ان أعظم ما أسداه بلومفيلد لدراسة اللغة هو جعل هذه الدراسة علماً . أما علماء اللغة الذين سبقوا بلومفيلد فقد عملوا أيضاً باسلوب علمي اثناء بحثهم في جوانب اللغة المختلفة ، لكن ليس هناك مَنْ حاول أن يرفض وبشكل صارم وعنيد كافة الطرائق غير العلمية التي كانت غالبة على البحث اللغوي آنذاك ، أو كان دقيقاً وحذراً على نحو متواصل وثابت في كتاباته حول اللغة اذا ما أردنا أن نستخدم الاسلوب الذي يمكن أن لا يشتمل على أي اعتماد ضمني على عوامل خارج نطاق الملاحظة ، (٩٢ : ١٩٤٩ ، بلوك) .

نُجابه ، في العادة ، بصعوبة بالغة عند القيام بأية محاولة لتلخيص الخصائص العامة لآراء بلومفيلد في حقل البحث اللغوي بسبب ان آراءه هذه قد خضعت لعدد من التغييرات المهمة وبالأخص فيما يتعلق بموضوعيّ علاقة دراسة اللغة بدراسة العقل Mind ودور المعنى في التحليل اللغوي .

سنختار ، فيما تبقى لنا من مجال في هذا الفصل ، الجوانب الرئيسة من آراء بلومفيلد اللغوية التي اثرت بشكل كبير بوصفيّي امريكا الشمالية[1]. ومن بين أهم هذه الآراء ما يحسبه بلومفيلد وصفاً علمياً مشروعاً لشيء ما أو لحدث لغوي ، حيث يقول في هذا المجال : « يرى كاتب المقال ان الوصف العلمي للكون ، مهما تكن

قيمته ، لا يتطلب استخدام أي من الاصطلاحات العقلية Mentalistic Terms التي يستعين بها علماء اللغة ، في العادة ، لتوضيح عمل اللغة ... يمكننا أن نميز بين العلم وغيره من اشكال النشاط الانساني الاخرى من خلال الاتفاق على ان العلم لا يتعامل إلا مع الاحداث التي يمكن أن يتوصل الى معرفتها أي باحث أو كل الباحثين في زمان ومكان معينين (مذهب السلوكية الصارمة في العلم Strict Behaviourism) أو بالاتفاق على ان العلم يتعامل فقط مع الأحداث التي يمكن وضعها في اطار من الارتباطات والعلاقات الزمانية والمكانية (المذهب الآلي في العلم Mechanism) أو بالاتفاق على ان العلم لا يستخدم إلا تلك التعابير والتنبؤات الأولية التي تؤدي الى معالجة عمليات لغوية معينة (المذهب العملياتي في العلم Operationlism) ، أو بالاتفاق على ان العلم يتعامل فقط مع اصطلاحات كتلك التي يمكن اشتقاقها ، وبتحديد وتعيين صارمين ، من مجموعة من الاصطلاحات المتداولة في حياتنا اليومية فيما يتعلق بالاحداث المادية (المذهب الفيزياوي في العلم Physicalism) . لقد توصل علماء مختلفون ، وبشكل مستقل ، الى هذه الصياغات العديدة ، حيث ان جميعها تقود الى التحديد العلمي ذاته ، وان هذا التحديد لا يمكن باية حال من الاحوال ، أن يقيِّد موضوع البحث العلمي ، بل يميِّز اسلوبه عن اساليب البحث الاخرى » ، (١٣ : ١٩٣٩ ، بلومفيلد) .

يُصر بلومفيلد على ان الوصف العلمي الصحيح والملائم هو ذلك الذي يمكن أن يستفيد من الاصطلاحات المجردة Abstract Terms بشرط ان تكون كل حالة في استخدام تلك الاصطلاحات مشتقة من مجموعة الاصطلاحات المتداولة في حياتنا اليومية فيما له علاقة بالاحداث المادية ويتم تحديدها بشكل صارم . لقد مكَّن هذا المنهج بلومفيلد من استبدال النزعة الذاتية Subjectivity ، التي كانت بدايةً السبب المباشر في افساد علم اللغة في اوربا ، وأوجد بدلًا منها درجة عالية من الموضوعية Objectivity في الوصف اللغوي : تلك هي الحقيقة الاساسية للاسلوب الامريكي في الفكر اللغوي . وكما يرى بلومفيلد ، لم يكن الوصف اللغوي الموضوعي منسجماً مع استخدام الاصطلاحات العقلية ، تلك الاصطلاحات التي تم ادخالها الى الوصف اللغوي دون أن تكون قد اشتقت وبشكل مباشر من المعطيات اللغوية Linguistic Data الحقيقية . واذا ما نظرنا الى آراء بلومفيلد اللغوية من خلال سياق أوسع يتضح لنا بأن موقفه هذا شبيه ، الى حد كبير ، بموقف الفلاسفة الوضعيين Positivists في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . ولو اننا بسَّطنا ذلك ، بشكل أكبر ، لامكننا

أن نقول عن ذلك بأن كل شيء لا يمكن التاكد من صحته تجريبياً لا يقبله هؤلاء الفلاسفة الوضعيون على أساس انه علم ، لذلك فانهم أعطوا أهمية قصوى لطرائق البرهان والتحقيق العلميين . لقد كان منطقياً مثلًا أن يقولوا بان معنى أي تعبير يكمن في طريقة برهنته . أما بالنسبة لمنهج بلومفيلد فيمكن تاويل هذا على انه اعتقاد بأن قيمة التعبير اللغوية تكمن في صحة الطرائق التي أعتمدت في تقريره وملاءمتها . ان التوكيد الذي وضعه بلومفيلد على أهمية طرائق الوصف كان ، في الحقيقة ، من أجل أن يصل بالبحث اللغوي الى مرتبة العلم الذي يعمل بحد ليتوصل الى درجة من الموضوعية ينتزع بها استنتاجاته باجراءات صارمة وبشكل مباشر من المعطيات القابلة للملاحظة .

أما رفض بلومفيلد الاصطلاحات العقلية فقد كان في الأساس رفضاً لما عدّه محاولات تبسيطية Simplistic Attempts مفرطة لتوضيح الاستخدام اللغوي . لقد ميّز بلومفيلد علماء اللغة والاوربيين منهم بشكل خاص بانهم عقليون Mentalistic يبحثون في أعمالهم اللغوية عن توضيح للاستخدام اللغوي الذي يحتكم الى أغراض مستخدمي اللغة واعتقاداتهم وتوقعاتهم . وبدلًا من هذا التوجه العقلي الذي يعده منهجاً غير علمي لتوضيح اللغة ، يقترح بلومفيلد ما أسماه بالرؤية الآلية Mechanist view في توضيح اللغة حيث يقول : « يعد عالِم اللغة ذو التوجه العقلي اللغة تعبيراً عن الأفكار Ideas أما عالم اللغة ذو التوجه الآلي فانه لا يقبل بهذا الحل ، حيث انه يعتقد بأن الانطباعات العقلية Mental Images والمشاعر وما شابهها لا تعدو أن تكون اصطلاحات شائعة لحركات جسمية متنوعة ... » ، (١٤٢ : ١٩٣٥ ، بلومفيلد)[٢]. لم يكن هذا دائماً رأي بلومفيلد للعلاقة بين اللغة والعقل ، إذ كتب قبل ذلك يقول : « ربما ان الطالب المتخصص في علم عقلي Mental Science يستطيع بل ينبغي له أن يحجم عن اعطاء أي تفسير نفسي Psychological Interpretation متسرع ، لكن ، مع ذلك ، أن تفسيراً كهذا لا يمكن تجنبه .. ان علم اللغة هو أحد أكثر العلوم العقلية احتياجاً لتوجيه النظرات النفسية المعمّقة المتاحة في كل خطوة يخطوها » ، (٣ - ٣٢٢ : ١٩١٤ ، بلومفيلد) .

مع هذا ، فان بلومفيلد الذي أثر تاثيراً كبيراً في الوصفيين Descriptivtsts قد ترك هذا الرأي ، حيث بدأ منذ العام ١٩٢٤ بالاعتقاد بأن علم اللغة علم مستقل Autonomous Science ، فيقول : « ان علم النفس Psychology وعلم الاصوات غير الوظيفي Phonetics هما علمانِ لا صلة لهما بدراسة اللغة » ، (٣١٨ : ١٩٢٤ ،

بلومفيلد) . يقول بلومفيلد في البحث الذي اطلق عليه جووز تسمية « دستور علم اللغة المعاصر » : « ان الطريقة الافتراضية Postulational Method في البحث اللغوي توفر علينا عناء المناقشة لانها تقيّد تعابيرنا بمصطلحات فنية محددة وتجعلنا كذلك بمنأى عن الجدال النفسي (١٥٣ : ١٩٢٦ ، بلومفيلد) . فضلًا عن الاهتمام العام والكبير بالسمة الموضوعية التي أدخلها بلومفيلد في البحث اللغوي ، تبنى الوصفيون منه رأيه الداعي الى التعامل مع الدراسة اللغوية بوصفها علماً مستقلًا منفصلًا عن علم النفس ، علماً له طرائقه الخاصة وله موضوع بحثه الذي لا يشاركه فيه أي علم آخر .

ان هذا الرأي الجوهري لبلومفيلد ، في علم اللغة ، قد انعكس ضمنياً وظاهرياً على الاعمال اللغوية التي أنجزها الوصفيون ، فمثلًا ، ان بلوك وتراغير يصفان في كتابهما الموسوم بـ « مختصَر التحليل اللغوي » Outline of Linguistic Analysis عالِم اللغة باسلوب ايحائي حيث يقولان : « انه عالِم Scientist ، موضوع بحثه اللغة ، مهمته ان يحلل ويصنف حقائق الكلام Facts of Speech كما يسمعها عندما ينطقها متكلمو اللغة الأم أو كما يجدها مدونة كتابةً » ، (٨ : ١٩٤٢ ، بلوك وتراغير) .

وبتعبير آخر ، ان عالم اللغة يتعامل فقط مع أحداث حقائق الكلام التي يمكن لأي عالم لغة أن يصل اليها في زمان وقوعها وفي أي مكان .

هناك دليل واضح في تلك الحقبة على ان وصفيِّي امريكا الشمالية كانوا يعتقدون بأن الطريقة العلمية تتضمن ملاحظة وجمع معطيات ومن ثم وصفها بشكل دقيق بالاستفادة من اصطلاحات « مشتقة بطريقة علمية صارمة من مجموعة الاصطلاحات المستخدمة في الحياة اليومية للفرد والمتعلقة بالأحداث المادية » لقد كتب جووز ، بهذا الخصوص قائلًا :

« اننا نحاول أن نصف بشكل دقيق ، لا أن نحاول توضيح ، فلو ان أي شيء في وصفنا بدا مشابهاً لأية صيغة من صيغ التوضيح لاعتُبر هذا ببساطة كلاماً تعوزه الدقة والموضوعية ... وهو في هذا لا يُحسب على انه جزء من النظرية اللغوية الحالية » (٣٤٩ : ١٩٥٧ ، جووز) .

يبدو جووز ازدرائياً جداً في هذا النص وذلك لانصرافه عن كل شيء له صلة بموضوع التوضيح في التحليل اللغوي حيث اعتبره « كلاماً يفتقر الى الدقة » مفضلًا عليه الوصف اللغوي الدقيق . ان تعبير جووز هذا يُفهم وكأنه كلام تبسيطي ، الى حد

كبير ، على مسالة تُعد غاية في التعقيد ، ونقصد بهذا ، قضية التفاعل بين الوصف والتوضيح في العلم .

أما اصرار چومسكي على وجوب أن يكون علم اللغة علماً توضيحياً Explanatory Science فانه يبدو وكأنه خروج كامل على نظرية الوصفيين اللغوية . مع هذا ، من المهم ملاحظة ان صيغة التوضيح التي رفضها جووز لم تكن الشكل الافتراضي الاستدلالي الاختزالي Reductive Hypothetic- Deductive Mode الذي أدخله چومسكي في البحث اللغوي بل انه كان يرفض التفسيرات التي قدمها أوائل علماء اللغة الاوربيين European Linguists التي كانت تتسم بكونها استطرادية Discursive وتأملية Speculative ولا يمكن اخضاعها للتجريب العملي . وبشكل عام ، يشترك وصفيّو امريكا الشمالية مع جووز بايمانهم الراسخ بأن العمل في مجال البحث اللغوي في الجوهر عمل تصنيفي *Classificatory* . وفي هذا السياق ، يفتتح هوكيت أحد أهم أبحاثه المتميزة بجملة يقول فيها : « ان علم اللغة علم تصنيفي Classificatory Science » ، (٩٧ : ١٩٥٧ ، هوكيت) .

لقد اهتم الوصفيون أنفسهم ، بشيء من الحذر والحيطة ، بالأفكار التي وردت اليهم من اوربا وبالأخص تلك الأفكار التي نتجت عن التأثر بحلقة براغ اللغوية *Prague Linguistic Circle* . لقد شعر جووز بأن أفكاراً من هذا النوع تقدم « أكثر مما ينبغي من التوضيح الصوتي الوظيفي Phonological Explanation في اللغة ويمكن للتصنيف Taxonomy غير المسرف في هذه الحالة ، أن يخدم الغرض نفسه ، (٩٦ : ١٩٥٧ b ، جووز) . ومن الموضوعات المتكررة في كتابات الوصفيين ، والتي تعكس وعيهم الذاتي بمكانة البحث اللغوي كعلم ، هو الالتزام « بالحديث عن اللغة بشكل دقيق للغاية أو عدم الكلام عنها مطلقاً » ولكي يمكن وصف اللغة بشكل مُحكم جداً ، سعى الوصفيون لجعل « علم اللغة نوعاً من الرياضيات Mathematics » . ادرك الوصفيون بأن ما يسعون اليه يمثل هدفاً يتمنون تحقيقه وقد كانوا في الوقت ذاته ، يعلمون صعوبة انجازه . وحول سؤال فيما اذا كان الوصفيون قد نجحوا في ابتكار اسلوب رياضي ملائم Adequate Mathematical Style لوصف بنية اللغة Language Structure ، يجيب جووز قائلًا :

« في الحقيقة اننا لم نصل الى انجاز هذا الهدف بشكل كامل ، مع هذا ، لا يزال علم اللغة علماً جديداً ، إذ ان عمر طوره الرياضي Mathematical phase لم يتجاوز ، بعدُ ، ربع قرن من الزمن ، لأننا نؤرخ له اعتباراً من وقت ظهور بحث بلومفيلد

الموسوم بـ « مجموعة من المسلمات والمبادىء الاساسية لعلم اللغة A set of postulates for the Science of Language » الذي نشره في مجلة اللغة في العام ١٩٢٦ (١٩٥٧ a : ٣٥٠ ، جووز) . مع ذلك اعتقد الوصفيون دون أدنى شك ، بأن علم اللغة له السبق بين العلوم الانسانية قاطبة : « لكن من بين كل العلوم وشبه العلوم Near- Sciences ، التي تتعامل مع السلوك الانساني Human Behaviour ، يبقى علم اللغة العلم الوحيد الذي يسير في طريقه سيراً حسناً ليصبح علماً رياضي التوجه بشكل كامل ، وان العلماء المتخصصين في مجال العلوم الانسانية الاخرى قد اخذوا يقلدون الطرائق الصارمة التي يعتمدها علماء اللغة في بحوثهم اللغوية ، (١٩٥٧ a : ٣٥٠ ، جووز) . ليس كل علماء اللغة في امريكا الشمالية قد استحسنوا كلياً هذا التوجه في وصف اللغة باسلوب رياضي ، يقول هوغين Haugen في هذا المجال :

« ان الوصف اللغوي الذي يقوم بانجازه علماء اللغة في بحوثهم هذه الأيام ينتصب بارزاً مثل صفحة في كتاب في المنطق الرمزي Symbolic Logic ، حيث انه يفتقر الى الاسترسال والوضوح الساحر اللذين تتميز بهما كتب النحو التقليدي . اننا لا نريد أن نعود الى الوراء عندما نتذكر اساليب البحث في اطار النحو التقليدي ولكننا نريد فقط أن نقول ان الاقتصاد قد لا يكون دائماً معبراً عن الفضيلة . حيث ينتج في بعض الحالات عن فقر مدقع ، وعلى كل حال ، يجب أن يتم استبدال اسلوب البحث اللغوي الذي اشرنا اليه في اعلاه باسلوب آخر يقلل من الجانب الرمزي ويتوسع في البحث في موضوعيُ الاصوات اللغوية الحقيقية Real Speech Sounds والمعاني اللغوية الحقيقية Real Linguistic Meanings .... » ، (١٩٥٧ : ٣٦٣ ، هوغين)[٤] .

أما هاريس فقد كان من بين علماء اللغة المناصرين بقوة لفكرة جعل الوصف اللغوي ذا طابع رياضي كلي . لقد أجمل هاريس المهمة التي يضطلع بها الوصفيون في احدى المراحل التي يمر بها البحث اللغوي بما يأتي :

« ان من المناسب جداً التفكير بالأسس والعوامل الأولية على انها رموز منطقية صِرفة Purely Logical Symbols ، ومن خلال الاعتماد على هذه الرموز نستطيع أن نقوم بانجاز عمليات متنوعة في اطار المنطق الرياضي Mathematical Logic ، ففي بداية بحثنا اللغوي نستطيع أن نحول تدفق الكلام الانساني الى مجموعة مؤتلِفة من تلك الاسس والعوامل الاولية ، وفي الاخر نقوم بتحويل تلك المجموعات المؤتلِفة الى

عوامل أساسية نهائية Final Fundemental Elements ومن ثم تحول مرة اخرى الى مرحلة تدفق الكلام . كل هذا شيء مطلوب ، ولكي نتمكن من انجازه ، ينبغي أن يتوفر لدينا تماثل متبادل بين أجزاء من الكلام وبين الاسس والعوامل الاولية ، فاذا لم نستطع القيام باية عمليات ، على وفق هذا الاساس ، فيجب والحالة هذه انهاء التماثل المتبادَل وانهاء تلازمه اللغوي والمنطقي ، (١٨ : ١٩٥١ ، هاريس) .

لقد اضاف هوكيت ، كذلك ، فصلًا رياضياً لاحد الابحاث التي قام باجرائها مشيراً الى أهم أوجه الشبه التي يمكن أن توجد بين النظم الرياضية Mathematical Systems وبين الوصف اللغوي Linguistic Description ، حيث يقول :

« الرياضيات أفضل ميدان للبحث عن القياس البنيوي . هناك الكثير من النُظُم الرياضية التي يمكن تمييزها كلياً أو بشكل أساسي على انها تتالف من مجموعة من المناصر يمكن أن نحدد من خلالها علاقات من نوع معين ، وهناك طائفة أكبر من النُظُم الرياضية تتميز بكونها مؤلفة من مجموعة من العوامل الاخرى يمكن أن نحدد بها كثيراً من العمليات المعينة الاخرى ، (٥ ـ ٣٩٤ : c ١٩٥٧ ، هوكيت) .

اننا إذ نؤكد هنا على الجوانب الرياضية Mathematical Aspects في العمل اللغوي ، الذي جرى ضمن اطار علم اللغة الوصفي في أمريكا الشمالية ، انما نريد أن نلفت الانتباه ، ولو جزئياً ، الى سمة مهمة في ممارسة البحث اللغوي عند علماء اللغة الوصفيين كثيراً ما كان يهملها اولئك الذين كانوا يركّزون فقط على الجوانب الثورية في علم اللغة عند چومسكي .

خلال المدة التي تميزت بمهمة البحث الدائب والمستمر للتوصل الى صيغة يمكن من خلالها ادخال مبدأ الدقة العلمية التي يتميز بها علم الرياضيات الى علم اللغة النظري ، كان چومسكي ، في الوقت ذاته ، مستمراً بانشغاله الكلي بتوجهاته الخاصة بمنهجه اللغوي الجديد ولم يكن يعمل أبداً ليثور ضد الممارسات اللغوية التي يقوم بها وصفيّو امريكا الشمالية ذوو الميول اللغوية النظرية . وبينما استطاع چومسكي ، دونما أدنى شك في ذلك ، أن يطوِّر نوعاً من الاحكام المنطقية الرياضية محاولًا تطبيقها على مباحث علم اللغة ، فقد كان يحاول في عمله هذا توسيع ما يؤمن به الوصفيون من ان علم اللغة علم دقيق وصارم ، إلا انه لم يتمكن ، في حقيقة الأمر ، من تقديم منهج جديد وجذري في البحث اللغوي في هذا المجال .

التطبيقات العملية لعلماء اللغة الوصفيين

THE WORKING PRACTICES OF THE DESRIPTIVISTS

ان رأي وصفيّي امريكا الشمالية في ان العلم يجب أن يكون بعيداً عن التامل ، متّصفاً بالدقة والموضوعية والصرامة ، كان له ، بطبيعة الحال ، تاثير عميق على أهدافهم . لقد أوجز هاريس هذه الأهداف بشكل بارع عندما قال :

« ان الهدف الكلي للعمل في اطار علم اللغة الوصفي هو الحصول على تمثيل كامل لما لدينا من تعابير في عينة البحث اللغوي Corpus » (٣٦٦ : ١٩٥١ ، هاريس) .

كان التوصل الى انجاز وصف شامل وملائم للعمل في اطار علم اللغة هدفاً يرفضه چومسكي إلا انه لم يصرح بهذا الرفض إلا بعد أن تمكن من استيعاب أكثر مبادىء منهج الوصفيين وتفصيلاته وذلك لأن هذا المنهج قد أثر تاثيراً عميقاً في جوانب مهمة من الاتجاه اللغوي النظري الذي أوجده لنفسه .

لقد تعمدنا أن نلفت الانتباه الى هذه الامور لأنها ستساعدنا في توضيح السبب الذي دعا چومسكي لتبني هذه الافكار اللغوية ومغزى هذا التبني .

كذلك فانها ستساعدنا على فهم محتوى السؤال الآتي : لماذا انحرف علم اللغة في ظل چومسكي ، بشكل كبير جداً ، عن اللغة باعتبارها مادة البحث في هذا العلم ؟. نضلًا على فهم التساؤل الآتي : ماذا كان يعني هاريس عندما قال بأن الغرض من العمل اللغوي الذي قام باجرائه الوصفيون هو اعطاء تمثيلات متبادلة ومحكمة لخزين التعابير التي تتوفر لدينا في عينة البحث اللغوي .

(١) عينة البحث اللغوي THE CORPUS

من المحتمل ، بشكل عام ، أن تكون عينة البحث اللغوي مجموعة من الاقوال للغة غير معروفة ولا مالوفة من قبل ، حيث تُسجَل هذه العينة اللغوية ويتم تدوينها بشكل أولي ، وغالباً ما يتم كل هذا العمل اثناء رحلات بحث ميدانية Field trips منظمة .

لقد تركز اهتمام أكثر علماء اللغة الوصفيين على دراسة لغات السكان الاصليين المتكلمة في قارتهم (لغات الهنود الحمر) ، لذلك كان مجمل عملهم منصباً على تحليل لغات الهنود ووصفها وتصويرها في عموم امريكا الشمالية .

ان هذا لا يعني ، مع ذلك ، بأن العينات اللغوية للوصفيين لا تعدو أن تكون نماذج عشوائية لمقتطفات من لغة هندية محلية ما ، بل من حيث المبدأ كانت العينة اللغوية لا تُعد مناسبة في رأيهم حتى يتبين انها تمثل اللغة التي أُخِذت منها أصدق تمثيل ، كتب هاريس يقول بهذا الصدد : « يُصبح تحليل عينة لغوية ، للذين يهتمون للنتائج اللغوية Linguistic Results ، مسألة تدعو الى الاهتمام عندما يكون متماثلًا عملياً مع التحليل الذي يمكن الحصول عليه بطريقة مشابهة من أية عينة كبيرة للمادة اللغوية المأخوذة من اللهجة ذاتها ... عندما تكون هذه هي الحالة ، اذن يمكن أن تعد العينة التي تم تحليلها انموذجاً وصفياً كاملًا للغة ... عندما يجد عالم لغة بأن اضافة مادة جديدة على عينته اللغوية لا ينتج عنها شيء غير موجود في تحليله الاول ، عندها يمكن أن تُعد عينة ملائمة ومناسبة (١٣ : ١٩٥١ ، هاريس) ، ولقد أصرّ الوصفيون وعلى المستوى النظري في الأقل ، بأن العينة اللغوية ممثلة للغة التي أخِذت منها طالما يمكن لأي أحد أن يتنبأ نظرياً بطبيعة العلاقات بين العوامل في أية عينة لغوية اخرى في اللغة وذلك على أساس العلاقات التي وجدت في عينتنا اللغوية الاولى التي تم تحليلها مسبقاً (١٣ : ١٩٥١ ، هاريس) .

في الواقع ، لم يكن الوصفيون بقادرين على أن يضمنوا ان العينة اللغوية التي جمعوها كانت تمثل نموذجاً وصفياً ملائماً يمكن الاعتماد عليه أو الاعتداد به . وبما ان الصعوبات التي واجهت الوصفيين كانت كبيرة ، إذن لم يكن لديهم خيار إلّا جمع عينة لغوية يمكن الحصول عليها عن طريق « الرواة » أو « المخبرين اللغويين Informants » أو في بعض الاحيان ، يتم الحصول على عينة لغوية من راوٍ لغوي واحد فقط . وفي ضوء المشاكل والمشاق التي كانت تواجه العمل الميداني اللغوي بعامة ، لم يكن عملياً مواصلة التحليل الى حين يتم التاكد من ان العينة اللغوية تصلح لان تكون نموذجاً تمثيلياً وصفياً ملائماً .

لقد أصبح الوصفيون ، فيما بعد ، وبشكل ضمني ، أكثر اهتماماً بطرائق تحليل العينة اللغوية التي يتم جمعها بشكل حقيقي ولم يهتموا إلّا قليلًا لوجوب توفر شرط الملاءمة في العينة اللغوية أولًا . وبالرغم من شكوكه وهواجسه بوصفه منظرًا من الطراز الأول ، أوجد هاريس الواقع الفعلي الذي كان يعمل في ظله الوصفيون عند تحليل العينة اللغوية ، يقول هاريس :

« لقد طُبّقت الاجراءات التي تمت مناقشتها على عينة من المادة اللغوية دونما أي اعتبار لدرجة ملاءمة العينة اللغوية كنموذج وصفي ممثل للغة »

(١٣ : ١٩٥١ ، هاريس) .

أما بالنسبة لعلماء اللغة الذين اهتموا بضرورة أن يكونوا دقيقين وصارمين وموضوعيين في بحوثهم اللغوية فقد انجذبوا بشكل فوري للعمل على تثبيت الوصف في عينة لغوية معينة . بعد ذلك قرروا ان هذا يتطلب منهم أن يبقوا قريبين جداً مما يمكن ملاحظته مباشرة وهو النص الحقيقي المدوّن الذي تستتبعه محاولة ترسيخ التحليل وتثبيته . لقد كان ذلك سبباً في بروز مشاكل متنوعة . ومن تلك المشاكل التي واجهت الوصفيين ذوي التوجه النظري بشكل خاص ، هي : الى أي حد يمكن أن يذهب هؤلاء في اتجاه أمثلة العينة اللغوية ؟ ان عينة حقيقية لمادة لغوية مدونة لا بد وأن تحتوي ، وبشكل حتمي ، على شيء من التردد أو الحيرة أو يتخللها شيء من السعال اثناء الكلام أو غير ذلك من انواع الاصوات الاخرى التي ليست بذات صلة طبيعية باللغة .

ان الاساس العملي لعالم اللغة المتمكن العامل ميدانياً يمكن أن يقوده الى استبعاد هذه المعوقات أو التقاطعات التي تحدث اثناء الكلام من عينته اللغوية التي يودُّ دراستها . من ناحية اخرى ، سوف يتوجب على المنظّر أن يسأل نفسه السؤال الآتي : على أية اسس ، تمت ازالة هذه المعوقات والتقاطعات التي تحدث اثناء الكلام في حين يزعم الوصفيون بأن المادة اللغوية المسجلة كعينة للدراسة يجب أن يتم تحليلها بالشكل الذي وجدت عليه ؟.

هناك مناقشات لغوية كثيرة احتوتها كتابات القطبين الرئيسين لمنظرّي تلك الحقبة ، هاريس وهوكيت ، تنصب في مجملها على معالجة المشاكل المنهجية من هذا النوع .

يتساءل هاريس :

« لكن أي هذه الأشياء التي تُشبه السعال أو الهمهمات التي تظهر اثناء تكوين تعبير ما ، أو الايماءات التي تظهر على المتكلم اثناء الحديث قد رافقت فعلًا انتاج الكلام ، أو أيُّها لم يرافقه بالفعل ؟، (١٨ : ١٩٥١ ، هاريس) .

يقرر هاريس انه طالما لا يوجد توزيع منتظم لصوت معين اذن يمكن أن نستبعد ذلك الصوت باعتبار انه ليس بصوت لغوي ، أما هوكيت من ناحية اخرى ، فانه يميّز بين عطسات تتضمنها عينة لغوية وبين سعال وتجشؤات على اساس ان لهذه التجشؤات معان ومدلولات اجتماعية مزدوجة ولهذا السبب تُعدّ « فعلًا كلامياً » An act of speech ويسبب من أهمية النص الآتي ، فاننا سناتي به بالكامل

وسنستخدمه توضيحاً لمشكلة أمثلة العينة اللغوية ووفقاً لما يراه عالم اللغة النظري في امريكا الشمالية :

« ان التفوهات الكلامية ذات مدلولات اجتماعية ثنائية ، والعطسة تحدث في الموقف الاجتماعي نفسه ، لكن مصدر عملية العطاس فسلجي بحت ، لذلك لا يمكن أن نعد عطسة ما ثنائية المدلول الاجتماعي ، وكذلك فانها ليست فعلًا كلامياً . ومن ناحية اخرى ، تعد سعلة ما في مجتمعنا اشارة مؤدية لاحراج أو ارتباك اجتماعي ، وان أحداث تجشـؤ في بعض بلدان افريقيا يعطي انطباعاً لاظهار تقدير انسان ما بمضيّفه وهو بهذا ينجز كل المتطلبات الاساسية للسلوك الاجتماعي الثنائي .. لذلك يجب أن يعد التجشـؤ ، في هذه الحالة ، فعلًا كلامياً (٩٧ : a ١٩٥٧ ، هوكيت) .

مع هذا ، يختتم هوكيت كلامه بالقول ، بأنَّ ، سعلة ما أو بعض التجشؤات ، فضلًا على الاصوات التي تعني التعجب في اللغة الانكليزية ، كلها قابلة لأن تُستبعد من عملية التحليل اللغوي على اساس ان قيمها الدلالية هامشية .

(٢) تحليل العينة ANALYSING THE CORPUS

كانت هناك فرضية معتمَدة ، بشكل كلي وحاسم ، في منهج الوصفيين في التحليل اللغوي وهي ان النص ، عينتهم اللغوية ، يمكن أن يُؤخَذ بشكل منعزل عن اولئك الذين يمكن أن يقوموا بنطقه لدواع تحليلية ، وبتعبير آخر ، لقد كانوا يتعاملون مع النص بوصفه كياناً تاماً بذاته . لقد اعتمدوا هذه الفرضية المهمة نتيجة لوجهة نظرهم القائلة بأنهم كعلماء ، ينبغي أن يكونوا موضوعيين في عملهم التحليلي اللغوي وهو أمر صعب اذا ما توجب أخذ الاعتقادات والتوقعات والخصائص ونزوات صاحب اللغة Idiosyncrasies بنظر الاعتبار . وفضلًا على هذا ،فقد أتوا بفرضية مهمة ثانية ، وهي ان شكل النص The Form of the Text أي ترتيب عناصره The Arrangement of its Elements ممكن الوصف دونما حاجة لأية اشارة الى معناه .

لقد تم تبرير استبعاد المعنى بالاستناد الى مبدأ منهجي Methodological Principle يُعرف بمبدأ الفصل بين المستويات اللغوية The Separation of Levels حيث يفترض هذا المبدأ بأن خصائص اللغة الصوتية الوظيفية والصرفية والنحوية والدلالية ممكنة الفصل عن بعضها بشكل تام ، وعلى وفق هذا المبدأ يمكن لعالم اللغة أن يحلل في لغة معينة ترتيبات الاصوات الكلامية (النظام الصوتي الوظيفي The Phonological System) دون أن ياخذ بنظر الاعتبار الخصائص الاخرى للغة

ذاتها . لقد قرنوا مبدأ الفصل بين مستويات اللغة بمبدأ منهجي ثان يفترض أن تبدأ عملية التحليل اللغوي بتحليل اصوات الكلام خطوة خطوة وصولًا الى مرحلة تحليل البنية النحوية للغة ، وأن لا تُعكس هذه العملية طالما ان هذا الشكل من التحليل ، وبهذه الطريقة هو الاسلوب الوحيد للابقاء على صِلات الربط مع الواقع الذي يمكن ملاحظته والذي يتخذ شكل أصوات لغوية . ان[٥] كلا هذين المبدأين المنهجيين قد نتجا عن المفهوم الذي تبناه الوصفيون عن العلم ، حيث تطلب هذا فهم أن يبقوا ثابتين ، وبشكل تام ومحكم على ما يمكن ملاحظته مباشرة Directly Observable وهي مجموعة الاصوات التي تكمن خلف النص المكتوب بالرموز الصوتية . لقد هدفت الفرضية التي تؤكد امكانية اجراء وصف للشكل اللغوي وبطريقة مستقلة عن المعنى ، في حقيقة الأمر ، الى توكيد استبعاد الوصفيين للمعنى عند قيامهم بابحاثهم اللغوية ، حيث ان وراء هذه الحالة عدداً من الاسباب ، أحدها ان جهودهم الكبيرة في جعل علم اللغة قريباً في شكله من علم الرياضيات قد أعطى انطباعاً بوجوب استبعاد أي شيء لا يمكن أن يُحال الى نظام تدوين علمي رمزي صارم . لقد كان المعنى أصعب تبويباً من الشكل وهو بهذا أكثر ميلًا وخضوعاً للتفسيرات غير المطرّدة ، كذلك فانه لم يكن قابلًا للملاحظة والتجريب بشكل واضح ، وأخيراً لم تكن ارتباطاته بمستويات اللغة الاخرى واضحة المعالم . مع هذا ، كان هناك سبب اضافي قد يدعم مبدأ الوصفيين في مسألة استبعاد المعنى من التحليل اللغوي ، وهو طالما ان علماء اللغة الوصفيين كانوا يتعاملون ، بشكل عام ، مع لغات غير مالوفة لهم وانهم يتعاملون مع ثقافات غريبة عليهم فان استبعاد المعنى من التحليل اللغوي قد ساعدهم ، فيما يبدو ، على الافلات من مأزق محدودية معرفتهم باعتقادات وطرائق حياة الشعوب التي كانوا يصفون لغاتها ويقومون بتحليلها . لقد انعكس هذا في مواقفهم من مخبُري أو رواة هذه اللغات حين لم تُؤخذ اراؤهم[٦] في اللغات التي يتكلمونها بنظر الاعتبار . ان هذه الآراء والمواقف تتضمن جوانب غير محبذة بالنسبة لافراد تلك المجتمعات وغالباً ما تكون هذه المجتمعات مجتمعات الهنود الحمر في امريكا الشمالية التي تُدرس لغاتها كما لو انها تمثل شكلًا نقياً ليس له أية علاقة تُذكر بقيمهم وبطرائق حياتهم .

أما على المستوى العلمي فيبدو ان هذه الاراء والمواقف قد نشات من اعتقاد مفاده بان اجراء الوصفين لبحوثهم اللغوية بهذه الطريقة يمكّنهم الى حد ما ، من التوصل الى الحقائق المحضة Pure Facts للغة والتي هم بصدد تحليلها غير مشوبة

، بأي شيء يمكن أن يكون ذا طابع عقلي . لقد مكّنهم من رؤية جهلهم بوصفه فضيلة ضمنت لهم المقترب العلمي ، في الوقت الذي كان ينبغي أن ينظروا اليه بوصفه قصوراً شالاً ومعطلاً .

وعلى اساس هذا النوع من الافتراضات المنهجية والنظرية Methodological and Theoretical Assumptions والتي ظهرت بشكل غير مركز في أعمال چومسكي اللغوية ، عمل الوصفيون على تصوير ووصف اشكال التناسق والاطراد والانتظام التي تمت ملاحظتها عند تحليل ودراسة عينات بحوثهم اللغوية .

كتب هاريس قائلاً :

« علم اللغة الوصفي .. ميدان بحث يتناول .. الاطّراد في بعض سمات الكلام ، وان هذا الاطّراد والانتظام يأخذ شكل علاقات توزيعية بين سمات الكلام الذي نحن بصدده بشكل عام . ان البحث الاساس الذي يضطلع به علم اللغة الوصفي والعلاقة الوحيدة التي يمكن أن تُقبل بوصفها ذات صلة بما نقوم به في دراستنا الحالية الشاملة هي علاقة توزيع وترتيب لبعض أجزاء أو صفات تدفق الكلام بالنسبة لأجزاء أو صفات الكلام الاخرى ، (٥ : ١٩٥١ ، هاريس) .

ان التركيز على الشكل Form والترتيبات الشكلية Formal Arrangements يُعد على حساب المعنى والفكرة الاساسية التي يعمل بموجبها الوصفيون ، وللمساعدة في التذكير بطرائق الوصفيين في مجال البحث اللغوي ، فانهم قد عُدّوا توزيعيين Distributionalists للسبب المنوّه عنه آنفاً .

لقد استطاعت تسمية الوصفيين التوزيعيين Distributional Descriptivists أن توجز لنا طرائق البحث اللغوي والأهداف التي يطمح الوصفيون الى تحقيقها في أعمالهم اللغوية . ان توزيع Distribution عنصر لغوي معين ، يعني ، في رأي هاريس ، ما ياتي :

« ... مجموع السياقات التي يرد فيها العنصر ، انه حاصل جمع لكل الاماكن والمواقع التي يمكن أن يرد فيها هذا العنصر بالنسبة لورود عناصر أو وقوع العوامل اللغوية الاخرى » ، (١٦ - ١٥ : ١٩٥١ ، هاريس) .

يبدو بشكل عام ، ان الوصفيين يعتقدون بانهم اذا استطاعوا ملاحظة وتمثيل ترتيبات العوامل اللغوية في عينات بحوثهم باستخدام نظام رمزي مناسب فانهم والحالة هذه قد استطاعوا المحافظة على سمة الموضوعية التامة في أعمالهم اللغوية . لقد علّق هاريس في هذا السياق ، قائلاً ان الاجراءات التحليلية التي

يعتمدها الوصفيون كانت في الواقع « محض وسائل لترتيب المعطيات الاصلية Original Data » وقد أضاف قائلاً :

« طالما ان الاستفادة من توزيع العبارات في الكلام لا يمكن أن تتم إلا من خلال دراسة الفروقات الشكلية Formal Distinctions فسوف لا يكون هناك أي مجال للوقوع في مطب مشكلة التفسير اللغوي غير المنتظَم والمنضبِط للمعطيات أو الوقوع في مشكلة الاكراه في التحليل اللغوي الذي ينتج في العادة عن المعنى » ، (٣ : ١٩٥١ ، هاريس) .

ان احدى أهم المهام التي يضطلع بها الوصفيون على المستوى الصوتي الوظيفي Phonological Level كانت العمل على تثبيت أيّ من الاصوات اللغوية في لغة غير مألوفة لهم يُعدّ من الاصوات المتميزة Distinct (أي ذات ارتباط بالمعنى) وأيّ من هذه الاصوات يُعدُّ مجرد تنويعات Variants صوتية (ليس لها صلة بالمعنى) . يوضح هاريس الاجراء الذي يتبناه الوصفيون في هذه المسالة قائلاً :

ناخذ تفوهاً معيناً وندوّن اصواته بالرموز DEF ، بعد ذلك ، نبدأ بتكوين تفوّه آخر مؤلّف من أصوات مدوّنة بالرموز DA'F حيث يكون الرمز 'A عبارة عن تكرار للصوت المدوّن بالرمز A في تعبير متمثل باصوات يرمز لها بـ ABC . فاذا ما قَبِل راوي اللغة ، الذي يمدنا بعينة البحث اللغوي ، بأن يعد التعبير الذي يرمز له بـ DA'F تكراراً لتعبير DEF (واذا ما تمكّنا بشكل مشابه في أن نحصل على تعبير مدوّن بالرموز E'BC مفتبرين ان الرمز 'E هو تكرار للرمز E وانه مكافيء لتعبير ABC) عندئذٍ يمكن أن نقول بان الرمز A والرمز E وكذلك الرمزين 'A و 'E يمكن أن يحل أحدها محل الاخر (أو ان أحدهما مكافيء للاخر) بوصفها تنوعات صوتية مطلقة وبهذا يمكننا أن نكتب ان A = E . أما اذا ما فشلنا في هذه الاختبارات فعندئذ يمكن أن نقول بان A مختلف عن E ولا يمكن أن يقوم مقامه باية حال من الاحوال .

يُعتبر اختبار استبدالية الصوت بصوت آخر Test of Segment Substitutability جوهر العمل الذي يقوم به متكلم اللغة وذلك من خلال استخدامه لهذا الاختبار بشكل علمي اثناء عملية تكلم اللغة أو من خلال قبوله للطريقة التي نستخدمه بها » (٣١ : ١٩٥١ ، هاريس) .

وفي قضية لغوية تصلح لان يُستَشهد بها في هذا الشان ، يقول هاريس : يمكن للمحلل اللغوي أن يلاحظ ، وبخاصة اذا ما كانت اللغة التي يود تحليلها هي اللغة الانكليزية وانه لا يعرف هذه اللغة البتة ، بأن هناك تنوعات Variations غير ذات شأن

أحياناً ، كما هي الحال عندما ننطق الصوت الأول في كلمة Can't ، حيث نستطيع أن نتحسس بوضوح درجتين مختلفتين من (النطق بملء النفس Aspiration) لهذا الصوت فمرة يكون [K] واخرى يكون [Kh] . عندئذ يقارن المحلل اللغوي هذه التنوعات الصوتية مع اصوات اخرى تقع في بداية كلمات متشابهة تحتوي على تنوعات صوتية مماثلة مثل كلمة Gameras وذلك من خلال استبدال صوت الـ [K] أو [Kh] في الكلمة الاولى مع الصوت الأول في الكلمة الثانية . فاذا ما قبل متكلم اللغة الانكليزية ، الذي يمارس مهمة مخبر لغة اعتيادي ، الكلمة الجديدة كتكرار لكلمة Cameras عند ذاك سيستنتج المحلل اللغوي بأن الصوتين في الكلمتبن قابلان لأن يحل أحدهما محل الآخر بشكل مطلق وهما في هذه الحالة متكافئان من الناحية اللغوية الوصفية .

لقد كان استبدال عامل لغوي بآخر أو قيامه مقام آخر الوسيلة المنهجية الرئيسة التي يعتمدها الوصفيون وقد كانوا ينظرون الى هذه الطريقة باعتبارها أداة توفر لهم ميزة كبرى لا تتوفر في العلوم الاجتماعية الاخرى ، وذلك لانها تمكّن الباحث اللغوي من مضاعفة وتكرار معطياته اللغوية . أما بعضهم الآخر ، فقد اعتبر هذا المبدأ التحليلي مماثلًا لغوياً Linguistic Analogue لموضوع التجارب المسيطَر عليها في العلوم الطبيعية ، يقول هوغين في هذا السياق :

« ان مبدأ الاستبدال Replacement ، الذي يعده علماء اللغة ركناً أساسياً عند اجراء تحليلاتهم اللغوية ، يُوجه ، بشكل رئيس ، نحو اكتشاف توزيع مواقع الاصوات اللغوية داخل البنى الكلامية المختلفة ، وقد تُشبه تقنية الاستبدال هذه ، الى حد ما ، تقنية التجارب المسيطَر عليها والتي يقوم بها علماء العلوم الطبيعية Natural Scientists .

وكما يقوم علماء الطبيعيات بتغيير عامل واحد بينما يُبقون العوامل الاخرى ثابتة ، فان عالم اللغة يقوم بدراسة امكانات التغير والاختلاف في التعابير اللغوية المتنوعة ، فكلما استطاع ايجاد تعابير لغوية تختلف بعامل واحد ، وبخاصة اذا توفر له متكلم للغة التي هو بصدد دراستها ، فانه يقوم بتأليف تعابير من خلال سؤال متكلم اللغة الأم بتكرار التعبير نفسه مع استبدال عامل لغوي واحد فقط . في حقيقة الأمر ، ان تكرارات كهذه ممكنة ، ويمكن في الوقت ذاته أن توفر لعالم اللغة ميزة كبيرة قد لا تتوفر لبقية العلماء العاملين في حقل العلوم الاجتماعية الاخرى الذين نادراً ما كانوا يستطيعون الحصول على هذا النوع من التكرارات وبمحض ارادتهم » ،

(٣٦٠ : ١٩٥٧ ، هوغين) . مع هذا ، فان الذي لم يتمكن الوصفيون من ملاحظته ، هو ان اختبار امكانية استبدال الصوت اللغوي Segment Substitutability Test يتطلب تقويماً شخصياً يتسم بكونه ذاتياً جداً Highly Subjective . فاما أن يتطلب هذا الاختبار من مخبِّر اللغة ، الذي غالباً ما يكون هندياً أحمر من أمريكا الشمالية ، بأن يقوم باعطاء أحكام دقيقة جداً حول ما يعده الصوت نفسه أو صوتاً مختلفاً ، أو أن يتطلب من عالم اللغة لأن يحكم بأن أحسن محاكاة للصوت الذي يحلله تكون ملائمة وتتوفر على الكفاية العلمية عندما يكون راوي اللغة ، لعدد لا يُحصى من الأسباب التي ليس لها صلة باللغة لكنها مهمة جداً من الناحية الاجتماعية ، متوافقاً أو غير متوافق مع ادائه اللغوي . لقد كان مبدأ اختبار « امكانية استبدال الصوت اللغوي ، في الاتجاهين ، مليئاً بذاتية مفرطة Rampant Subjectivity . غالباً ما كان الوصفيون يقومون ، متعمدين ، بالتمويه على مشكلة رواة اللغة وبخاصة فيما يتعلق بما يمكن أن يعد تكراراً للتعبير اللغوي ذاته . أما واقع هذه المشكلة ، فهو لكي يستمر تحليل الاصوات اللغوية بطريقة واضحة ، فان عالم اللغة يحتاج ، وعلى الدوام ، أن يعتمد على معلوماته الشخصية العلمية الدقيقة فيما يخص راوي اللغة الذي يأخذ عنه عينات بحثه اللغوي . وعلى الرغم من اعتقاد الوصفيين بأنهم كانوا يبعدون المعنى اثناء تحليلاتهم اللغوية فانهم كانوا ، في حقيقة الأمر ، يعتمدون عليه ضمناً اثناء قيامهم بعملية التحليل ، وكما لاحظ هوغين في احدى المرات ، إذ يقول :

« لقد كان التقليل من شأن المعنى ، كعامل مهم في الوصف اللغوي ، في البداية ، رد فعل صحياً ضد اساءة استخدامه في ترسيخ وتثبيت الفصائل اللغوية Lingustic Categories ، لكنه أصبح فيما بعد بمثابة ولع أو نوع من التعلق الشديد لدى بعض علماء اللغة . من اللافت للنظر ، اننا نجد اولئك الذين كانوا يعملون على استبعاد المعنى يحاولون الآن ، من جديد ، ان يستردوه في أعمالهم اللغوية تحت غطاء خفي يعرف باسم التوزيع اللغوي ... لكن من المهم ملاحظة ان متكلم اللغة هو وحده القادر على احداث استبدالات موقعية صوتية حيث انه يعلم وبشكل تام وبديهي معاني الصيغ المختلفة التي يستخدمها اثناء تكلمه للغته ، (٣٦٢ : ١٩٥٧ ، هوغين) .

وعلى المستوى النحوي Syntactic ، سعى الوصفيون الى استخدام نتائج تحليل المفردات اللغوية في المستويات التحليلية اللغوية الأدنى وبخاصة المستوى

الصوتي الوظيفي والمستوى الصرفي Morphological Level من أجل التوصل الى انجاز وصف مُحكم لأشكال الجملة المختلفة في اللغة موضوع التحليل حيث يمكن التوصل الى معرفة شكل الجملة وصيغتها من خلال تحديد كل كلمة في عينة البحث اللغوي بفصيلة نحوية Grammatical Category . واذا ما أردنا أن نوضح ما تكلمنا عنه آنفاً وبشكل أكثر تفصيلًا فاننا يمكن ، لهذا الغرض ، أن نفترض بأن لدينا عينة بحث لغوي محدودة بثلاث جمل من اللغة الانكليزية مع تقسيمات معينة الحدود وبشكل واضح للكلمات التي تؤلف هذه الجمل :

غادر ماكس . 1) Max ... Left .

بكـــت اليس . 2) Alice ... Cried .

كرهت اليس ماكس بشدة 3) Alice ... detested ... Max

أما الآن فاننا نستطيع أن نحدد كل كلمة في الجمل الثلاث المار ذكرها بفصيلة لغوية ، فاذا ما قررنا أن تكون هذه الفصائل اللغوية فصائل نحوية فاننا عندئذ نقوم بتحليل نحوي من نوع مبسط جداً لكلمات اللغة التي نحن بصدد دراستها . فاذا افترضنا تحديد الكلمات « Max » و « Alice » بالفصيلة النحوية الخاصة بالأسماء والتي يُرمز لها عادة بالحرف (N) وحددنا الكلمات « left » و « cried » و « detested » بالفصيلة النحوية الخاصة بالأفعال والتي يُرمز لها عادة بالحرف (V)فسيكون عندنا ، في هذه الحالة ، ثلاثة تسلسلات متعاقبة من الفصائل اللغوية وهي :

N + V و N + V و N + V + N متطابقة مع الجمل الثلاث التي تحتوي عليها عينة البحث اللغوي . فاذا ما عددنا كل تسلسل متعاقب من الفصائل النحوية الثلاث شكلًا متميزاً بجملة مستقلة فسيكون باستطاعتنا حينئذ القول بأن عينة البحث اللغوي التي نقوم بدراستها وتحليلها والتي تتألف من الجمل الثلاث تحتوي على شكلين متميزين من الجمل هما :

N + V و N + V + N . فضلًا على هذا ، يمكن لنا أن نلاحظ في عينة بحثنا اللغوي ، وكذلك بامكاننا أن نستنبط من راوي اللغة الذي يمدنا بالمعطيات اللغوية ، بأن الكلمتين : « Max » و « Alice » تتمتعان بحرية الحركة أو بامكانية حلول احداهما محل الكلمة الاخرى ، لذا فان التراكيب اللغوية : Alice left و Max cried و Alice detseted Max كلها جمل في اللغة . فبينما تضاعف لدينا عدد الجمل في هذه الحالة إلا ان عدد اشكال وصيغ هذه الجمل بقي كما هو . وعلى العموم ، سيكون

هناك عدد قليل من أشكال الجمل والتسلسلات المتعاقبة من الفصائل النحوية وعدد أكبر من الجمل والتسلسلات المتعاقبة من الكلمات في عينة البحث اللغوي الواحدة .

وبهذا المعنى ، فان عالم اللغة الوصفي يقوم باعطاء تمثيل وصفي مُحكم لما يتوفر لديه من عبارات في عينة بحثه اللغوية .

ان تحليلًا نحوياً ، من هذا النوع ، يمكن أن يُنجز على مستويات لغوية مختلفة في درجة عموميتها ، حيث تناولنا ، كما مرّ بنا قبل قليل ، فصائل لغوية Categories عامة وواسعة مثل تلك التي تخص الاسماء والافعال حيث يمكن لكل فصيلة من هذه الفصائل أن تُجزأ الى فصائل اخرى فرعية Sub - categories ، ومن هذه الفصائل اللغوية الفرعية ، نستطيع أن نحصل على فصائل لغوية أكثر تفرعاً منها وحسبما يقتضيه التحليل اللغوي ، وهكذا فان كل تسلسل متعاقب من الفصائل اللغوية الفرعية يكوّن صيغة لجملة جديدة في اللغة وعندما يُصبح تحليل الفصائل النحوية أكثر تفصيلًا تُصبح الجمل أكثر وفرة وأكبر عدداً .

يُعرف هذا النوع من الوصف النحوي Syntactic Description بالتحليل التكويني Constituent Analysis ، إذ يعد شكلًا من صيغ الاعراب التحليلي Parsing الذي نستطيع من خلاله أن نقوم بتجزييء الجملة في اللغة الى كلمات ومكوّنات مصنّفة على أساس نحوي . ان القواعد التي تنتج عن هذا النوع من التحليل تهدف الى اعطاء تفسير وتوضيح دقيقين لتوزيع الفصائل اللغوية الرئيسة والفرعية بالنسبة الى فصائل لغوية رئيسة وفرعية اخرى .

ان المشكلة التي واجهت الوصفيين ، الذين كانوا يحاولون ايجاد قواعد البنية اللغوية التكوينية Constituent Structure Grammars كانت وكما هو معروف ، تنصّب حول كيفية تعيين الفصائل النحوية للكلمات التي تحتوي عليها عينة البحث اللغوي على اسس توزيعية Distributional وليس على اسس دلالية Semantic . ففي الأمثلة التي أوردناها في أعلاه ، كيف يمكن لنا أن نعلم بأن الكلمة « Max » هي « اسم » وان الكلمة « left » هي فعل ؟ من الواضح ان الوصفيين غير قادرين بل لا يمكن لهم أن يستخدموا التعاريف التي استخدمها النحويون التقليديون عند تعرضهم للفصائل النحوية مثل : ان الاسم هو : فصيلة نحوية تشير الى اسم شخص أو مكان أو شيء . لقد واصل الوصفيون البحث لايجاد حل لهذه المشكلة متبنين فهماً جديداً يمكن أن يكون متساوياً في أهميته مع اجراءاتهم المعتمَدة في التعرف على الاصوات

المتكافِئة والاصوات غير المتكافِئة . أما التقنية التي تم تبنيها فقد كانت تسمى تقنية الاستبدال Technique of Substitution . في هذه المرة ، تم استخدام هذه الطريقة في التحليل ضمن الأُطر النحوية Syntactic Frames وذلك لتقرير ما اذا كانت العوامل اللغوية تتبع الفصيلةِ اللغوية نفسها أم لا . أما اذا اردنا التأكد من صحة التحليل ، في مثل هذه الحالة ، فلم يكن هناك من سبيل سوى الاعتماد على استعداد راوي اللغة لتَقَبُّل الاطار اللغوي وتقريره فيما اذا كان سليماً من الناحية النحوية عند تمخضه عن كل استبدال نُجريه على الاطار اللغوي الأصلي أم لا . لذلك فان فريز Fries في كتابه الموسوم بـ « بنية اللغة الانكليزية » The Structure of English ، حاول تعيين وتثبيت اقسام الكلام Parts of Speech دون أن يستخدم التسميات التقليدية مثل اسم Noun وفعل Verb ونعت Adjective .. الى آخره . فبدلًا من ذلك ، قدم فريز اطاراً لغوياً وصنف الكلمات التي يمكن أن تظهر في ذلك الاطار ، مثل الكلمات من الصنف الأول Class I Words ، وهكذا ، ففي الاطار اللغوي :

The ..... was good

لا يمكن أن نقول إلّا ان الكلمات التي نستطيع ادخالها ، بشكل مقبول لغوياً ، في الفراغ الموجود في هذا الاطار ، هي تلك التي تكون من الصنف رقم (١) وليس صنف الاسماء بعامة ، وهكذا بالنسبة لبقية الأُطر واصناف الكلمات .

أما فيما يخص المستوى الصوتي الوظيفي ، فان الاستبدالية المتبادلة Mutual Substitutability في التحليل اللغوي ، فضلًا على المحافظة على الناحية النحوية ، وفقاً لما يقرره متكلم اللغة الأم ، كانا يؤخذان على انهما المعياران الاساسيان في التحليل النحوي . وفي الواقع ، ليس هناك نحوي وصفي Descriptive Syntactation قد تفحص بشكل جدي ، كل الأُطر الممكنة من أجل اكتشاف كل المتكافئات النحوية ، وان ما فعله النحويون الوصفيون لم يكن إلّا استخدام عدد من الأُطر التي يمكن لها أن تدعم فصيلة نحوية يعرفون انها مناسبة ، وبشكل فطري ، في التحليل اللغوي . ومرة اخرى ، وكما حدث مع معيار استبدالية الصوت في المستوى التحليلي الصوتي الوظيفي ، اتضح ان الفطرة اللغوية السليمة يمكن أن تلعب دوراً أكبر مما كان يُعرف عند تعيين الفصائل النحوية .

اساس نظري أكثر رسوخاً لعمل الوصفيين

A FIRMER THEORETICAL BASIS FOR THE DESCRIPTIVSTS' WORK

لقد تناسى العاملون في المجال اللغوي ، وبشكل كلي ، حقيقة ان أول اسهام قدمه چومسكي لعلم اللغة جاء نتيجة لمحاولاته في ايجاد اساس نظري لغوي أكثر صرامة ورسوخاً لذلك النوع من القواعد اللغوية التي كان الوصفيون يحاولون منهمكين ترسيخها في ميدان البحث اللغوي . ولكن ، مع هذا ، نجد ان من الضروري التوكيد هنا بأن في ابتداء العمل الحثيث لانجاز هذه المهمة لم يحاول چومسكي تجاهل العمل الذي كان يقوم به معاصروه من علماء اللغة بل على العكس من ذلك تماماً ، وكما صرح به ذات مرة ، كان چومسكي يعمل جاهداً في البحث عن صياغات أكثر قوة ودقة للفرضيات التي كانت تشكل الاساس النظري للعمل اللغوي لدى معاصريه . يقول چومسكي في كتابه الموسوم بـ « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » The Logical Structure of Linguistic Theory ما يأتي :

« لقد تم تطوير نظرية بنية العبارة Phrase Structure Theory بعد جهد كبير بُذِلَ لانتزاع الافكار الاساسية التي تقوم عليها النظريات التقليدية Traditional Theories والبنوية Structuralist Theories في مجاليّ الفصائل والمكوِّنات النحوية واعادة صياغتها ضمن الاطار الجديد للنظرية التوليدية في النحو Generative Grammar » ، (٨ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

يمكننا القول بأن محاولة چومسكي لايجاد أساس نظري للعمل اللغوي لمعاصريه يتسم بكونه أكثر اطراداً ودقة ، قد جاءت أو تمخضت عن جهوده في كتابة قواعد على غرار اسلوب الوصفيين من علماء اللغة . لقد كانت بعض أعمال چومسكي الاولى منصبّة على وضع قواعد وصفية جديدة للغة العبرية ، حيث بدأ هذه المهمة بطريقة مألوفة وتقليدية مستخدماً راوياً في اللغة العبرية ومطبقاً اجراءات تحليلية Analytical procedures من النوع الذي تمت مناقشته سابقاً .

أما النتائج التي أسفرت عنها هذه المحاولات فقد كانت ، وكما عبّر عنها چومسكي نفسه بأنها « مُمِلة وغير مُرضية » ، (٢٥ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

وكما كان يراها چومسكي ، لم تكن هذه المحاولات إلّا ترتيباً أو اعادة صياغة للمعطيات اللغوية بلغة أكثر احكاماً وانها تتسم بكونها تفتقر الى القوة الايضاحية

والتفسيرية التقليدية المطلوبة Explanatory Force وهي السمة التي استبعدها جووز لعدم أهميتها في البحث اللغوي . يقول جووز :

« ... اننا لا نُجيب عن اسئلة تخص تصميم اللغة Design of a Language » ، (٣٤٩ : a ١٩٥٧ ، جووز) .

لقد أصبح ما عبّر عنه جووز المحور الرئيس الذي حاول چومسكي جاهداً استكشافه بكل دقة حيث وجد ، وهذا ما أقلقه في البداية ، بأنه اذا أراد أن يبتكر طريقة لتوضيح الكيفية التي يتم بها تبويب الصيغ اللغوية وتوزيعها في اللغة العبرية فعليه أن يفترض تراكيب نظرية مجردة Abstract Theoretical Constructs يمكن أن تكون ذات صلة غير مباشرة بالمعطيات اللغوية التي يمكن ملاحظتها وادراكها . لقد نشأ قلقه في البداية ، وكما أشرنا سابقاً ، من خلال قناعته في ذلك الوقت بأن ابتعاده عن المعطيات اللغوية التي يمكن ملاحظتها ، بشكل مباشر ، كان في الوقت ذاته ابتعاداً عن ما أعدّه واطلق عليه تسمية « علم اللغة العلمي الحقيقي Real Scientific Linguistics . لقد كان چومسكي مدركاً ، وبشكل كامل ، بأن توكيد اصحاب النظرة الوصفية الوضعية في الحفاظ على صلات واضحة مع المعطيات اللغوية التي يمكن ملاحظتها ، بشكل مباشر ، قد أدى الى استبعاد مسألة افتراض العوامل المجردة Abstract Elements من النوع الذي بدأ بادراكه كموضوع لغوي ضروري . يقول چومسكي في مقدمة كتابه الموسوم بـ « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » ، ان الفكرة الاولى التي بنى عليها عمله كانت « بشكل أو بآخر عبارة عن هواية خاصة ولم تكن بذات علاقة بعلم اللغة الحقيقي Real Linguistics » ، (٢٩ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

ان البحث عن طريقة لتوضيح كيفية تبويب وتوزيع صيغ اللغة بدلًا من وصفها يُعطي دليلًا واضحاً على تاثر چومسكي بأعمال أبيه في مجال النحو التاريخي Historical Syntax ، فمن المعروف في علم اللغة التاريخي Historical Linguistics حقيقة مفادها انه لم يكن هناك أي اهتمام باي شيء سوى أن يكون الهدف الاول والاخير لهذا العلم منصبّاً على ايجاد توضيحات للصيغ اللغوية المختلفة ذات الصلة باللغات بشكل عام .

أما المعيار التاريخي الذي كان يعتمده علماء اللغة التاريخيون فهو افتراض صيغ لغوية بدائية مجردة لكي يتم من خلالها تبيان التشابهات والتكافؤات والشواذ

في الصيغ اللغوية الاكثر حداثة في اللغات المنحدرة من أصل واحد . لقد تمت مقارنة الصيغ المشهود بصحتها وبناءً على ذلك تم افتراض انها من أصل مشترك واحد حيث يمكن لهذا أن يقود ، عن طريق تطبيق طرائق استدلالية ، الى امكانية ايجاد عمليات تغيير تاريخية تؤدي الى افتراض وجود لغة اصلية اولى Original First Language . وقد كانت هذه اللغة ، التي أعيد بناؤها وتركيبها ، هي التي ادعت توضيح التشابهات والتكافؤات والشواذ في الصيغ اللغوية المشهود بصحتها لاحقاً . ومن خلال عملية اعادة بناء اللغات وتنظيمها ، اعتماداً على الصيغ اللغوية المجردة ، يمكن للغوي المتخصص في علم النحو التاريخي أن يختبر درجة الكفاية العلمية لتراكيبه المفترضة . ان نوع الايضاح العلمي الذي قصده چومسكي الأب ، في مجال علم النحو التاريخي ، قد سعى اليه اتباع چومسكي الابن في حقل علم النحو التزامني الوصفي Synchronic Syntax . ففي إحدى الفقرات المهمة التي وردت في كتاب چومسكي « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » استطاع چومسكي أن يستنتج هذه الصلة والارتباط بين ما ذهب اليه چومسكي الأب وما استمر عليه اتباعه في مجال علم النحو . يقول چومسكي في هذا السياق :

« يمكن للقياس التاريخي أن يقوم بتوضيح الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه . ان مفهومنا العام للنحو من الناحية الشكلية مشابه ، الى حد ما ، لوصف التغيير التاريخي ، كذلك فان مفهومنا للنحو ، في أقصى درجات عمومياته ، يشتمل على قدرة كاملة على التعبير الوصفي للتغيير التاريخي » (٤ ـ ٢٠٣ : ١٩٧٥ ؛ چومسكي) .

لقد كان الاتجاه الذي اتخذه چومسكي في بحثه لايجاد ايضاحات لكيفية توزيع الصيغ اللغوية وتبويبها واضحاً بدرجة كبيرة ، وهذه مسالة معروفة ويمكن التاكد منها اذا ما قمنا بتفحص عنوان عمله اللغوي الرئيس والكبير والموسوم بـ « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » والذي تمت الاشارة اليه فيما مضى أكثر من مرة . لقد استطاع چومسكي في هذا العمل البارز أن يضع خطة مفصلة لخصائص البنية اللغوية الشكلية العميقة (غير الظاهرة) Underlying Formal Properties لانواع الوصف النحوي الذي استخدمه الوصفيون سابقاً . لقد كانت مساهمات چومسكي الأولى والاصيلة لاغناء النظرية اللغوية تتركز على مسالة توضيح الطريقة التي يتم بها استخدام وسائل نطقية للتعبير عن نظرية لغوية شكلية واعتبارها انموذجاً شكلياً يستطيع من خلالها وصفيّو امريكا الشمالية اعـــادة صياغة

قواعدهم في التحليل النحوي التكويني Constituent Analysis Grammars وتحويلها الى نُظُم قواعد صياغة استنتاجية منطقية Deductively Formulated Rule Systems ، بعد ذلك أصبح عمل چومسكي في مجال التحليل اللغوي يتركز حول تهذيب هذه النُظُم والوصول بها الى شكل نظرية توضيحية تعليلية حيث سنقوم بمناقشة اسلوبها وطرائق عملها في الفصل القادم من الكتاب الحالي .

ليس هناك من شك بأن اهتمام چومسكي بتطوير نظم صياغة لغوية استنتاجية في حقل علم اللغة كان يمثل انطلاقة علمية رائدة وحاسمة خرجت على الممارسات اللغوية التي كان يزاولها الوصفيون في هذه الفترة التاريخية ، حيث كان عملهم يتصف بالسمة التحليلية Analytic وذات صلة واضحة وقوية بالمعطيات اللغوية التي كانت عبارة عن نصوص مكتوبة . أما القواعد التي جاء بها چومسكي ، فقد كانت ذات طبيعة تركيبية Synthetic وذلك لكونه كان مهتماً بتعيين وتحديد الصفات والخصائص العامة التي يمكن أن يحتوي عليها أي نحو مكونات ، لهذا السبب كان العمل اللغوي لچومسكي يمثل مستوىً أعلى في التجريد النظري من ذلك الذي كان سائداً لدى معاصريه . أما هدفه فقد كان منصبّاً على مسألة تهيئة قوانين لغوية تصف القواعد النحوية التي كان يتبناها الوصفيون Meta- Grammars أو الوصول بهدفه هذا الى حد ايجاد قواعد شاملة يمكن أن تفسر اغلب ان لم يكن كل لغات العالم . ان محاولة التوصل الى مثل هذه القوانين اللغوية لتشتمل على القواعد اللغوية المحلية Local Grammars ، التي كان الوصفيون يعملون في اطارها النظري ، بشكل نظام استنتاجي Deductive System ، كانت بمثابة توسيع لم يصل الى مستوى التغيير الجذري الكامل للاطار النظري الذي كان يعتمده الوصفيون ، وقد تركز هذا التوسع على اضفاء صيغة رياضية على الوصف اللغوي . ان هذا التوسع في المجال التجريدي للوصف اللغوي قد احتوى ، دون شك ، على اسلوب وطريقة متطورة في الرياضيات لكنه لم يشتمل ، في البداية ، على أية حالة يمكن أن توحي بالابتعاد عن الأهداف التي كان الوصفيون يطمحون في الوصول اليها . كان التركيز الذي انصبّت عليه الأعمال اللغوية الاولى لچومسكي قد بقي في اطار تقديم توضيح لكيفية توزيع الصيغ اللغوية في مختلف اللغات ، وقد يُصبح هذا واضحاً اذا ما نظرنا الى العمل اللغوي النحوي الاول الذي أنجزه چومسكي حيث تتضح بشكل جلي جداً الروابط القوية مع ما تبناه ويتبناه الوصفيون في دراستهم اللغوية .

ان أحد الأسباب التي جعلت أعمال چومسكي ، في الاطار العام للدراسات

اللغوية ، تؤثر ، بهذا الشكل ، هو توجيه چومسكي كل اهتماماته ، وهذا واضح جداً ، لايجاد حلول للمشاكل النحوية Syntactic Problems التي يعترف النحويون بانها تشكل موضوعاً مركزياً في البحث اللغوي بعامة . احدى هذه المشاكل ، في سبيل المثال لا الحصر ، مشكلة كيفية وصف العلاقات النحوية الموجودة بين الصيغ النحوية Syntactic Forms ، ومن الامثلة في هذا السياق ، المثال الذي يُعد كلاسيكياً الآن والذي يدور حول العلاقة المزعومة التي توجد بين تعاقبات الفصائل النحوية في الجمل المبنية للمعلوم Active Sentences وتعاقبات الفصائل النحوية الموجودة بين الجمل المبنية للمجهول Passive Sentences ، فبينما يمكن للوصفيين أن يصفوا ، وبشكل سليم يتوفر على جانب كبير من الكفاية العلمية ، صيغ الجمل المبنية للمجهول بشكل مستقل ، لم يكونوا في الحقيقة ، يمتلكون الوسائل الشكلية القادرة على استنتاج وتبيان ما يبدو واضحاً من العلاقة النحوية بين شكليّ الجمل . أما چومسكي فقد كان قادراً من خلال انموذجه الشكلي المجرد ، على أن يوفر الحل لهذه المشكلة حيث اقترح نظام قواعد جديداً ، فضلًا عن تلك القواعد التي قد رسخها في ذلك الوقت ، والتي كوّنت الاساس الشكلي للقواعد النحوية التكوينية التي كان الوصفيون يتبنونها . لقد أطلق على هذا النظام الجديد من القواعد ، فيما بعد ، تسمية التحليل التحويلي Transformational Analysis(*)، أما تفاصيل هذه النظرية فلا تهمنا في هذا الموضع من الكتاب .

ان المهم من الناحية التاريخية ، هو ان چومسكي قد تبنى ، دونما أدنى تردد ، مسألة توضيح وتبرير العلاقات النحوية التي تبدو وكأنها حقيقة قائمة وموجودة بين صيغ الجمل المختلفة وقد عُدت هذه القضية مشكلة مهمة من الناحية العلمية وتستحق في الوقت ذاته البحث والاستقصاء حيث انها أصبحت تشكل خطاً قاد معظم العمل اللغوي الاول لچومسكي وقد حددت بالتالي مسار منهج بحثه في مجال اللغويات . لم تمر سوى بضع سنين حتى تمكن منهج العمل اللغوي ، الذي أتى به چومسكي ، من الرسوخ القوي وبدأت ، بعد ذلك ، بعض العيوب ونقاط الضعف تظهر على النظرية التحويلية في النحو شكلياً وجوهرياً ، وبمرور الزمن بدأت أهمية المستوى التحويلي في النحو Transformational level ، التي تربط چومسكي بشكل وثيق الى الاهتمامات اللغوية التي كان يزاولها الوصفيون ، بالتضاؤل التدريجي ولكن هذا لا يغير من الأثر الضخم الذي أحدثه چومسكي في البحث في حقل اللغويات بشكل عام . ان أدق وصف يمكن أن يُطلق على چومسكي ، في هذه المرحلة من مراحل

تطوره العلمي اللغوي ، هو انه كان مبتكراً ومجدداً وانه استطاع التغلب على بعض أنواع العجز والقصور لدى معاصريه وذلك من خلال وضع تحليلاتهم اللغوية في اطار نظرية أكثر رسوخاً واقناعاً ، ومع هذا ، يمكن اعتبار بعض ابتكاراته ، في منهج البحث اللغوي ، اضافات اعتيادية ، وبخاصة ، اذا ما دققنا بطبيعتها حيث يمكن أن تُعَد متممة لا أكثر لاعمال الوصفيين في اللغة وانها بهذا « تُعَد ضمن اطار ما جاء به النحويون التقليديون بدلًا من أن تُعَد ابتكارات لها قوة التغيير الجذري(٨) في النحو بصورة عامة » . ان هذا الفهم في العلاقة الوثيقة بين چومسكي من جهة ، والوصفيين من الجهة الاخرى ، يمكن أن يكون بمثابة تقدم وتحول منتظمين انبثقا بشكل واضح من المنهج اللغوي للوصفيين ، ومن ملاحظة هاريس الخاصة التي وردت في كتابه الموسوم بـ « علم اللغة البنيوي » Structural Linguistics ، والتي يقول فيها :

« ان العمل التحليلي اللغوي قد قاد ، بشكل أساس ، الى ولادة قواعد وقوانين لغوية قد مكَّنت المهتم في البحث اللغوي من تركيب جمل في اللغة والتنبؤ بنوع الجمل في اللغة قيد البحث والدرس وقد شكلت هذه القوانين نظاماً استنتاجياً مقترناً بعوامل وعناصر أولية بديهية واضحة المعالم ونظريات تخص العلاقة بينها كنظام لغوي كلي . أما النظريات التي ولدت في المحصلة النهائية للتحليل والدراسة اللغويين فيمكن لها أن تبين نوع البناء الذي تستلزمه الجمل في اللغة الواحدة اعتماداً على ما تقدم من قوانين » (٣ - ٣٧٢ : ١٩٥١ ، هاريس) .

لم يحاول هاريس نفسه تحويل اساليبه في اللغة الى نظام ذي صياغة استنتاجية ، مع ذلك ، ومن منظور تاريخي ، كانت ملاحظاته بمثابة مدخل مهم لچومسكي في مجال علمَ اللغة ، فقد كان چومسكي تلميذاً لهاريس وقد أصبح عَلَماً من أعلام علم اللغة المعروفين جداً من خلال استخدامه منهج العمل التحليلي في اللغة الذي كان يعتمده الوصفيون وقد استطاع چومسكي تطوير هذا المنهج باسلوب شكلي توصل من خلاله الى « تركيب الجمل والتعابير المختلفة في اللغة أو التنبؤ بها » .

ولم يكن هاريس الوحيد من بين علماء اللغة ممن تنبّه الى ضرورة استمرار عمل القواعد الوصفية في اللغة الى أبعد من تحليل عينة البحث اللغوي Analysis of a corpus وايجاد نظام نحوي يتألف من قائمة المكونات A list of Constituents وتوزيعها في النصوص اللغوية ، بل ان هوكيت قد وجد ، أيضاً ، كثيراً من العيوب في الشكل الوصفي للنحو الذي أسماه فيما بعد بنظام المفردة والترتيب Item and

. Arrangement

لقد كتب هوكيت بشأن القواعد التي تكون من هذا النوع ، قائلًا : « يُمكن لنا أن نصف أنماط patterns اللغة اذا ما استطعنا القيام بجرد للوحدات الصرفية Morphemes في اللغة وعلمنا كل ما يخص الترتيبات التي تحدث لها والعلاقات التي توجد بينها في اطار الجمل والتعابير الملحقة لتغطية الاشكال المختلفة للوحدات الصوتية المميزة Phonemic shapes التي يمكن أن تقع في أية تشكيلة لغوية عرضية » ، (١٩٥٧ c: ٣٨٧ ، هوكيت) .

كما أضاف هوكيت قائلًا :

« المسألة ليست بهذه البساطة » . لقد بحث هوكيت في حقيقة الأمر عن أنموذج للوصف اللغوي له طبيعة تمكّن عالمَ اللغة أن يُعطي تفسيراً مقبولًا للأقوال التي لا تحتوي عليها عينته البحثية في وقت معين ، أي يجب عليه أن يكون قادراً على التنبؤ بالأقوال الاخرى التي يمكن أن يقوم بانتاجها متكلمو اللغة الأم والتنبؤ بالظروف التي يمكن لهذه الأقوال أن تُنتج في ظلها ، كل هذا يتم نتيجة لتفحص واختبار وتحليل عالم اللغة لما تحتويه عينته البحثية « ، (١٩٥٧ b: ٢٧٩ ، هوكيت)[٩].

وفضلًا عن هذا ، يقول هوكيت في بحثه الموسوم بـ « أُنموذجان في الوصف النحوي » Two Models of Grammatical Description :

« يجب أن يتميز الانموذج النظري بكونه منتجاً Productive عند تطبيقه على لغة معينة وان تمكننا نتائجه التحليلية من خلق عدد من الجمل والعبارات الجديدة » ، (١٩٥٧ c: ٣٩٨ ، هوكيت) .

في حين اقترح هاريس وهوكيت وجـوب أن تكون قواعد اللغة قادرة على وصف الصيغ الموجودة اصلًا في اللغة لتتنبأ بما أشار اليه هاريس أو ما ذهب اليه هوكيت في ما مر ذكره بخصوص خلق عدد غير محدود من التعابير والجمل الجديدة ، ولقد كان جومسكي أول من اقترح آلية لغوية نظرية شكلية لتنفيذ هذه الافكار[١٠] وجعلها ممكنة في أرض الواقع ، مع هذا ، وفي سياق عمله في هذا المجال ، كان جومسكي مستمراً باسلوب العمل العام الذي كان يسير عليه الوصفيون ولو بمستوى أكبر وأوضح من ناحية التجريد النظري . لقد كان هذا جلياً ، بشكل خاص ، من خلال فرضيتيه الأساسيتين اللتين اشترك بهما مع الوصفيين والتي تتعلق الاولى منهما باستبعاد المعنى من التحليل اللغوي ، أما الثانية فتدعو لأن يعتمد التحليل اللغوي

توزيع الصيغ بدلًا من التفكير بالمعنى في هذا المجال .

(١) استبعاد المعنى THE EXCLUSION OF MEANING

في واحد من ابحاثه الاولى ، صرح چومسكي بفكرة تكررت باستمرار في مؤلفيهِ الموسومين بـ « البنى النحوية » Syntactic structures و « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » The Logical Structure of Linguistic Theory حيث يقول « يُعدّ المعنى من المفاهيم التي يصعب التثبت من اطارها الكلي أو تحديدها بدقة ، فاذا استطعنا أن نوضح بأن المعنى والمفاهيم الاخرى ذات الصلة تلعب ، دون شك ، دوراً مركزياً في التحليل اللغوي فعند ذلك تُصبح نتائج التحليل والاستنتاجات التي يمكن استخلاصها خاضعة لكل أنواع الشك والغموض التي يمكن أن توجه ضربة قاصمة للأسس التي تقوم عليها النظرية اللغوية » ، (١٤١ : د١٩٧٥ ، چومسكي) .

ان هذا الاستبعاد الحاسم والذي لا لبس فيه للاحتكام الى المعنى في التحليل اللغوي يوفر لنا واحداً من أهم وأقوى الحلقات المحكمة التي تجمع بين چومسكي والوصفيين حيث ان كليهما يشتركان في قناعة مفادها ان المعنى يشكل مفهوماً يلفه الغموض المطلق ، أما التزامهم لضمان أن يكون علم اللغة علماً صارماً ودقيقاً فقد أدى الى اجبارهم لاستبعاد المعنى لكونه من الموضوعات التي يصعب احالتها الى أشكال وصيغ تتسم بالدقة والموضوعية . ان الفرق بين چومسكي والوصفيين حول مسألة المعنى ، كانت ، ومع مرور الوقت ، قد تحددت بعد ثبات اسلوب وطريقة چومسكي في البحث اللغوي التي انتهت بقبوله دخول المكوّن الدلالي Semantic Component في نظريته في البناء اللغوي . إلّا ان هذا قد تم من خلال ضم المعنى الى الشكل النظري النحوي الذي كان قائماً دون أن يتم فتح باب النقاش بشأن ما اذا كانت النظرية المصوغة بشكل منطقي استنتاجي لها القدرة والقوة الكافيتين لأن تتعامل وبشكل مرضٍ مع هذا المفهوم الغامض وغير المحدد للمعنى .

لم تكن نتائج عملية الضم هذه واضحة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمشاكل ذات الصلة بمعاني الكلمات بشكل عام والمشاكل التي تتعلق بالمعنى على مستوى الجملة في اللغة ، وذلك بسبب ان اللغويين لم يتعاملوا مع هذه المشاكل من خلال النُظُم النظرية الشكلية التي اقترحها چومسكي والتي تبدو مناسبة لتوليد البنية النحوية وليس لتوضيح المعنى .

سوف نقوم بدراسة موضوع العلاقة القائمة بين النحو والدلالة وهيمنة علم النحو على علم الدلالة بشكل أكثر تفصيلًا في فصل لاحق من هذا الكتاب .

(٢) التوزيع وسيلة منهجية

DISTRIBUTION AS A METHODOLOGICAL TOOL

فيما يتعلق بالمستوى المنهجي Methodological Lavel كان جومسكي مستمراً بشكل أو بآخر ، بالعمل في اطار الاهتمامات التي كانت تشغل الوصفيين حينذاك ، لقد كان مهتماً بالتوزيع المكافيء للشكل النحوي . وان ما أُدّعي بانه ذو قيمة لغوية في جملتيه المشهورتين :

1) John is eager to please — جون توّاق لأن يرضى

2) John is esay to please — جون سهل الارضاء

هو انهما تبدوان على السطح وكأنهما تشتركان في بنية نحوية واحدة هي :

Np	Cop	Adj	V
(عبارة اسمية)	(فعل مساعد)	(نعت)	(فعل)

(تقرأ من اليسار الى اليمين)

إلا انهما يُظهران ، في الحقيقة ، امكانية توزيعية في سبيل المثال ، أن نحول مجموعة الائتلاف النحوي الاول المكونة من Adj + N (نعت + اسم) الى عبارة اسمية ترد في البنية العميقة Underlying structure للجملة :

3) John's eagerness to please surpised them .

« إنَّ توق جون للارضاء قد ادهشهم » .

لكننا من جهة اخرى ، لا نستطيع أن نفعل هذا مع الجملة الثانية :

4) ? John's easiness to please surprised them .

وكذلك ، يمكن للصفة الثانية أن تُسترد في البنية العميقة التي تشكل أساس الجملة :

5) It is easy to please John .

« من السهولة ارضاء جون » .

بينما لا نستطيع أن نفعل هذا مع الصفة الاولى :

6) ? It is eager to please John .

وربما أبدى جومسكي ، وهذا شيء اعتيادي ومألوف منه ، بعض الملاحظات الاخرى ، التي تُشبه ما أشرنا اليه آنفاً ، والتي تخص ما اطلق عليه الوصفيون تسمية حرية ورود المكونات النحوية Freedom of Occurrence of Constituents مع الكلمتين easy (سهل) و eager (توّاق) . ثم يبين ان ما نحتاج اليه هو نظام

قوانين تحويلية Transfomational Rule System لاكمال نظم القوانين التي تم اقتراحها من قبل بوصفها القواعد النحوية التي تشكل الأساس لعمل الوصفيين في المجال اللغوي من أجل وصف هذه التوزيعات عبر صيغ جمل مختلفة وبطريقة بسيطة واقتصادية .

ان ما يُعد ذا قيمة ، من المنظور التاريخي ، هو ان چومسكي قد اتخذ بل وتبنى ، مرة اخرى ، مسألة الكفاية في الاحتكام الى توزيع الصيغ Distribution of Forms بدلًا من المعاني Meanings وبشكل مُسَلَّم فيه بالكامل . في عدم اشارته الى حقيقة ان الكلمتين easy , eager مختلفتان كلياً في المعنى ، فان چومسكي كان يواصل ذلك النوع من العمل الذي كان يشكل علامة مميزة في التراث اللغوي للوصفيين من قبل : وهو قانون التوزيع المكافىء وغير المكافىء للشكل النحوي .

بالرغم من أوجه الشبه الكبيرة في البحوث والدراسات اللغوية عند چومسكي والوصفيين فان بحث چومسكي لايجاد اسس نظرية ، أقوى وأكثر ثباتاً وصموداً من الناحية العلمية ، لقواعد البنية التكوينية عند الوصفيين قد قادته في النهاية الى اعادة صياغة وتشكيل الاهداف التي تطمح الى تحقيقها النظرية اللغوية ذاتها . تذكر بأن هاريس قد عبّر عن الاهداف التي يتوخى علماء اللغة الوصفيون Descriptive Linguists تحقيقها بقوله : « ان الغرض الكلي من العمل في اطار علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics هو الحصول على تمثيل تقابلي مُحكَم لمجموعة الجمل الموجودة في عينة البحث اللغوي » .

لقد أضاف چومسكي ، على ما يبدو ، بُعداً جديداً بعيد الاثر ، فكتب قائلًا :

« اننا مهتمون ابتداءً بتطوير نظرية تُلقي بعض الضوء على حقائق كالتي نشير اليها فيما يأتي :

يلاحظ متكلم اللغة الأم مجموعة عبارات وجمل محددة في لغته ، وعلى أساس هذه الخبرة اللغوية المحدودة ، يمكن له أن يقوم بانتاج عدد غير محدود من الجمل والعبارات الجديدة التي تتصف بكونها مقبولة وبشكل لا تردد فيه من المجتمع الكلامي Speech community ، فضلًا عن هذا ، يستطيع متكلم اللغة أن يفرِّق بين مجموعة معينة من الجمل المقبولة من الناحية النحوية من بين جمل لم يسبق له أن سمعها من قبل أبداً وقد لا ينطق بها أبداً .لذلك يقوم بعرض خبرته اللغوية الماضية من أجل أن يقوم بضم جمل وعبارات معينة جديدة الى ذخيرته اللغوية ويقوم في الوقت ذاته باستبعاد جمل وعبارات معينة اخرى ، (٦١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

ان البُعد الذي اضافه چومسكي الى اهتمامات النحويين انوصفيين كان يتعلق بربط عمله اللغوي التقني فيما يخص البنية العامة لقواعد اللغة General Structure of Grammar بالسلوك اللغوي لمتكلمي اللغة الام . لقد ادّعى چومسكي بأن :

« أية قواعد لغة سوف تعكس عينة محدودة ، وعرضية من الجمل والعبارات التي جمعها الشخص ، وهي بهذا تقوم بتسليط الضوء على مجموعة ، ربما تكون غير محدودة ، من الجمل والعبارات المقبولة من الناحية النحوية ، وفي هذا الجانب ، تقوم القواعد النحوية بعكس سلوك متكلمي اللغة الذين ، وعلى اساس من الخبرة المحدودة والتجربة العرضية التي يمتلكونها في اللغة ، يستطيعون أن يقوموا بانتاج أو فهم عدد من العبارات والجمل الجديدة وغير المحدودة » ، (١٥ : ١٩٥٧ ، چومسكي) .

من الممكن لنا أن نقوم ، وبشكل سهل ، بفحص ومعاينة حقيقة غرض هذه الاهداف ، وبخاصة الهدف الأول الذي لا يختار جانباً واحداً بل جانبين اثنين من جوانب السلوك اللغوي لكونهما يشتملان على شيء من الاهتمام النظري Theoretical Interest . أما الجانب الاول فهو القدرة ، بعد مدة تعرض محدودة للغة ، على انتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل والعبارات الجديدة . فعندما نضع هذه القدرة في الممارسة والعمل ، تبرز بوضوح سيطرة الحافز المستقل الذي يُظهره متكلم اللغة ، بشكل منتظم ، وهو ما يدعوه چومسكي بالاستخدام الابداعي Creative Use للغة[١١] .

وبعد تحديد هذه القدرة الخلّاقة العامة ، عيّن چومسكي بعد ذلك مباشرة ، مقدرة اخرى يمتلكها متكلمو اللغة اتسمت بكونها ضيقة ، بشكل كبير ، وهي في الوقت نفسه ، موضع شك لدى علماء اللغة والنفس على حد سواء : بهذه القدرة يدّعي چومسكي امكانية أن يكون متكلمو اللغة قادرين على أن يفرقوا بين الجمل والتعابير المقبولة نحوياً Grammatical من تلك غير المقبولة من الناحية النحوية Non - grammatical في لغتهم من غير أن يعتمدوا على المعنى[١٢]. ان السبب في هذا التحول في الاهتمام من الابداع (اللغوي) Creativity الى مفهوم المقبولية النحوية في اللغة يمكن أن يكون موجوداً في الطبيعة المحدودة ، بشكل متزايد ، لعمله التقني في البحث اللغوي . لقد كان النموذج الاصلي الذي جاء به مقيداً بمسألة تصوير ووصف طبيعة الشكل النحوي وقد كان حتى هذه المرحلة محدداً ،

بشكل كبير جداً ، إذ لم يتمكن من القاء أي ضوء على الاستخدام الابداعي في اللغة بمعناه العام . لذلك وبالرغم من مزاعمه المخالفة لهذا ، لم يستطع الشكل النظري الذي تبناه جومسكي أن يعكس حالة الابداع اللغوي بحد ذاتها وانما عكس قدرة متكلمي اللغة الظاهرية على التفريق بين الجمل والعبارات المقبولة من الناحية النحوية وتلك غير المقبولة نحوياً في لغتهم على اسس لا يدخل المعنى في عِدادها .

لم يبيِّن جومسكي هذا الفرق بوضوح إلا نادراً ، ولعل السبب الرئيس في ذلك ، هو انه كان دائماً ينسحب في مناقشاته لمسائل واسعة وبعيدة المدى بصفته فيلسوفاً تاملياً أو بصفته عالماً لغوياً نظرياً ، فقد كان مكرهاً ، من جهة اخرى ، بسبب التقييدات Constraints المفروضة على شكله النظري القائم على أسس نحوية Syntactically Based - Models ، لتقديم مسألة اضافية تتميز بكونها أكثر تحديداً وهي : كيف يمكن لمتكلمي اللغة أن يميزوا بين الجمل المقبولة وتلك غير المقبولة من الناحية النحوية ؟. لقد انصبَّ عمل جومسكي التقني ، بشكل كامل تقريباً ، على المشكلة الاكثر تحديداً ومساحة والتي سنقوم بتوضيحها في الفصل الثاني من هذا الكتاب والتي تُوصف بكونها مشكلة زائفة Pseudo Problem ، وفي الوقت ذاته ، أوحت تأملاته بأن نظريته الشكلية Formal Theory قد ساهمت بايجاد حل للسؤال الأوسع ، لقد عنى هذا بأن كان هناك ، ومنذ البداية ، شيء من الشد والتوتر ينمو بسرعة في ثنايا أعماله وكتاباته النظرية الكثيرة ، انه شد وتوتر بين ما نعده بلاغياً Rhetoric وبين جوهر مباحثه النظرية في اطار علم اللغة . لقد أطلقنا تسمية « بلاغي » عند جومسكي على تلك المزاعم والادعاءات والتأملات حول اللغة والتي لا يمكن أن تكون مستندة الى اساس نظري قوي أو انها غير ذات صلة بالنظرية الشكلية التي تشكل جوهر عمله .

مما لا شك فيه ان الناحية البلاغية عند جومسكي كان لها أثر كبير جداً ، ليس فقط على علماء اللغة لكن أيضاً على الفلاسفة وعلماء النفس وآخرين مهتمين بدراسة اللغة . يمكننا القول بأن هذا الشد والتوتر يكمنان في الطريقة التي ضمنها جومسكي أو التي تسمح لكي يتم استقراؤها لتوحي بأن ادعاءاته ومزاعمه التأملية الواسعة يدعمها في الحقيقة ، عمله التقني في البحث اللغوي . يبدو ان هذا قد نتج عن رغبة ، من جانب جومسكي ، في استثمار عمله التقني المقيد جداً والحصول على قيمة نظرية كبيرة منه ، وفي السنوات الاخيرة ، اتخذ الاسلوب البلاغي لجومسكي شكل تأملات فلسفية حول موضوعيّ الفِطرة Innateness والفلسفة

العقلية Rationalism . سوف نقوم بمناقشة التعارض والتناقض الموجودين بين جوهر عمل جومسكي في اللغة ومزاعمه النفسية والفلسفية Psychological and Philosophical Claims وذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

نختتم هذا الفصل بالتركيز على الافتراض المطلق المسبَّق الذي اشترك فيه جومسكي ليس مع الوصفيين فحسب بل أيضاً مع علماء لغة كثيرين آخرين برزوا خلال القرن العشرين . انه مفهوم الافتراض المسبَّق Presupposition الذي يَعتبر اللغة ممكنة الفصل عن مستخدميها بسهولة وانها يمكن أن تكون قابلة لأن تتميز بكونها ذات صفة استقلالية وتشكل نظاماً تاماً في ذاته .

كان الوصفيون يعملون ، وبشكل واضح ، ضمن مفهوم الافتراض المسبَّق القائل بأن هناك حقائق كلامية صرفة Pure Facts of speech يمكن وصفها ، وهو افتراض يعود تاريخه ، في الأقل ، الى وقت بداية اهتمام علماء القرن العشرين ، بصورة عامة ، بما أنجزه علماء لغة مشهورون مثل فرديناند دي سوسير Fredinand de Saussure وانطوني ميليه Antoine Meilet ، في بعض جوانب نقل ميدان علم اللغة من اللغة الى المعرفة حول اللغة التي يمتلكها ناطقو اللغة ، فان جومسكي يبدو وكأنه يتحرر من هذا التقليد الطويل ويشغل نفسه بمستخدمي اللغة ؛ لكن نظرة أكثر قرباً لفحوى عمله تظهر بأن هذا وهم ليس إلّا . ان جومسكي لا يزال يقوم بالفصل الصارم ، لكنه يقوم به في مكان آخر . فبالنسبة لجومسكي تُعد المعرفة باللغة التي يمتلكها مستخدمو اللغة ممكنة الفصل عن الانواع الاخرى من معارف الكون المختلفة التي تشكل عموم تجاربهم الفكرية الشخصية حيث يمكن لنا أن نميز كل معرفة بشكل مختلف عن الأنواع الاخرى من المعارف الانسانية .

لقد انعكست هذه الفرضية على قضية التفريق التي أوجدها جومسكي بين القدرة اللغوية Linguistic Competence التي يمتلكها متكلمو اللغة ، أي معرفتهم الضمنية باللغة ، وبين ادائهم Performance الفعلي في استخدام اللغة ، لذلك وبالرغم من الابتكار النظري Theortical Innovation الذي قدمه لعلم اللغة ، كان جومسكي ولا يزال يعمل ، وبشكل ثابت ، ضمن اطار تقليد اولئك الذين يرون اللغة باعتبارها كياناً يمكن أن يتم فصله من أجل تحليله ووصفه . انها الفرضية التي تقول بامكانية أن تكون اللغة كياناً أو وجوداً يمكن فصله عن مستخدميها ، والتي يبدو بأنها هي التي جعلت من دراسة اللغويات علماً مشابهاً لاي علم دقيق آخر . مع ذلك ، تُعد هذه الفرضية ، برأينا ، سبباً في جعل علم اللغة يبدأ بمسيرة الابتعاد ، وبشكل مبكر ،

عن موضوع ومادة بحثه التي هي اللغة ، فاذا ما بقينا ضمن هذا التقليد العام ، فاننا يمكن أن نقول بأن چومسكي كان في عمله اللغوي تابعاً لعدد كبير من علماء اللغة ، فلو كان چومسكي ثورياً حقاً لكان تخلى عن هذا التقليد تماماً .

هوامش المؤلفين

١ ـ اذا ما أردنا أن نحصل على آراء لغوية أكثر وضوحاً ودقة للعالِم اللغوي المعروف بلومفيلد Bloomfield ، يتوجب علينا ، بطبيعة الحال ، أن نبدأ بقراءة كتابه الموسوم بـ « مقدمة في دراسة اللغة » Introducation to the Study of Language الذي وضعه في العام ١٩١٤ ، والتركيز ، بشكل خاص ، على الفصل الثالث منه ، والاخذ بنظر الاعتبار ، وبشكل ثابت ومؤكد ، بعد قراءة كتابه المعروف جداً والموسوم بـ « اللغة » Language ، مساهماته الكبيرة والضخمة في الموسوعة العالمية للعلم الموحَّد International Encyclopedia of unified Science وبخاصة ما يتعلق بالجوانب اللغوية للعلم Linguistic Aspects of Science .

٢ ـ ستكون التشابهات هنا واضحة جداً مع سلوكية واتسن Watson's Behaviourism .

٣ ـ لقد لاحظ جووز Joos ، أيضاً ، بان « الاطفال يطلبون ايضاحات بل المزيد منها ، وان هناك طفلاً في داخل كل منا ، أما المذهب الوصفي في اللغة Descriptivism فانه يدّعي لنفسه مسالة انه لا يقوم بتدليل ذلك الطفل » ، (١٩٥٧ b: ٩٦ ، جووز) .

٤ ـ ان ما يدعو الى السخرية حول تطبيق هوغين Haugen هذا ، هو انه متشابه تقريبياً مع نوع التعليقات التي تُطلق ، بشكل متكرر ، حول موضوع التحليلات اللغوية النظرية التي يقوم بها جومسكي ومن يتبعه من زملائه .

٥ ـ ان العنوان الفرعي للكتاب المنهجي الذي قام بتاليفه هِل A.A.Hill والموسوم بـ « مقدمة في البنى اللغوية : من الصوت اللغوي الى الجملة » Introducation to Linguistic Structures : From Sound to Sentence يعكس هذا المبدأ المنهجي Methodological principle .

٦ ـ ادورد سابير Edward Sapir مثال بارز جداً لعلماء اللغة المعاصرين في امريكا الشمالية الذين لم يكونوا وصفيين في منهجهم ، ومع هذا ، كانوا قادرين على أن يستغلوا ، بشكل واضح والى حد كبير ، نفاذ بصيرة رواتهم اللغويين من الهنود الحمر الامريكان . لاحظ بشكل خاص بحث سابير الموسوم بـ « الحقيقة النفسية للوحدة الصوتية » The Psychological Reality of the phoneme في كتاب « الكتابات المختارة لادورد سابير في اللغة والثقافة والشخصية » للمحررة دي مانديلبوم D. Mandelbaum. « In selected writings of E. Sapir in Language , Culture and Personality » , e.d. D. Mandelbaum .

٧ ـ في الحقيقة ، ان هاريس Harris قد اقترح قبل ذلك (١٩٥٢) استخدام التحليل في سياق النص بدلاً من تحليل التراكيب اللغوية (الجمل) ، وقد أُطلق على هذا النوع من التحليل

تسمية التحويلات Transformations للتعبير عن التكافؤ في الاصناف Classes النحوية والحاصل بين العوامل Elements والبنى Structures . وبالرغم من ان جومسكي ، وكذلك الحال مع لوكوف Lukoff وبراون Brown ، قد عمل وتعاون مع هاريس ، في هذا المجال ، فان مفهوم جومسكي في التحليل النحوي مختلف من الناحية النحوية التقنية عن ذلك الذي عمل في اطاره هاريس ومنْ تعاون معه .

٨ ـ بقدر ما يتعلق الامر بالبحث اللغوي نفسه ، يبدو ان جومسكي قد افترض ان اعادة صياغة وتنظيم المعلومات التي توفرها قواعد النحو التقليدي ، باسلوب شكلي ، عمل جدير بالاهتمام حيث يمكن لهذا أن يساعد في توضيح السبب الذي يبدو فيه ، في بعض الاحيان ، محتوى نظريته وكانه ، وبشكل يدعو الى الغرابة ، يمثل نمطاً قديماً من التفكير اللغوي ، ففي كتابه الموسوم بـ « جوانب من نظرية علم النحو » Aspects of the Theory of Syntax ، كتب جومسكي قائلاً :

« ان البحث في اطار علم النحو التوليدي يمكن ، وبشكل مفيد ، أن يبدأ بالتحليل المتأني لذلك النوع من المعلومات التي يقدمها النحو التقليدي ... الموضوع الرئيس الذي أود دراسته هو كيف يمكن لمعلومات من هذا النوع أن تُعاد صياغتها وتقديمها بطريقة شكلية » (٤ ـ ٦٣ : ١٩٦٥ ، جومسكي) .

أما الشيء الذي لم يهتم له جومسكي ، هنا ، فهو درجة كفاية ومناسبة هذه المعلومات .

٩ ـ لقد أضاف هوكيت Hockett ملاحظة مهمة تعد سِمة تميز النزعة العلمية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، يقول هوكيت : « ان المحاولات الجارية لشمول التنبؤات بالظروف اللغوية (ما عدا تلك التي تسبق الجمل) تكوِّن ما يسمى بالتحليل الدلالي Semantic Analysis ، كذلك يمكن للتحليل البنيوي Structural Analysis أن يكون ذا سمة علمية دون أن يكون دلالياً Semantic ، (١٩٥٧ b : ٢٧٩ ، هوكيت) .

١٠ ـ مع هذا ، فان هناك بعض الاختلافات التي انعكست ، بشكل واضح ، في لغتهم وبطريقة استطاع هاريس Harris وهوكيت Hockett من خلالها أن يدركا بل يريا الهدف الجديد . يبدو ان هاريس كان ذا توجه يؤمن باستخدام الادوات النحوية في التحليل اللغوي Instrumentalist . فبينما يطمح لان تكون النظرية قادرة على أن تتنبا بحدوث الجمل الجديدة ، فاننا نفتقر لأي ايحاء في اطار ضرورة أن تكون هذه النظرية بحاجة لان تصبح جديرة بالتصديق على المستوى النفسي . أما هوكيت ، من ناحية اخرى ، فانه يبدو ذا توجه واقعي Realist حيث يرى النحو على انه علم يوفر نظيراً نفسياً Psychological Analogue لقدرات متكلمي اللغة الام ، ففي هذا الجانب ، يعــد جومسكي أكثر قرباً في تفكيره اللغوي من هوكيت منه الى هاريس .

١١ ـ سيكون لدينا الكثير لقوله ، في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، حول موضوع صِلة هذا

الجانب من اللغة بدحض وتفنيد چومسكي للمدرسة السلوكية في علم النفس . Behaviorism

١٢ - ليس هناك من شك على الاطلاق بأن چومسكي لم يكن ينوي في البداية أن يُبقي مفهوم كون الجملة مقبولة من الناحية النحوية Grammatical متميزاً عن مفهوم كونها مقبولة من الناحية الدلالية Meaningful .

لقد كتب چومسكي قائلًا :

« ... لا يمكننا أن نماثل مفهوم كون الجملة مقبولة من الناحية النحوية مع مفهوم كونها مقبولة من الناحية الدلالية أو انها ذات قيمة بالمفهوم الدلالي » ، (١٥ : ١٩٥٧ ، چومسكي) .

الفصل الثاني

النحـــو والتعليـــل

GRAMMAR AND EXPLANATION

ان قيمة أية نظرية علمية ، ودرجة الأمان التي تقود اليها نتائجها ، تعتمد الى حد كبير على درجة وضوح المصطلحات الداخلة فيها وعلى التفسيرية العملية لتلك المصطلحات .

(چومسكي)

لا شك ان عمل چومسكي ، ومهما كانت محدداته وقيمته النهائية ، يشكل دراسة تاسيسية في علم اللغة النظري . كان أهم محصلات الدراسة تبني علم اللغة لرأي محدد حول ما يُعد تعليلًا . ان مبدأ التعليل النظري الذي أدخله چومسكي لاول مرة ، في حقل الدراسات اللغوية معروف لدى الفلاسفة والعلماء وبخاصة اولئك المهتمين بطبيعة النظريات التعليلية Explanatory Theories بوصفها تشكل رأياً علمياً قياسياً يتوجب اتباعه.وعلى وفق هذا الرأي ، ينبغي للتعليل النظري أن يُصاغ على شكل سلسلة تفكيرية استنتاجية مؤلَفة من البديهيات Axioms التي يُتوصل اليها من خلال قوانين وقواعد من انواع خاصة يتم بموجبها ايضاح الظاهرة موضوع الدراسة .

سيتناول هذا الكتاب ، كأحد أهم الموضوعات ، مسالة تبيان ان هذا النوع من التعليل النظري قد برهن على اخفاقه في دراسة اللغة بوصفها المادة التي تقوم عليها الابحاث الجارية في ميدان علم اللغة .

ان الأسباب التي جعلتنا نتوصل الى حقيقة ان التعليل النظري الذي أوجده چومسكي غير مناسب للدراسات اللغوية ، معقدة وغير متيسرة التوضيح لكن يمكن لنا ، من جهة اخرى ، أن نتطرق الى أبرز وأهم سببين منها : أولًا : لقد قصد چومسكي ان الجوانب الوحيدة في اللغة التي يمكن أن يتضمنها مجال النظرية التعليلية هي تلك التي تبدو واضحة الى حدٍ كافٍ ويمكن أن يُعبَر عنها بلغة خاصة من العلاقات والرموز الشكلية التي تتطلبها عادة النظريات البديهية Axiomatic Theories ، أما نتيجة ذلك فقد كانت عبارة عن توكيد مبالَغ فيه جداً على أهمية الشكل اللغوي ، وفي البداية ، في الأقل ، الاستبعاد الكلي للمعنى من ميدان ألنظرية اللغوية .

أما السبب الثاني ، فهو عدم ملاءمة الشكل التعليلي النظري للعلوم الانسانية مثل علم اللغة وذلك لكونه ذا سمة اختزالية حيث فرضت هذه السمة على علماء اللغة منهجاً بحثياً سمح ، وبسبب من صرامته الشكلية ، بأن يُشار ، وبطريقة غير موفية بالغرض العلمي ، الى المعرفة اللغوية ونوايا واعتقادات وتوقعات مستخدمي اللغة .

سوف نقوم في الفصول القادمة من هذا الكتاب بمناقشة حقيقة ان لا سبيل الى فصل اللغة عن مستخدميها وعن أطرها السائدة في مجال المعرفة والنوايا والاعتقادات والتوقعات . ان أية نظرية في مجال الدراسات اللغوية التي تدّعي بأنها تقوم بالقاء ضوء على الطريقة التي تعمل على وفقها اللغة لكنها تتجاهل ، في الوقت ذاته ، الدور الايجابي الذي يلعبه مستخدموها اثناء الكلام الفعلي ، ستكون غير مفضية الى الكشف عن حقائق لغوية كثيرة . عندما نقول بأن النظريات التعليلية التي تمت صياغتها بشكل منطقي استنتاجي تُعدُّ برأينا ، غير مناسبة في الدراسات اللغوية وفي مجال علم اللغة بخاصة فان هذا لا يعني بطبيعة الحال باننا لا نؤمن بكون ان هذه النظريات لم تتم البرهنة على انها ذات قوة تعليلية هائلة في مجال علوم طبيعية معينة ، واذا أخذنا مثالًا بسيطاً ، في هذا السياق ، كان من الأفضل في تعليل ظاهرة معينة مثل طوفان الثلج Ice Floating على الماء ، وعلى وفق المعيار العلمي الصارم أن تصاغ بشكل مبادىء كلية Universal Principles وبسلسلة من التفكير المنطقي الاستنتاجي . أما المبادىء ، في مثل هذه الحالة ، فيمكن أن تتضمن تلك المتعلقة بالكثافة النسبية Relative Density للاجسام الصلبة Solids والسوائل Liquids مثل مبدأ ارخميدس القائل بأن الجسم الغاطس في سائل يفقد من وزنه بقدر وزن السائل المزاح ، والمبادىء الاخرى التي تخص الحالات التي يتم بها اخضاع الاجسام لقوى في حالة توازن . فعند استنتاجنا للحقائق من المبادىء العلمية المستقلة وذلك باستخدام قواعد الاستدلال الرصينة واستبدالها بالقيم الخاصة بالثلج والماء بحسب المتغيرات المتضمنة في الصياغات الكلية ، نتمكن عند ذلك من تعليل ان طوفان الثلج على سطح الماء لا يمكن أن يكون ظاهرة معزولة عن ظواهر اخرى كثيرة وانما هي نتيجة للتعبير عن مبادىء أكثر عمومية .

ان أحد عوامل الجذب ، في مثل هذه النظريات المغرية ، يكمن في ان سلوك مجموعة كبيرة من الظواهر المتباينة يمكن أن تترابط مع بعضها بعض ، فمثلًا ان الثلج يطفو ، لكن لماذا تغطس كرات الرصاص الصُلب في الماء ؟ بينما تطفو من جانب آخر كرات الرصاص المجوف ذوات السمك المناسب على سطح الماء ، وكيف

يمكن أن يصمد عدد لا يُحصى من المشاهدات الاخرى في موضوع خصائص طوفان الاجسام لِما ذكرناه من المبادىء العلمية آنفاً ؟ وفضلًا على هذا ، طالما يمكن لنا أن نعتبر المبادىء بمثابة بديهيات مصوغة بشكل اشتراطات كلية عامة ، حينئذٍ ، عند استبدال قيم خاصة بالمتغيرات في هذه الاشتراطات وباتباع القواعد الصحيحة والمناسبة المعتمَدة في موضوع الاستبدال ، يُصبح من الممكن التنبؤ فيما اذا تمت حالات معينة يمكن من خلالها لجسم ما أن يطفو أو لا ، أما التجارب فيمكن لها أن تختبر موضوع دقة التنبؤ العلمي . يمكن لنا كذلك أن نقوم بانجاز درجة أكبر من القوة التعليلية العلمية النظرية وذلك اذا كان عدد من المبادىء الكلية العامة قابلة لان تستنتج من مبادىء أكثر منها تجريداً . وكما نفهمها نحن ، يمكن لنظرية الكم Quantum Theory ، في علم الفيزياء ، أن توضح باسلوب تعليلي نتائج البحث العلمي في موضوع السلوك الحراري Thermal Behaviour للأجسام الصُلبة والغازية عن طريق السلوك الذي يحصل في التفاعلات الكيمياوية وفي العديد من الظواهر الفيزياوية الاخرى . حقاً ان احدى الوظائف الرئيسة للنظرية المصوغة بشكل منطقي استنتاجي في مجال العلوم الطبيعية هي بناء ارتباطات متبادَلة بين نتائج البحث العلمي في مواد من موضوعات متباينة . أما الوظيفة الرئيسة الاخرى للنظريات ، من هذا النوع ، فهي انها توحي بايجاد خطوط جديدة في البحث العلمي قد يمكن بها تثبيت واقامة نوع من الصلات والارتباطات الجديدة .

لقد استطاعت النظريات التي تُصاغ بشكل استنتاجي انجاز هاتين الوظيفتين وبشكل موفٍ بالغرض النظري لتبرهن على انها ليست مفيدة ومهمة فحسب بل انها ذات قوة علمية كبيرة أيضاً ، وبخاصة ، في مجال ايجاد حلول لبعض المشاكل المعقدة . لقد قاد هذا النجاح ، مع ذلك ، الى اجراء محاولات لادخال نظريات من هذا النوع في الاشكال الاخرى من فروع التحقيق العلمي .

سوف نقوم في هذا الفصل من الكتاب بدراسة نوع التأثيرات التي نتجت عن ادخال هذه النظريات في مجال علم اللغة وهو من العلوم الانسانية والاجتماعية . ومن أجل أن نعالج هذه المسألة بشكل جدي فاننا سنحتاج لأن ندرس الشكل الخاص للنظرية المصوغة بطريقة منطقية استنتاجية التي ابتكرها چومسكي لتوضيح جوانب من السلوك اللغوي وتعليلها . سنبدأ الآن بدراسة الشكل العام General Form لهذا النوع من النظريات .

ملخص عام لنظرية مصوغة بشكل استنتاجي

GENERAL OUTLINE OF A DEDUCTIVELY FORMULATED THEORY

لغرض الايفاء بمتطلبات العرض فان التوضيح التالي سيحتاج الى حد ما ، الى نوع من التبسيط الشديد لموضوع يتسم بكونه معقداً جداً .

ان نظرية مصوغة بطريقة استنتاجية يمكن أن يُنظر اليها بوصفها تحتوي على مكونين رئيسين وهما أولًا : نوع من الرياضيات عالية التجريد وثانياً : مجموعة من القواعد التي تخصص محتوىً عملياً تجريبياً للحسابات التجريدية وذلك من خلال ربطها بالظاهرة التي يودّ توضيحها وتعليلها . أما المكوّن الأول والذي يتعلق بالرياضيات عالية التجريد فيمكن أن يُعد بمثابة الاطار الفعلي للنظرية التي تقوم اساساً على علم النحو Syntax ويُستخدم فيها الكثير من اصطلاحات علم المنطق الشكلي Formal Logic والكثير من عوامل اخرى مثل الكلمات التي تقوم بوصف كلمات اخرى وتدل على العدد أو الكمية Quantifiers وأدوات الربط المنطقي Logical Connectives والثوابت الاسنادية Predicate Constants والثوابت الفردية Indi- vidual Constants والمتغيرات Variables والقواعد المعلوماتية المرافقة لها . فضلًا عن هذا ، هناك اصطلاحات غير منطقية تُحدّد عن طريق الدور الذي تلعبه في البنية المنطقية الكلية ، ولقد قيل بأن بعض الاصطلاحات يمكن أن تُعرف بشكل ضمني وذلك من خلال موقعها في الاطار الرياضي للنظرية المصوغة بشكل استنتاجي ، أما في حالة النظرية الشكلية اللغوية Formal Linguistic Theory فان اصطلاحات مثل : الاسم Noun والفعل Verb والنعت Adjective (N,V,A) يمكن أن تُحدّد من خلال موقع كل منها في النظام اللغوي الكلي . أما فيما يتعلق بالتساؤل عن ماهية الاسم ؟ فان الجواب الوحيد الذي يمكن أن ياتي به علم اللغة الشكلي هو ان الاسماء Ns هي تلك العوامل اللغوية التي يمكن أن تفي بمتطلبات الشروط التي تخصص تلك العوامل وتعيينها . ان الجانب الرياضي التجريدي للنظرية اللغوية الذي تطرقنا الى بعضه ، في اعلاه ، لا يمكن أن يُوضح بشكل مبسّط وذلك لأنه في مثل هذه الحالة ، سيعطينا توضيحاً لعلاقات البنية المجردة في المفردات المنطقية وغير المنطقية . أما اذا أردنا أن نستخدم الجانب الرياضي في التعليل والتنبؤ فيجب والحالة هذه أن يرتبط وبشكل واضح مع الظاهرة التي يمكن ملاحظتها . فعندما نريد أن نصوغ ، وباسلوب النظرية اللغوية الشكلية ، المعلومات القائلة بأن كل جملة في اللغة يجب أن تحتوي

على عبارة اسمية Noun phrase (NP) وعبارة فعلية Verb phrase (VP) : أي ان
الجملة = عبارة اسمية + عبارة فعلية S → NP + VP

فاننا في مثل هذه الحالة ، لا نقوم إلّا بتوضيح القليل ، ما لم يكن واضحاً ، في مستوىً معين من التحليل اللغوي . للكيفية التي يتم بها بناء العبارة الاسمية وبناء العبارة الفعلية وبأي العوامل اللغوية يمكن ربطهما داخل الجملة .

وبخصوص هذا الموضوع يمكن أن نجد ، في المنشور من ابحاث في علم اللغة ، كثيراً من المحاولات التي تم بموجبها اضفاء عدد من التسميات على القواعد التي تربط الجانب الرياضي المجرد غير المفسّر مع الظاهرة التي يمكن ملاحظتها والتي يمكن التحقق من وجودها ، مثل تسمية ارتباطات معرفية ادراكية Epistemic Correlations وتعاريف تنسيقية Coordinating Definitions وتعاريف عملياتية Operational Definitions وقواعد التوافق Rules of Correspondence وهي القواعد التي تقوم باضفاء الموضوع والجوهر للنظرية الشكلية عند اقامة الارتباط بين الجانب الرياضي المجرد للنظرية والمعطيات العلمية ذات الصلة . أما الطرائق التي يمكن بها انجاز هذه الاشياء ، في أية حالة خاصة ، فانها معقدة جداً ، ولكن يمكن النظر الى قواعد التوافق هذه ، وبشكل عام ، بوصفها نظاماً تفسيرياً علمياً[1]. هناك مسالتان مهمتان يجدر الانتباه اليهما بشان هذا التلخيص العام للنظريات المصوغة بشكل منطقي استنتاجي في اطار التوضيح العلمي Scientific Explanation ، الاولى : انه ليس بطبيعة الحال وصفاً للكيفية التي يقوم بها العلماء بابتكار نظريات ، انها ، بالأحرى ، عبارة عن اعادة بناء لصفات ومميزات لنوع واحد من النظريات العلمية التعليلية .

اننا نلفت النظر لهذا الموضوع بسبب ميزة غريبة تجلت في أول عمل رئيس قام بانجازه جومسكي وهو « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » . يناقش جومسكي في هذا العمل العلمي الكبير ، وبتفصيل شديد ، الكيفية والشكل اللذين ينبغي أن تكون عليه النظرية التعليلية في مجال علم اللغة أما المشاكل الحقيقية التي تمخضت عن البحث في اللغة فقد لاقت الاهتمام فقط بقدر ما يمكن دمجها في اطار مصوغ بشكل استنتاجي . يبدو كان كتاب جومسكي الذي نوهنا عنه آنفاً ، قد كتبه عالم لغة نظري حاذق جداً حاول فيه أن يفرض اعادة بناء شكل مقبول ، لنوع واحد من النظريات التعليلية ، على اللغة بوصفها موضوع دراسة علم اللغة .

ان عناوين بعض الأبحاث الاولى التي قام بنشرها چومسكي تعزز الرأي القائل بانه كان مهتماً بالخصائص المميزة للنظريات التعليلية بدلًا من اهتمامه بالمشاكل التي يمكن أن تساعد في توضيح التحليل اللغوي . ويغض النظر عن عمله الرئيس الأول ، اعني الكتاب الموسوم بـ « البناء المنطقي للنظرية اللغوية » فقد كتب چومسكي بحثه المشهور « الاساس المنطقي للنظرية اللغوية » The Logical Basis of Linguistic Theory وبحثه الثاني الموسوم بـ « نماذج تعليلية في علم اللغة » Explanatory Models in Linguistics وأردفهما ببحث ثالث بعنوان « مشاكل التعليل في علم اللغة » Problems of Explanation in Linguistics .

ستنصب مناقشتنا فيما ياتي على قضية انهماك چومسكي بدراسة شكل النظرية التعليلية التي قادته لمحاولة قَولَبة وصياغة مواضيع البحث مع النظرية بدلًا من تطوير نظرية مناسبة مع مواضيع البحث التي اهتم بها . أما محصلة هذه العملية فقد كانت بروز تباين واضح بين علم اللغة ، كما مارسه چومسكي ، وبين موضوع دراسة علم اللغة ، أعني اللغة نفسها .

أما الموضوع العام الآخر ، فهو يمكن لنا أن نصف هذه النظريات بكونها منتجة من الناحية العلمية في بعض العلوم الطبيعية ، مع هذا ، هناك عدد كبير من الموضوعات لا تلعب فيها هذه النظريات أي دور مهم . لقد ذكر فردريك سوپ Frederick Suppe عدداً من الأمثلة « بدءاً بنظرية هويل Hoyle's Theory حول أصل الكون مروراً بمعظم نظريات علم الانسجة العضوية Histology وعلم الخلايا والاحياء المجهرية Cellular Microbiology وعلم التشريح المقارن Comparative Anatomy » ، (٦٥ : ١٩٧٧ : سوپ) .

ويختتم سوپ حديثه بالقول بأن من السابق لاوانه ، وانه غير ذي جدوى ، أن نحاول أو نقرر تقديم نظرية مصوغة بشكل استنتاجي في أطر العلوم التي اشرنا اليها في اعلاه ، وذلك لان الوضع الحالي لهذه العلوم لا يوحي بأنها قد وصلت الى مستوىً كافٍ من التطور المنهجي العلمي . أما في مجال دراسة اللغة ، فيبدو ان چومسكي قد افترض ، دونما تحقيق علمي كبير ، ان علم اللغة كان قد وصل الى مستوىً كافٍ جداً من التطور يمكن به أن يتحرك الى ما قد رأيناه آنفاً مما دعاه نورثروپ بالمرحلة الثالثة في التحقيق العلمي : مرحلة تكوين النظرية المصوغة بشكل استنتاجي .

سيكون خط نقاشنا متفقاً مع حقيقة ان التحرك باتجاه هذا المرحلة يبدو

ملائماً وصحيحاً فقط في مجال علم اللغة وذلك بسبب من الأطر المثالية الاستثنائية المبالغ فيها ، التي فرضها چومسكي على موضوع بحثه اللغوي . سوف نقوم بمناقشة بعض من هذه القضايا فيما ياتي . أما زعمنا العام بهذا الخصوص ، فهو ان العلماء في حقل العلوم الانسانية بدلًا من أن يحاولوا محاكاة العلوم الطبيعية الأكثر تجريداً ينبغي لهم أن يفتشوا عن أشكال نظرية للتعليل العلمي تكون أكثر كفاية وملاءمة لموضوعهم العلمي . أما الثمن الذي يمكن دفعه جراء عدم اعتماد هذا المبدأ في البحث اللغوي العلمي فقد كان يتراوح بين حالات من اختلاف أطر مثالية كثيرة اثناء البحث اللغوي الى الاصطدام بما يسمى باللاعلاقية Irrelevance .

نظرية مصوغة بشكل استنتاجي في المجال اللغوي
A DEDUCTIVELY FORMULATED THEORY FOR LANGUAGE

ان الدافع الحقيقي.الذي جعل چومسكي يحاول ابتكار نموذج نظري مصوغ بشكل استنتاجي في مجال البحث اللغوي كان ، وكما ناقشنا ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب ، الحاجة الى توضيح الخصائص اللغوية العميقة Underlying properties لقواعد النحو التي كان يتعامل بها وصفيّو امريكا الشمالية ، أما هذه القواعد ، وكما هي الحال في القواعد التقليدية Traditional Grammars ، فقد كانت تحليلية Analytic : أي انها كانت تقوم أساساً على التحليل التفصيلي Detailed Analysis لعينة التعابير اللغوية Sample of utterances في لغة معينة .

لقد قدم چومسكي مفهوماً جديداً في النحو : لقد أراد أن يكون النحو وسيلة ليست للتحليل وانما لتركيب وتوليد جمل جديدة في اللغة . أما قواعد النحو التركيبية هذه فقد اخذت شكل مجموعات من القوانين القادرة على توليد وانتاج البنى النحوية Syntactic Structures التي تكوّن البنية العميقة للجمل في اللغة ، وبلغة رياضية ، كانت عبارة عن نظم محدودة Finite Systems ذات نتائج وقوة توليدية غير محدودة Infinite Output .

ان مفهوم چومسكي للقواعد النحوية بوصفها وسائل تركيبية Synthesising وتوليدية Generating لم يكن شيئاً لم يُسبَق اليه من قبل ، فعندما يستخدم المصطلح « يولّد قاعدة أو نحواً » وبينما لا نشك بانها عبارة أو مصطلح جديد بالنسبة لعلماء اللغة ، إلا انها مع ذلك من العبارات والاصطلاحات المعروفة جداً والمستخدمة بشكل

شائع للغاية بين علماء المنطق Logicians وبالأخص اولئك الذين يستخدمون نظرية پوست Post في موضوع الأنظمة المشتركة[٢].

استطاع چومسكي بعد أن انهمك في البحث لابتكار قواعد شكلية صارمة للغة طبيعية Natural Language ، أن يتوصل الى ايجاد انموذج نظري هو عبارة عن مجموعة نظم من القوانين والقواعد يستخدمها عادة علماء المنطق الرمزيون في توليد مجموعات الاشكال التي تكون الاساس في اللغة الشكلية Formal Language .

ومن أجل فهم الاتجاه الذي سيّر چومسكي علم اللغة نحوه ، يكون من الضروري جداً فهم الطرائق التي اعتمدها لتكييف نظرية اللغة الشكلية مع التصوير والوصف الحقيقيين للغة الطبيعية .

سنناقش فيما بعد حقيقة ان اللغات الطبيعية لها خصائص تميزها تختلف بها ، بشكل كلي وأساس ، عن تلك اللغات المركبة أو الشكلية الرمزية ، وبالنتيجة تقود محاولات تعريف اللغة الطبيعية وتحديدها ، بشكل دقيق وصحيح بلغات شكلية ورمزية ، الى تشويه كبير جداً .

بعض خصائص الانظمة النحوية الشكلية

SOME CHARACTERISTICS OF FORMAL LANGUAGE GRAMMARS

تتالف اللغة الشكلية ، عادة ، من مجموعة من العبارات الأساسية المحددة هي أبجديتها ، ومن عدد من القوانين النحوية لاستخدام هذه العبارات وتركيبها . تتالف الابجدية في لغة كهذه من مجموعة محدودة من الرموز ، أي ان الجملة في هذه اللغة تكون عبارة عن سلسلة محددُة مؤلفة من رموز هجائية تتحد فيما بينها بطرائق تنسجم وتتفق مع نحو اللغة[٣]، وان القوانين التي يتم بها توليد الجمل في لغة شكلية يمكن أن يُشار اليها بكلمة نحو .

لناخذ مثالًا بسيطاً جداً ، في هذا السياق ، لنحو من هذا النوع والذي يُسمى ، في بعض الأحيان ، بالوسائل التركيبية Synthesis Devices ، ونفترض بان أقل شيء يجب توفره لقاعدة نحوية تحتوي على أبجدية مؤلفة من حرفين هما : b, a لتوليد جمل تاخذ شكل ab و aa bb و aaa bbb ... أي كل الجمل التي تحتوي فقط على الامكانية اللامتناهية للحدوث والتي تتكون من a متبوعة بامكانية لا متناهية لحدوث b فاذا ما أردنا أن نقوم بكتابة قاعدة نحوية بسيطة غير معقدة Mini - grammar لتوليد هذه اللغة عندئذ يمكن أن نبدأ باستخدام الحرف S (لبعني جملة) ليكون رمزاً ابتدائياً ونستخدم الرمز ← ليعني (تُعاد كتابتُها كـ) وبهذه نستطيع أن نصوغ القانون الأول وكما يلي : S → ab ، وعندما نطبق هذا القانون يمكن أن نولد البناء اللغوي الآتي :

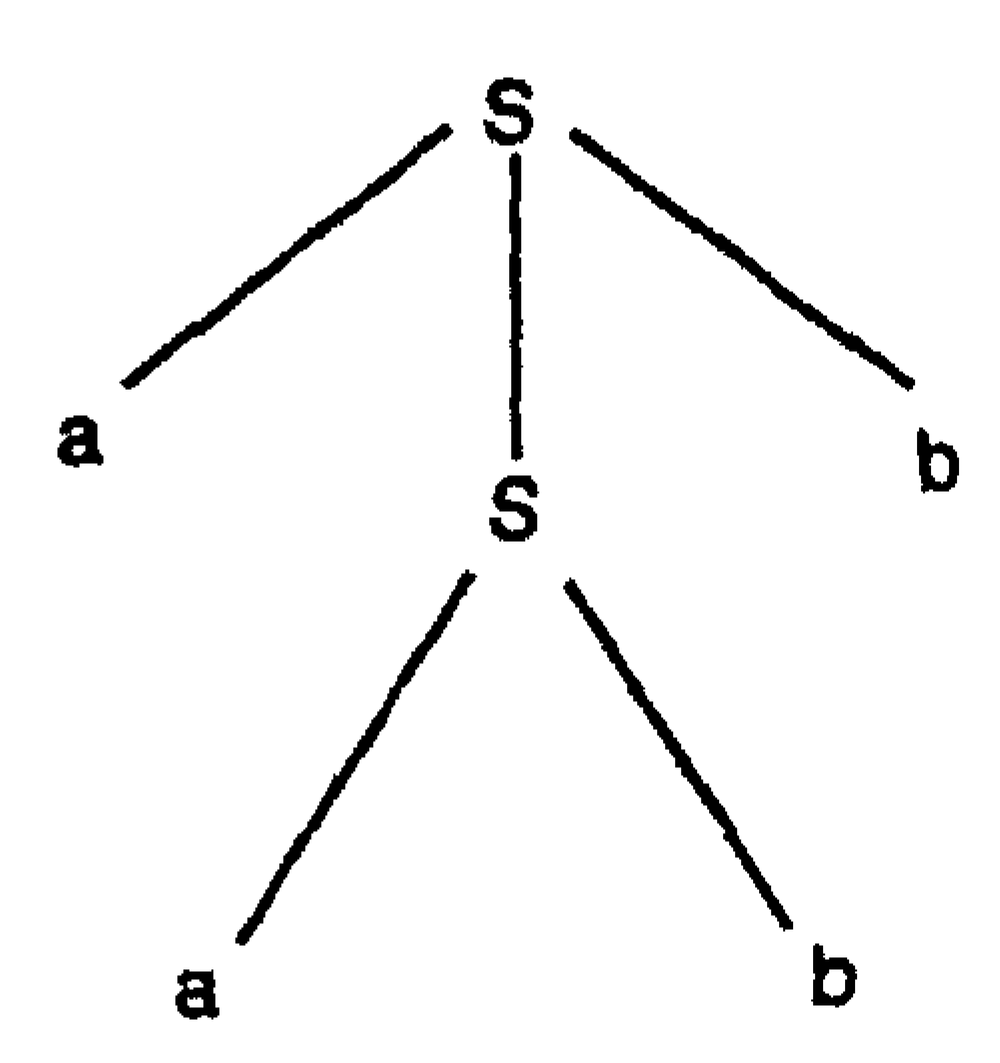
```
    S
   / \
  a   b
```

بما ان هذه القاعدة النحوية تتالف من قانون واحد فقط ينتج عنه توليد جملة واحدة من نوع ab فمن البديهي أن لا تفي هذه القاعدة بالمراد أو باقل ما يمكن من المطلوب لاجل توليد كل الجمل التي تحتوي فقط على الحدوث غير المتناهي لـ a متبوعة بحدوث لا متناه لـ b ، ولنفترض اننا قمنا بتعديل القاعدة الاولى لتكون كما يأتي :

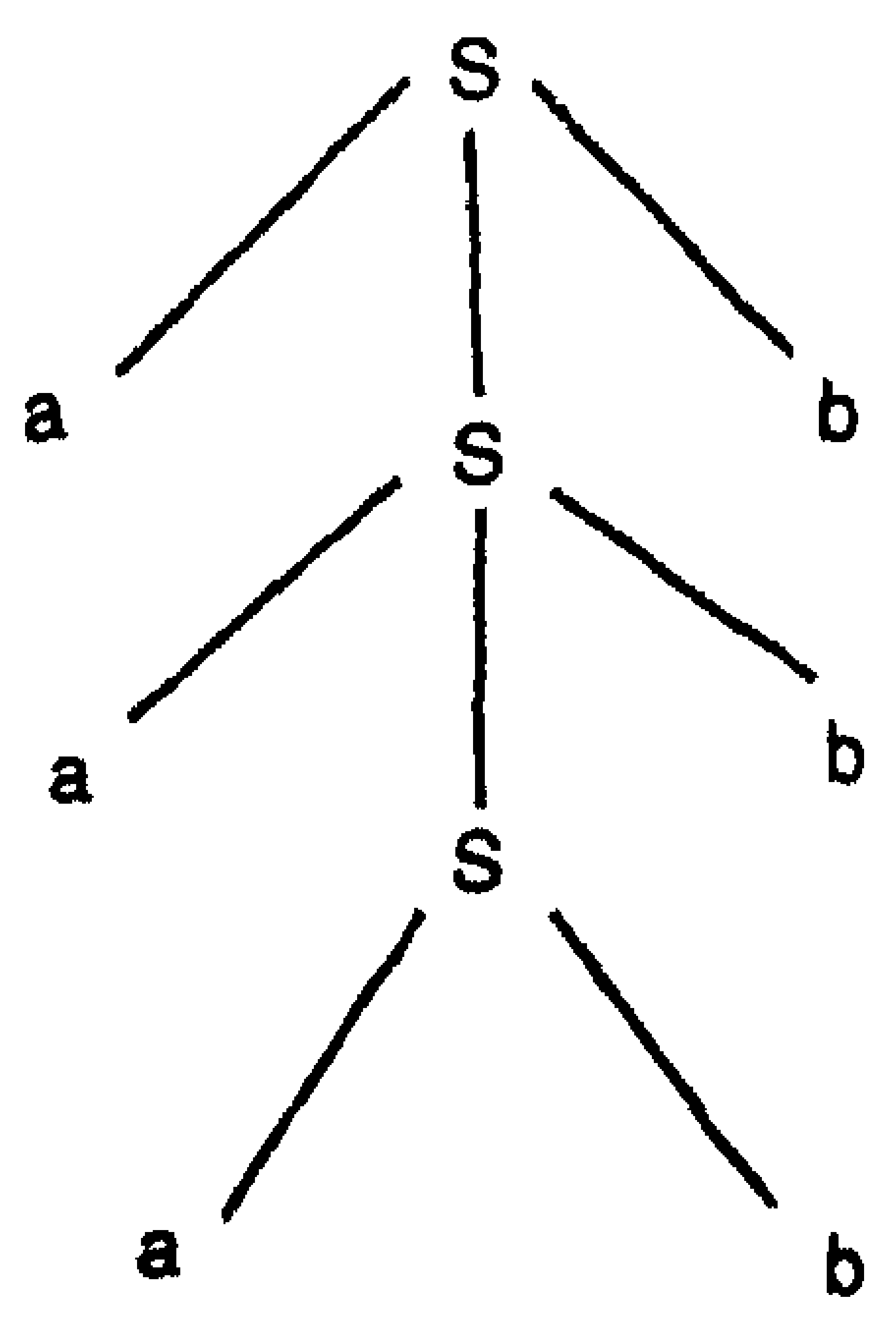
$$S \rightarrow a(S)b$$

ان الذي فعلناه ، هنا ، هو اننا قمنا بتبني تقليد يتلخص بوضع قوسين على شكل هلالين حول أحد العوامل اللغوية لتعني بأن وجود هذا العامل في الجملة هو

اختياري Optional فضلًا عن القدرة على توليد جملة من نوع ab ، لذا يمكن لنا أن نقوم بتوليد الجمل اللغوية الآتية :



أي اننا نستطيع أن نقوم بتوليد جملة من نوع aa bb ، أو اذا ما اخترنا العنصر S مرة اخرى فستتمكن من توليد ما يأتي :



أي اننا يمكن أن نحصل على جملة من نوع aaa bbb ، وكما هو واضح ، يمكن لهذه القواعد أن تفي بأقل متطلباتها اذا ما أردنا أن نكرر اختيارنا للعنصر S حيث ستتمكن هذه القواعد النحوية من توليد جمل ذات صيغة وشكل مسموح بهما ، وسوف لا يكون بمقدور هذه القواعد أن تولد جملًا غير مسموح بها ، لذلك اذا ما أردنا أن نلتزم بالقوانين والاعراف النحوية واللغوية فسوف لا يكون بالامكان لهذه القوانين والاعراف أن تولّد تراكيب مؤلفة من حرفين مثل :

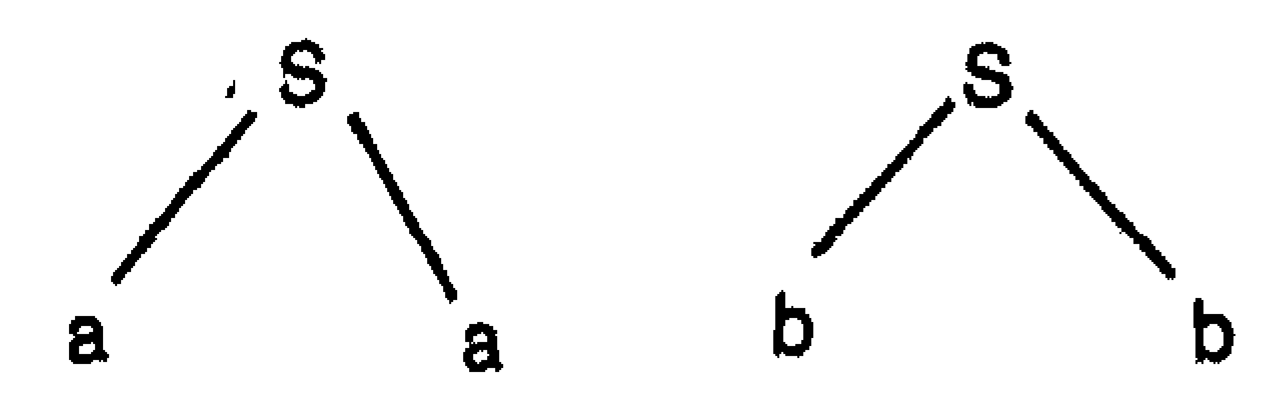
aa , bb , abba , baab , aaaa , bbbb , aabbaa

لنفترض ، مع هذا ، بأننا نريد أن نحصل على قواعد تكون قادرة على توليد

مجموعات من التراكيب هي فقط تلك الجمل المؤلَّفة من سلسلة من العناصر X متبوعة بسلسلة مشابهة لها ولكن بشكل معكوس لهذه التراكيب . يمكن أن يُعبَّر شكلياً عن تلك القواعد بالصيغة الآتية :

$$S \rightarrow \left\{ \begin{array}{l} a \quad (S) \quad a \\ b \quad (S) \quad b \end{array} \right.$$

لقد أضفنا هنا تقليداً جديداً وهو استخدامنا لما يدعى بالاقواس الالتفافية Curly Brackets لتمثل حالة الفصل في المادة اللغوية . ومن خلال هذا العرف ، يمكن للعنصر S أن تُعاد كتابته ليكون كما يلي :

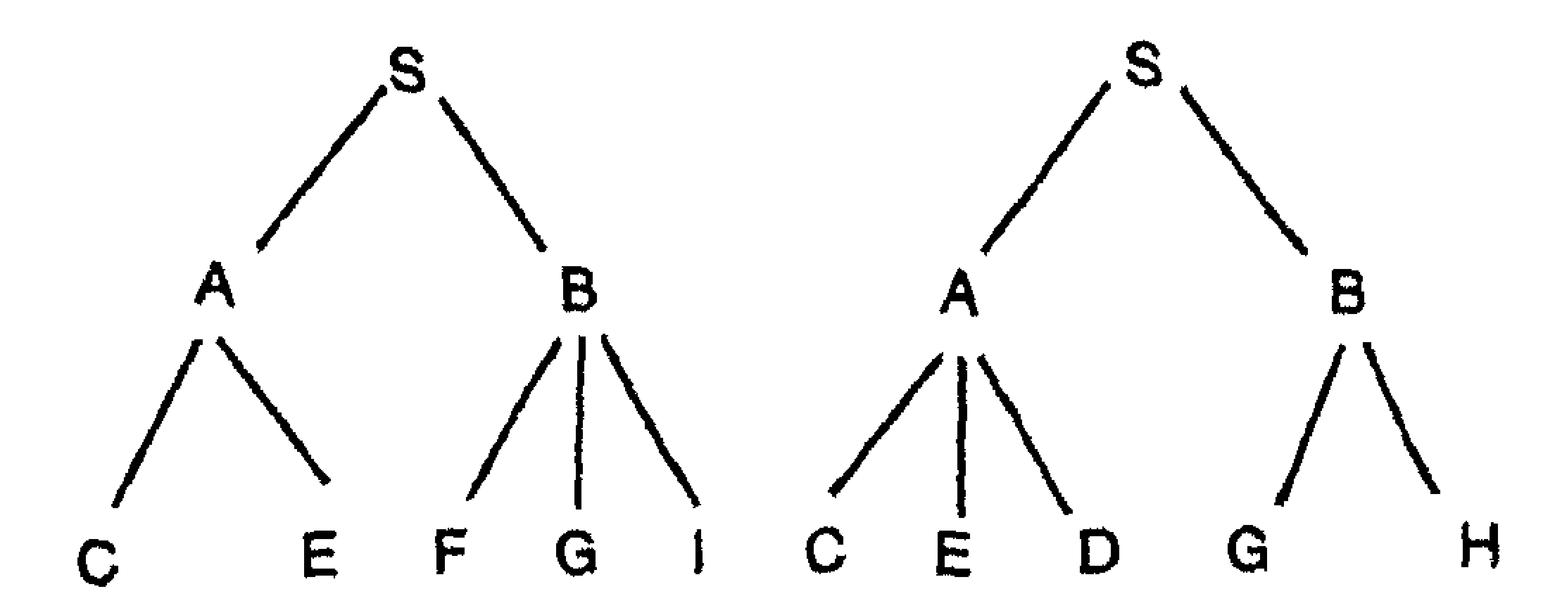


من خلال تكرار تطبيقات قوانين هذه القاعدة ، والالتزام بشكل صارم بكل تقاليدها ، يُصبح من الممكن لنا أن نولّد كل الجمل وفقط كل التسلسلات اللغوية لجُمل a وجمل b التي يشترط فيها أن تكون صحيحة البناء اللغوي Well - Formed أو مسموحاً بها في اللغة الشكلية . ان ما ذُكر ، في اعلاه ، لا يعدو أن يكون مثالًا بسيطاً جداً أوضحنا من خلاله كيف يمكن لنا أن نبتكر مجموعة قوانين محدودة قادرة على توليد مجموعات لسلاسل لا متناهية من الجمل التي تتوافق مع نموذج شكلي نظري مُعَد مسبّقاً .

يمكن لقاعدة أو مجموعة من القوانين أكثر تعقيداً من سابقتها بقليل أن توضح بشكل أكبر العلاقات القائمة بين العوامل التي تؤلف سلاسل العناصر اللغوية المتولدة وكما يأتي :

$$S \rightarrow A \quad B$$
$$A \rightarrow C \quad E$$
$$B \rightarrow (F) \quad G \quad \left\{ \begin{array}{l} H \\ I \end{array} \right.$$

يمكن لهذه المجموعة من القوانين أن تقوم بتوليد عدد من سلاسل حرفية متعاقبة مثل :



حيث يمكننا أن نفترض كون التعاقبين CEFGI و CEDGH يمثلان سلاسل متعاقبة بجمل مسموح بها ، أما التعاقبات المتسلسلة مثل : DEFGH أو FG التي لا يمكن للقوانين المذكورة أن تولدها اذا ما قمنا بتطبيقها بناءً على الأعراف السابقة فتعد قياسات ذات بنية لغوية غير صحيحة أو غير مسموح بها ILL - Formed .

تختلف هذه القاعدة عن المثال السابق لانها تضم حروفاً معينة كنظام وحدات اعلى له خصائص يتميز بها فمثلًا ان الحرف A احدى هذه الوحدات وان أعضاءها مكونة من D, E, C أما الوحدة B فان أعضاءها مكونة من H, G, F . أما فيما يتعلق بـ B, A فيمكن اعتبارهما عضوين في فصيلة لغوية واحدة تشكل نظاماً لغوياً أعلى وهو S . ان مجموعة من هذا النوع من القوانين تستطيع أن تولد ابنية لغوية قادرة على أن توضح بشكل علني العلاقات القائمة بين ، في سبيل المثال لا الحصر ، C و S أو بين C و B(٤).

التحول من اللغات الشكلية الى انموذج اللغات الطبيعية

THE MOVE FROM FORMAL LANGUAGES TO A MODEL FOR NATURAL LANGUAGES

يجب أن نتذكر دائماً بان جومسكي لم يكن يحاول ، عندما بدأ بابتكار وسيلة تركيبية ، صياغة لغة بكاملها ، لكنه كان يحاول ايجاد البنى النحوية التي تشكل الأسس العميقة للجمل في اللغات الطبيعية . تذكر بأن جومسكي كان يشارك وصفيّي امريكا الشمالية في رأيهم القائل بوجوب استبعاد الاعتماد على المعنى في التحليل اللغوي اذا ما أُريد لعلم اللغة أن يحتفظ باعتباره ومنزلته بصفته علماً . اذا ما رجعنا الى منظومة القوانين التي اشرنا اليها سابقاً ووضعنا في حسابنا الخصائص التي ميزت هذه القوانين يكون من المنطقي أن نلاحظ كيف يمكن لحروف متنوعة أو عوامل أساسية في اللغة الشكلية أن تُستبدل بفصائل نحوية . فاذا افترضنا بأن الحرف S يمثل جملة في اللغة يمكننا حينئذ الافتراض بأن الحرف S يمكن اعادة كتابته كعبارة اسمية (NP) وعبارة فعلية (VP) متبعين الرأي التقليدي الذي يعتبر الجملة مؤلّفة من مسند ومسند اليه Subject and predicate حيث باستطاعتنا الآن الحصول على القانون الاول في النحو أو في وسيلتنا التركيبية لبناء لغة طبيعية مثل اللغة الانكليزية :

$$S \rightarrow NP \quad VP$$

وبالاعتماد على الاسلوب ذاته ، وكما هو الحال في B , A عندما تمت احالتهما الى فصائل نحوية اصغر Sub - Categories في آخر الامثلة التي استشهدنا بها في موضوع اللغة الشكلية ، يمكن احالة العبارة الاسمية الى فصائل نحوية أصغر فتعاد كتابتها على سبيل المثال ، أداة تعريف Determiner واسم Noun بلغة أكثر شكلية ورمزية في آنٍ معاً ، وبهذا نستطيع أن ناتي بثاني مجموعة من القوانين اللغوية التي نحن بصدد تقديمها لتوليد بنىً لغوية في لغة طبيعية :

NP →	D	N
(عبارة اسمية)	(اداة تعريف)	(اسم)

انا نعلم ، مع هذا ، ومن خلال ما نمتلكه من معلومات مستقاة من النحو

التقليدي Traditional Grammar بأن أداة التعريف لا تأتي دائماً مع الاسماء لذلك بامكاننا تعديل القانون النحوي المذكور في اعلاه وجعل الرمز D يمثل مكوّناً نحوياً اختيارياً (غير واجب) وذلك كما يأتي :

NP → (D) N

كذلك ، وبشكل مماثل ، نستطيع أن نُعيد كتابة العبارة الفعلية (VP) بعدد مختلف من الطرائق ، فمثلًا يمكن كتابة هذا المكوّن النحوي كفعل مساعد Auxiliary Verb وفعل اعتيادي Verb وكما يأتي :

VP → (Aux) V

بامكاننا ، أيضاً ، أن نُحيل فصائل نحوية فرعية صغيرة الى فصائل نحوية أكثر تفرعاً في قوانين نحوية مثل :

Aux → Tense (Modal)

ان الذي تطرقنا اليه ، آنفاً ، لا يمكن إلا أن يُعتبر تعاملًا ومعالجة أولية لنوع من نُظم القوانين اللغوية التي بمقدورها توليد ابنية صحيحة في اللغة الطبيعية وذلك من خلال استخدام تقاليد واعراف تمثل لغة رمزية أو شكلية كمثال يُحتذى ، ومن أجل توضيح هذا الموضوع ، تمعن في منظومة القوانين النحوية الآتية :

S → NP VP

(عبارة فعلية) (عبارة اسمية) (جملة)

NP → (D) N

(اسم) (اداة تعريف) (عبارة اسمية)

D (اداة) → DEF (تعريف) / INDEF (تنكير)

VP → AUX V (NP)

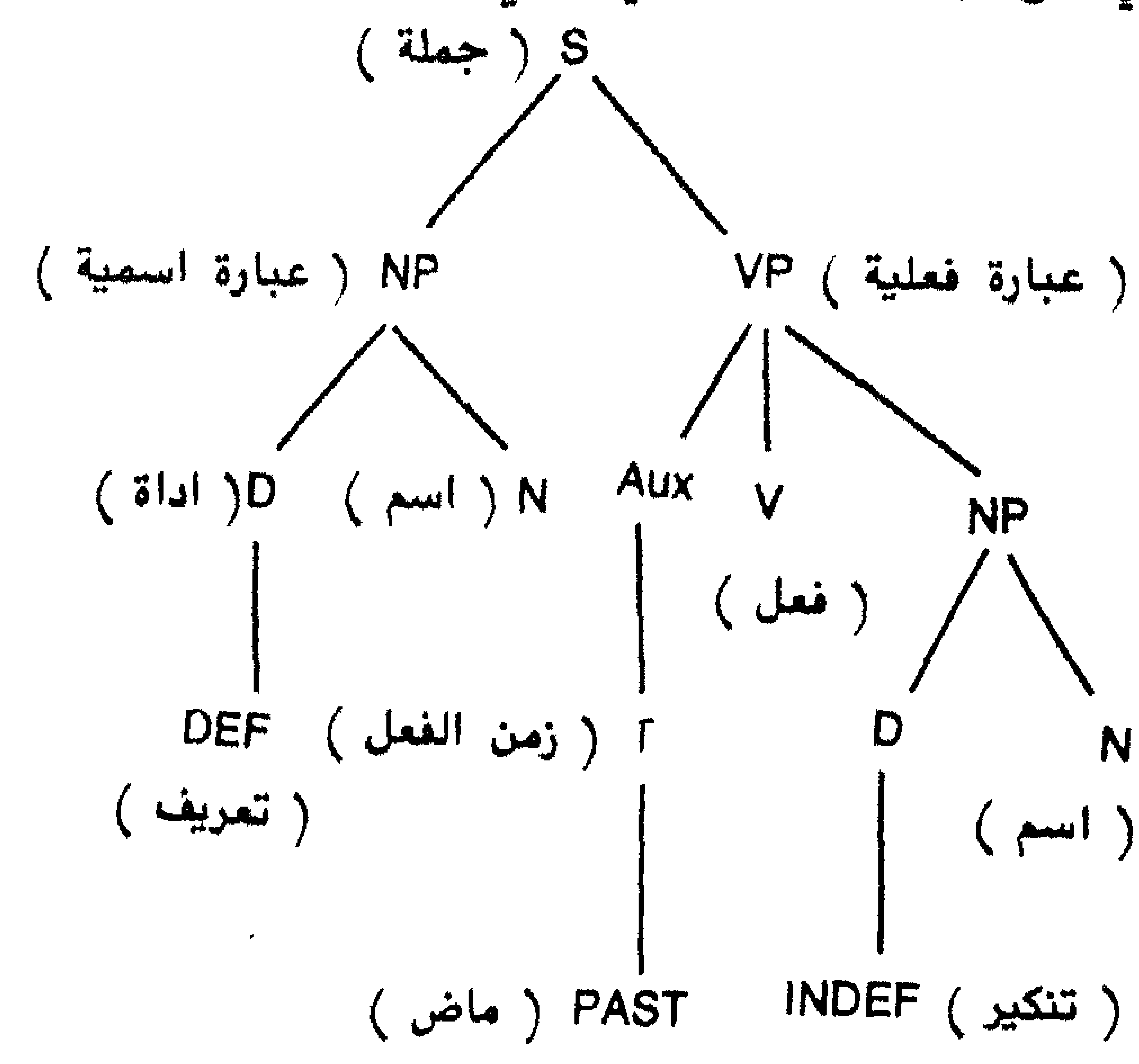
(عبارة اسمية) (فعل) (فعل مساعد) (عبارة فعلية)

AUX → T (MODAL)

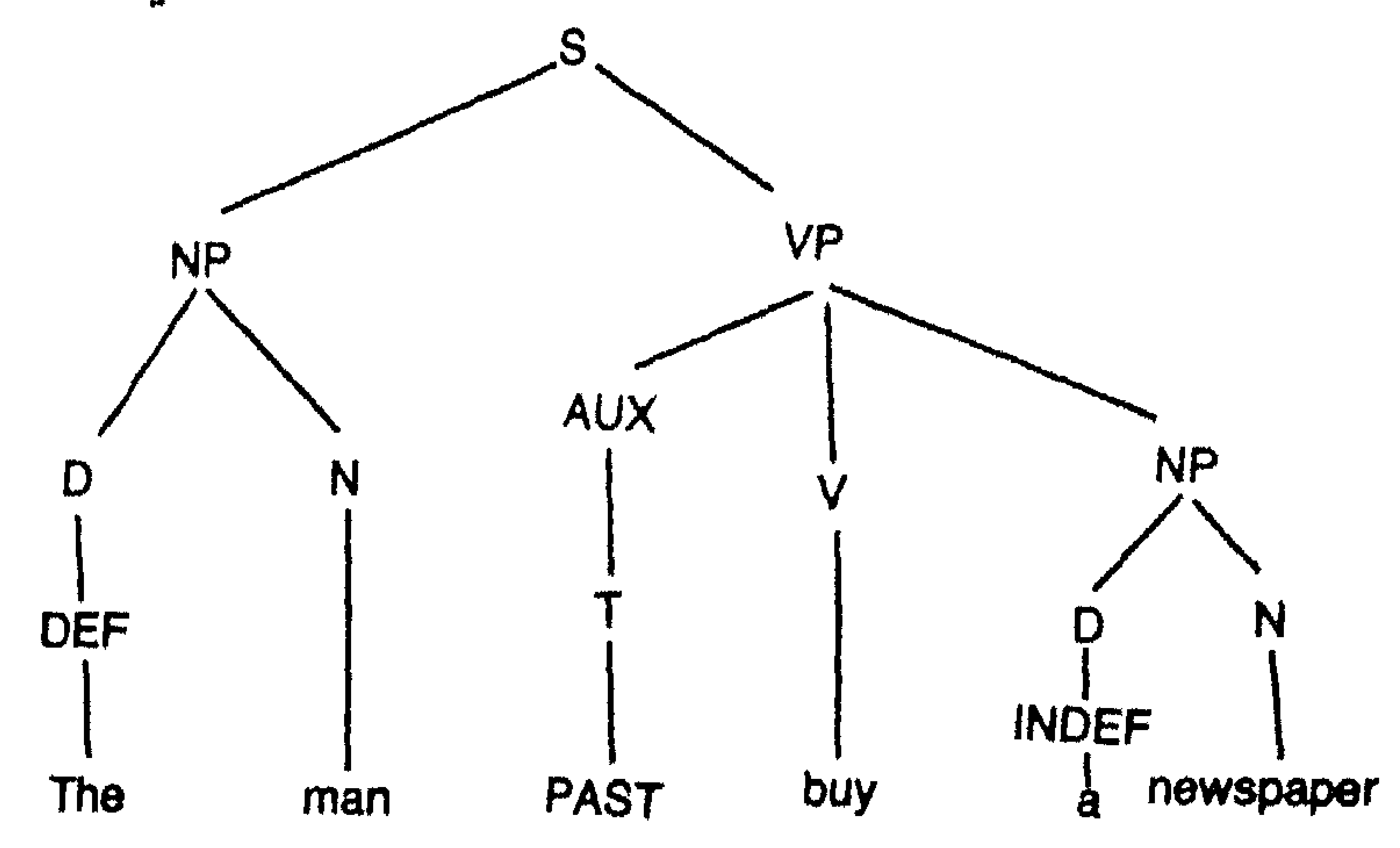
(فعل مساعد يدل على الحالة أو الصيغة) (زمن) (فعل مساعد)

T (زمن) → PRES (مضارع) / PAST (ماضٍ)

حيث يمكن للسهم في المعادلات السابقة أن يعني « يتألف من العوامل الآتية » أو « يشتمل على » ان بامكان مجموعة من هذا النوع من القوانين أن تُرَكَب فتؤدي الى توليد البناء اللغوي الآتي :



فاذا أردنا الآن أن نقرن الكلمات الى هذه الفصائل النحوية فمن الممكن أن نلاحظ وبشكل أكثر وضوحاً كيف يمكن لمنظومة قوانين أن تقوم بتوليد أو انتاج بنئ لغوية باستطاعتنا أن نقول بانها تشكل البنية العميقة للجمل في اللغة الانكليزية :



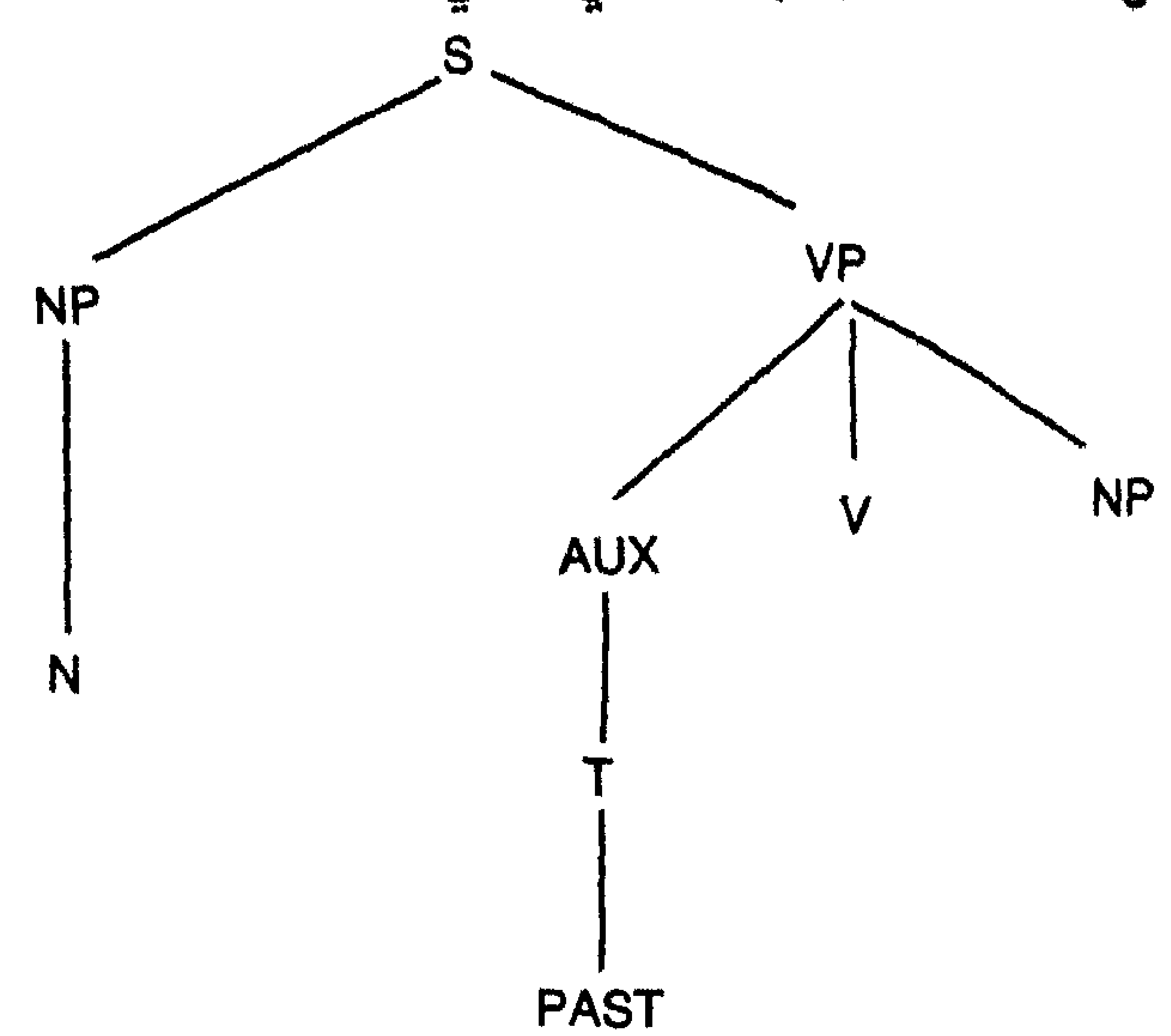
من الواضح ان بالامكان ربط تنوعات كثيرة جداً من الكلمات بالفصائل النحوية نفسها في الشكل اعلاه :

وجد الكلب عظمة . The dog found a bone

اعتقل الشرطي لصاً . The Policeman arrested a burglar

كشف الاستجواب تناقضاً . The inquest exposed a discrepancy

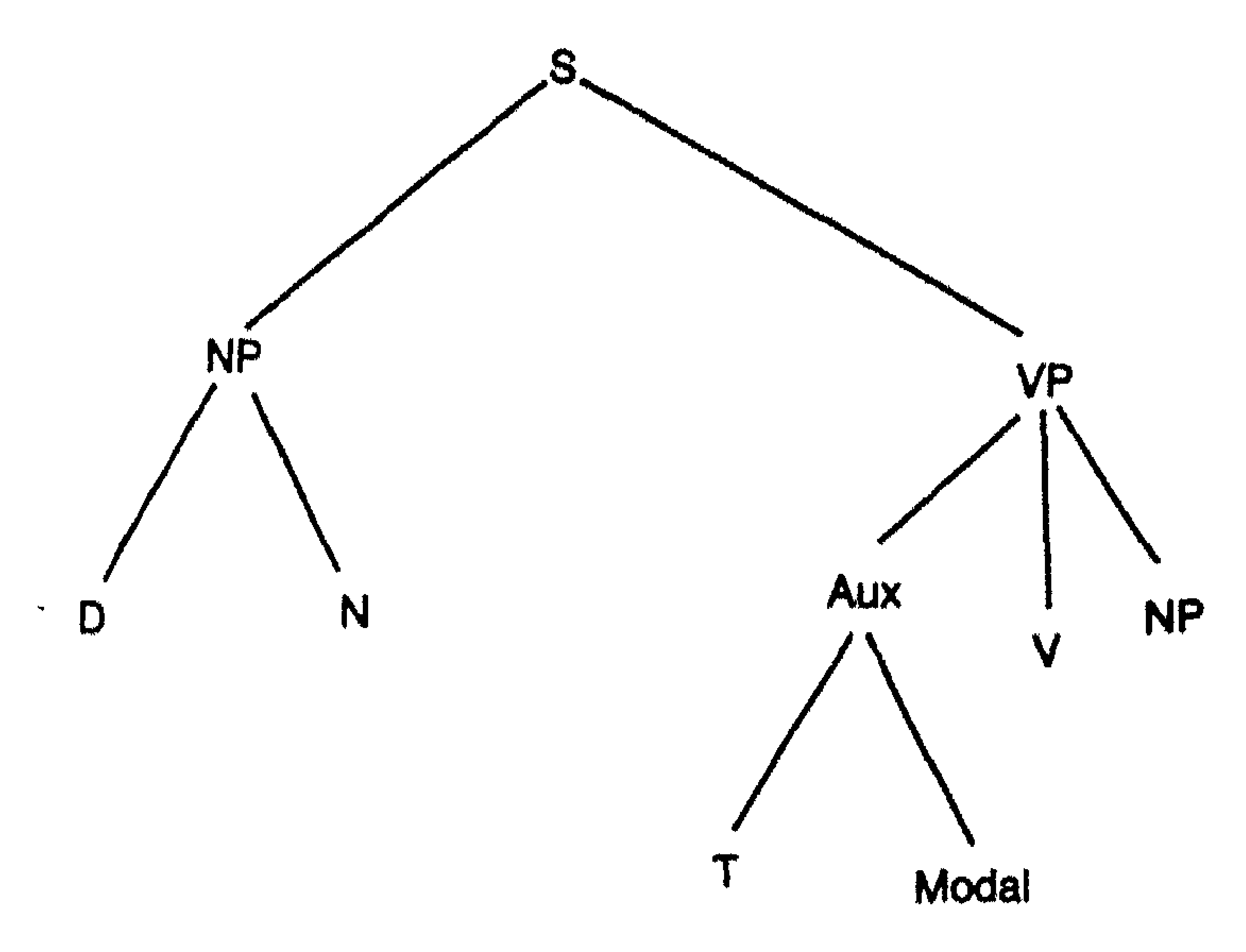
لذلك يمكن أن يقال بأن هذه البنية المتولدة أو المركبة على وفق القانون النحوي المذكور في أعلاه تشكل البنية العميقة لعدد كبير جداً من الجمل في اللغة الانكليزية . كذلك فان بامكان تنوعات كثيرة من التراكيب اللغوية أن تتولد ، في سبيل المثال ، من خلال عدم اختيار الفصيلة النحوية (اداة التعريف الجائزة) التي هي جزء من المكوِّن النحوي NP والتي يُرمز لها عادة بالحرف D ، وبهذا نستطيع أن نولِّد التركيب الشكلي الآتي :



حيث لا نستطيع أن نقرن أداة التعريف الى اسم العَلَم Proper Noun لأنه مخالف لقوانين نحو اللغة الانكليزية ، كما هو واضح في المثال الآتي :

اشترى ماكس صحيفة . Max bought a newspaper

واذا ما تم عكس هذه الطريقة ، يمكن لنا أن نختار الفعل المساعد الدال على الحالة أو الصيغة جوازاً Optional Modal لينتج لنا :



حيث بامكاننا أن نقرن أحد الأفعال المساعدة الدالة على الحالة أو الصيغة في اللغة الانكليزية مثل :

may أو can كما في الجملة الاتية :

يمكن أن يشتري الرجل صحيفة . The man may buy a newspaper

ان كل تركيب Synthesis أو توليد Generation لاية بنية لغوية يمكن أن يُنظر اليه بوصفه مشابهاً ، الى حد ما ، لاي دليل أو اثبات أو برهان منطقي . فكل بنية لغوية متولدة ما هي إلا عملية ميكانيكية Mechanical process تدريجية تتسم بدرجة مطلقة من الوضوح فيما يتعلق بالطريقة التي تم بها توليد هذه البنية . في هذه العملية ، يلعب الرمز S دور بديهية اولى ووحيدة وان صيغ تكوين هذه البنية هي :

$$X \rightarrow Y \text{ (أو) } X \rightarrow Y \quad (Z)$$

حيث تشبه هذه الصيغة قوانين الاستدلال المنطقي ومفهوم القضية Theorem في علم المنطق ، فاذا ما استطعنا أن نضع هذه القضية المنطقية وبشكل يماثل الجملة المقبولة نحوياً Grammatical Sentence في اللغة ، فعندئذ ، يمكننا أن نكتب عبارة ، وهو المطلوب اثباته Q.E.D ، تجاه البنية اللغوية التي تم توليدها . من الواضح ان السؤال المهم جداً ، هنا ، سيكون عندئذ : هل باستطاعتنا أن نربط بين القضايا المنطقية ، التي تعالج مسائل معينة متشابهة تقوم قواعد معينة بتوليدها ، وبين الجمل المقبولة نحوياً في اللغة الطبيعية ؟

لم نتمكن ، حتى الآن ، من الحصول على آلية بامكانها أن تقدم لنا توضيحاً أو تعليلًا لكيفية ربط الكلمات بالفصائل النحوية المناسبة التي يقوم النحو بتوليدها . لقد حدث ذلك بسبب اعتقادنا بأن أكثر المسائل المهمة بهذا الخصوص ما زالت متعلقة على قضية وجود الكلمات في الناتج النهائي للتحليل اللغوي الذي يجري من أعلى الى أسفل Top - To - Bottom والذي يمر بمنظومة من القوانين النظرية . بينما لم ينكر چومسكي انه كان دائم البحث من أجل ايجاد طريقة ما يستطيع بها استبعاد أي احتكام للمعنى اثناء التحليل اللغوي إلّا انه ، مع ذلك ، لم يستبعد الكلمات Words من النحو الشكلي الرمزي الذي أوجده في الفكر اللغوي المعاصر . في قسم آخر من الكتاب الحالي ، سوف نوضح بأن وجود الكلمات في التراكيب اللغوية قد قاد التحليل اللغوي الى اعتماد خفي غير مرئي على علم الدلالة . قبل أن نقوم بمناقشة هذه القضايا الاساسية جداً ، هناك بعض المسائل المهمة التي من الأجدر عدم اغفالها وبخاصة تلك التي تتعلق بدرجة الكفاية العامة للقواعد الشكلية في النظرية من النوع المصوغ بشكل استنتاجي والذي تم عرضه آنفاً .

القضية المهمة التي نودُّ مناقشتها هي : بينما تتسم منظومة القوانين المبسّطة ، من النوع الذي وصفناه في أعلاه ، بكونها كافية وملائِمة لتوليد نطاق معقد ، الى حدٍ ما ، من الابنية النحوية إلّا انها غير قادرة بالتأكيد على التوليد اذا ما وضعت في اطار اشمل لأنها تقف عند انتاج الابنية السليمة والمقبولة في اللغة الانكليزية فقط ، أي انها غير قادرة ، في سبيل المثال ، على توليد ما يدعوه النحاة التقليديون Traditional Grammarians بالجمل المعقدة Complex Sentences . أما الجمل المعقدة هذه فهي تلك التي يمكن تحليلها على أساس انها جمل تحتوي على جِمل اخرى ، فمثلًا ان الجملة :

Max believed that Alice was doing quite well

(يعتقد ماكس بأن أليس كانت تعمل بشكل مُرضٍ جداً) .

يمكن أن تُحَلَل بوصفها جملة معقدة تحتوي على جملة :

Alice was doing quite well ، فمن الواضح ان هذه الجملة المعقدة يمكن أن تكون نفسها جزءاً من جملة أكثر تعقيداً مثل :

Harry thought that Max believed that Alice was doing quite well.

(ظن هاري بأن ماكس قد اعتقد بأن أليس كانت تعمل بشكل مُرضٍ جداً) .

ومن الامور المعروفة والشائعة جداً بين المتخصصين في الحقل اللغوي ان

الجمل المعقدة هي تلك التي تشتمل على جمل وصلية Relative Clauses لذلك فان الجملة :

The man who signed the petition left hurriedly .

(ان الرجل الذي وقّع الالتماس غادر باستعجال) .

يمكن أن تُحَلَل على اعتبار ان الجملة :

(غادر الرجل باستعجال) . The man left hurriedly

تحتوي على جملة :

(وقع الرجل الالتماس) . The man signed the petition

يبدو لنا من الوهلة الأولى بأن ليس هناك من مشكلة خطيرة يمكن أن تواجه جومسكي لكي يقوم بتعديل القواعد والقوانين النحوية التي جاء بها وذلك من أجل أن تُصبح قادرة على توليد جمل معقدة من هذا النوع .

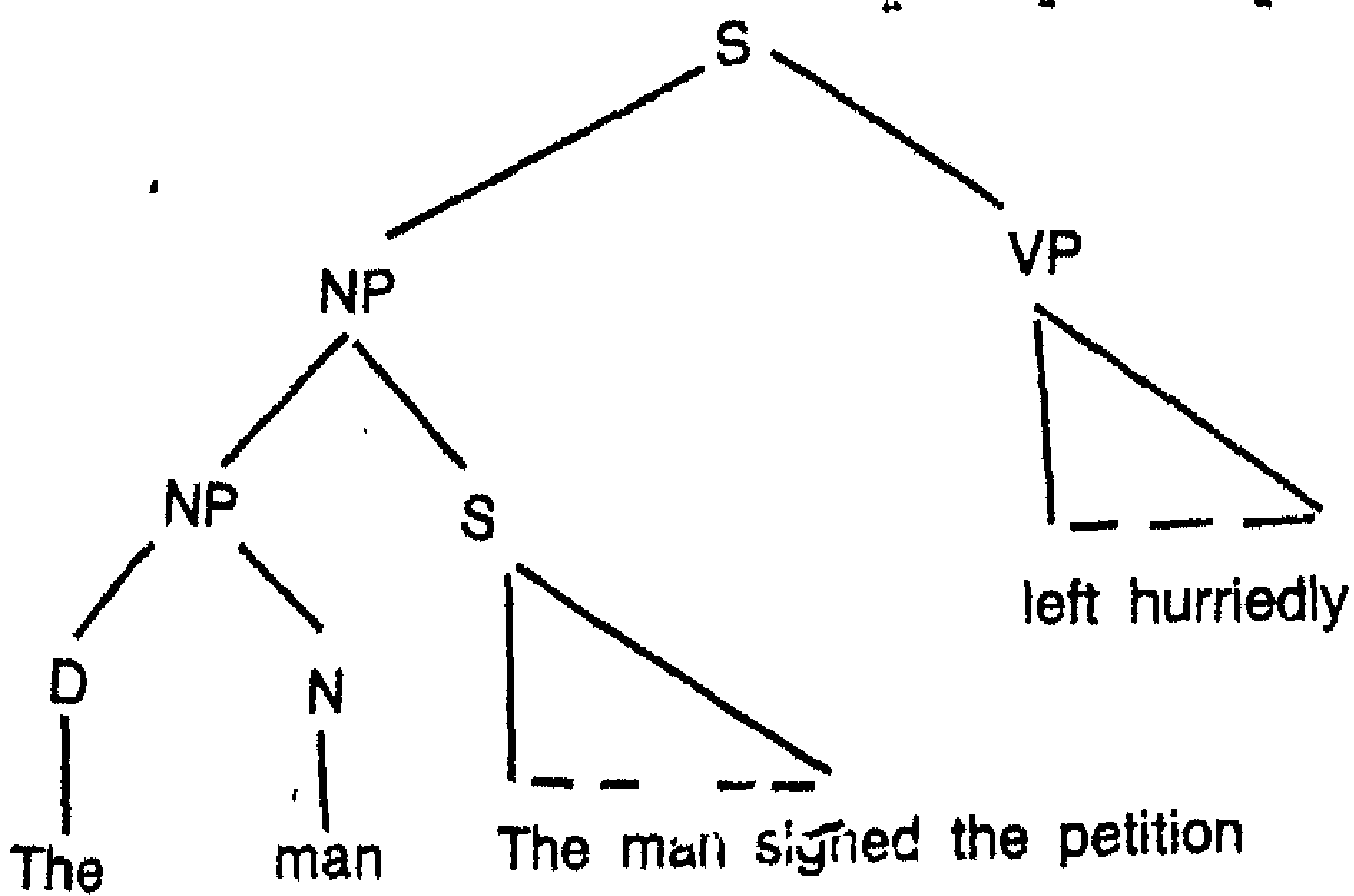
لقد أوضحنا في مثالنا الأول ، بالذات ، القواعد التي يمكن أن تقوم بتوليد سلاسل متعاقبة في اللغة الشكلية والتي هي عبارة عن وسيلة توليدية تكرارية ضرورية لانتاج جمل معقدة كهذه . وقمنا كذلك بتوضيح شمولية الرمز S بوصفه عنصراً يمثل المستوى النحوي الأعلى في التحليل اللغوي وقمنا باستخدام هذا الرمز كذلك على أساس جوازي على اعتبار انه يشكل جزءاً من مكوِّن نحويّ أدنى كالعبارة الاسمية NP كما ياتي :

NP (S)

NP →

(D) N

كما بامكاننا أن نولّد جملًا وصلية من نوع واحد ، كما هو واضح في الشكل التحليلي التوليدي النحوي الآتي :



وبشكل مشابه ، وعن طريق احتواء الرمز S ضمن العبارة الفعلية VP يمكننا أن نحصل على ما يأتي :

VP → (NP) (S)

وبذلك يمكن أن نقوم بتوليد البنية اللغوية الشكلية الآتية :

S

NP VP

N V S

حيث بامكان هذه البنية أن تُصبح الاساس العميق Underlying Structure للجملة :

Max believed that Alice was doing quite well .

في الواقع ، يمكن لاي شخص تعامل مع منظومة القوانين الشكلية التي ابتكرها جومسكي أن يكتشف بأن الصعوبة لا تكمن في توليد البنى النحوية المطلوبة ، ولكن على العكس من ذلك تماماً ، حيث ان المشكلة تكمن في الوسائل التركيبية Synthesising Devices التي تتمتع بكونها ذات امكانات هائلة ، الى الحد الذي تسمح به بتوليد بنى لغوية يمكن أن تكون مسموحاً بها من الناحية الشكلية ولكنها تبدو غير ممكنة الحدوث في اللغات الطبيعية . أما موطن الضعف الآخر الذي تعاني منه القواعد الشكلية ، من النوع الذي قمنا بتوضيحه حتى الآن ، فهو ان هذه القواعد لم توضح بأية طريقة ميكانيكية كانت أو غير ذلك ، طبيعة العلاقة القائمة بين

الابنية النحوية المختلفة . وكما ناقشنا ذلك في الفصل الأول من الكتاب ، لقد اعترف وصفيّو امريكا الشمالية بهذا العيب النظري الفني وعدّوه ضعفاً في قواعدهم اللغوية . إلا ان جومسكي قد استطاع أن ينتزع اعترافاً واضحاً من العاملين في الحقل اللغوي بأنه قد تغلب عليه في انموذجه النظري المقترح . لقد اضاف جومسكي مستوىً وصفياً تحليلياً آخر الى منظومات القوانين والقواعد من النوع الذي قمنا بوصفه آنفاً والذي يُعرف عند النحويين بنحو تركيب الجمل Phrase Structure Grammar أو القواعد النحوية الخاصة بتركيب اشباه الجمل (في النحو التحويلي) Constituent Structure Grammar . لقد اطلق جومسكي على هذا المستوى الجديد في التحليل اللغوي تسمية المستوى التحويلي Transformational Level ، حيث ان وظيفته منصبّة بالضبط على توضيح ما يراه جومسكي توزيعاً

منتظماً Regular Distribution في المواقع اللغوية وذلك عبر بنى التراكيب اللغوية النحوية المختلفة . وهكذا ، اذا ما وضعنا جانباً بعض المناقشات المعقدة حول الاتجاه الذي يجب أن يتبعه الاشتقاق اثناء التحليل اللغوي Direction of Derivation ، يقترح چومسكي بأن التراكيب اللغوية المبنية للمجهول Passive Constructions يمكن أن تُشتق في سبيل المثال ، من التراكيب اللغوية المبنية للمعلوم Active Constructions ، عن طريق قانون تحويلي Conversion Rule يُدعى بالتحويل Transformation . من الطبيعي بأن هذا المستوى من التحليل Level of Analysis يحتاج الى بنية جبرية عميقة خاصة به : وهي عبارة عن وسيلة عرض وتوضيح للشروط الشكلية التي يجب أن تفي بمتطلبات التحويلات التحليلية والشروط الاضافية الاخرى التي تقرر تطبيقاتها اللغوية .

هناك كثير من التفصيلات التي لا تُعد ولا تُحصى والتي يمكن أن تُضاف الى هذا الملخص الذي نقوم به الآن للمنهج النظري Theoretical Approach الذي ابتكره چومسكي حيث بالامكان العثور على مثل هذه التفصيلات في كثير جداً من الكتب المدرسية والمقررات الجامعية والمؤلفات التي ظهرت بسبب البروز الهائل للنظرية التحويلية التوليدية Transformational Generative Theory في اللغة وتطورها طوال سنوات عديدة . ليس في نيتنا ، في هذا السياق ، أن نُعطي تفسيراً توضيحياً تفصيلياً لكل ما قام به چومسكي في الحقل اللغوي وغيره ونشرح الاسس التقنية التي اعتمدها في انجاز مثل هذه الاعمال ، ولكننا في الواقع ، نودّ أن نتطرق الى أو ندرس التاثيرات التي تمخضت عن التزامه الصارم بالنظرية المصوغة بشكل استنتاجي والتي كان لها دور مؤثر على الاتجاه العام لمسارات علم اللغة النظري خلال العقدين الماضيين .

سوف نقوم بمحاولة اظهار حقيقة ان المتطلبات الرمزية للشكل النظري الاختزالي في التعليل اللغوي الذي أدخله چومسكي في علم اللغة قد فرض بعض الأُطر المثالية الصارمة التي يجب على الخصائص الاساسية للغة ان تستبعدها من ميدان النظرية .

سنقوم في القسم التالي من هذا الفصل بمناقشة بعض من هذه الأُطر المثالية ، وبخاصة تلك التي نتجت عن الاختلاف والتباين الحاصل بين علم اللغة النظري وبين الخصائص الاساسية لموضوع بحثه وهو اللغة .

نظرية مصوغة بشكل استنتاجي في المجال اللغوي : مسألة الملاءمة النظرية

A DEDUCTIVELY FORMULATED THEORY FOR LANGUAGE : THE QUESTION OF APPROPRIATENESS

(١) أمثلة الأطر اللغوية : ضرورة ايجاد ميدان نظري مقيّد

IDEALISATION : THE NECESSITY FOR A RESTRICTED DOMAIN

لكي يبني نظرية مصوغة بشكل استنتاجي تكون ذات صلة باللغة الطبيعية ، لم يكن أمام چومسكي أي خيار عدا تبني رأي مقيّد جداً لموضوع دراسته . ومن أجل بناء منظومة قوانين من النوع المرغوب ، احتاج چومسكي الى عدد محدود من العوامل الاولية Primitive Elements . لم تكن هناك فائدة من اللجوء الى علم الدلالة ، طالما ، كما مر معنا في الفصل الأول من هذا الكتاب ، كان چومسكي ، مثله مثل وصفيّي أمريكا الشمالية ، يعتقد بأنه لا يمكن أن يتمخض عن دراسة المعنى ايجاد مجموعة مقيّدة جداً من العوامل الاولية التي يمكن أن تحتاجها النظرية الشكلية . من ناحية اخرى ، تبدو الفصائل النحوية التقليدية Traditional Syntactic Categories سهلة الفهم وممكنة الاندماج في نظرية مصوغة باسلوب شكلي ، لذلك كانت هناك ضرورة نظرية Theoretical Necessity لاعطاء علم النحو هذا البروز في اطار النظرية التحويلية التوليدية في اللغة . يُعتبر هذا الموضوع من الموضوعات المهمة لفهم الاتجاه الذي سار على وفقه البحث اللغوي لدى چومسكي ، حيث انه لم يبحث موضوعيّ فهم اللغة Language Understanding وانتاجها Language Production بطريقة شكلية قبل ـ نظرية Pre - theoretic أو انه قد اختار نتيجة لابحاثه بشكل عام ، الشكل النحوي Syntactic Form بوصفه يمثل اهتماماً لافتاً للنظر أو بوصفه يُظهر مشاكل خاصة يمكن لنظرية مصوغة باسلوب شكلي أن تساعد في حلها . على العكس من كل ذلك ، انه اختار فقط تلك الجوانب من اللغة التي يمكن التعبير عنها ضمن اللغة التي تستخدمها النظرية الشكلية من أجل أن يضعها ضمن الاطار العام لنظريته التعليلية Explanatory Theory . أما الجوانب الاخرى من اللغة ، الجوانب التي تتسم بكونها أكثر أهمية ومركزية في اللغة المستخدمة بالفعل مثل المعنى Meaning والتنغيم Intonation وتوقعات مستخدم اللغة User expectations فلم تكن ممكنة الاختزال الى العوامل الأولية وكذلك لا يمكن اعتبارها

الاساس المطلوب لأية نظرية شكلية من النوع الذي يقوم چومسكي بتطويره . ان النظرية التي تم بموجبها تصغير مساحة ميدان البحث العلمي قد اتخذت أهمية خاصة بسبب اهتمام چومسكي بعلم النفس العقلي الادراكي Cognitive psychology وبشكل خاص ، بسبب المزاعم والادعاءات التي اتى بها چومسكي أخيراً فيما يتعلق بالشرعية النفسية Psychological Validity وليس فقط بتلك التي تتعلق بالصحة والدقة الشكليين والتي يشتمل عليهما الشكل النظري الذي افترضه چومسكي .

ان استبعاد كل جوانب اللغة التي لا يمكن احالتها الى مجموعة من الرموز الشكلية كانت متمثلة في الأمثلة الأولى من المحاولات التي قام بها چومسكي والتي قادت الى تشويه بالغ بدلًا من أن تقود الى توضيح موضوع بحثه في المجال اللغوي . كان من الممكن الشعور بأن عدم الاكتراث بالمعنى يمكن تبريره من خلال افتراض ان تميزاً واضحاً بين المعنى والشكل يمكن الحصول عليه . ليس من قبيل المبالغة القول بأن كان هناك افتراض مسبّق ومطلق حول اعمال چومسكي في مجال اللغويات يتركز على ان مستخدمي اللغة Language Users يمتلكون الفطرة السليمة بشأن الشكل اللغوي Linguistic Form حيث انها متميزة تماماً عن فطرتهم فيما يخص المعنى . لقد سمح هذا الافتراض النظري المسبّق لچومسكي ليس فقط بتبرير تقييد شكله النظري الاصلي في علم النحو ، ولكن سمح له أيضاً بالذهاب أبعد من ذلك من خلال ادعائه بأن شكله النظري قد استطاع توضيح الفطرة اللغوية للشكل Intuition of Form ، وهذا ما يستدعي الحصول على محتوىً تجريبي عملي لاثباته .

غالباً ما يتم التغاضي عن حقيقة ان أعمال چومسكي الأولى التي اتسمت بكونها تمثل الجانب التقني من حياته العلمية ، كانت تركز بشكل واضح على مشكلة محدودة جداً مثل مشكلة توضيح مفهوم « كون الجملة مقبولة من الناحية النحوية في اللغة Grammatical in Language » وبشكل أكثر عموماً ، كان غالباً ما يدافع ، أما بشكل قوي بأن تميزاً بين الشكل والمعنى يمكن أن يتم التوصل اليه أو في بعض الاحيان يدافع بشكل معتدل بأن مضامين تمييز كهذه تستحق أن يتواصل البحث فيها .

لقد اصبح منهج چومسكي في البحث اللغوي أكثر ثباتاً ، لكن مع هذا ، فقد تم اضافة بعد آخر اليه عندما أعيد البحث في الفرضية القائلة بوجوب استبعاد المعنى بالضرورة من ميدان التحليل اللغوي . سوف نقوم في الفصل الاضافي من هذا الكتاب بمناقشة بعض نتائج المحاولات التي جرت لادخال المعنى في اطار النظرية

المصوغة بشكل استنتاجي والتي تم ابتكارها من أجل أن تُعطي تصويراً واضحاً للشكل اللغوي وبطريقة مستقلة عن المعنى . هنا نريد أن نشير الى حقيقة ان المعنى الذي اقترح ادخاله اخيراً في النظرية المصوغة بشكل استنتاجي كان يمثل في الواقع شكلًا مؤمْثَلًا ومُعَدَّلًا الى حد كبير حيث توجب فيه استبعاد كل شيء له علاقة بدرجة التغير في المعنى Variability of Meaning ومرونته Flexibility وصلاته الجوهرية بمستخدمي اللغة . لذلك حتى عند محاولته لتوسيع ميدانه في البحث اللغوي ، أجبرَ جومسكي ، بسبب متطلبات نظريته الشكلية ، على الاحتفاظ برأي محدد جداً في اللغة . ونتيجة لتبني شكل اختزالي في التعليل النظري ، لم يكن جومسكي قادراً على معالجة القضايا الغامضة التي تُحيط فعلًا بالمعنى ، تلك الامور الغامضة التي تنشأ عن كلٍ من صيغة التغير في الوحدات اللغوية Linguistic Units بشكل غير جماعي والدرجات المختلفة في فهم مستخدمي اللغة لأحدهم الآخر .

سنقوم في الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب بمناقشة مفصَّلة لبعض الجوانب الاساسية في اللغة عند الاستخدام الفعلي لها ، ذلك الموضوع الذي تغاضى عنه جومسكي مجبراً .

فضلًا عن ذلك ، كانت هناك تقييدات عامة اخرى نتجت عن تحول متطلبات نظرية اللغة الشكلية إلى وصف اللغات الطبيعية . ان رأي جومسكي في الاسس التي تكوّن تعليلًا علمياً مشروعاً في اللغة قد أجبره ، لكي يُصبح منهجه قابلًا للتطبيق وعملياً ، وليفترض وجود مجموعة من المعارف اللغوية الثابتة والمستقلة والمنتظمة في الأساس العميق لمتكلم اللغة عند الاستخدام اللغوي . لقد دعا جومسكي هذه المجموعة من المعارف الضمنية بالقدرة اللغوية الكامنة Competence . وعلى وفق المعنى التقني للمصطلح Competence وصف جومسكي مستخدم اللغة الذي يمتلك هذه القدرة على انه : « ... متكلم ـ مصغ مثالي ، في جماعة متجانسة تماماً ، تتكلم لغة معينة ، ويكون على علم تام بلغتها ... » ، (٣ : ١٩٦٥ جومسكي) .

بخلق وابتكار هذا الاطار المثالي ، كان جومسكي قادراً على أن يغض الطرف عن حقيقة ان اللغة الفعلية عند الاستخدام تتصف بكونها حيوية Dynamic وتحتوي ، كما هي حالتها دائماً ، على ميزة التفاعل المعقد بين المعرفة التي يمتلكها مستخدم اللغة وبين نواياه واعتقاداته وتوقعاته ، معه ومع أي مستخدم آخر للغة أو بينه وبين الواقع كما يتم ادراكه بشكل منفرد . هناك أسباب للاعتقاد بأن خلق هذه الأطر المثالية في البحث اللغوي كانت وما زالت ذات تأثير توليدي لغوي مضاد . أحد

هذه الأسباب ، هو ان « فرضية الجماعة المتجانسة تماماً والتي تتكلم لغة واحدة تقوم باحداث تشويه فعلى خطير في موضوع البحث اللغوي » . ان لغة أية جماعة لغوية يجب أن تكون بالضرورة غير متجانسة كنتيجة للتنوع الحاصل في مجالي المعرفة والتجربة اللتين يمتلكهما مستخدمو اللغة ، كذلك فان أية نظرية لغوية تحدد بشكلها التعليلي الذي يعمل على أمثلة معطيات اللغة من أجل أن تظهر كانها وحدة متراصة وتتصف بالتناغم والاتساق الكلي الشامل ، لا يمكن أن تشرع في تناول ومعالجة أكثر الاسئلة صعوبة وارباكاً وحيرة مثل : كيف يمكن للغةٍ إحدى أهم صفاتها أن لا تكون متجانسة بشكل كلي ، ومع هذا تبدو كانها تعمل بطريقة اعتيادية في اطار نظري معين ؟(٥) بالاضافة الى ذلك ، هناك نتيجة اخرى تمخضت عن محاولة أمثلة اطار يحتوي على وجود « متكلم ـ ومصغ في جماعة لغوية متجانسة بشكل كلي » وهي الفرضية التي رافقت هذا الاطار والقائلة بأن متكلم اللغة يمتلك « معرفة كاملة بلغته » Perfect Knowledge of his Language ، حيث ان الصعوبة في تقبل مسألة الوصول بهذا الاطار المثالي الى حد امتلاك معرفة تامة باللغة المتكلَّمة ، هي ان هذا الرأي قد وضع مستخدم اللغة في نظام متكامل للغاية ، لذا اصبح من المستحيل أن ننظر الى مستخدم اللغة بوصفه يمتلك بالضرورة معرفة غير متكاملة بلغته وان هذه المعرفة قابلة للتوسع والتطور والتكيف والتنقيح ، بشكل مستمر ، وبدرجات متفاوتة تفي بمتطلبات تجربته بالعالم الخارجي . لقد استبعد هذا الاطار المثالي في امتلاك معرفة لغوية كاملة من ميدان البحث اللغوي ما يبدو لنا شيئاً قريباً من قلب مشكلة التعليل اللغوي ، وهي اننا نتعامل مع موضوع يبدو بالضرورة عند الاستخدام موضوعاً غير تام ويتسم بالنقص في كثير من جوانبه وانه غير متكامل ومفتوح النهايات ولا يسمح إلا ببعض الاطرادات الجزئية(٦).

يتم ، في كل محاولة لايجاد اطار نظري مثالي ، تبني انموذج شكلي في التعليل اللغوي من النوع المصوغ بشكل استنتاجي يستلزم بدوره استبعاد جوانب من اللغة نعدها نحن اساسية لوظيفة اللغة الطبيعية . لم تكن مسالة عرضية أو من قبيل المصادفة القول بأن هذه الجوانب اللغوية تعكس الطريقة التي ترتبط بها في اللغة بشكل حتمي وتشكل جانباً ضرورياً جداً بالنسبة لمستخدم اللغة . ان ما قام به جومسكي في عزل اللغة ، باعتبارها موضوع دراسة مستقلًا ، عن مستخدمي اللغة ، كان مستمراً ، وبشكل ثابت ، ولربما مؤسفاً جداً ، وقد ساعد هذا في تطوير وتركيز الاطار المثالي لنظريته اللغوية ، ذلك الاطار الذي يرقى بتاريخه الى عالم اللغة

السويسري المعروف فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure . اعتقد سوسير بأننا يمكن أن نفصل اللغة عن الأمثلة اللغوية عند الاستخدام ونعدها نظاماً تاماً في ذاته ومتاحاً لكل مستخدمي اللغة .

أما هذا النظام فقد دعاه سوسير باللغة Language أو (النظام اللغوي) الذي يمكن أن يشترك به مستخدمو اللغة[٧].

طبقاً للافتراض القائل بأن من الممكن أن توجد اللغة بغض النظر عن جانبها العملي في الاستخدام ، قاد سوسير علم اللغة في اتجاه اتبعه فيه كثير من العاملين في حقل البحث اللغوي بضمنهم وصفيو امريكا الشمالية وچومسكي واولئك الذين ساروا على هدي نظرية چومسكي في اللغة ، وقد اثبت هذا الاتجاه خلوه من النظرة المعمقة في الطريقة التي تعمل وفقها اللغة ، وقد تسبب هذا الاتجاه أيضاً في اختلاف علم اللغة وابتعاده عن مادة بحثه التي هي اللغة ، وقد عُدَّ هذا الاختلاف مسألة ، تبدو من خلال الادراك المتأخر ، لا يمكن تجنبها طالما انها تشتمل على تجاهل كبير لاسهام التجربة العامة لمستخدمي اللغة في البيئة التي يعيشون ضمنها وتأثيرها في خلق وسيلة اتصال لغوية ناجحة .

ومن أجل تكوين نظرية مصوغة بشكل استنتاجي تظهر بشكل مناسب كنموذج لنظرية تعليلية للغة الطبيعية ، توجب على چومسكي أن يقيِّد موضوع بحثه اللغوي بطرائق عدة ، فقد توجب عليه :

١ ـ فصل الشكل عن المعنى والتركيز على الشكل .

٢ ـ افتراض ، وبشكل مخالف للواقع ، بأن الجماعات التي تتكلم لغة واحدة يمكن أن تكون متجانسة لغوياً .

٣ ـ عزل اللغة كنظام عن مستخدميها .

ان نتيجة هذه التقييدات الصارمة على موضوع البحث اللغوي قد أوضحت بأن نظرية چومسكي لم تكن ، على وفق قواعد الفهم الصحيح ، نظرية لغوية على الاطلاق ، حتى اذا كانت اللغة وسيلة للتعبير ، تتسم بكونها متميزة بفاعلية وتغير مستمرين وتستخدم لأغراض متعددة وهي بذلك نظام غير متجانس ضرورة وليس احتمالًا . في الحقيقة ، ان الذي أربك اولئك الذين يطلعون على اعمال چومسكي في اللغة وبالأخص اولئك الذين بدأوا ، مؤخراً ، الاطلاع على ما كتبه في حقل علم اللغة النظري ، هي الصعوبة الحقيقية ذاتها والتي تتلخص في التفريق بين مصطلحي

النحو Grammar ونظرية اللغة Theory of Language . يتخذ نحو چومسكي Chomsky's Grammar ، أو وسيلة التوليد النحوي التي أوجدها چومسكي من أجل انتاج تسلسلات من الرموز ، مصنَّفة ومحصورة بين اقواس Labelled and Bracketed Sequences of Symbols شكل نظرية مصوغة بطريقة استنتاجية . وبهذا يُصبح من السهل الانصراف عن مناقشة « قواعد لغة » Grammar of Language والتحول الى نظرية لغة دون أن نتذكر وبشكل واضح ان النظرية التي نناقشها كانت مقيَّدة في اصولها ومبادئها لوصف الشكل اللغوي .

عندما كان چومسكي يشير في ايامه الأولى الى نظريته في اللغة كان يجب أن تفهم عبارته هذه ، وبشكل أكثر دقة ، على انها تعنى « نظرية الشكل النحوي » Theory of syntactic Form أو « قواعد لتوليد ابنية نحوية » Grammars for Generating Syntactic Structures ، أو بشكل أكثر اختصاراً « المولِّد النحوي » Syntactic Generator . لم تكن هذه العبارات أيضاً ، غير قابلة لأن تكون مساءة الفهم ، ولكنها بالاحرى قد حولت التركيز والاهتمام من نظرية اللغة الى الموضوع الاصلي الذي يمكن أن يوضح الجوهر الحقيقي لاعمال چومسكي الاصلية في اللغة : توضيح القواعد التي جاء بها چومسكي وتلك القواعد التي تصف هذه القواعد Grammars and Meta - Grammars for Grammars . وكما سنناقش في الفصل الاضافي من هذا الكتاب ، فان محاولات عديدة قد جرت خلال العقدين الماضيين من الزمن لاقتحام هذا القيد الذي فرضته الشكليات التي كان يعمل عليها چومسكي .

لقد تمخض أحد نتائج هذه المحاولات عن اعتبار نظرية چومسكي في الوقت الحاضر أكثر دقة لو انها تُدعى بـ « نظرية في المعرفة اللغوية الصِرفة » Theory of purely Linguistic Knowledge ، مع هذا ، فان الصعوبات ذاتها التي اكتنفت جهوده الاصلية في وصف المفهوم المجرد وتصويره Abstract Notion لعبارة « مقبول نحوياً في لغة » Grammatical in Language أصبحت واضحة ايضاً عند محاولاته التفريق بين « المعرفة اللغوية الصِرفة » وبين الانواع الاخرى من المعارف التي يشتمل عليها استخدامنا للغة[٨]. باختصار ، ان أول الاسس التي نعتمد عليها في الشك في درجة ملاءمة Appropriateness النظرية المصوغة بشكل استنتاجي لدراسة اللغة هو ان نظريات كهذه ، تؤكد على مجموعة من الأطر المثالية النظرية الصارمة بافراط والمفروضة على موضوع البحث في اللغة ، قد شوّهت ولم توضح الاعمال اللغوية . ولدينا بعض الشكوك التي تُعد أكثر خطورة حول ملاءمة النظرية المصوغة بشكل

استنتاجي . لقد نشأت هذه الشكوك ، بشكل ما ، من طبيعة المشاكل التي أصبحت من الموضوعات المركزية بالنسبة للمتخصصين في علم اللغة النظري حينما سلموا جدلًا بأن النظرية المصوغة بشكل استنتاجي تستطيع توفير انموذج مناسب في التعليل النظري في اللغة . كذلك يمكن لهذه الشكوك أيضاً أن تكون قد نشأت ، الى حد ما ، من حالة الافتقار الى الانسجام والتطابق المقنع بين نظرية چومسكي نفسها وبين الميدان المحدود في اللغة التي تدّعي هذه النظرية تعليله . يمكن لهذين النوعين من الشكوك أن يُفهما على انهما يقعانِ ضمن عنوان رئيس هو « تبرير القواعد النحوية » التي ابتكرها چومسكي .

(٢) تبرير القواعد النحوية
The justification of Grammars

لقد كرّس چومسكي في كتاباته مجالًا واسعاً لمناقشة المبررات التي دعته لابتكار الانواع المختلفة من القواعد النظرية الحالية . فقد ميّز في بادىء الأمر بين التبرير الداخلي Internal Justification والتبرير الخارجي External Justification . وقال ان للنحو ما يبرره داخلياً اذا ما كان تعليله للمعطيات مناسباً .

مما لا شك فيه ، ان الدعم الذي يستند الى الملاحظة والتجربة يُعد من المتطلبات الضرورية لكل نظرية علمية . وبناءً على الفرضية القائلة بان التبرير الخارجي لا يُفصح عن أية مشكلة نظرية ، اختار چومسكي أن يركز اهتمامه الفائق على مسائل التبرير النظري الداخلي . تُعدُّ مشاكل التبرير الداخلي ، وبالرغم من كونها جديدة في ميدان علم اللغة النظري ، من الموضوعات التي تشكل ظاهرة لغوية ملازمة ، أو حالة مصاحبة لا مفر من التعرض اليها ، وهي من نوع النظرية المصوغة بشكل استنتاجي ، تلك النظرية التي كان چومسكي يعمل على تطويرها باستمرار .

لقد ظهرت مشاكل التبرير الداخلي الى الوجود بسبب الصعوبة البالغة في تبرير اختيار تكوين أو صياغة نظرية نحوية وتفضيلها على صياغات اخرى مساوية لها في القدرة النظرية حيث يمكن لها أن تولّد سلسلة متكافئة من الجمل المقبولة نحوياً Grammatical Sentences ، وبتعبير آخر ، ان مشكلة التبرير الداخلي مساوية من حيث الصعوبة والاهمية لمشكلة تقويم القدرات النسبية للصيغ المختلفة للقاعدة المصوغة نظرياً ، أو كما كان يُعبّر عنها ، بشكل عام ، بمشكلة ايجاد وسائل تقويم موضوعية علمية للقواعد النظرية المبتكرة .

لقد جادل چومسكي اننا اذا ما استطعنا أن نبني صيغة لقواعد نظرية شكلية معينة بشكل دقيق وعلى وفق المبادىء ذاتها التي طُبقت في بناء القواعد النظرية الناجحة لتفسير نحو اللغات الاخرى فعندئذ تُعد هذه الصيغة أكثر قبولًا للتبرير المنطقي العلمي وأكثر قوة من القواعد التوليدية التي تتلاءم فقط مع نحو لغة واحدة لا أكثر . لقد أسمى چومسكي جهوده التي بذلها لايجاد مبادىء واضحة لبناء قواعد شكلية ناجحة ، تطويراً لنظرية عامة للبنية اللغوية Development of a General Theory of Linguistic Structure ، حيث قصد أن تكون وظيفة هذه النظرية العامة العمل على ايجاد الاطار المنطقي Logical Framework لبناء قواعد خاصة للغات . لقد عُرفت النظرية العامة للبنية اللغوية The General Theory of Linguistic

Structure ، فيما بعد ، باسم النحو الكلي Universal Grammar . فاذا كان النحو أو كما يمكن أن ندعوه بنحو لغة معينة Local Grammar هو عبارة عن مجموعة من نُظم قوانين لغوية لعدد من المستويات تُدعى القدرة على وصف البنية النحوية Syntactic Structure للغة معينة فان النحو الكلي ، من ناحية اخرى ، يقوم بتوفير الاطار العام الذي يهيىء الشروط العامة لبناء القواعد الخاصة بلغة معينة ، ووفقاً لهذا المنهج ، فان المشاكل التي تناولها بالمعالجة علماء اللغة النظريون بدت وكأنها تنقسم الى مستويات مختلفة من التجريد Abstraction النظري . كتب جومسكي في هذا السياق قائلًا : « نعيد باختصار ما قلناه حتى الآن ، نرى بأن البحث اللغوي Linguistic Research له جانبان : فهو يهدف أولًا الى توفير نظرية لكل لغة تتفاعل مع بنيتها (أي مع نحو تلك اللغة) وهو يهدف ثانياً الى تطوير نظرية عامة للبنى اللغوية تكون قادرة على تقديم انموذج نظري متكامل » ، (٨٠ : ١٩٧٥ جومسكي) .

ان البحث من أجل ايجاد تبرير داخلي لقواعد اللغة ، اذن قاد علماء اللغة التوليديين لأن يركّزوا جهودهم على مشاكل بعيدة عن اللغة ، مشاكل لها صلة كبيرة بتطوير أقيسة تقويمية للقواعد الشكلية التي قادت بدورها الى توسيع وتطوير نظرية عامة للبنى اللغوية . أما رأينا فهو ان هناك ضعفاً خطيراً في أعمال جومسكي اللغوية نشأ بسبب انتقاله الى دراسة مشاكل كهذه دون أن يضمن أولًا ان القواعد هذه لها ما يبررها خارجياً . أي انها تُعطي تفسيراً كافياً وواضحاً للمعطيات المعنية . لقد أطلق جومسكي على هذا المتّطلب الاساس تسمية « الشرط الخارجي للكفاية » The External Condition of Adequacy وقد علّق عليه بقوله انه شرط :

« ... لا يمكن أن يُهمل أو ليس هناك من تقييدات على الاطلاق فيما يخص بناء النحو ... » ، (٨١ : ١٩٧٥ ، جومسكي) .

ان شكنا الرئيس في ملاءمة نظرية جومسكي المصوغة بشكل استنتاجي لعلم اللغة ينبع من كونها غير قادرة على أن تفي بمتطلبات الشرط الخارجي للكفاية النظرية Theoretical Adequacy ، وبتعبير آخر ، لم يستطع جومسكي ، أبداً ، أن ياتي بنظام تفسيري مقنع Satisfactory Interpretative System قادر على ربط أنموذجه النظري بمدىً واسع من المعطيات اللغوية .

سيُكرس معظم ما بقي من هذا الفصل للعمل بشكل سريع على موضوع البناء النظري الفوقي المُحكم للنحو التوليدي المتداوَل الآن والبحث باسلوب متانٍ جداً في

موضوع درجة تقبّل النظرية الاصلية للتبرير الخارجي الذي يتمتع بالكفاية النظرية الدنيا .

سنرجع بعد ذلك الى الشكل الاصلي للنظرية بسبب ان التطورات اللاحقة التي جرت عليها قد استطاعت أن تضيف لها وتكملها في جوانب عدة جعلت علماء اللغة يفترضون انها كانت تتمتع بالكفاية العلمية وانهم قد افترضوا كذلك بأنها قد تم اختبارها بمعطيات لغوية ذات صلة وقد اعطت انطباعاً نظرياً مقنعاً .

ان فكرة هذا القسم ، من الفصل الحالي ، هي ان الجهود اللغوية النظرية المبذولة لم تكن تتسم بالصيغة الرسمية ما عدا المراحل المبكرة جداً منها ، وانها كانت في أقصى درجات الجدية عندما كان الانموذج النظري لچومسكي يحتوي على شكل ومضمون نظرية لغوية تعليلية . فاذا ما استطعنا أن نوضح وبشكل مقنع بأن هذه النظرية ، وفي وقت ازدهارها بشكل رسمي ، لم تكن أبداً قادرة على أن يتم ربطها ، وبشكل محكم ، بالمعطيات اللغوية ذات الصِلة وهي بهذا لا يمكن أن توصف بكونها قابلة للاختبار والتحقيق العلميين ، فعندئذ تُصبح مشاكل الاختبار العلمي للاشكال المنقحة اللاحقة لنظرية چومسكي الاقل حسماً ، أكثر تعقيداً وصعوبة الى الحد الذي يكون فيه انموذجه النظري ، باعتباره نظرية تعليلية مصوغة بشكل استنتاجي ، ليس بذي قيمة نظرية تُذكر .

استناداً الى ما جاء به چومسكي ، نسأل عن مدى درجة نجاح القواعد التي جاء بها للايفاء بالمتطلبات الدُنيا للكفاية النظرية أو الايفاء بالشرط الخارجي لها . ففي حالة القواعد النظرية التي أتى بها چومسكي أو ما يسمى بالمولِّد النحوي ، فان الشرط الخارجي للكفاية النظرية قد يكون مقنعاً اذا كان بالامكان وضع هذه التسلسلات من الرموز الموضوعة داخل اقواس والتي تقوم هذه القواعد بتوليدها في أشكال بنائية مشابهة لأشكال الجمل اللغوية في اللغة الانكليزية ، فاذا ما سارت المناقشة بهذا الشكل ، فيمكننا عندئذٍ أن نحصل على اجراء نظري شكلي واضح وحاسم حيث يمكن تقريره بطريقة فعّالة نستطيع من خلالها توضيح مسألة اشتقاق تسلسلات الرموز المقبولة نظرياً ، وعند ذلك يمكن لنا الحصول على توضيح درجة المقبولية النحوية Grammaticality للجمل المكافئة لها في اللغة الانكليزية . ومن أجل أن نجعل هذا النوع من التعليل النظري قابلًا للتطبيق العملي في ميدان النظرية اللغوية ، فان من الطبيعي بل والضروري أيضاً ، أن نكون قادرين على اجراء وتطبيق بعض الاختبارات Tests من أجل ايجاد التكافؤ والتشابه بين الجمل المقبولة نحوياً

في اللغة الانكليزية والتسلسلات الرمزية المسموح بها بنائياً . ان ايجاد هذا التكافؤ ، أو بكلمة اخرى ، ضمان وجود صِلات قوية بين النظرية والمعطيات اللغوية ، قد اتضح انه يشكل ، حقاً ، مشكلة خطيرة جداً . انها مشكلة خطيرة وذلك بسبب ان جذورها لا تكمن في بناء اللغات الطبيعية ولكنها تنبع من محاولة تحويل اللغة الشكلية الرمزية بوصفها انموذجاً تعليلياً الى لغات طبيعية ، وبسبب من الاهمية القصوى للبرهان التجريبي العملي ، فان من الضروري التمييز بين مسألة تثبيت الشرط الخارجي للكفاية النظرية للنحو الشكلي في اللغة الشكلية ، من ناحية ، وترسيخ هذا الشرط للنحو الشكلي في اللغات الطبيعية من ناحية اخرى . لا يمكن للنظرية اللغوية الشكلية ، التي تختبر كفاية النحو الشكلي Adequacy of a Formal Grammar ، أي تعليلها لكي تصبح مبررة بدرجة مقبولة ، ان تشكل مشكلة وذلك لأن ما يُعد تعبيراً سليماً من الناحية اللغوية يتم تعيينه ، في الحقيقة ، بشكل سابق ، لعملية بناء النحو ، وبطريقة مشابهة لامثلتنا التي ذكرناها في بداية هذا الفصل من الكتاب ، فاننا يمكن أن نتساءل اذا كانت مهمتنا منحصرة في ابتكار نحو يكون قادراً على توليد التسلسلات الرمزية الآتية :

aa , bb , abba , baab , aa aa , bbbb , aabbaa , abbbba , ...

وبشكل اجمالي يتم توليد الجمل المؤلّفة من التسلسل الرمزي X متبوعاً بمعكوس الرمز X ، عند ذلك يكون من الواضح بأننا قد اتممنا ، ودون أدنى درجة من الغموض ، بناءً على حالات قد تم تعيينها مسبّقاً ، اختبار ودرجة ملاءمة النحو ، فاذا كان النحو الذي يمكن أن يسمح بتوليد التسلسل الرمزي :

abab فاننا يمكن أن نكون على يقين بأن هذا النحو قد فشل في هذه المهمة ، أما اذا سمح بتوليد التسلسل الرمزي : abab فاننا نعلم والحالة هذه ، بأن النحو قد نجح في مهمته . أما في حالة التعامل مع اللغة الطبيعية ، فانه ما لم يكن هناك قيد قد تم فرضه بشكل كيفي اعتباطي ، لن يكون هناك أي سؤال حول التعيين المسبّق لنوعية الخصائص التي يمكن أن تتوفر في مجموعة من الجمل المقبولة نحوياً في اللغة الانكليزية .

ففي المعنى النظري لمفهوم المجموعة في المنطق ، لا يمكن أن نجد مجموعة من الجمل المقبولة نحوياً في اللغة الانكليزية طالما ليس بمقدورنا أن نحدد هذه المجموعة ، لا بطريقة التعداد Enumeration ولا بطريقة الوصف Description .

ان غياب الشروط المعينة مسبّقاً لما يمكن أن يعد جملة مقبولة من الناحية

النحوية يترك المجال مفتوحاً لعالم اللغة النظري لاستخدام نظرية لغوية شكلية بطريقة غريبة ولافتة للنظر ، على خلاف المنظّر اللغوي الشكلي Formal Language Theorist الذي يُوصف بكونه لا يمتلك وسيلة لاختبار كفاية نظامه النحوي ، فضلًا عن افتقاره لأية طريقة يمكن أن تعلمنا فيما اذا كان نظامه النحوي يعمل بشكل سليم أم لا . ان أحد أوضح الاستنتاجات الطبيعية ، وبخاصة في مجال العلوم التجريبية ، يمكن أن يوحي بأن هناك نفعاً قليلًا في تطوير وتوسيع النظام النحوي ما لم نمتلك ونبتكر بعض المنظومات الملائمة للاختبارات في درجة النحوية اللغوية Tests of Grammaticality قائمة على اساس نظرية رصينة . ليس هناك من أهمية كبيرة لاختبار صحة ما ينتج عن النحو من معطيات لغوية وذلك بسبب عدم وجود طريقة لضبط هذا الاختبار ما عدا استخدام الحدس اللغوي .

ان الذي تُظهره طرائق جومسكي في البحث اللغوي تؤكد على ان الذي قلناه في اعلاه لم يكن استنتاجه الخاص . ففي مؤلَّفيه المهمين « البنى النحوية والبناء المنطقي للنظرية اللغوية » درس جومسكي عدداً من الاختبارات التي يمكن استخدامها في تدقيق صحة نتاج النحو في اللغة . أما الشيء اللافت للنظر فهو ان جومسكي قد رفض هذه الاختبارات باجمعها .

ان الغياب الكلي للاختبارات التي يمكن الاعتماد عليها في ترسيخ مفهوم المقبولية النحوية في الجمل لم يعقـه عن الاستمرار في ابتكار القواعد الشكلية التي سبق وأن تم اقتراحها وتوسيعها لتوضيح الاحكام العامة للمقبولية النحوية للجمل في اللغة الانكليزية . ولعل السبب في عدم اعاقته عن الاستمرار في عمله اللغوي التقني يرجع الى انه كان يهيىء نفسه لاستبدال الاختبارات العامة المستخدمة في مجال التاكد من درجة نحوية الجمل بالاحكام الحدسية Intuitive Judgements التي يُطلقها متكلمو اللغة الام . يبدو ان جومسكي في بدايات حياته العلمية ، في الاقل ، قد اقتنع بأن الاحكام التي يُطلقها متكلمو اللغة على ما يكون أو يؤلف الجملة المقبولة نحوياً قد أعطى مقياساً موضوعياً ودقيقاً بدرجة كافية يمكننا أن نستخدمه للحكم على نتاج النحو في اللغة . ان رفض الاعتبارات العملية والاعتماد على الاحكام التي يُطلقها متكلمو اللغة كانتا تشكلان جوانب مهمة جداً ومؤثرة في الاعمال اللغوية التي قام بها جومسكي وانهما تستحقان أن يتم بحثهما بشكل دقيق .

أما ما سوف نتناوله أولًا فيما يأتي فسيكون موضوع الاختبارات المتنوعة التي

درسها چومسكي من أجل أن تُستخدم للفصل بين الجمل المقبولة نحوياً Grammatical Sentences والجمل غير المقبولة من الناحية النحوية Non - grammatical Sentences في اللغة ، ومن ثم سنشرع في دراسة الاسباب التي دعت چومسكي لان يقتنع بأهمية الاحكام الحدسية فحسب والتي يمكن استخدامها مقياساً دقيقاً في اختبار نجاح النظرية .

اختبارات المقبولية النحوية (١) :
المماثـلة مـع عينـة البحـث اللغـوي
TESTS FOR GRAMMATICALITY (1) :
IDENTIFICATION WITH A CORPUS

اذا ما وضعنا نُصب أعيننا جذور چومسكي في البحث اللغوي المتاتية من أعمال وصفيِّي امريكا الشمالية ، فلا عجب اذا ما رأيناه قد فكر أولًا بامكانية أن تكون مجموعة من الجمل صحيحة البناء النحوي في لغة ما ومتماثلة مع أية عينة بحث لغوية ، مكونة من تعابير وجمل حقيقية حصل عليها عالِم اللغة من خلال عمله البحثي الميداني . لقد رفض چومسكي هذه الفكرة على أساس ان التعابير اللغوية التي تحتوي عليها عينة البحث اللغوي لا تمثل إلا اختباراً اعتباطياً لبعض التعابير والجمل الممكنة الحدوث في اللغة ، لذلك كان النحو المعني فقط بتوليد مجموعة من التعابير اللغوية في عينة البحث فاشلًا وعاجزاً كلياً في مسالة توليد مجموعة غير متناهية ومفتوحة لكل الجمل والتعابير الممكنة في اللغة .

وعلى اساس هذا النمط من التفكير ، يُصبح من الممكن الزعم بان عينة لغوية تحتوي على عبارات وجمل من اللغة الانكليزية ، أو دعنا نقل أية مجموعة من الجمل الانكليزية في الكتب الموجودة في المكتبة العامة في جامعة كمبردج تُعد غير كاملة بسبب اننا يمكن ، وبشكل مستمر ، وعلى الدوام ، أن نفكر في ابتكار جمل جديدة ، نفترض ، بشكل منطقي ومعقول ، بانها غير موجودة في أي كتاب من الكتب التي تحتوي عليها مكتبة الجامعة . ومع هذا ، فمن المهم ملاحظة ان هذا النوع من التفكير يستند على مبدأ دمج تعابير وجمل لغة ما بوصفها مجموعة مفتوحة غير متناهية ، مع مجموعة من التراكيب اللغوية المقبولة في نحو تلك اللغة التي تُعتبر مجموعة غير مفتوحة من الجمل . ان المشكلة هي ذاتها التي نوهنا عنها في الفصل الأول من الكتاب والتي واجهت وصفيِّي امريكا الشمالية ، تلك المشكلة التي فحواها السؤال الاتي : ما الذي يجعل أنموذجاً لغوياً ممثلًا ومعبّراً ، بشكل دقيق ، عن اللغة التي أُخذ منها ؟

ان الجواب الواضح عـن هذا السؤال ، وهو الجواب الوحيد الذي تم اعطاؤه في هذا الصدد ، هو ان الانموذج اللغوي يمكن أن يكون معبّراً عن اللغة التي أُخذ منها عندما لا يُفصح أي انموذج لغوي جديد عن تراكيب من الجمل لم تكن قد وصفت في الانموذج السابق . أما چومسكي ، من ناحية اخرى ، ومن خلال خلطه بين كل الجمل

وجمل اللغة المعنية فقط وبين كل الجمل والتعاقبات المقبولة من الناحية النحوية في اللغة ، فانه اصبح قادراً على أن يهمل مفهوم الملاحظة اللغوية التي تمثل الفطرة السليمة والتي تعني ان كل جملة جديدة لا تحتاج ، في الحقيقة ، الى أن تحتوي على تركيب نحوي جديد . كذلك فقد اصبح بمقدور چومسكي ان يرفض ، وبشكل مطلق ، عينة البحث اللغوي ، وبغض النظر عن حجمها على أساس انها هي السبب في ظهور اختبار لا يتمتع بالكفاية العلمية وانه غير معبّر عن هذه السمة عند فحص ودراسة كفاية القواعد التي ابتكرها . ان هذا الرفض نابع من وعي چومسكي وادراكه بأن أنموذجه الشكلي بحاجة ماسة الى وسائل قادرة على تمكين المتكلم من اشتقاق عدد غير محدود من التعابير والجمل الصحيحة وكذلك توليد انواع معينة من التراكيب النحوية Syntactic Constructions . ان امتلاك وسائل توليدية كهذه يعني بأن منظومات القوانين الشكلية Formal Rule Sysems كانت قادرة ، وبشكل كبير جداً ، على توليد عدد غير محدود من التراكيب النحوية ومن كل الاحجام . ان هذه الميزة التي اتسم بها انموذج چومسكي النظري ، هي التي قادته لان يدّعي بأن من أجل سهولة الوصف وبساطته Simplicity of Description ينبغي أن تعامل اللغات بوصفها نُظُماً غير محدودة على الاطلاق[٩].

اختبارات المقبولية النحوية (٢) :
تماثل المقبولية النحوية مع احتمالية حدوث الجمل في اللغة
TESTS FOR GRAMMATICALITY (2) : IDENTIFICATION OF GRAMMATICALITY WITH PROBABILITY OF OCCURRENCE

لقد قام جومسكي بدراسة اختبار ثانٍ يمكن من خلاله ايجاد نوع من الموازنة بين مجموعة من الجمل المقبولة نحوياً في لغة ما ، وبين تلك التي يكون احتمال ورودها في اللغة كبيراً جداً . لقد رفض جومسكي المساواة بين أن تكون الجمل مقبولة من الناحية النحوية وبين احتمالية ورود جمل ما في اللغة تُقرر بناءً على معايير احصائية تقريبية ، على أساس ان الجمل التي تتميز بكونها متساوية في عدم ورودها في اللغة يمكن مع هذا ، في رأيه ، أن تتميز فيما بينها على أساس درجة المقبولية النحوية . لقد أعطى جومسكي مثالًا في هذا المجال وهو السياق اللغوي الاتي :

I saw a fragile ———— .

رأيت ——— سهل المكسر .

وقد لاحظ بان الكلمات Whale (حوت) و of (من ، بسبب ، عن ، بشأن ... الخ) : « لها تكرار وتوزيع لغويين متساويين (أي صفر Zero) في الخبرة اللغوية الماضية للمتكلم الذي سيكون بمقدوره أن يُدرك بان أحد هذين البديلين ، Substitutions ، لكن ليس الآخر يمكن أن يكمل السياق اللغوي المذكور آنفاً فينتج عند ذلك جملة مقبولة من الناحية النحوية » ، (١٦ : ١٩٥٧ ، جومسكي) .

ان مسالة البديل الصحيح الذي يمكن أن نقرره على أساس توفر الصحة النحوية في التركيب اللغوي سوف تقودنا الى دراسة الاختبار الثالث من اختبارات المقبولية النحوية .

اختبارات المقبولية النحوية (٣) : تطابق المقبولية النحوية مع المقبولية الدلالية للتركيب

TESTS FOR GRAMMATICALITY (3) : IDENTIFICATION OF GRAMMATICAL' WITH' MEANINGFUL

ان الطريقة الثالثة التي درسها چومسكي ، من أجل اعطاء بعض من المحتوى العملي التجريبي Empirical Content لمفهوم « توفر المقبولية النحوية في اللغة » ، هي بشكل عام ، الأكثر شهرة ، حيث تتمركز حول مسالة هل بالامكان لمجموعة من الجمل المقبولة من الناحية النحوية ، في لغة ما ، أن تتطابق مع مجموعة اخرى من الجمل التي تكون مقبولة من الناحية الدلالية Meaningful Sentences ، فاذا كان مفهوم كون الجملة سليمة من الناحية النحوية مساوياً لمفهوم أن تكون مقبولة من الناحية الدلالية فيمكن لنا عندئذ أن نكتفي لتقرير : هل ان الجملة يجب أن يكون لها معنى لتقع ضمن مجموعة الجمل المقبولة من الناحية النحوية في اللغة موضوع الدراسة ؟

لقد رفض چومسكي هذه الفكرة رفضاً قاطعاً ، وللدلالة على هذا ، لقد أستُشهد بالجملة الآتية التي أصبحت مع الوقت سيئة الصيت ، ليس فقط في اطار البحث في حقل علم اللغة النظري ، بل في عموم الفروع الاخرى لهذا العلم :

Colorless green ideas sleep furiously

« تنام الافكار الخضراء التي ليست بذات لون بشكل مهتاج » .

يرى چومسكي ان هذه الجملة لا معنى لها ، ومع هذا ، فهو يعدها مقبولة من الناحية النحوية .

إذن يمكن أن يوضح لنا هذا المسار ، الذي تجري وفقه حجته ، بأن القضية النحوية يجب أن تكون مستقلة عن موضوع الدلالة .

سوف نقوم بدراسة وفحص حجة چومسكي الخطيرة هذه والمهمة جداً ، في آن واحد ، وبشكل تفصيلي . أما في هذا الموضوع فاننا سنقوم فقط بلفت الانتباه الى أهميتها بالنسبة لمكانة چومسكي في مجال الفكر اللغوي .

اذا لم يكن چومسكي قادراً على ايجاد حجة مقنعة في قضية فصل الشكل النحوي عن المعنى فسيكون عمله في مجال البحث اللغوي عندئذ مشكوكاً فيه بعامة . وكما بينت آنفاً ، لقد تم فرض النحو على چومسكي كفرع في ميدان البحث اللغوي علماً بانه لم يكن مهتماً بهذا العلم أصلًا . لقد قدم انموذجاً نحوياً شكلياً ،

فيما بعد ، وقد تبناه ، بشكل دقيق ، وقام بتطويره وتوسيعه خلال الوقت . لقد كان چومسكي واعياً بانه اذا ما تم مساواة توفر الناحية النحوية في التركيب اللغوي مع توفر الدلالة فعند ذلك نكون قد فتحنا ، بعملنا هذا ، مسارب الشك باجمعها ودخلنا في خصوصيات مستخدم اللغة . لم يكن المعنى مفهوماً محدد المعالم وواضحاً ، وسيبقى على هذه الحالة ، ومن أجل أن يفرد مجالًا خاصاً به يتسم بوضوح المعالم بشكل كافٍ ، كما ظن ، وليكون قابلًا للتمثيل الشكلي Formal Representation ، توجب على چومسكي أن يقوم باستبعاد المعنى . مع هذا ، سوف نناقش في القسم القادم من الفصل الحالي ، بأن چومسكي قد اقتنع بالادلة والحجج التي جاء بها فيما يتعلق باستقلال النحو عن المعنى ، ونتيجة لذلك ، تغاضى عن مشاكل مهمة وخطيرة جداً تخص ربط نظريته في اللغة بالمعطيات اللغوية ولذلك لم يكن عمله ، في يوم من الايام وبخاصة في مجال التخصص اللغوي ، راسخ الاساس .

يمكن لنا أن نلخص ما وصلنا اليه الآن من خلال الاشارة الى ان چومسكي قد رفض كل اختبارات توفر الناحية النحوية التي درسها بوصفها غير كافية وغير موفية بالغرض ، وبدلًا من البحث عن اختبارات اكثر ملاءمة وكفاية فقد اختار أن يعتمد على اعتقاده باننا يمكن أن نفترض :

« ... المعرفة الحدسية Intuitive knowledge بالجمل المقبولة من الناحية النحوية في اللغة الانكليزية » ، (١٣ : ١٩٥٧ ، چومسكي) .

ان قرار چومسكي بالاعتماد على المعرفة الحدسية للتوصل الى معرفة الجمل المقبولة من الناحية النحوية كان يدعو الى الدهشة طالما انه كان قد علم بأن :

« ... الحدس Intuition ... كان يمثل سنداً علمياً ضعيفاً للغاية » ، (١٠١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

بما ان الحدس يمثل ، بشكل واضح ، دعماً علمياً ضعيفاً جداً لما جاء به چومسكي فاننا يمكن أن نطرح قضية مهمة جداً ، في هذا المجال ، وهي انه اذا كان بالامكان النظر الى النحو بوصفه نظرية يمكن أن توضح مفهوم أن يكون هناك نحو للغة مستقل عن المعنى بشكل تام ، فعندئذ يمكن أن تكون الخطوة الاولى ، في هذا الشان ، تاسيس نظرية اختبارات مستقلة لقياس توفر الناحية النحوية في التراكيب اللغوية ، وكما اعترف چومسكي نفسه :

« يمكن لبرنامج البحث اللغوي أن يكون أكثر وضوحاً اذا ما استطعنا أن نبين ،

وبشكل عملي ، بأن الحدس اللغوي له ما يماثله في السلوك » ، (١٠١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

ومع ذلك ، وبالرغم من هذا الفهم الواضح لأهمية تكوين اسس عملية مؤكدة لنظريته ، يبدو ان چومسكي قد اقتنع بأن الحدس اللغوي يمكن أن يوفر له قاعدة أمينة بالقدر الكافي . يظهر ان هذا الاقتناع قد تم بناؤه على حالات من الحجج الواضحة التالية :

يدّعي چومسكي وجود مجموعة كبيرة من المعطيات اللغوية التي لا يمتلك متكلم اللغة ، على الاطلاق ، أي شك منطقي معقول حول قيمتها ، بوصفها تمثل جملًا في اللغة الانكليزية ، فاذا ما أخذنا مثالًا كالاتي :

أكل جون فطيرة . John ate a sandwich

وأخذنا شكلًا غير مرتب للجملة ذاتها وكما ياتي :

ate john sandwich a .

فسوف لا يكون صعباً على مَنْ يتكلم اللغة الانكليزية كلغة أم ليحكم على ان الجملة الاولى هي جملة انكليزية صِرفة أما الثانية فلا . ويعتبر چومسكي ، ان هذ التعرف في التوصل الى الحكم الصحيح هو عبارة عن جزء من المعرفة الضمنية Tacit Knowledge التي يمتلكها مستخدم اللغة . اعتقد چومسكي ان معرفة من هذا النوع ، والتي قيل بأن النحو يمكن أن يعكس حالات واضحة منها ، تؤلف مقداراً كبيراً جداً من المعطيات التي لا يرقى اليها الشك والتي تخص الحدس اللغوي Linguistic Intuition لمتكلم اللغة أو تخص متكلم اللغة نفسه ... » ، (٢٠ : ١٩٦٥ ، چومسكي) .

ان المشكلة الصعبة بالنسبة للنظرية النحوية Grammatical Theory كانت ، كما يراها چومسكي ، متمثلة في عدم كفاية النظريات اللغوية المعاصرة في تعليل ما كان جلياً ومحدداً ، أما رأي چومسكي فقد كان : « لم تكن دراسة النحو ولا محاولة تطوير اختبارات مقيّدة ، قد تعرقلت أو تعوقت بسبب الافتقار الى الدليل العلمي المقنع الذي يمكن به تدقيق نتائج البحوث اللغوية التي تم انجازها حتى الآن » ، (٢٠ : ١٩٦٥ ، چومسكي) .

وباسلوب بلاغي يمكن القول بأن ما أشار اليه چومسكي في اعلاه يُعد اسلوباً اقناعياً . قد يوجد مقدار كبير جداً من المعطيات اللغوية التي لا تنطوي إلا على خلاف بسيط بشأن امكانية أن نكون قادرين أو غير قادرين على التوصل الى حكم

فيما اذا كانت جملة ما واردة الوقوع في اللغة الانكليزية أم لا .

ان وجود معطيات لغوية كهذه ليست موضوع نقاشنا هنا ، حيث ان المسألة هي ، ان نظرية چومسكي ، عندما تتحدث عن موضوع تقرير فيما اذا كانت الجملة سليمة البناء النحوي Syntactically Well - formed أم لا ، حيث يتم هذا اما بالاشارة الى جمل يمكن أن تكون ذات معنى وتركيب سليمين، واما الى صياغات عشوائية لهذه الجمل لا تتوفر على أي معنى ولا تحتوي على أي بناء نحوي صحيح ، لا يمكن أن تعطينا أي دليل ، على الاطلاق ، لما يتعلق بوجود ميزة حاسمة لمفهوم أن تكون الجمل في اللغة سليمة من ناحية البناء النحوي . ان هذه القضية يجب أن تكون ، وبشكل خاص ، الحالة التي ينبغي أن يدرسها المنظّر الذي يرغب في ان لا يحتكم الى المعنى في دراسته للشكل اللغوي .

فبالنسبة لچومسكي ، فيما يتعلق بوجود حالات واضحة ذات صلة بعلاقة الدلالة بالنحو ، فانه يعتقد بان من أجل أن تكون هذه الحالات من النوع الذي يمكن الدفاع عنه ، فاننا نحتاج الى كم كبير من المعطيات اللغوية التي يمكن الوثوق بصحتها والتي تتالف من حالات واضحة من الجمل التي تم الحكم عليها بانها صحيحة من ناحية البناء النحوي وبغض النظر عن كونها ذات معنى أم لا . ان الحكم على الجملة بكونها جملة انكليزية أم لا لا تعود علينا بمعرفة من انواع مختلفة جداً . حيث ان العبء والمسؤولية يمكن أن يقعا وبشكل واضح ، على چومسكي ليبرهن ، لا ليزعم فقط ، بان هناك نوعاً من المعرفة تكون خاصة بالمجال النحوي وبالمعنى الذي يرمي اليه دائماً في كتاباته حول اللغة .

فبينما لا يمكن لنا أن نعفو چومسكي من هذه المسؤولية ، نلاحظ ان هناك كمّاً هائلًا من المعطيات اللغوية الصحيحة التي لا ترفع ، كما نرى ، من قيمة الحجة الخاصة به .

ان اعتماد چومسكي عند اختبار انموذجه النظري على مبدأ استقلال الحدس اللغوي لمتكلمي اللغة ، فيما يتعلق بتوفر الناحية النحوية في ابنية الجمل في اللغة الانكليزية ، قد تسبب في ظهور سؤالين مهمين وهما : هل يمكن لمتكلم اللغة أن ينجز ، حقاً ، مهمة التعرف على درجة مقبولية الجمل في لغته وبشكل شامل ؟

وهل يمكن له ، بشكل عام ، وبدون الاعتماد على المعنى ، أن يحكم فيما اذا كانت الجملة في اللغة التي يتكلمها سليمة من الناحية النحوية أم لا ؟ اننا لا يمكن أن نُغالي في تقدير أهمية فحوى هذين السؤالين ، أي فيما اذا كنا قادرين على

التعرف على توفر الشرط النحوي دون الاعتماد على المعنى . فاذا استطعنا أن نوضح الدور الجوهري الذي يمكن أن يلعبه المعنى في الحدس الذي يتعلق بالشكل اللغوي فعندئذ تُعتبر شرعية انموذج چومسكي النظري وصحته من الاشياء التي يمكن أن تُقوّض وذلك لانه سيكون غير قابل للتحقيق أو الاختبار بشكل كامل وانه سيكون مبنياً على أساس غير حصين ويعتمد على متغير يتحكم به مستخدم اللغة . فحالما يتم تقويض الانموذج النظري لچومسكي فان البنية الفوقية المُحكَمة ، التي تم تكوينها على أساس الانموذج النظري الاصلي وعلى ما يسمى بالمحتوى النفسي الذي ادعاه چومسكي في كتاباته التقنية في اللغة ، ستكون عرضة للنقد الشديد ويُعترض عليها ويُشك في شرعيتها .

هل يمكن لمتكلمي اللغة الام أن يُصدروا احكاماً مستقلة عن المعنى حول درجة المقبولية النحوية للجمل ؟

CAN NATIVE SPEAKERS MAKE MEANING - INDEPENDENT JUDGEMENTS OF GRAMMATICALITY ?

لقد ناقشنا حتى الآن ، بانه لكي يكون انموذجه النظري قابلًا للاختبار ، توجب على جومسكي ان يفترض ان متكلمي اللغة يمتلكون حدساً يخص الشكل النحوي ، أو كما كان يُعرف ، وبشكل أكثر عموماً ، حدساً يتعلق بنحوية الجمل في اللغة الانكليزية Grammaticality أو Grammaticalness .

ان هذه المعرفة الحدسية للبناء النحوي في الجملة هي التي يعتقد جومسكي بوجودها مستقلة عن أية اعتبارات تتعلق بمعنى الجملة المطلوب الحكم عليها .

ان الموضوع الاساس لبعض المعطيات اللغوية النقدية التي أوردها جومسكي في المراحل الاولى من مسيرته العلمية مثل :

Coloress green ideas sleep furiously.

كما تحدثنا عنها سابقاً ، كان تاسيس فكرة مفادها انه يمكن للجملة أن تكون فارغة من المعنى لكنها في الوقت نفسه سليمة من الناحية النحوية . اذا كان حكم جومسكي على ما يمكن أن يكون ليس بذي معنى لكنه ، مع هذا ، مقبول من الناحية النحوية ، مسند بشكل عام ، باحكام مشابهة على مستويي الدلالة والنحو كما يُطلقه متكلمو اللغة الام على حالات كثيرة جداً ، عندئذ قد يمكن أن يكون لدينا بعض الأسس المعقولة لافتراض ما كان يشكل ضرورة نظرية Theoretical Necessity ، أعني ، يشكل تمييزاً عاماً بين حدس متكلم اللغة بشأن نحوية الجمل في اللغة وبين الحدس الذي يمكن بوساطته تاشير الاهمية التي تشتمل عليها الجملة . ان أهمية هذا التمييز الذي بقي مسألة مركزية بالنسبة للنظرية التوليدية Generative Theory تكمن ليس في الفصل بين علم النحو Syntax وعلم الدلالة Semantics فحسب ، بل أيضاً في الاسبقية في القيمة التي تمنحها لعلم النحو.

ومن أجل جعل الهدف الأول للنظرية اللغوية التعليلية Explanatory Linguistic Theory يتجسد في اعطاء تفسير مقبول لما يحدث في البناء اللغوي ، يكون مقنعاً كما كان يظهر من خلال كتابات جومسكي ، أصبح من الممكن تبيان كيف يمكن أن تاخذ البنية اللغوية بعضاً من الاسبقية والافضلية على المعنى . من المهم أن نكون

واضحين هنا بأن نوع الاسبقية التي قصدها جومسكي لم تكن اسبقية نفسية أو مؤقتة وانما يمكن تسميتها بالاسبقية المنطقية Logical Priority .

ففي رأي جومسكي تكون البنية اللغوية سابقة للدلالة منطقياً بمعنى انها مطلوبة وضرورية جداً لتوضيح وتعليل المعنى ، كما هو الحال بالضبط لو اننا اردنا أن نوضح عمليات حسابية Arithmetical Operations فاننا والحالة هذه نحتاج الى مفاهيم مثل مفهوم الصفر Zero والعدد Number وبعض المفاهيم الاخرى ، فمن الملاحظ باننا نتعلم كيف يمكن القيام بعملية الجمع Adding والضرب Multiplying والقسمة Dividing والطرح Subtracting دون أن نتعلم أولاً بأن ليس لهذه المفاهيم أية صلة باسبقيتها المنطقية بالمعنى المشار اليه في أعلاه .

يمكن للسؤال التالي أن يشكل الاساس لمسالة فيما اذا كان متكلم اللغة قادراً أو غير قادر على اصدار أحكام مبنية على مبدأ الاستغناء عن المعنى وتقدير درجة المقبولية النحوية للجملة ، السؤال هو : هل كانت فرضية جومسكي في الاسبقية المنطقية للبنية اللغوية على المعنى صحيحة ؟

سوف نبدأ بملاحظة مفادها ان البنية اللغوية هي عبارة عن مصطلح عِلاقي . واذا ما رجعنا الى اعمال جومسكي الأولى ، يكون واضحاً بان العلاقات البنيوية Structural Relations التي كان جومسكي مهتماً بدراستها كانت تلك التي تحدث بين الكلمات التي تتالف منها الجملة فعندما لخص جومسكي ، في كتابه الموسوم بـ « البنية المنطقية للنظرية اللغوية » ، مستويات الوصف اللغوي التي تحتاج اليها نظريته ، كان من الغريب جداً أن يستبعد المستوى الدلالي *Semantic Level* ، ومع ذلك ، فقد تضمنت نظريته مستوىً صرفياً Word Level . لقد قيل الشيء القليل جداً في هذا الكتاب عن خصائص الكلمة في بنيتها العميقة التي يمكن أن تُؤخذ حقيقة اولى . فحالما تُقبل البنية اللغوية بكلماتها التي تؤلف جملة ما كمادة للتعليل اللغوي فان الخطوة الاولى في صياغة الحجة القائلة بأن البنية اللغوية أسبق منطقياً من المعنى يمكن أن تكون من خلال توضيح ان بنية الجملة يمكن أن يتم التعرف عليها دون الاعتماد على معاني الكلمات التي تكوّنها وان العيب الذي يكتنف هذه الحجة هو انها تتطلب منا أن نكون قادرين على اعتبار الجملة وحدة Unit ، ومن أجل عمل هذا ، نحتاج لأن نكون قادرين على تعيين وحدة من الكلمات ذات المعنى Meaningful Words . لا يمكن أن نحصل على جمل دون كلمات في اللغات الطبيعية وهذه مسالة لا جدال فيها . ويعتقد جومسكي باننا اذا اردنا أن نناقش الجمل فاننا

بالضرورة نتعامل مع بنية تخسر كثيرا من قدراتها على الاقناع Persuasiveness حالما نتذكر بان البنية ، بوصفها مصطلحاً علاقياً ، تُشير الى بنية بين كلمات وان هذه الكلمات لها معانٍ ودون كلمات ، فان بنية الجملة لا تعدو أن تكون أكثر من شكل نحوي مجرد Abstract Syntactic Form . فاذا كان چومسكي قد قصد أصلًا اهمال معاني الكلمات عند الحكم على درجة المقبولية النحوية للجمل فيجب عليه ، في هذه الحالة ، أن يستبعد المستوى الصرفي ، بشكل كامل ، من اركان نظريته ، وعند ذلك يمكن لقوانينه أن تكون قادرة على توليد تسلسلات من الفصائل النحوية ، وبتشكيلات متنوعة ، لكن حينئذ ، ولكي نختبر كفاية ناتج النحو ، قد يحتاج متكلم اللغة لان يكون قادراً على الحكم على درجة المقبولية النحوية للجمل ، في سبيل المثال ، السلسلة الرمزية التالية :

D N PREP PREP D N COP ADV ADJ

ولاجل التوصل الى هذا الحكم ، يجب أن يربط الكلمات المناسبة بالفصائل النحوية المذكورة في أعلاه ، حيث يمكن له أن ينجز هذا العمل اعتماداً على معرفته الحدسية الخاصة التي يستقيها من علم النحو التقليدي Traditional Grammar لذلك يمكن له أن يدخل الكلمات الآتية :

The man from across the road is always late

(الرجل الذي يسكن عبر الشارع دائم التاخير) .

يبدو واضحاً حينئذ ، الى حد ما ، باننا قادرون على تقرير فيما اذا كانت السلسلة الرمزية للفصائل النحوية مصوغة بشكل مقبول أم لا من خلال فصل الكلمات عن الفصائل النحوية مرة اخرى ومن أجل أن نعلم فيما اذا كان الحكم حكماً على التعاقب التسلسلي للفصائل النحوية نفسها متميزاً عن الحكم على الفصائل النحوية مع الكلمات التي لا تنفصل أبداً عن معانيها في ذلك التركيب ، يجب علينا أن نكون قادرين على أن نستبدل بشكل عشوائي كلمات اخرى للفصائل النحوية ذاتها ونلاحظ فيما اذا كانت تلك الجمل وُجدت لان تكون أيضاً مقبولة من الناحية النحوية أم غير ذلك . لم يكن هذا ما قد مارسه چومسكي وعمل به ، فاذا ما أمعنا النظر في نتائج تنفيذ هذا الاختبار الصغير والحيوي ، في ذات الوقت ، في استقلال الاحكام التي تخص المقبولية النحوية عن المعنى :

D N PREP PREP D N COP ADV ADJ

That function of of a crumb is around sullen

(عنيد ، كئيب)   (كِسرة من الخبز)

يبدو من غير المحتمل بان يمتلك متكلمو اللغة معرفة حدسية بشان بنية تلك الجملة ، فاذا رغب جومسكي باقناع راوي (مخبر) اللغة بان تلك الجملة تحتوي على سلسلة متعاقبة من الفصائل النحوية المسموح بها والمقبولة من الناحية النحوية فانه يجب عليه أن يُشير بان بنية هذه الجملة تُشبه تسلسلًا من الكلمات التي تؤلف جملة ذات معنى ، وهذا ما فعله جومسكي في جملته المشهورة :

Colorless green ideas sleep furiously

لقد لاحظ جومسكي بان هذه الجملة مقبولة من الناحية النحوية ، وبمقتضى هذا النوع من الجمل التي أعتبرت « افكاراً جديدة وثورية ، يظهر بشكل واضح ، انها لا تحدث في اللغة الانكليزية الاعتيادية إلا نادراً » ، (١٤٦ : ١٩٧٥ ، جومسكي) .

ينبغي أن يكون واضحاً الآن بان الجملة التي تحتوي على معنى معقول هي التي توفر لنا الاسس الصحية لتقرير فيما اذا كانت سلسلة الفصائل النحوية سليمة من الناحية اللغوية العامة أم لا .

ان الاختلاف في الاستجابة للجملتين اللتين تحتويان على البنية النحوية ذاتها لكنهما تتكونان من مفردات مختلفة يُظهر بجلاء بأن الاحكام التي تُطلق على الجمل تُصاغ عادة بالاشارة الى مفردات معينة تُخصص للفصائل النحوية .

تعتبر البنية التي لا تحتوي على مفردات شكلًا نحوياً أو صيغة نحوية ، واذا ما افتقرت البنية الى المفردات اللغوية فانها لا تعد بنية خاصة بجملة في اللغة ، وانها في مثل هذه الحالة ، لا تعدو أن تكون أكثر من صيغة رمزية لجملة ، واذا ما توفرت المفردات اللغوية في بنية ما ، فيمكن أو قد لا يمكن أن تُصبح بنية الجملة معتمِدة على العلاقة التي تنبثق من المفردات ، ونحن بهذا لا يمكن أن نقوم بفصل الكلمات عن المعنى ، فحالما نضمن هذا ونتعامل مع المفردات اللغوية على انها ليست محايدة من ناحية الدلالة يُصبح من الصعب علينا تجنب الاستنتاج الذي مفاده ان الاعتماد على المعنى يُعتبر مسالة جوهرية بالنسبة لتكوين الاحكام التي تتعلق بدرجة المقبولية النحوية للجمل اللغوية . ان ما ذهبنا اليه ، الآن ، يمكن أن يُصبح أكثر جلاءً وبخاصة اذا ما أعدنا تحليل مثال جومسكي السابق : أي الجملة المشهورة :

Colorless green ideas sleep furiously .

التي عدها مقبولة من الناحية النحوية Syntactically Well - Formed . ان الصيغة النحوية التي خصصها جومسكي لهذه الجملة هي :

« Adj Adj N V Adv »

(ظرف) (فعل) (اسم) (نعت) (نعت)

(١٤٦ : ١٩٧٥ ، جومسكي) .

دعنا الآن نستبدل كلمات هذه الجملة ، مرة اخرى ، بكلمات يبدو انها تتناسب مع الفصائل النحوية التي خصصها جومسكي لجملته المشهورة المذكورة آنفاً .

اننا نقوم بهذا من أجل محاولة تقرير فيما اذا كان متكلمو اللغة يحكمون على هذا التسلسل المتعاقب من الفصائل النحوية بوصفه مقبولًا من الناحية النحوية ، بغض النظر عن الكلمات التي تلحق به ، وفيما اذا كان التسلسل المتعاقب نفسه ، بكلمات مختلفة ، يتم الحكم عليه بشكل مختلف أيضاً . تبرز أهمية هذا الاختبار البسيط فيما يلي : فمن أجل أن يكون موقف جومسكي ممكن الدفاع عنه بشكل جدي ، في مسألة استقلال الاحكام ، التي تُطلق بشأن درجة المقبولية النحوية ، عن الاعتبارات التي تخص المعنى ، ينبغي أن يكون الاستبدال بكلمات اخرى غير مؤدٍ الى الاختلاف في نوع الحكم على المقبولية النحوية للجملة بشرط أن تكون هذه الكلمات متلائمة مع الفصائل النحوية لبنية تلك الجملة ، فاذا افترضنا باننا قمنا باستبدال الصفة الاولى First Adj بكلمة Antepenultimate (المقطع الثالث قبل الاخير من كلمة) واستبدلنا الصفة الثانية Second Adj بكلمة Idiosyncratic (خاص بشكل شاذ يتعلق ببنية الكلمة أو الجملة أو اللغة بشكل عام) ، واستبدلنا كذلك رمز الاسم (N) بالكلمة Elocution (فن الخطابة) ورمز الفعل (V) بالكلمة Paragraphs (يفقر : يقسم الى فقرات) واستبدلنا رمز الظرف (ADV) بالكلمة bright (على نحو نَيِّر أو ساطع) فسوف تُعطينا هذه الاستبدالات السلسلة الرمزية اللغوية التالية :

N ADJ ADJ
elocution idiosyncratic Antepenultimate

ADV V
bright Paragraphs

ان هذه الجملة ، اعتماداً على خبرتنا العملية ، تقرأ بشكل غير قابل للاختلاف

أو التغير وبطريقة تنغيم Intonation تُشبه قراءة الكلمات الاعتيادية المدوّنة في قائمة ، وهي الطريقة التي يقول عنها جومسكي بانها خصيصة مميزة لسلسلة من الكلمات الخالية من النحو والتي تفتقر الى الترابط فيما بينها . لكن ما قلناه الآن ، هو بالضبط ما تُعبّر عنه الجملة السابقة بوصفها سلسلة من الكلمات غير المترابطة من الناحية الدلالية ، وكل كلمة من هذه الكلمات يمكن من خلال وعينا ومعلوماتنا في علم النحو التقليدي ، ان تُخصص لها فصيلة نحوية خاصة بها . لاحظ اننا قد خصصنا ، في الجملة أعلاه فصيلة الفعل للكلمة Paragraphs . اننا قد قمنا بهذا العمل بالرغم من ان هذه الكلمة تُستخدم في اللغة الانكليزية « كإسم » لتشير الى معنى « فقرة » من نص أكثر من استخدامها « كفعل » لتُشير الى معنى « تقسيم نص الى فقرات » ، لقد قمنا بكل هذا لتوضيح ان في جملة كـ :

Antepenultimate idiosyncratic elocution paragraphs bright .

والتي تفتقر الى المعنى بشكل كامل ، لا يمكن أن توجد طريقة غير الطريقة الاعتباطية لكي تعتمد لتقرير فيما اذا كانت الكلمة paragraphs قد أُستخدمت كاسم أو فعل طالما ان هذا الحكم أو التخصص يعتمد ، بشكل جزئي ، على المعنى العام للجملة . فاذا عيّنا ، وبشكل اعتباطي ، فصيلة الفعل لهذه الكلمة فعندئذ ووفقاً لرأي جومسكي ، تُعتبر الجملة ، في اعلاه ، جملة انكليزية سليمة القواعد النحوية ويمكن أن يتعرف عليها متكلمو اللغة بوصفها كذلك (أي سليمة من الناحية النحوية) .

أما اذا خصصنا ، من ناحية اخرى ، وبشكل اعتباطي أيضاً ، فصيلة الاسم للكلمة Paragraphs فان الجملة المذكورة آنفاً لا تكون في هذه المرة حسب رأي جومسكي ، سليمة البناء النحوي بالنسبة للغة الانكليزية ، أما رأينا فهو ان متكلمي اللغة الانكليزية لا يمتلكون إلا القليل للادلاء به في كلتا الحالتين فيما يتعلق بدرجة المقبولية النحوية لهذه الجملة الخالية من المعنى طالما انهم يعانون من صعوبة بالغة في تخصيص أية دلالة مناسبة لهذه الجملة أو أي تخصيص نحوي صحيح للجملة ككل على الاطلاق .

ان الذي يمكن أن يقدم لنا دليلًا اضافياً على ان درجة المقبولية النحوية مرتبطة بشكل لا انفصام له بالمعنى هو الجملة التي رفضها جومسكي بوصفها غير مقبولة من الناحية النحوية .

ADJ	ADJ	N	V	ADV
(نـعـت)	(نـعـت)	(اسـم)	(فـعـل)	(ظـرف)

ان اختيار جومسكي لهذه السلسلة الرمزية وحكمه عليها بأنها تمثل بنية لغوية غير مقبولة من الناحية النحوية يبدو واضحاً ولا عيب فيه لكننا من جهة اخرى ، ينبغي لنا أن نستمر ، كما فعلنا سابقاً ، لنرى اذا ما كنا ، من خلال استخدامنا لمعرفتنا التي استقيناها من علم النحو التقليدي عن طريق استبدال كلمات اخرى من فصائل نحوية مناسبة ، نستطيع عكس حكمنا السابق . وكاحدى السلاسل المتعاقبة للمفردات التي يمكن أن تناسب الفصائل النحوية المشار اليها ، آنفاً ، والتي يمكن أن تنجز لنا التأثير المطلوب باستطاعتنا اقتراح التركيب الاتي :

Always dye shirts greenish blue .

« أصبغ القمصان دائماً باللون الازرق الضارب الى الاخضرار » .

الذي بالامكان أو من المحتمل أن يقبله متكلمو اللغة الام باعتباره جملة سليمة من الناحية النحوية ، إلا ان ، مع هذا ، هناك سبباً نحوياً اضافياً جعل حكم جومسكي على الجملة :

Furiously sleep ideas green colorless

مضللًا ، ومن أجل التوصل الى حكم يناسب هذا التركيب ، افترض جومسكي تحليلًا نحوياً للكلمة Sleep (ينام ... الخ) كفعل والكلمة green (اخضر ... الخ) كصفة . فاذا ما أنجزنا مهمة تعيين الفصائل النحوية دونما أية اشارة لهذه المجموعة من الكلمات الخاصة وانما تم انجازها وفقاً لفصائلها النحوية الممكنة ، بشكل منفصل ، عندئذ سيقوم أي معجم لغوي بتوضيح ان الكلمة « Sleep » يمكن أن ترد أيضاً « كاسم » في اللغة وان الكلمة « green » يمكن أن تكون « صفة » أو « اسماً » أو « فعلًا » وفي هذه الحالة يكون من الممكن تحليل الجملة :

Furiously sleep ideas green colorless

كسلسلة من الرموز الاتية :

ADV	N	N	V	ADJ
(ظـرف)	(اسـم)	(اسـم)	(فـعـل)	(نـعـت)

أما الآن فان بامكاننا أن نختبر فيما اذا كانت هذه السلسلة الرمزية المتعاقبة مقبولة من الناحية النحوية أم لا ، أي كما حصل بالضبط عندما اختبر جومسكي جملة :

Colorless green ideas sleep furiously ، أعني من خلال رؤية فيما اذا كان بالامكان ابتكار جملة مماثلة تحتوي على كلمات تنطبق عليها تلك الفصائل النحوية

ولا يقرأها متكلمو اللغة الام بطريقة تنغيمية Intonational وكأن هذه الكلمات مكتوبة على قائمة ولا رابط بينها ، وانهم يحكمون عليها بوصفها جملة مقبولة من الناحية النحوية ، فاذا ما درسنا الجملة الآتية :

Inevitably newspaper people appear tactless

« يبدو ان رجال الصحافة يتسمون بافتقارهم الى اللياقة على نحو لا يمكن اجتنابه » .

فاننا نستطيع أن نمثلها بسلسلة الفصائل النحوية الآتية :

ADV	N	N	V	ADJ
(ظـرف)	(اسـم)	(اسـم)	(فـعـل)	(نـعـت)

وانها تكون واضحة بشكل لا يقل عن درجة وضوح الجملة :

Colorless green ideas sleep furiously .

وانها جملة انكليزية مقبولة من الناحية النحوية .

وان القضية المهمة التي تبرز هنا ، مرة اخرى ، هي ان الاحكام التي يتم تكوينها بشأن المقبولية النحوية للجمل لم تحصل بشكل مستقل عن الكلمات التي ترد في سلسلة الفصائل النحوية ـ من الممكن القول بأن الفصيلةَ النحوية التي يمكن أن تُخصص لكلمة في سياق لغوي تقررها بشكل كبير العلاقات التي يرسخها وجود كلمات اخرى في ذلك السياق كما هو الحال بالنسبة للعلاقات النحوية Syntactic Relations من مثل مفعول به Object وفاعل Subject . ليس هناك من عالم نحو واحد Syntactician يعتقد بان الفاعل والمفعول به في جملة يمكن أن يُعدّا خصيصتين لوحدات لغوية تقع خارج اطار الجملة . وبشكل مماثل ، ان تخصيص فصيلة نحوية للكلمات « green » أو « Sleep » في جملة تقعان فيها يعتمد على فهم علاقاتهما الدلالية Semantic Relations مع الكلمات الاخرى في الجملة ذاتها . يتم انجاز تخصيص كهذا عن طريق الحدس الدلالي Intuition of Meaning .

يبدو ان منهج چومسكي في البحث اللغوي النظري قد افترض ان الفصائل النحوية للكلمات يمكن أن تُعيَّن بشكل مسبَّق . لذلك ، اذا كان لدينا سلسلة من الفصائل النحوية سليمة البناء من الناحية اللغوية ، بشكل ثابت ، عند ذلك ، يجب على چومسكي أن يفترض بان أية كلمات اخرى تنتمي الى الفصائل النحوية الملائمة يمكن أن تُستبدل دون أن يؤثر ذلك على درجة المقبولية النحوية للجملة .

لكن اذا كان بالامكان للكلمات أن تُخصص ، بشكل عام ، لعدد من الفصائل

النحوية فان النتيجة ستكون عد أية قائمة فعلية من الكلمات مكونة لجمل تتسم بكونها مقبولة من الناحية النحوية . اذا كانت الاحكام التي نكوّنها بشان درجة المقبولية النحوية في تسلسلات الفصائل النحوية غير ممكنة الصياغة دون تعيين كلمات لهذه الفصائل النحوية ؛ فيبدو عند ذلك بأننا يجب أن نتعرف على حقيقة ان هذه الاحكام التي تتعلق بالمقبولية النحوية التي تتميز وتختلف عن الاحكام التي تكوّن عادة بشان تسلسلات الكلمات والمعاني ، من الاشياء التي يستحيل الحصول عليها . يمكن أن نختتم حديثنا بالقول بان چومسكي يعزو الى متكلمي اللغة قدرة لا يمتلكونها ، وهي قدرة التفريق بين الجمل سليمة البناء النحوي من تلك التي لا تحتوي على هذه الخصيصة دونما أي اعتماد على المعنى .

ان ربط الكلمات بفصائلها النحوية الخاصة بها يقودنا بالضرورة الى الاهتمام بالاعتبارات الخاصة بالمعنى حيث ان هذه الاعتبارات فقط هي التي لا يمكن تجنبها أو اهمالها . يبدو لنا بان الكلمات Words تمثل عَقِبَ أُخْيَلْ الخاص بچومسكي Chomsky's Achilles Heel ، أي الموقع غير الحصين في ابحاثه النظرية في اللغة بشكل عام . فاذا ما كان المعنى يلعب دوراً مقرراً وحاسماً في التحليل النحوي Syntactic Analysis كما رأينا ، فعند ذلك ، لا يمكن أن يُقال ، وبشكل منطقي ، بأن علم النحو يسبق علم الدلالة في التدرج أو الاهمية . لذلك ، اذا ما رجعنا الى سؤالنا الاصلي ، سيبدو لنا واضحاً جداً بان متكلمي اللغة غير قادرين على تكوين احكام تخص درجة المقبولية النحوية وبشكل مستقل عن المعنى . ان هذا يُضعف ، وبشكل جدي وخطير ، مفهوم وثاقة الصلة Relevance مع انموذج چومسكي النظري المصوغ بشكل استنتاجي بسبب انه اعتمد ، من أجل أن يكون قابلًا للاختبار بشكل مطلق ، على الاحكام الشخصية Personal Judgements للأفراد التي تحتوي على مفهوم غامض ومبهم وغير واضح لكنه جوهري في الوقت ذاته ، الا وهو مفهوم الدلالة أو المعنى . لقد عنى غياب اختبارات تتمتع بالكفاية العلمية ، وكون هذه الاختبارات ، لهذا السبب ، غير مناسبة لقياس درجة نحوية الجمل في اللغة ، بان ليس هناك من طريق لتوكيد نتائج البحث بشكل تجريبي عملي حتى في الوقت الذي كانت فيه النظرية اللغوية التي جاء بها چومسكي في أقصى درجات قوتها على ما يبدو .

لقد ظل الانموذج النظري الذي ابتكره چومسكي ، وبشكل مستمر ، تحت رحمة الآراء المتضاربة لمتكلمي اللغة حول مسالة قبول النتائج المتمخضة عنه . يبدو من الصعب جداً ، كما نعتقد ، ان نضخم مسالة الاهمية الاساسية لهذه القضية ، فمهما

كانت التطورات والتوسعات والتعديلات التي جرت على نظرية چومسكي في اللغة ، والتي نحن بصدد مناقشتها ، فان نتيجة كل هذه الامور يجب أن تُختبر في النهاية عن طريق المعارف الحدسية اللغوية لمتكلمي اللغة ، مع هذا ، فقد بقيت ويشكل يدعو الى الأسف ، قضية القدرة اللغوية الحدسية غير خاضعة أبداً للاختبار الحاسم والموضوعي . ان هذا يُعد موقفاً متعجرفاً في موضوع التبرير الخارجي الذي تم الأخذ به في بداية تطوير النظرية والذي حدد ، للأسف ، الاتجاه الذي اتخذه العمل اللغوي . لقد كتب چومسكي مرة يقول :

« اذا ما افترضنا مجموعة من الجمل الانكليزية المقبولة من الناحية النحوية ، فاننا بعد ذلك ، نسأل أنفسنا عن ماهية نوع الوسيلة التي يمكن أن نمتلكها والتي نستطيع بها القيام بانتاج هذه المجموعة من الجمل .. » ، (١٨ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

ينبغي لهذه الفرضية ان لا توجد فان وُجدت وطُبقت على الجانب النظري من البحث اللغوي فانها ستسمح بتكوين ابنية لغوية نظرية شكلية مؤقتة تفتقر الى الأسس التجريبية العملية الرصينة Solid Empirical Foundations .

اغراءات أنموذج چومسكي النظري
THE LURE OF THE MODEL

في هذا القسم من الفصل الحالي ، سوف نبدأ بدراسة موضوع : كيف ان نظرية چومسكي وبالرغم من درجة الضعف الواضحة في اسسها التجريبية ومجالها التطبيقي المقيّد جداً ، تستمر ، مع هذا ، في احتلال المكانة الاولى والمتميزة في حقل علم اللغة النظري أكثر من عقدين من الزمن ، حيث انها أدت الى تقوية وانعاش بل وتنشيط كبير جداً في مجاليْ البحث اللغوي والتعليم ضمن الاطار العام لعلم اللغة وخارج الحقل اللغوي أيضاً . وقد اثارت هذه النظرية قضية اعادة فتح الصِلات بين علم اللغة والفلسفة من ناحية وبين علم اللغة وعلم النفس من ناحية اخرى . من الطبيعي ان عدداً كبيراً جداً من العوامل قد ساعد بل وأسهم بوضوح في هذه الحالة المعقدة الى حد كبير . ومن هذه العوامل ، هناك عاملان يتسمان بأهمية وقيمة خاصتين :

(١)   برنامج البحث المفصّل الذي وضعه چومسكي لعلم اللغة .

(٢)   المماثل النفسي Psychological Analogue الذي أوجده چومسكي وميّز به انموذجه النظري الشكلي .

سوف نقوم في القسم الأخير من هذا الفصل بمناقشة عوامل الجذب والاغراء التي نتجت عن برنامج چومسكي في البحث اللغوي . أما المماثل النفسي فقد كانت له نتائج بعيدة الأثر في البحث اللغوي النظري ، ولذلك فقد كرسنا له كل الفصل الثالث من هذا الكتاب .

برنامج بحث لعلم اللغة
A RESEARCH PROGRAMME FOR LINGUISTICS

ان برنامج البحث الخاص بعلم اللغة ، الذي نتج عن النشاط غير الاعتيادي والمدهش بل والاستثنائي الذي جرى في الولايات المتحدة الامريكية وخارجها ، قد ظهر للوجود نتيجة للآراء الخاصة التي جاء بها جومسكي بشأن العلاقة بين مبدأ التعليل اللغوي والنظرية اللغوية والمعطيات اللغوية في الاطار العام لعلم اللغة . لقد ارتكز هذا البرنامج وبشكل كبير ، على مبدأ التبرير اللغوي الداخلي وتقويم القواعد التوليدية الخاصة بلغات معينة Local Generative Grammars وتطوير نحو كليّ Universal Grammar أو قانون مخطط عام لتوفير القوانين الاساسية Ground Rules لكتابة القواعد الخاصة بلغات محدّدة . فلو كان هناك مجال لتوفر دعم تجريبي عملي Empirical Support واسع الانتشار لنظرية جومسكي ، ولو كان هذا قد حصل بالفعل لاصبح بالامكان تبرير النظرية بشكل خارجي وباسلوب واضح وبطريقة غير خاطئة ، عند ذلك ، قد يكون هذا البرنامج ليس مناسباً فحسب بل وجوهرياً من الناحية الشكلية أيضاً .

ان السبب في هذا يتصل بالمشكلة العامة التي نشأت من التوكيد والتأييد الناتجين عن النظريات المصوغة بشكل منطقي استنتاجي ، فاذا لم يكن لدينا اجراءات تقويم مناسبة تتسم بالكفاية العلمية فان نظريات كهذه تؤدي الى ارتكاب ما يسمى بمغالطة توكيد وتثبيت النتيجة الطبيعية . ومن أجل أن نرى ذلك بشكل أكثر وضوحاً . دعنا نفترض بأن A هو عبارة عن نظرية منطقية استنتاجية وان B قضية منطقية في هذه النظرية وان التثبت التجريبي العملي Empirical Verification ممكن : تأمل الفرضية المنطقية الآتية : اذا كانت A ممكنة التحقيق والتثبت بشكل تجريبي عملي ، اذن يمكن لـ B أن تكون كذلك . فاذا افترضنا ، من ناحية اخرى ، بأن B لا تمثل حجة منطقية مقنعة بسبب ان ليس لها وجود أو ارتباط بالواقع ، عندئذ يمكن أن نقول : بما ان A يمكن أن تتنبأ بحدوث B وان B غير موجودة بشكل فعلي ، اذن لا يمكن لنا أن نؤكد صحة وجود A . وبتعبير آخر ، عندما لا يمكن لنا أن نؤكد صحة وجود B بشكل تجريبي عملي فان A في الاقل ، والى حد ما ، تكون قضية منطقية مدحوضة . تأمل مع هذا ، الفرضية المنطقية التالية :

اذا كانت A ممكنة التثبت بشكل عملي تجريبي اذن يمكن لـ B أن تكون كذلك . لنفترض الآن بأن B تمثل الحجة المنطقية المقنعة ، اذن ما هي المنزلة التي يمكن

أن تتمتع بها A ؟

نرى ، وعلى نحو يدعو الى الفضول ، بأن دحض Falsification القضية المنطقية للنظرية المصوغة بشكل منطقي استنتاجي يُصبح مسالة مشروعة وصحيحة في الحالة الاولى ، أما توكيد صحة قضية منطقية كهذه فانه يعتبر غير مشروع شكلياً كما في الحالة الثانية . ان المشكلة هي : ان تثبيت صحة وقوع B من الناحية العملية وتوكيدها لا يشكل دليلًا على تفرد صحة وقوع A وهي النظرية التي اشتُقت منها B . لا يمكن للمعطيات اللغوية وغيرها ، المؤكدة بشكل تجريبي عملي ، أن تضمن بأن من خلال نظرية شكلية مصوغة بشكل منطقي استنتاجي ، مختلفة ، شيئاً ما ، عما رأيناه خلال نقاشنا السابق ، حيث نرمز لهذه النظرية بالحرف C ، يمكن أن نشتق B بطريقة مساوية لاشتقاقها في السابق . بتعبير آخر ، اذا كانت B هي الحالة التي نحن بصدد دراستها أي اذا كانت B مؤكدة وثابتة بشكل تجريبي عملي ، فاننا يمكن أن نقول عند ذلك بان A أو C أو D أو أية نظرية اخرى تعد محتملة الحدوث منطقياً . فاذا ما نقلنا هذه الملاحظات المهمة الى النظريات التوليدية Generative Theories في علم اللغة ، واذا ما كان البرهان التجريبي ممكناً ، فعندئذ نبرز لنا مشكلة تثبيت أيٍ من عدد من القواعد النحوية المتنافسة Competing Grammars يعد صحيحاً ، وسيتضح لنا ، وبشكل صادق ، بان نظرية النحو التقليدية هي النظرية الاكثر دقة وتعبيراً عن اللغة .

بسبب من تأثير چومسكي الكبير ، مارس علماء اللغة النظريون ممارستين مختلفتين وهما :

اما انهم وضعوا مشكلة التوكيد التجريبي العملي Empirical Confirmation جانباً واما انهم افترضوا امكانية حلها من خلال تركيزهم على الخصائص الشكلية للقواعد النحوية Formal properties .

لقد وجد علماء اللغة النظريون انفسهم ، ولاول مرة في تاريخ عملهم في هذا الحقل العلمي البحثي ، بأنهم في حالة صراع مع مشاكل تخص التقويم الشكلي Formal Evaluation للنماذج النحوية المجردة Abstract Syntactic Models .

ان الطريقة التي تمت بها مواصلة البحث في هذه المشاكل يمكن أن نعثر عليها في القسم الثاني من برنامج البحث Research Programme : وهو القسم الخاص بتطوير علم نحو يصف القوانين النحوية Meta - grammar أو تطوير علم نحو كلي Universal Grammar من أجل ايجاد اطار عمل نظري شامل يمكن من خلاله كتابة

قواعد نحوية كاملة للغة أو عدة لغات تشترك بصفات عامة . ان رأي چومسكي ، فيما يخص العلاقة بين النحو وبين القوانين النحوية التي تصفه بشكل واضح ، موجود على الصفحة الاولى من كتابه الموسوم بـ « البنى النحوية » Syntactic Structures . حيث يقول :

« يمكن لنا ان نقرر كتابة نظرية لغوية عن طريق تطوير ، يتسم بالصرامة والدقة ، لشكل من القواعد النحوية المماثلة مع مجموعة المستويات التي تحتوي عليها هذه النظرية ، وعند ذلك ، يمكن لنا أن نبحث في امكانية بناء قواعد نحوية من هذا الشكل في اللغات الطبيعية تُوصف بالبساطة والقدرة على الكشف عن خصائص هذه اللغات » ، (١١ : ١٩٥٧ ، چومسكي) .

لقد توجب على الباحثين العاملين في اطار هذا البرنامج العـــام أن يكونوا مزدوجي النظرة بشكل مركّز حيث انهم ابقوا عيناً مفتوحة على القسم الذي يمثل النحو الخاص Local Grammar الذي كانوا يعملون على تطويره ، وعيناً اخرى على حقل دراسة ووصف قواعد النحو Meta - grammar الذي يمكن في الوقت نفسه ان يقوم بايجاد شكل قواعد اللغة واغنائها بشكل عام . كان أحد عوامل الجذب التي وسمت هذا المنهج العلمي هو ان علماء اللغة العاملين في حقل قواعد اللغة التوليدية الخاصة Local Generative Grammars لبعض اللغات الخاصة قد شعروا أيضاً بانهم أنفسهم يساهمون في تطوير علم النحو الكلي ، لذا يبدو عملهم هذا وكأنه ذو فائدة مزدوجة .

ان الصعوبة التي رافقت برنامج البحث هذا ، هي ان المشاكل التي تناولها بالمعالجة ، قد يمكن أن تكون مهمة فقط اذا ما كانت قواعد النحو المختلفة والمتنافسة قد أفصحت عن نفسها من قبل بانها قادرة على أن تفسر وتعلل علمياً مدىً واسعاً ومقيداً من المعطيات اللغوية . وبتعبير آخر ، تلك التي يمكن أن تفي بمتطلبات الشرط الخارجي لمبدأ الكفاية في اللغة External Condition of Adequacy ، مع هذا ، وكما رأينا ، من قبل ، ان المشكلة التي يعاني منها انموذج چومسكي النظري هي انه لم يُعزّز أو يتم التثبت منه تجريبياً ، مع ذلك ، فان هذا البرنامج كان يتسم بالجاذبية العلمية بسبب اعتبارات تخص الشكليات التي احتوى عليها . لقد توجّب على علماء اللغة ، عندما ارادوا تطبيق النظريات التي أتى بها چومسكي ، ان يُتقنوا طرائق مفهومة أو شائعة فقط في أوساط علماء الرياضيات والمنطق لكنها جديدة كلياً بالنسبة لعلماء اللغة . فاذا كان وصفيّو امريكا الشمالية

قد ربطوا علم اللغة بالنظرة الوضعية Positivist View والتصنيفية للعلم Classificatory View فان آراء جومسكي في التوضيح التعليلي Explanation وبناء النظريات Theories Construction والضرورة الشرعية للنظرية Theory Validation ، بدت وكأنها قد تسببت في ايصال علم اللغة الى مستوى العلوم العصرية جداً . وجعله فرعاً من علم متطور ومعقد جداً مشابه لاكثر العلوم هيبة واحتراماً وهو علم الفيزياء النظري Theoretical Physics . لقد مارس هذا التوجه تأثيراً كبيراً لا يمكن أن يعد بأية حال من الاحوال شيئاً مفاجئاً . لم يعد علم اللغة مميزاً بالمدى الذي يحدده حقل العمل الخاص به أو يمكن أن يحدد بالدقة الشديدة التي تتسم بها اجراءاته في الكشف عن الاحكام النظرية في اللغة Discovery Procedures فبدلاً من ذلك ، برزت نخبة جديدة من الاشخاص ، وهم اولئك الذين يمكن أن يتقنوا أو يبدو انهم قادرون على إتقان الشكليات المعقدة Complex Formalisms الضرورية في بناء Construction وتقويم Evaluation القواعد التوليدية Generative Grammars .

ان الدراسات التي نتجت عن برنامج البحث هذا كانت تخصصية بشكل كبير . لقد تناول علماء اللغة ، وبشكل معتاد ، كنقطة انطلاق ، بعض الجوانب الخاصة في حقل النحو الخاص Local Grammar أو حقل علم وصف قواعد النحو ، ودرسوا قدرتها في تناول مديات المعطيات اللغوية . لقد اتسمت هذه الدراسات بكونها صعبة الفهم بالنسبة لاولئك الذين هم خارج اطار الدراسات النظرية اللغوية ، ولقد أضاف هذا الوضع في بعض الاحيان اعتباراً وهيبة لهذا المنهج النظري .

هناك ، كما نعرف ، كثير من الحقول العلمية التي تتسم بالتقنية العالية ، تُوصف بانها ليست سهلة الفهم على غير المختصين . ان المشكلة في ادخال منهج بحثي نظري عالي التقنية ومجرد جداً في علم اللغة ، مع هذا ، يُعد من متطلبات هذا الانموذج النظري الذي قد تمخض عن عمليات أمثلة صارمة جداً ايحاءً بأن ما تم صياغته هو ظل باهت في اللغة موضوع البحث .

نحن نعتقد بان الهيبة التي رافقت الطبيعة التقنية لهذا المنهج النظري قد ساهمت في اخفاء عيوب ونواقص كثيرة كتلك التي اشرنا اليها آنفاً . كذلك فانها قد قادت الى تبنٍّ واسع الانتشار لمفاهيم جومسكي الجديدة دون فهم الاسلوب المنطقي الاستنتاجي ، أحياناً ، في التفسير التعليلي الذي كان يحاول تثبيته .

لقد اتخذ هذا المفهوم في التعليل في علم اللغة ، مع هذا ، وفي الوقت المناسب ، أهمية أكثر خصوصية بالنسبة للباحثين في اطار هذا البرنامج ، وعندما

اضاف جومسكي الى نظريته الشكلية Formal Theory مظهراً نفسياً جذاباً Psychological Gloss تعززت وبشكل سريع الاغراءات التي تضمنها الانموذج النظري الذي جاء به جومسكي . لقد رأى العاملون في الحقل اللغوي أنفسهم منهمكين في تطوير نظرية في البنى اللغوية Theory of Linguistic Structures ، كانت تُعد في الوقت نفسه بمثابة مساهمة فعالة في دراسة العقل Study of Mind . تعتبر الطريقة التي يمكن بها للنظرية اللغوية المبتكرة ان تقوم بتوليد سلاسل من الجمل المقبولة نحوياً والتي أصبحت تُعد بمثابة نظرية في البنية العقلية Theory of Cognitive Structure ، واحدة من أكثر الاحداث غرابة في تاريخ علم اللغة في القرن العشرين . مع هذا ، نتج عن هذا كله تاسيس روابط متينة بين علم اللغة وعلم النفس من جهة وبين علم اللغة والفلسفة من جهة اخرى ، وقد عُدت هذه الحالة وكأنها اعادة تاسيس للعلاقات بين هذه العلوم . وبسبب من الفائدة العامة للتناظر والتماثل اللتين اشتمل عليهما منهج جومسكي في البحث اللغوي وأهميتها في ابقاء نظريته في مقدمة الانتباه النظري فاننا سنقوم بدراسة هذا الموضوع بشكل تفصيلي في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

هوامش المؤلفين

١ - ان غياب منظومة تفسيرية مقنعة Satisfactory Interpretive System في نظرية اللغة التي جاء بها جومسكي والمصوغة بشكل استنتاجي هو الذي قادنا أولاً للارتياب بصحة هذه النظرية .

٢ - يشير جومسكي الى كلمة « Post » بمعنى « بعد » في كتابه الموسوم بـ « جوانب من نظرية النحو » Aspects of the Theory of Syntax . من الجدير بالذكر ، ان جومسكي وباقتراح من هاريس ، بدأ طالب دراسات عليا في جامعة بنسلفانيا اولاً ومن ثم اصبح طالباً في جامعة هارفرد للتخصص في علوم المنطق والفلسفة وأسس علم الرياضيات Foundations of Mathematics .

٣ - من المعتاد عند الاشارة الى المنظومات الشكلية Formal Systems التي يمكن أن تولّد تسلسلات متعاقبة من الرموز وتستخدم مصطلحات ماخوذة من وصف اللغات الطبيعية مثل : لغة Language وجملة Sentence وعلم النحو Syntax حيث يمكن لهذا أن يكون مضلّلاً جداً طالما ان لهذه المصطلحات رنيناً يمكن أن يُوحي بان هناك تماثلات وتطابقات مفيدة بين المنظومات الشكلية واللغات الطبيعية .

٤ - ومن أمثلة التراكيب التي كان بالامكان صيرورتها قابلة للاشتقاق بسهولة من خلال استخدام وسائل جومسكي الشكلية هي التراكيب المستترة ذاتياً Self - Embedded Constructions التي يبدو انها لم تحدث أبداً في اللغات الطبيعية . يُقال في البنية اللغوية بانها يمكن أن تستتر ذاتياً عندما يمكن توليدها ضمن تركيب من نوعها مع الايفاء بمتطلبات وشروط معينة اخرى . ففيما يلي مثلاً ، جملة مستترة ذاتياً :

The rabbit the girl the cat ignored pursued

« تعقبت » « تجاهلت » « القطُ » « الفتاة » « الارنب »

Dropped a glove

« قفازاً » « أسقطت »

ان جملة الصلة Relative Clause التي هي :

The cat ignored the girl

(تجاهلت القطة الفتاة) والتي يُرمز لها في أدناه بالرمز (Rel . S) مستترة ذاتياً في جملة وصل اخرى هي :

The girl Pursued the rabbit (تعقبت الفتاة الارنب) .

يمكن للتراكيب اللغوية المستترة ذاتياً أن تُمثّل بشكل تخطيطي وكما ياتي :

[... [X Y] ...]

S Rel.S Rel.S Rel.S Rel.S S

ان وسائل توليد الجمل بشكل تكراري Recursive Devices التي تم ادخالها ضمن قواعد اللغة التي جاء بها چومسكي تسهل مهمة مضاعفة الجمل المستترة ذاتياً ولاية درجة من العمق اللغوي ، مع هذا ، فان الاستتار الذاتي Self - embedding من الدرجة الاولى أو الادنى من العمق كتلك التي تشكل البنية العميقة للمثال المذكور في اعلاه ، يمكن أن يولّد تراكيب ليس لها ما يُشبهها في اللغات الطبيعية Natural Languages . لقد استفاد الكاتب إيان واتسن Ian Watson من تراكيب كهذه في قصص الخيال العلمي التي قام بتاليفها وبخاصة قصته الموسومة بـ (المستتر) The Embedding ، لا يعني هذا بان هذه القصة يمكن أن تتمخض عما يتناقض مع ما ذهبنا اليه لأن تلك القصة ليس لها صِلة بالواقع .

٥ ـ في البحث المهم والممتع جداً الذي اشترك في كتابته لابوف Labov وهيرزوغ Herzog والذي تم تنقيحه اخيراً (في وقت وفاة لابوف) أكد الكاتبان بان من أجل التوصل الى ايجاد نظرية مناسبة في التغيير اللغوي Theory of Language Change يجب التركيز على ضرورة أن يُنظر الى اللغة ليس باعتبارها شيئاً متجانساً Homogeneous وانما يجب أن يُنظر اليها بوصفها شيئاً يشتمل على تغاير منتظم في الخواص والعناصر « Orderly Heterogeneity » ، (١٠٠ : ١٩٨٨ ، ونريخ وآخرون) .

٦ ـ ان الاجراءات Procedures المتبعة في اشتقاق الجمل في حقل أي نحو شكلي لم يُقصد منها مطلقاً أن تكون قادرة على تمثيل العمليات الديناميكية Dynamic Processes المتضمنة في موضوعي فهم اللغة Language Understanding وانتاجها Language Production وبالرغم من اساءة الفهم التي تُرتكب بحقه من وقت لآخر ، كان چومسكي ولا يزال واضحاً في انه لم يقصد أبداً في نحوه الشكلي الذي أوجده بان يُفهم الرمز S الذي يقع في بداية نظامه التحليلي النحوي الرمزي للغة على انه الرمز الذي يجب الابتداء به في انتاج الكلام في اللغة الطبيعية . كذلك فانه لم يتبنَ الرأي المنافي للتفكير المنطقي والقائل بان المتكلمين عندما يشرعون في عملية الكلام يبدأون بمحتوى الرمز S في اللغة ومن ثم يواصلون مهمتهم من خلال استخدام مجموعات متنوعة من القوانين . وان الاجراءات المستخدمة في الاشتقاقات اللغوية المختلفة والتي تعتمد على قواعد النحو الشكلي تقع دائماً خارج تقييدات الوقت Constraints of Time .

٧ ـ لقد كان سوسير مدركاً بانه بتحديده للغة بوصفها موضوع الدراسات اللغوية بعامة تحتم عليه أن يستبعد « كل شيء يمكن أن يقع خارج نظامها وباختصار ... كل شيء يمكن أن يُعرف بانه علم لغة خارجي External Linguistics . من جانب آخر ، يجب القول بأن علم اللغة الخارجي هذا يمكن أن يتعامل مع اشياء عديدة ومهمة في الوقت ذاته ومنها الاشياء التي

نفكر بها عادة عندما نبدأ بدراسة الكلام Speech » ، (٢٠ : ١٩٥٩ ، سوسير) .

ان الجوانب المهمة في اللغة والتي وضعها سوسير جانباً كانت العلاقات التي يمكن أن توجد بين اللغة وتاريخ الجنس البشري History of Human Race وتاريخ الحضارة History of Civilization ، كذلك فقد أهمل سوسير العلاقات بين اللغة وبين كل المؤسسات الاجتماعية ، بالاضافة الى هذا ، فقد ترك سوسير أيضاً النظر في موضوع غاية في الأهمية ، وهو نشوء ونمو وتطور اللغات الادبية Literary Languages والانقسامات اللهجية Dialect Splitting التي يمكن أن تحدث فيها . وعلى الرغم من رأيه بان « هذا التبسيط التخطيطي Schematic Simplification متناقض مع الواقع كما يبدو .. » ، (١٩٦ : ١٩٥٩ ، سوسير) . إلا ان سوسير قد استمر في اصراره على وجوب وجود فرق واضح بين علم اللغة الداخلي Internal Linguistics وعلم اللغة الخارجي External Linguistics ، يختتم سوسير كتابه الموسوم بـ « فصول في علم اللغة العام » Course in General Linguistics ، والذي تم نشره بعد وفاته ، بجملته المعروفة بشكل متميز .. « ان الموضوع الحقيقي والمتفرد والذي يجب أن يعنى به علم اللغة هو اللغة التي تتم دراستها بشكل لغوي صرف من أجل توضيحها كلغة ليس أكثر » ، (٢٣٢ : ١٩٥٩ ، سوسير) .

٨ ـ لجومسكي بعض التعليقات والملاحظات المضطربة والمتناقضة ، على ما يبدو ، في بعض الاحيان ، بخصوص موضوع الصعوبات التي يمكن أن تواجه عالم اللغة في التمييز والتفريق الواضحين بين « المعرفة اللغوية الصرفة » Pure Linguistic Knowledge وأنواع المعارف الاخرى ، مع هذا ، فان هناك كتابات كثيرة لجومسكي يؤكد فيها مراراً بان المعرفة اللغوية يمكن تمييزها ببساطة « ... عن العوامل الاخرى التي يمكن أن تدخل في موضوع السلوك اللغوي Linguistic Behaviour » ، (١٥٠ : ١٩٧٩ ، جومسكي) .

٩ ـ كتب جومسكي قائلًا :

« بشكل عام ، ان الفرضية التي تقول بان اللغات تتسم بكونها لا نهائية قد تمت صياغتها بهذا الشكل من أجل تبسيط وصف هذه اللغات . فاذا لم يكن النظام النحوي للغة يتضمن وسائل توليد جمل وتراكيب تتميز باللامحدودية الانتاجية ... فان هذا النظام النحوي سيكون معقداً بشكل غير مسموح به . أما اذا كان هذا النظام النحوي متضمناً لهذا النوع من الوسائل التوليدية اللغوية ... فانه سيكون قادراً على انتاج جمل بطاقة غير محدودة » ، (٤ ـ ٢٣ ، ١٩٥٧ ، جومسكي) .

الفصل الثالث

النحــــو والعقـــــل

GRAMMAR AND MIND

« اننا في الحقيقة لا نتعلم اللغة وانما قواعد اللغة هي التي تنمو في عقولنا » .

چومسكي

ليس هناك من شك حول المكانة التي بلغها المنهج الشكلي الذي جاء به چومسكي في حقل علم اللغة ، مع ذلك ، فان هذا لا يكفي لتفسير استمرار أهمية عمله . ومما يدعم هذه الشهرة ادعاء چومسكي بان دراسته للغة تُعد مساهمة كبيرة لدراسة العقل البشري . لقد أحدثت تاملاته النفسية تاثيراً كبيراً ليس فقط في حقلي علم النفس والفلسفة وهي ، على ما نرى ، تفسر بشكل واضح والى حد كبير ، استمرار شهرته .

سنشرع في هذا الفصل من الكتاب بتبيان ان المظهر النفسي الذي أضافه چومسكي لانموذجه الشكلي التعليلي النظري المصوغ باسلوب استنتاجي يعاني ، بالرغم من جاذبيته التي تُثير عادة اعجاب من هم خارج دائرة التخصص في حقل علم اللغة ، من حالات ضعف كثيرة وأنواع عجز عديدة كلها واضحة وجلية للمتخصصين في أعمال چومسكي التقنية .

لم يظهر الرأي الذي يقول بأن النظرية اللغوية يمكن أن تُعد مساهمة في دراسة العقل البشري ، في أمريكا الشمالية ، بمجيء چومسكي الى حقل الدراسات اللغوية ، وذلك لأن عدداً لا يستهان به من وصفيِّي أمريكا الشمالية كانوا قد اعتقدوا بأن أعمالهم وأبحاثهم في الحقل اللغوي كانت تشتمل على قيمة نفسية Psychological Significance . لقد كانت هناك ، في الواقع ، قضية يتكرر النقاش بشأنها ، بشكل دائم ، أدت الى حدوث انقسام بين صفوف وصفيِّي أمريكا الشمالية المهتمين بوضع ومكانة النماذج النظرية في الوصف اللغوي التي كانت حينذاك في طور التطوير . فمن ناحية ، كان هناك عدد من الوصفيين ممن يتميزون بكونهم يجيدون التلاعب بالوصف اللغوي كما هي الحال مع مَن يُجيد اللعب معتمداً على

خفة اليد التي يتمتع بها ، وقد تم اطلاق تسمية Hocus - Pocus أو لغويِّ الالعاب Games Linguists على هؤلاء اللغويين من الوصفيين ، ومن ناحية اخرى ،كان هناك عدد آخر من الوصفيين ممن يسمون أنفسهم باللغويين الباحثين عن الحقائق اللغوية غير الظاهرة God's truth Linguists .

تنظر الطائفة الاولى من الوصفيين الى قواعد اللغة التي يقومون بابتكارها على انها تمثل منهجاً ، لا أكثر ، لوصف الجمل والعبارات التي ترد في عينة البحث اللغوي ، في حين ان الطائفة الثانية من الوصفيين يؤمنون بأن القواعد التي يعملون على ايجادها تمثل أوصافاً للعمليات اللغوية الجارية في دماغ المتكلم . لقد كتب هوكيت قائلًا :[1] « تتشابه العملية التحليلية Analytical Process التي يقوم بها عالم اللغة مع ما يحدث عادة في الجهاز العصبي Nervous System لمتعلم اللغة Language Learner ، وبخاصة في الجهاز العصبي لطفل يتعلم لغته الاولى » ، (١٩٥٧ b: ٢٧٩ ، هوكيت) .

أما موقف چومسكي من هذا الموضوع ، فانه يبدو واضحاً بشكل كبير ، فبينما يتفق مع اولئك اللغويين الذين يبحثون للحصول على بعض من اللمعان والبهرجة النفسية لأعمالهم اللغوية إلّا انه يرفض ، بشكل ثابت ومطّرد ، الادعاءات والمزاعم النفسية الخاصة بعلماء اللغة الوصفيين وذلك باعتبارها لا تتمتع بالكفاية العلمية وانها تفتقر الى المناسبة الموضوعية ، انها عارية كلياً عن الصحة . انه يقول بأن المتطلبات المنهجية التي فرضها الوصفيون على أنفسهم نتيجة لرؤيتهم وفهمهم الخاصين للعلم كانت على خلاف بل ونزاع وتعارض مع أية عمليات يمكن للطفل أن يعتمد عليها أثناء اكتساب المعرفة الضرورية للغته الأم . ليس هناك من سبب للافتراض ، مثلًا ، بأن قد يتبنى الطفل المبدأ الوصفي في الفصل بين المستويات التحليلية في اللغة ويَتّبعه عند اكتسابه للغته ، بل هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الطفل لا يتبنى هذا المبدأ اللغوي . لقد علّق چومسكي على القياس المنطقي الذي أتى به هوكيت بشأن اجراءات اكتشاف الوحدات الصوتية والعلاقات القائمة بينها Discovery Procedures وفيما يخص العمليات التي يتبعها الطفل عادة في اكتساب اللغة Language Acquisition ، قائلًا :

« لكن من الواضح جداً ان الطفل لا يُتقن النظام الصوتي قبل أن ينتقل الى النحو ... فليس من مبرر واحد يسوّغ مسالة الفصل بين المستويات اللغوية مستمد من هذه الاعتبارات »[2] ، (١٩٦٤ a: ١٠٨ ، چومسكي) .

يُصر چومسكي في النص المقتَبس السابق على ان المتطلبات المنهجية التي وضعها الوصفيون لانفسهم ينبغي أن لا تُؤخذ كمكافيء للأوصاف الخاصة بالعمليات التي تتعلق بموضوعي اكتساب اللغة واستخدامها[٢]. سنرجع الى مناقشة هذه الملاحظة المهمة عندما نقوم بدراسة المحتوى النفسي لنظرية چومسكي الشكلية في اللغة .

هناك ، مع هذا ، أسباب أعمق لابتعاد چومسكي عن الادعاءات والمزاعم النفسية التي ادّعى بها بعض وصفيِّي امريكا الشمالية . تستند هذه الأسباب الى الصلات والروابط التي نظر اليها چومسكي على اعتبار انها تقوم بتقوية الصِلة بينهم وبين المدرسة السلوكية في علم النفس التي كانت سائدة في ذلك الوقت .

لقد ناقش چومسكي ، بشكل صارم ومتميز وفعال ، في بحث نقدي مطول نشره في بداية مسيرته العلمية حمل عنوان : « السلوك الكلامي عند سكنر » Skinner's Verbal Behaviour ، المدرسة السلوكية في علم النفس ، حيث وقف ، بشكل كامل ، ضد النظرية السلوكية التي تضع السلوك الكلامي تحت سيطرة الحوافز Stimuli التي يتم اكتسابها والمحافظة عليها من خلال امكانات التدعيم التي تصاحبها .

لقد كان چومسكي على استعداد كامل للاعتقاد المسبَّق بأن التكييف الپاڤلوڤي الفعال ما هو ، في الحقيقة ، إلا عمليات مفهومة جداً لدى السلوكيين وانه لم يكن ليقبل بالتقديرات الاستقرائية Extrapolations لهذه العمليات وبخاصة تلك المتعلقة بالتكييف والتي يتم الحصول عليها عن طريق السيطرة الصارمة التي تسود في المختبر التجريبي Experimental Laboratory أو عن طريق الحالات التي لا يمكن السيطرة عليها مثل حدوث عمليات اكتساب اللغة . ان مفهوم التدعيم النفسي ، بشكل خاص ، الذي يمكن أن يكون ذا محتوى في سياق برامج محددة لأدوات التدعيم ووسائله مثل الكريات الصغيرة من الطعام ، والمسَيطَر عليها بشكل صارم ودقيق ، تُصبح غير ذات معنى في نهاية المطاف وبخاصة خارج المختبرات التجريبية ، أو انها تكون عديمة الفائدة في توضيح وتعليل عمليات اكتساب اللغة ، يقدم چومسكي دليلًا على صحة ما تطرق اليه آنفاً ، حيث يقول :

« ... من الواضح جداً بأن لا يمكن للمعرفة اللغوية أن تظهر من خلال العمليات الاستقرائية Inductive Operations التي تتم خطوة خطوة (التقطيع « تجزئة الكلام » Segmentation والتصنيف Classification واجراءات الاستبدال Substitution procedures والقياس المنطقي Analogy والترابط بين الكلمات في التداعي

Association والإشراط Conditioning الى آخره) أو أن تظهر هذه المعرفة اللغوية من خلال أي نوع آخر من العمليات الاستقرائية التي يتم تطويرها أو مناقشتها ضمن اطار علم اللغة وعلم النفس والفلسفة »[4] (١١ : ١٩٦٧ ، جومسكي) .

ان السبب الرئيس الذي يكمن وراء الهجوم القوي والحاسم الذي شنه جومسكي على آراء من هذا النوع هو ان السلوكيين كانوا يُسقطون من حسابهم الدور الذي يمكن أن تلعبه البنية الداخلية Internal Structure للكائن الحي نفسه في عمليتيّ التعلم Learning والسلوك الحقيقي Actual Behaviour ، وكما كان لاشلي Lashley ، كان جومسكي مقتنعاً بأن البنية الداخلية للكائن الحي تمثل المفتاح الرئيس والمركزي في فهم السلوك البشري . لقد قاد هذا الفهم جومسكي الى محاولة ربط نظريته الشكلية في البنية اللغوية بالمعرفة اللغوية التي يُفترض انها تشكل الاساس العميق لعملية اكتساب اللغة وكيفية استخدامها .

يبدو لنا ان رأي جومسكي في موضوع العلاقة بين نظريات نحو اللغة Theories of Grammar وبين نظريات العقل الانساني Theories of Human Mind يمثل ضفراً معقداً واستثنائياً لاسلاك مختلفة تكوّن شبكة تفكيره حول هذا الموضوع وان محاولة حل تلك الاسلاك وتفكيكها تُعد مسالة غاية في الأهمية وذلك بسبب التاثير الكبير والضخم لعلم النفس التاملي الذي أوجده جومسكي Chomsky's Speculative Psychology والذي مارسه بشكل مركز على موضوع العلاقة المتبادلة بين علم اللغة وعلم النفس والفلسفة خلال ربع القرن الماضي من الزمن . للأسف الشديد ، بالرغم من ان هذا التاثير ، كما سترى ، قد خدم ، دون شك قضية تكوين البداية في تقوية الاتصال بين هذه الحقول العلمية الثلاثة إلا انه كان يمثل علاقة غير منتجة على المستوى العلمي الى حد بعيد ، حيث انها لم تستطع أن توفر لنا أُطراً تفكيرية عميقة أو حتى تعليلات مقنعة . ومن أجل الفائدة العامة ، لقد أثارت هذه العلاقة ضرورة تكوين مفاهيم مجردة جداً للبنى اللغوية وقواعدها ، إلا انها لم تُسفر ، من جانب آخر ، عن القاء أي مقدار من الضوء على العمليات التي تشتمل عليها مسالة تعلم اللغة Language Learning وانتاجها Language Production وفهمها Language Understanding .

سوف نبدأ فيما يلي بمحاولة حل خيوط نسيج العنكبوت التي قام بنسجها جومسكي وبخاصة عندما يذكر بأنه غير مقتنع بالمرة بكل من النظرية اللغوية والنظرية النفسية السائدتين . لقد حاول جومسكي أن يتغلب على بعض دواعي

النقص والقصور في النظرية اللغوية الحالية وذلك من خلال تطوير قواعد شكلية كانت تتسم بالوضوح والصرامة والدقة والشمول الى حد يكفي علمياً لان تقدم أساساً نظرياً أكثر ثباتاً وقوة للعمل النظري النحوي الذي كان يقوم به وصفيّو أمريكا الشمالية .

كذلك فقد حاول چومسكي أن يتغلب على بعض أسباب القصور والضعف التي كانت سائدة في البنية العامة للنظرية النفسية الحالية ، وبخاصة فيما يتصل بموضوع اكتساب اللغة واستخدامها ، وذلك من خلال تركيز الانتباه على البنية الداخلية لسلوك الكائن الحي ونعني به مستخدم اللغة Language User .

لقد قام چومسكي بكل هذا من خلال تساؤله عن الكيفية التي يمكن أن تنظم فيها المعرفة اللغوية المستخدمة في مهمة انتاج وفهم اللغة . ان الشيء الذي يُعد ذا قيمة قصوى هنا هو ان چومسكي قد استطاع أن يجد جواباً ممكناً لهذا التساؤل فيما كان يطوره من القواعد اللغوية المجردة Abstract Grammars بوصفه عالماً لغوياً تقنياً Technical Linguist ، تلك القواعد التي قامت على أساس مجموعة من نُظم القوانين النظرية اللغوية الشكلية . لقد أوحت هذه الأشياء لچومسكي في أن يقدم فرضية لغوية جديدة تتسم بجمال السبك ويقالبها الآسر ، وهي ان المعرفة اللغوية نفسها يمكن أن تتخذ شكل نُظم قواعد توليدية Generative Rule Systems تتم كتابتها بلغة رياضية صِرفة فضلًا عن ذلك ، فانها تُعد نُظم قوانين محددة Finite Systems لها القدرة على توليد نتاج لغوي غير محدود Infinite Output ، وقد شغل چومسكي نفسه طويلًا بتطوير هذا النوع من النُظم والقواعد وبشكل مستقل عن باقي علماء اللغة في العالم .

على الرغم من العيوب والنواقص الخطيرة التي رافقت هذه الفرضية إلا ان جمالها وقوتها اللتين تكمنان في اعتبار ان المعرفة اللغوية مطرّدة بشكل نُظم قواعد توليدية قد مكّنها من أن تُعد بمثابة ضربة قاضية واحدة استطاعت أن تدمر منهجيَّ الوصفيين والسلوكيين في التحليل والوصف اللغويين .

تكمن قوة هذه الفرضية وجمالها أيضاً في اطار حجة واحدة بسيطة وحاسمة على ما يبدو ، وهي انه اذا ما اتخذت المعرفة اللغوية شكل نُظم قوانين من النوع الذي ابتكره چومسكي ، فسيكون حينئذ من المستحيل الزعم بأن نُظم قوانين كهذه يمكن أن تكون ذات صِلة بالحوافز Stimuli أو يمكن أن تتميز باجراءات التقطيع (تجزئة الكلام) أو التصنيف أو الاستبدال .. الى آخره . فبينما تتفاعل نُظم

القوانين بشكل مؤكد مع المثيرات ذات الصِلة ، لا تقرر نُظم القوانين هذه ، في الوقت نفسه ، قضية التفاعل المشار اليها ولا تشتق منها بشكل مباشر . وفي خلال الوقت الذي استغرقه تطوير هذه الفرضية ، تولدت قناعة رسخت بمرور الايام ، بأن قواعد النحو وليس اللغات هي التي تشكل مادة البحث الحقيقية في علم اللغة ، حيث أصبحت هذه القناعة بمثابة اتجاه سيطر على كل ما قام به جومسكي من دراسات في اللغة .

ان فرضية جومسكي بشأن اتخاذ المعرفة اللغوية شكل نُظم قوانين محدودة لها الامكانية على انتاج عدد غير محدود من الجمل اللغوية قد أثارت بدورها تساؤلًا اضافياً وهو : كيف يمكن لطفل أن يكتسب نُظم قوانين كهذه ؟. لقد اقترح جومسكي فرضية بدت أكثر اغراءً من سابقتها ، حيث ادعت تلك الفرضية القدرة على الاجابة عن السؤال الذي أثير تواً ، فضلًا عن اضافة جوهر نفسي على مجمل عمله اللغوي الذي اتصف بالشكلية والتقنية العالية . تدّعي فرضية جومسكي الثانية بأن الانسان وليس الحيوان مجهز بشكل فطري بما أسماه بقدرة واستعداد لغويين طبيعيين . أي ان هذه الفرضية قد زعمت بأن الانسان قد مُنحَ وراثياً القدرة على تعلم اللغة . لقد وفرت فرضية جومسكي الخاصة بالاستعداد الفطري Chomsky's Innateness Hypothesis مقداراً كبيراً من الدفع باتجاه العمل في اطار علم اللغة التوليدي ، وجعلت جومسكي يركز بشكل أكبر على استخدام الجانب التقني في منهجه في البحث اللغوي كاساس لتطوير نُظم ومخططات قوانين شاملة ، أو تطوير علم نحو كلي ادّعى انه يمكن أن نصف به الفطرة الخاصة بالمقدرة اللغوية .

لم يكن الحال سهلًا فيما نتج عن هذا الادعاء من نقاشات وحوارات مطولة تركزت بمجملها على قضية ان التأملات النفسية التي قام بها جومسكي قد أثارت مسألة ضرورة أن نُبقي نقاشاتنا العامة التي نجريها حول السمة الفطرية في اللغة متميزة عن نقاشاتنا الخاصة بشأن مقبولية التعديلات التي يُجريها جومسكي على نظريته في اللغة بوصفها أنموذجاً للقدرة اللغوية الفطرية المزعومة . من خلال قناعتنا بهذا الموضوع فاننا في الحقيقة ، نحتاج لان نُبقي السؤالين الآتيين منفصلين عن بعضهما وبشكل صارم :

أولًا :

هل الكائنات البشرية مجهزة بقدرة طبيعية فطرية لاكتساب اللغة ؟

ثانياً :

هل تُعد نظرية چومسكي في اللغة مقبولة كشكل لهذه القدرة اللغوية الطبيعية ؟

لقد كثر النقاش في حلقات دراسة اللغة علمياً حول ما اذا كانت قواعد چومسكي النحوية المصوغة باسلوب شكلي قد أعطت أهمية لنُظم القوانين التي تسمح للانسان بأن يكتسب اللغة ويستخدمها . لقد كان چومسكي دائم التوكيد ، وهذا ما يبدو لنا ، بأن هناك بعض الادلة والحجج التي تؤيد صحة فرضية القدرة اللغوية الطبيعية بشكل أو بآخر ، وهذا يعني ، الاجابة عن السؤال الأول الذي أشرنا اليه آنفاً ، كذلك فان هناك من الادلة والبراهين ما يدعم نظريته النحوية الخاصة بوصفها شكلًا لهذه القدرة الطبيعية في اللغة . ان هذا الاسلوب في النقاش قد قاد الى احداث ارباك كبير حول مكانة العمل التقني لچومسكي في المجال اللغوي وخارجه .

من المهم عند تقييمنا للمزاعم النفسية عند علماء اللغة التوليديين أن تؤخذ بنظر الاعتبار قضية اننا عندما نرفض الانموذج النظري لچومسكي بوصفه تعليلًا توضيحياً للفطرة اللغوية فان هذا لا يعني في الوقت نفسه اننا نرفض الرأي القائل بوجود نوع ما من البرمجة الفطرية الطبيعية التي يمكن أن توضح عملية اكتساب اللغة واستخدامها .

هناك عدد من الاسباب للتفكير بانه من غير المحتمل أن تعد قواعد النحو التي جاء بها چومسكي مقبولة كشكل لاي نوع من أنواع البرمجة الفطرية الطبيعية .

ومن بين أهم الأسباب التي تاتي في المقام الاول والتي هي بدورها جزء من أسباب عديدة اخرى هي الاصول والدوافع التي جعلتنا نطلق هذا الحكم على فرضية چومسكي في الفطرة اللغوية الطبيعية .

لقد ابتدأ چومسكي أصلًا بابتكار قواعده النحوية الخاصة ، كما رأينا سابقاً ، من أجِل ايجاد تعليل نظري حاسم للمفهوم المقيد جداً « مقبول نحوياً في اللغة Grammatical in Language » . انها لم تكن ، بعد أن بين أهدافه ، تحتوي على أي بحث في موضوعات اكتساب اللغة وانتاجها وفهمها . ان البريق النفسي الذي أُضيف بعد ذلك الى نظريته كان ، في الحقيقة ، محاولة لتبرير وتوفير اطار لايجاد صِلة مع النظرية الشكلية الموجودة من قبل والتي كانت تتسم بالتقييد الكبير .

اذا ما نظرنا بتمعن شديد الى الحجج التي يوردها چومسكي للدفاع عن فرضياته النفسية Psychological Hypotheses يتضح ان هذه الحجج مهمة أكثر على مستوى

ما تُفصح عنه بشان آرائه المضادة للوصفيين Anti - Descriptivist Views وتلك المضادة للسلوكيين Anti - Behaviourist Views . كذلك فان هذه الحجج لا تُعطي أي نوع من انواع الدعم النظري الممكن من أجل تقبل المحتوى النفسي لنظريته اللغوية . وباسلوب أكثر اجمالًا ، يمكن لنا أن نجمع هذه الحجج تحت اطارين عامين هما : الابداع اللغوي Linguistic Creativity وسِمة التجريد والكلية في البنية اللغوية Abstractness and Universality of Linguistic Structure .

الابـــــــداع اللغـــــــوي
LINGUISTIC CREATIVITY

لقد كانت أهمية مصطلح « الابداع » بمفهوم چومسكي ، في ذلك الوقت ، هي ان المصطلح بدا العصا المثالية لضرب السلوكيين بها . لذا نشأ كثير من الارتباك حول الاستخدام الخاص الذي اعتمده چومسكي لهذا المصطلح . فإلى حد ما ، لم يكن استخدام چومسكي لهذا المصطلح أكثر خطورة من الصعوبات التي يمكن أن تظهر ، وبشكل منتظم عند استخدام تعبير من اللغة الاعتيادية استخداماً اصطلاحياً .

لقد اختار چومسكي تعبيراً له رنين متميز بمفهومه غير التقني وبخاصة عند استخدامه في اللغة للاشارة الى الابداع الفنيArtistic Creativity والابداع الشعري Poetic Creativity الذي يعبّر عن قوة التخيل لخلق شيء ما يتسم بالاصالة والقيمة الفكرية الكبيرة . ان الارباك الحقيقي يظهر ، في الواقع ، عندما يحاول المرء فهم الاستخدام التقني لمصطلح الابداع Creativity الذي اتضح انه يتغير بشكل دقيق جداً في بعض الاحيان اعتماداً على ما اذا كان چومسكي يكتب بوصفه عالم نفس مضاداً للسلوكية Anti Behaviourist Psychologist أو بوصفه عالم لغة تقنياً متخصصاً Technical Linguist ومن أجل تقليل مدى هذا الارباك سنعمد الى التفريق بين الفهم التقني الكامل والفهم التقني الضيق لهذا المصطلح . أما الفهم التقني الكامل لهذا المصطلح فقد ظهر بشكل واضح عندما كان چومسكي منهمكاً بنقد المدرسة السلوكية في علم النفس في حين ظهر الفهم الضيق لهذا المصطلح عندما كان چومسكي منشغلاً في تطوير جوانب مهمة في نظريته الشكلية للبنية اللغوية .

ان الفهم التقني الكامل لعبارة « الجانب الابداعي لاستخدام اللغة The Creative Aspect of Language Use » عند چومسكي يجب أن يوضع في سياق نقده لعالم النفس السلوكي سكنر Skinner . ففي كتابه الموسوم بـ « السلوك الكلامي » Verbal Behaviour ، حاول سكنر توضيح ان العبارات والجمل التي ينتجها الفرد تخضع لسيطرة الحوافز وهي بذلك تتقرر من خلال استخدام التلاعب بتلك الحوافز . أما چومسكي فقد عارض بشكل كامل حجة سكنر هذه وقد وضح ذلك في نقده لكتاب سكنر الذي نوهنا عنه في اعلاه . يقول چومسكي :

« ان المثال المألوف في سيطرة الحافز عند سكنر يمكن أن يكون متمثلاً بالاستجابة لقطعة من الموسيقى-مع ورود كلمة « موزارت » Mozart ، أو للوحة فنية

مصحوبة بالاستجابة لكلمة « هولندي » Dutch ، حيث يمكن التاكد من وقوع هذه الاستجابات « تحت سيطرة خصائص دقيقة جداً » للأشياء أو الأحداث المادية . افترض اننا بدلًا من أن نقول « هولندي » نقول « مناوشات بورق تغليف الجدران » أو « اعتقد انك تحب العمل المجرد » أو « لم أره من قبل أبداً » أو « مائلة » أو « معلقة على مستوى منخفض جداً » أو « جميلة » أو « بشعة » أو نقول جملة « أتذكر رحلتنا الى المخيم في الصيف الماضي » أو نقول أية عبارة يمكن أن تخطر على البال ... » ، (١٩٦٤ b: ٥٥٢ ، چومسكي) .

يريد چومسكي أن يقول بأن الاستجابات اللغوية قد تتصل بالحوافز ولكنها لا تخضع لها . يقول چومسكي : « لا يمكن لنا أن نتنبأ بالسلوك الكلامي استناداً الى الحوافز الموجودة في بيئة المتكلم طالما اننا لا نعلم ما هي الحوافز الموجودة حالياً حتى تتم استجابة المتكلم لها بشكل طبيعي » (١٩٦٤ b: ٥٥٣ ، چومسكي) .

فاذا كنا لا نعلم شيئاً حول حقيقة ما موجود من حوافز في بيئة المتكلم الى ما بعد وقوع الحدث ، فان من الصعوبة بمكان أن نرى كيف يمكن أي شخص أن يستخدم الحوافز حتى يقرر الاستجابات المطلوبة . ان من السهل مضاعفة الامثلة اللغوية التي يمكن أن يقوم المتكلمون بانتاجها والتي لا تعتمد على أية حوافز يمكن التعرف عليها بشكل موضوعي ومستقل عن السلوك الناتج . لذا يستطيع چومسكي أن يدخل في أي حوار أو نقاش ليؤكد ان اللغة لا يمكن أن تكون مقيدة بالحوافز كما يعتقد بذلك سكنر بل هي ، في حقيقة الأمر ، متحررة من هذه الحوافز .

لقد اطلق چومسكي على القدرة التي يمتلكها متكلمو اللغة الأم لابتكار جمل جديدة في اللغة وبشكل متحرر من سيطرة الحافز ، تسمية « الجانب الابداعي في استخدام اللغة » . يتضح هنا ان المعنى والفهم الكامل لمصطلح الابداع عند چومسكي قد انبثق ، في حقيقة الامر ، وبشكل مباشر ، من كراهيته لرأي السلوكيين في اللغة بوصفها مقيدة بالحوافز النفسية . لقد كتب چومسكي يقول انه يعني بعبارة الجانب الابداعي لاستخدام اللغة ، قدرة المتكلم :

« ... على انتاج جمل جديدة وتفسيرها ، بشكل مستقل عن سيطرة الحوافز ... » ، (١٩٦٧ : ٤ ، چومسكي) .

غالباً ما كان چومسكي يصف الابداع اللغوي بشكل يتسم بالعمومية ، أي دونما أية اشارة الى المدرسة السلوكية ، بانه الامكانية على :

« انتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل اللغوية الجديدة » ،

(١٥ : ١٩٥٧ ، چومسكي) .

من الصعوبة أن نبالغ في الأهمية التي اضفاها چومسكي في الايام الاولى من مسيرته العلمية على المجال اللغوي الابداعي . فبقدر ما كان الابداع يشكل جانباً مركزياً في السلوك اللغوي إلا ان المدرسة السلوكية عجزت عن توضيحه . لقد استطاع چومسكي أن يقدم دليلاً حاسماً ضد المنهج السلوكي Behaviourist Approach . كتب چومسكي قائلاً في هذا السياق :

« من الحقائق اللغوية الاساسية ، ان الشخص قادر ، الى حد كبير ، على استخدام وفهم الجمل اللغوية التي لا تتشابه في محتواها الاعتيادي مع أي شيء آخر قد حدث خلال تجربته اللغوية الطويلة الخاصة التي انتجها في وقت مبكر من حياته اللغوية ، أي : ليس هناك من علاقة مادية بين الجمل وبين المعنى الذي تؤديه في الواقع . يُعد هذا الجانب الابداعي من اللغة ، متعارضاً ، بشكل كبير ، مع فكرة ان اللغة عبارة عن بناء عادات مختلفة . فمهما يكن بناء هذه العادات مهماً فمن الواضح انك لا يمكن أن تُجدد في موضوع اللغة من خلال العادات ... » ، (٦٨٧ : ١٩٦٨ ، چومسكي) .

ان من قبيل المصادفة أن يشكل الاستخدام الابداعي ، الذي ليس له علاقة بموضوع تحكم الحوافز ، اطاراً ساعد چومسكي على احداث فرق حاسم بين انظمة الاتصال عند الانسان وتلك التي يستخدمها الحيوان[٥].

يقول چومسكي في هذا المجال : « ان هذا الجانب الابداعي في الاستخدام اللغوي الاعتيادي يُعد عاملاً اساسياً وحاسماً يمكن به التفريق بين اللغة التي يستخدمها الانسان وبين أي نظام معروف آخرَ يستخدمه الحيـوان » ، (١٠٠ : ١٩٧٢ ، چومسكي) .

بالنسبة لچومسكي ، توضح قدرة متكلمي اللغة على الاستخدام اللغوي ، بشكل تجديدي ابتكاري مستقل عن سيطرة الحوافز ، ان المناهج السلوكية والوصفية في وصف وتحليل اللغة كانتا لا تتمتعان بالكفاية العلمية وبخاصة في مجاليْ تعليل السلوك الكلامي عند الفرد وتوضيحه ، وذلك بسبب ان هذه المناهج والمؤمنين بصوابها كانوا يركزون على الشروط الخارجية بدلاً من البنية الداخلية للغة .

مع ذلك ، فمن المهم جداً ملاحظة ان هذا الشيء كان يشكل حجة ضد السلوكيين والوصفيين بدلاً من أن يكون لصالح تصحيح فرضيات چومسكي في اللغة . إن العبء والمسؤولية لا يزالان يُلقيان على عاتق چومسكي لتوضيح كيف ان المعرفة

اللغوية تاخذ ، في الحقيقة ، شكل منظومات قوانين من النوع الذي اقترحه وياننا مهياون فطرياً ووراثياً وبايولوجياً لاكتساب نظم قوانين كهذه .

كما هو واضح ، ان قوة الاقناع الذي تتمتع به حجج چومسكي ضد الوصفيين والسلوكيين تبدو وكأنها قد استعادت نوعاً من المصداقية الزائفة لفرضياته في اللغة . ومن الجليّ ان برهنة خطأ مجموعة من الافكار لا يمكن أن تعني مشابهة لبرهنة صحة مجموعة اخرى من الافكار .

ان تثبيت مسألة ان الآليات الفطرية Innate Mechanisms ، من النوع الذي لم يخطر ببال أحد ، بل لا يمكن تصور وجودها في علم نفس سكنر ، قضية مهمة ومطلوبة ، لا تؤدي الى تثبيت وترسيخ كفاية نظرية چومسكي الشكلية واقتدارها بوصفها تقدم تعليلاً منطقياً وعلمياً لوجود مثل هذه الآليات الفطرية .

يُصبح حديثنا أكثر وضوحاً فيما لو اخذنا عاملاً تعقيدياً اضافياً بنظر الاعتبار . عندما كان چومسكي يكتب باعتباره لغوياً مختصاً مهتماً بوصف وتبرير نظريته الشكلية في البنية اللغوية ، استخدم مصطلح « الابداع » Creativity بمعنى مختلف عن المألوف وضيق جداً . أما السبب في ذلك ، فقد كان متعلقاً ، وبشكل مباشر ، بالخصائص الشكلية لانموذجه النظري . ان دمج الوسائل التوليدية التكرارية Recursive Devices في نظام القواعد النحوية التي ابتكرها چومسكي هو الذي جعل تلك القواعد قادرة من الناحية الشكلية على توليد عدد غير محدود من البنى النحوية المتسلسلة هرمياً . لقد اشار چومسكي الى قيمة دمج وسائل كهذه في النحو ، حيث قال :

« بالرغم من ان العمليات اللغوية تُعد ابداعية Creative بمعنىً ما ، وهذا الشيء معروف ومفهوم جداً ، إلا ان الوسائل التقنية Technical Devices للتعبير عن منظومة من العمليات التكرارية التوليدية لم تكن متوفرة حتى وقت قريب جداً .

ان الفهم الحقيقي لتبيان كيفية « استخدام اللغة بشكل غير محدود باستثمار وسائل محدودة كما عبر عن ذلك همبولدت Humboldt قد تطورت فقط خلال الثلاثين عاماً الاخيرة وذلك في سياق تطور الدراسات الخاصة بأسس الرياضيات . أما الآن وبتوفر هذه الآراء المعمّقة فان من الممكن الرجوع الى المشاكل التي ظهرت والتي لم يتم وضع حلول مناسبة لها عن طريق النظرية اللغوية التقليدية ، من أجل محاولة ايجاد صياغة واضحة للعمليات « الابداعية » في اللغة . لم يعد هناك باختصار ، أي حاجز تقني يمنع اجراء دراسة شاملة ودقيقة للقواعد التوليدية » ،

(٨ : ١٩٦٥ ، چومسكي) .

ليس من السهل توضيح هذا النص . أما نحن فنفهم چومسكي على انه يريد أن يقول أن تطوير وسائل تكرارية توليدية ضمن الاطار العلمي للرياضيات قد جعل من الممكن ابتكار منظومات شكلية يمكن أن تقود الى تشكيل عمليات ابداعية في اللغة وصياغتها .

ان المشكلة هنا ، هي ان « الوسائل التقنية للتعبير عن منظومة من العمليات التكرارية التوليدية » التي دمجها چومسكي في انموذجه النظري قد تم تطبيقها فقط على الشكل النحوي . ان الوسائل الشكلية Formal Devices هي التي جعلت عدداً غير محدود من البنى النحوية ممكن التوليد وبشكل مستقل عن المعنى . لذلك كان هناك ، نقص وعيب واضحان بين مفهوم الابداع The Notion of Creativity عندما يؤخذ بمعناه الشامل الذي يعني المقدرة على انتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل والعبارات الجديدة وبشكل متحرر من سيطرة الحوافز ، والتصور التقني المعنّل الضيق لمفهوم الابداع الذي دمجه چومسكي في انموذجه الشكلي .[٦]

يمكن أن نقول بان وجود هذا القصور في فهم معنى مصطلح الابداع قد يُلقي شكاً كبيراً على ادعاء چومسكي القائل بأن القواعد الشكلية هي التي تكوّن الصياغة الواضحة للعمليات « الابداعية » في اللغة . كما لاحظنا في الفصل الاول من هذا الكتاب ، لقد بيّن چومسكي أهمية العمليات الابداعية في اللغة واشار الى ان النظرية النفسية واللغوية الحاليتين كانتا مبنيتين على نظرتين ضيقتين جداً وهما بهذا غير قادرتين على توضيح هذه العمليات . مع هذا ، ففي عمله التخصصي التقني أُجبر چومسكي ، نتيجة لالتزامه بالنظرية المصوغة بشكل استنتاجي ، لان يتخذ رأياً مفاده ان العمليات الابداعية محددة بالشكل النحوي .

ان الذي أربك القراء خلال السنين الطويلة هو ان هذا التمييز بين المفهوم الشامل للابداع والشكل الاضيق لهذا المفهوم الذي أدخله چومسكي في صُلب عمله التقني في المجال اللغوي لم يكن واضحاً في الغالب في معظم كتاباته . ولذلك كان من السهل بالنسبة للدخيل على حقل التخصص اللغوي ، وبخاصة إذا لم يكن حذراً ، أن يفترض ، بشكل خاطيء ، ان الاعمال اللغوية التقنية التي قام بها چومسكي يمكن أن توفر لنا انموذجاً للابداع بمعناه الكامل ، وبعمله هذا ، يمكن أن يقدم دعماً كبيراً لفرضيات چومسكي النفسية .

بالرغم من الانطباعات المعاكسة وغير المتفقة مع هذا ، فان وصفيِّي امريكا

الشمالية قد تعرفوا على مفهوم الابداع بمعناه الكامل وعدوه ميزة مهمة واساسية في اللغة . لقد اوضحوا مفهوم الابداع بشكل يدعو الى الثبات والاطراد وباسلوب القياس المنطقي . لقد كان بلومفيلد مدركاً ان :

« ... امكانات تركيب الجمل في اللغة والتوافق فيما بينها غير محدودة عملياً » ، (٢٧٥ : ١٩٣٥ ، بلومفيلد) .

ومن أجل توضيح الكيفية التي بموجبها يستطيع متكلم اللغة أن ينتج ويفهم الجمل التي لم يسبق له أن سمعها من قبل ، اقترح بلومفيلد :

« ... أن يُقال بأن متكلم اللغة قد قام بانتاج هذه العبارات أو الجمل بالقياس على صيغ واشكال مشابهة كان قد سمعها من قبل » ، (٢٧٥ : ١٩٣٥ ، بلومفيلد) .

وباسلوب مشابه لهذا ، كتب هوكيت قائلًا :

« عندما نسمع تعبيراً طويلًا ، الى حد ما ، ومعقداً في الوقت ذاته ، حيث يوحي ، بشكل واضح ، بانه ليس نصاً أو اقتباساً مباشراً ، يمكن عندئذ أن نكون متاكدين وبدرجة معقولة بأن قياسنا المنطقي فعّال ويعمل بشكل اعتيادي » ، (٤٢٥ : ١٩٥٨ ، هوكيت) .

انه لشيء ذو قيمة أن يكون رد فعل چومسكي قوياً وثابتاً ويتسم بالازدراء لتضرعات الوصفيين والتقليديين وتوسلاتهم بالالتجاء الى معيار القياس المنطقي . حقاً انه أقسى طعن وقدح يمكن أن يوجه ضد من يدعو للاحتكام الى القياس المنطقي ويعده توضيحاً وتعليلًا لمفهوم الابداع .

كتب چومسكي في هذا المجال قائلًا :

« عندما نعزو الجانب الابداعي في الاستخدام اللغوي الى القياس المنطقي Analogy أو « النماذج اللغوية » Grammatical Patterns فان هذا يعني اننا استخدمنا هذه المصطلحات باسلوب مجازي تام يفتقر الى المعنى الواضح والصِلة البينة للاستخدام التقني للنظرية اللغوية . انه ليس أقل خلواً من المعنى من وصف رايل Ryle للسلوك الذكي بوصفه ممارسة في استخدام القوى العقلية والتخلص من نوع غامض من الاشياء أو محاولة تبرير الاستخدام الابداعي الاعتيادي للغة باسلوب الاستنتاجات أو العادات أو الاشتراط » ، (١٣ - ١٢ : ١٩٦٦ ، چومسكي) .

ليس من الصعب أن نرى لماذا كان چومسكي يشعر انه يجب عليه أن يكون

صارماً ، فعلى ظاهر الامور ، يمكن أن يقدم القياس المنطقي تفسيراً مختلفاً للجانب الابداعي في الاستخدام اللغوي والوصول الى الفرضيات الخاصة به ، مع هذا ، فان جومسكي يرى هذا التفسير غامضاً بشكل متأصل وغير قابل للاختبار . فاذا ما كان التزامه بالتعليل الذي يتخذ شكل نظرية مصوغة باسلوب استنتاجي بكونها حاسمة وبينة ، فان من غير المحتمل أن يقبل بالاحتكام غير الشكلي للقياس المنطقي واعتباره توضيحاً تعليلياً . ان القياس المنطقي يشتمل بالضرورة على ادراك الواقع ، تلك العملية التي يقوم بانجازها المتكلمون والسامعون ، وهذا يعني بأنه لا يعتمد على التعليل بنفس اسلوب طرائق الصياغة التي كان يستخدمها جومسكي(٧). لذلك ، بينما يمكن أن يكون من الصحيح القول بأن الوصفيين والسلوكيين لم يكونوا قادرين على اعطاء أي تعليل حاسم لمسألة الاستخدام الابداعي للغة ، فان من الصحيح القول أيضاً بأن بالرغم من وجود أسباب كثيرة ومختلفة لم يكن جومسكي قادراً على أن يقدم أي تفسير تعليلي لهذه المسألة . أما السبب في قضية جومسكي فقد كان يتعلق بكون ان التزامه بتوفير التعليل المطلوب من خلال نظرية مصوغة بشكل استنتاجي تتطلب منه أن يركز على البنية اللغوية على حساب المعنى . كان هذا يمثل اتجاهاً صحيحاً في البداية ، وذلك عندما كانت الأسس التي يعتمد عليها منهجه قد تم وصفها بشكل دقيق وشامل(٨)، وذلك بين اهتمامه بموضوع الابداع بمعناه الكامل والشامل واحتياجه ، من أجل بناء نظرية مصوغة بشكل استنتاجي ، لاتخاذ مهمة فصل الشكل وتركيز الانتباه على هذه المسألة في البحث اللغوي . لقد كان هناك ، مع ذلك ، تضارب وتناقض أساس في هذا الأمر ، تضارب خفي يمكن ملاحظته والاحساس به اذا ما دققنا النظر في التضمينات التي وردت في أغلب كتابات جومسكي والتي عالجها ودرسها من خلال عمله التقني على شكل موضوعات ومسائل كبرى . وهنا ينبغي أن يكون واضحاً ان العمليات اللغوية الابداعية الكاملة لا يمكن تفسيرها وتعليلها بأية طريقة ايحائية وذلك من خلال التركيز ، وبشكل كبير جداً ، على الشكل اللغوي . نحن لا نشك بأن ذلك قد تبدّى واضحاً لجومسكي وبشكل جلي جداً لا سيما وانه ملتزم بضرورة بل وبوجوب أن يتأتى التعليل من خلال تبني نظرية مصوغة بشكل استنتاجي .

التجريد والكليّة في البنية اللغوية

ABSTRACTNESS AND UNIVERSALITY OF LINGUISTIC STRUCTURE

ان الحجة الاخرى التي تقدم بها چومسكي واستخدمها باتجاه مضاد للنظريات الوصفية والسلوكية في اللغة Descriptivist and Behaviourist Theories of Language كانت مشتقة من زعمه بأن للبنية اللغوية شكلًا مجرداً وكليّاً . ان تحليله لمدىً واسع من الجمل والتراكيب اللغوية قد قاده ، كما رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب ، الى الاقتناع بأن العلاقات النحوية Syntactic Relations الموجودة بين جمل اللغة وتراكيبها يمكن تبريرها وتوضيحها ، فقط ، من خلال افتراض مستويات مجردة للبنية اللغوية مرتبطة بمجموعات معقدة من القوانين ـ مستويات مثل : البنية السطحية (غير العميقة) Surface Structure والبنية التحتية (العميقة) Deep Structure وقواعد مثل : القواعد التحويلية Transformational Rules لم يكن لأي منها أية صِلة بسيطة ومباشرة بالمحتوى اللغوي المادي . لقد مكّنه هذا الأمر من مناقشة حقيقة ان نظريات اللغة الوصفية والسلوكية تركز ، كما هو ديدنها دائماً ، على الصيغ والأشكال السطحية غير العميقة Surface Forms وهي بهذا لا يمكن أن تكون مناسبة للتحليل اللغوي وذلك لانها لا تتمتع بالكفاية العلمية المطلوبة . ووفقاً لهذا الفهم عند چومسكي ، ومن اجل توضيح وتعليل العلاقات النحوية بين جمل اللغة ، كتب موضحاً :

« لقد إنقدنا لأن نفترض بنىً لغوية مجردة جداً ، بنىً تفتقر الى العلاقة المباشرة مع الحقائق المادية Physical Facts ، حيث انها ذات صِلة بهذه الحقائق ، فقط ، من خلال سلسلة طويلة من عمليات تتسم بشكل خاص جداً وبانها مجردة كليّاً وبالتفرد في هذين الجانبين (الخصيصتين). ان هذا التجريد Abstractness لهو من نوع لا يمكن أن يتمثل بشكل شبكة من الارتباطات الواضحة » ، (٦٨٧ : ١٩٦٨ ، چومسكي) .

ان هذه الحجج التي يوردها چومسكي بشأن مفهوم التجريد تُشبه ، الى حد بعيد ، تلك التي أتى بها فيما يتعلق بموضوع مفهوم الابداع ، كلاهما يدعم ويقوي من رفضه لمناهج البحث اللغوي التي يتباناها الوصفيون والسلوكيون في مجاليّ التحليل والوصف اللغويين . الا ان هذه الحجج ، مع ذلك ، لم توفر الدعم والاسناد المطلوبين ، في الوقت نفسه ، لفرضيات چومسكي الخاصة به والقائلة بان التنظيم الداخلي للمعرفة اللغوية يتخذ شكل منظومة قوانين وقواعد من نوع خاص واننا

مجهزون فطرياً ووراثياً لاكتساب مثل هذه المنظومات من القوانين والقواعد . ان دعماً واسناداً قويين لهذه الفرضيات يمكن ، برأينا ، أن يتاتى من خلال الاعمال التي تركها علماء اللغة النفسيون Psycholinguists الذين كانوا يبحثون ، طوال حقبة منتصف الستينات وبداية فترة السبعينات ، عن متلازمات نفسية Psychological Correlates للأبنية النظرية عند چومسكي في موضوعات مثل : التحويل ـ Transformation والبنية التحتية العميقة Deep Structure وذلك عن طريق دراسة استجابات بعض من تُجرى عليهم الدراسات النفسية لعدد من الجمل التي تكون مادة هذه الاختبارات وموضوعاتها . مع هذا ، وكما هو معروف جداً في حقل الدراسات اللغوية ، لم نجد ، أبداً ، بشكل مقنع وموثوق به أي دعم نظري أو عملي للوسائل التقنية المعتمدة في الانموذج النظري لچومسكي .

زعم چومسكي كذلك طالما ان القواعد التي ابتكرها كانت تتمتع بالكفاية العلمية وانها مناسبة لوصف بنىً لغوية على نطاق واسع من اللغات ، فان هذا يوحي ، دون شك ، بأن اللغات نفسها ، كما هي الحال مع القواعد ، يجب أن تنتظم بطرائق خاصة جداً ، يقول چومسكي في هذا السياق :

« ان البنى التحتية العميقة للغة تبدو وكأنها متشابهة من لغة الى اخرى ، وان القواعد والقوانين التي تتعامل معها وتفسرها تبدو وكأنها نابعة من مجموعة ضيقة جداً من العمليات الشكلية التي يمكن تصورها .. فضلًا عن هذا ، ان البنى التحتية العميقة والمجردة Underlying Abstract Structures والقواعد التي يمكن أن تُطبق عليها تحتوي على خصائص ذات سمة تقييدية كبيرة حيث تبدو كأنها متسقة ومطردة بالنسبة للغات مختلفة والافراد المختلفين الذين يتكلمون اللغة ذاتها ، ويبدو كذلك كأنها ثابتة بشكل كبير فيما يتعلق بالذكاء والخبرة الخاصة » ، (٧ : ١٩٦٧ ، چومسكي) .

في الحقيقة ، ان چومسكي يدّعي بأن هناك تقييدات Constraints على الطريقة التي يتم بها بناء القواعد الشكلية عبر اللغات ، تقييدات يمكن أن تكون مماثلة فقط لتلك التي يمكن أن توجد في حقل علم النحو الكلي Universal Grammar أو في مجال مخطط القوانين النحوية Rule Schema التي يستطيع بهما الاطفال الموهوبون وراثياً تعلم اللغة . انه يفترض ، دون أن تنتابه أدنى درجة من الشك ، بأن كلية القواعد الشكلية الظاهرة لها صِلة مباشرة بالطريقة التي تنتظم بها المعرفة اللغوية عند مستخدمي اللغة ، وكذلك لها صِلة بالشروط التي يتم اكتساب

اللغة على وفق توفرها . لقد سمحت القناعة التي توفرت لدى چومسكي بأن البنية النظرية اللغوية تعكس حقيقة المعرفة اللغوية ، بأن يدمج النحو Grammar واللغة Language عندما يصرح مثلًا بأن : « ليس هناك ضرورة مسبَقة بالنسبة للغة لان تنتظم بهذه الطريقة المحددة والخاصة جداً » ، (٧ : ١٩٦٧ ، چومسكي) .

ان ما أشار اليه چومسكي بعبارة « طريقة محددة وخاصة جداً » تمثل ، في الواقع ، الشكل الذي سار على منواله في ابتكار منظومة قوانينه وقواعده الخاصة به . ومن الممكن أن يكون چومسكي أقل عرضة للتناقض لو انه قال بأن هناك ضرورة مسبَقة للسبب الذي دعا لان تنتظم القواعد والقوانين بهذه الطريقة الخاصة جداً والتي اختار لها هذا الشكل التنظيمي من أجل بناء نظرية مصوغة باسلوب استنتاجي . وبطريقة متشابهة ، يلاحظ چومسكي بأن البِنى التحتية العميقة المجردة والقوانين والقواعد التي يمكن أن تُطبق عليها تبدو كانها « منسّقة ومتمثلة في اللغات وعند الافراد الذين يتكلمون اللغة ذاتها ... » ، يبدو چومسكي هنا كانه يفترض بأن اذا كانت هذه القواعد والقوانين منسّقة ومتماثلة بالنسبة للغات ، وهذه بحد ذاتها فرضية لا أساس لها من الصحة كلياً ، وبخاصة عندما يكون التفريق بين النحو واللغة قد تم بنجاح ، وانه بناءً على ذلك ، قد تم الحصول على درجة مطلوبة من الوضوح ، عندئذ لا يمكن أن يكون هناك أي شيء آخر جديد بالاعتبار وذلك بسبب ان منظومات القوانين التوليدية التي تعمل من أجل توفير وصف لجوانب محددة من اللغة تُصبح متشابهة عبر عدد كبير من اللغات . بالتأكيد ليس هناك من شيء يمكن أن يكون بمثابة اداة أو وسيلة تعليلية تتأتى من خلال هذه الملاحظة سواء ما كان يخص مسألة تنظيم المعرفة اللغوية عند الافراد أو ما يخص أية آلية يمكن أن يكونوا قد جُهزوا بها من أجل انجاز مهمة التعليم اللغوي الفطري الوراثي . فاذا كانت منظومة چومسكي الشكلية قادرة على أن تظهر وبشكل ثابت ومطّرد على انها تمثل مدىً واسعاً من البِنى اللغوية الاكثر تعقيداً وتنسيقاً جمالياً من قواعد البنية التكوينية الاكثر بساطة فيمكن حينئذ لاي امرىء أن يناقض أياً من الاثنين يمكن أن يكون أكثر كفاية وملاءمة .

ان أي نقاش من هذا النوع يمكن أن يظل غير مهتم بمسألة المقبولية النفسية Psychological Plausibility لتمثيل كلا الشكلين باعتبارهما غير مبرهَن على صوابهما بالكامل . لذلك من الافضل النظر الى الحجج التي استخدمها چومسكي بشكل دائم ومتكرر لتبرير فرضياته على انها حجج قد أتى بلها لاثبات بطلان الآراء

اللغوية للوصفيين والسلوكيين على حد سواء ، وان حججاً كهذه تخدم دون شك ، قضية اظهار التعقيد الذي تنطوي عليه مشاكل الاستخدام الابداعي للغة والمشاكل المتعلقة بالقدرة على استخدام اللغة بشكل ابداعي وكيفية اكتساب اللغة في مراحلها الاولى . لقد استطاعت هذه الحجج حتى الآن أن تقدم دعماً واسناداً قليلًا لفرضيات جومسكي القائلة بأن المعرفة اللغوية منظمة بشكل داخلي وانها تتخذ صيغ منظومات قوانين وقواعد من النوع الذي ابتكره جومسكي وان الطفل بشكل عام ، مجهز فطرياً ووراثياً لاكتساب هذه المنظومات من القوانين والقواعد .

فشـــل الاختبــار
THE FAILURE TO TEST

ان الاسباب التي يؤمن چومسكي بوجودها والتي حدت به لان يركز هجومه على المدرستين الوصفية Descriptivism والسلوكية Behaviourism في اللغة وفشله في تدعيم فرضياته اللغوية علمياً ، كلها ، نتجت عن الارباك المستمر والمتكرر وعميق الجذور في آرائه النفسية والفلسفية ، تلك الآراء التي كوّنت فيما بعد الاطار الكلي لنظريته الشكلية في البنية اللغوية . لم يكن چومسكي عالم نفس Psychologist وانما هو عالم لغة Linguist من نوع خاص جداً ، يتسم بكونه مهتماً ، في اطار نظرة مثالية جداً باللغة بوصفها تمثل نظاماً مُشَكَّلًا باسلوب يمكن أن يستخدمه متكلم اللغة ، بشكل مستقل ، تتميز فيه البنى بكونها ليست بذات صِلة بالمعنى . ان العمل التقني الذي أنجزه چومسكي في مجال المنظومات اللغوية قد أوحى له باستقراء فرضيات مهمة فيما يخص الطريقة التي تنتظم بها المعرفة اللغوية وتلك التي يمكن بها اكتساب هذه المعرفة .

وكما لاحظنا في الجزء الاخير من هذا الكتاب ، لقد جرت هذه الفرضيات على الضد من النظرية النفسية التي كانت سائدة ومسيطرة ومعروفة حينذاك ، وفضلًا على هذا ، كانت هذه النظرية التي تم ربطها الى مبادىء واجراءات وصفيِّي أمريكا الشمالية . فلو كان چومسكي عالم نفس عقلياً Cognitive Psychologist لكان من الطبيعي أن تأخذ المرحلة الثانية من التحقيق والبحث العلميين لديه شكل محاولة لدراسة هذه الفرضيات تجريبياً . قد لا يمكن لهذا أن يكون سهلًا طالما ان التجارب النفسية تحتوي على قدر كبير من الصعوبة الى الحد الذي يجعلها عاجزة عن أن تُفصح عن ابتكار علمي في المجال اللغوي ، أو ان تنفيذها تكتنفه الصعوبة البالغة التي لا يمكن بوجودها السيطرة على كامل تفصيلاتها ومراحلها المختلفة . مع هذا ، لم يحاول چومسكي أن يقوم بذلك بنفسه ، واذا ما أردنا أن نكون أكثر دقة ، فان چومسكي قد كشف في بعض المناسبات عن نفور واشمئزاز كبيرين من الدخول في خضم العمل التجريبي النفسي .

وعلى العكس من ذلك ، فقد خطا چومسكي خطوة كانت تعد صفة وخصيصة تميز عمله اللغوي بشكل استثنائي ، لقد ناقش بأن أحسن الطرائق لاستكشاف هذه الفرضيات ، على نحو أعمق ، لا يتاتى من بحث ودراسة سلوك متعلمي اللغة ومستخدميها لكي نرى فيما اذا كانت بعض الانتظامات المعينة قابلة لأن تصنف

ضمن منظومة القوانين والقواعد النظرية أم لا ، ولكن يتأتى من مباشرتنا :
« ... لبحث أعمق في طبيعة هذه القواعد والقوانين » ، (٥ : ١٩٦٧ چومسكي) .

وبتعبير آخر ، بدلًا من اختيار هذه الفرضيات الشكلية المثيرة حول الانتظام العقلي لأنواع معينة من المعرفة اللغوية المقيدة جداً ، اقترح چومسكي تطوير مزاعمه النفسية وتوسيعها بشكل أكبر على المستوى الشكلي وتأطيرها كلياً بإطار قواعد رياضية شاملة . حتى الوقت الحاضر ، يمكن أن نقول بأن هذه الخطوة قد انجزت وانها قد أوحت فعلًا بضرورة ابتكار فرضيات جديدة تحتاج بدورها الى أن تُختَبر تجريبياً .

عندما تحرك چومسكي بإتجاه تفصيلات أكثر حول طبيعة القواعد الشكلية ، كان يقول ، في الواقع ، دون أن يكون هناك شيء من دليل ايجابي ، بأن فرضياته النفسية تتمتع بالمقبولية العلمية ، وعند اتخاذه هذا الموقف من أجل أن يُبقي ادعاءاته ومزاعمه النفسية منسجمة ، بشكل كبير ، مع عمله اللغوي التقني ، كان چومسكي قد حوّل تقييدات علم لغته الشكلي الى حقل علم النفس . ان هذه التقييدات ، كما أوضحنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، نشأت عن عمليات الأمثلة الصارمة التي فُرضت عليه بسبب تبنيه للانموذج النظري المصوغ بشكل استنتاجي . ان تقييدات كهذه قد لا تهم ، مع توكيد هذه المسألة ، اذا ما استخدم چومسكي ، ببساطة ، عمله التقني في المجال اللغوي مصدراً لافكار تمثل نقطة انطلاق على طريق صياغة الفرضيات واختبارها . إلا ان هذا لم يكن بالمنهج الذي عُرف به چومسكي . فاذا ما تركنا مشكلة التوكيد التجريبي جانباً ، وذلك بالاستمرار في قضية توسيع وتطوير انموذجه النظري الشكلي ، فسنرى بأن چومسكي قد وضع عمله في المجال اللغوي في سجن غريب من الفرضيات التي لا أساس لها من الصحة والتي تحتوي على نماذج نظرية تتسم بضيق الاسس الرياضية التي تعتمد عليها وذلك بسبب جوانب من السلوك اللغوي المقيَّد الى حد بعيد جداً . مع هذا ، فقد كان المنهج الذي اعتمده چومسكي متوافقاً كلياً مع نظرته حول مفهوم العلم ومع ما يمكن أن تؤلفه أية نظرية تعليلية . تذكر بأن چومسكي قد التزم بالنظرة المعيارية القياسية الاصولية لمفهوم العلم التي ينبغي ، بموجبها للنظريات التوضيحية التعليلية أن تتخذ اسلوب منظومات مصوغة بشكل استنتاجي ، لقد ابتكر چومسكي منظومة شكلية كهذه ، أو بالاصح انه قد ابتكر قواعد نحو كهذه مدّعياً في بادىء الامر

تعليل وتوضيح جوانب محددة جداً من اللغة مثل مفهوم « المقبولية النحوية في اللغة » . ان هذه المنظومة الشكلية التي أبتكرت لاسباب مستقلة وليست بذات صِلة بعلم النفس ، قد تسببت ، مع هذا ، في ظهور الفرضيات النفسية ، وقد كان في هذه المسالة تشابه ممتع ، من وجهة النظر التاريخية ، مع الادعاءات النفسية للوصفيين .

وكما رأينا في بداية هذا الفصل ، ان هوكيت قد افترض بان « اجراءات اكتشاف الوحدات الصوتية Discovery Procedures » ومبدأ فصل مستويات التحليل Separation of Levels ومبدأ الترتيب من أسفل الى أعلى Bottom - to - Top ordering principle في التحليل اللغوي .... الخ . تتشابه مع العمليات التي يمكن للطفل أن يكتسب بوساطتها لغته الاولى . لقد انطلق هجوم جومسكي على هذه الفرضية بحجة انها ظهرت من خلال التزام باجراء منهجي معين ولم تنبع من دراسة وبحث تجريبيين . لقد عكس هذا تحفظاتنا بشان ادعاءات جومسكي في مجال الدراسات النفسية . كذلك نود أن نقول ان تحفظاتنا هذه لم تاتِ بكاملها انعكاساً لالتزامنا بممارسات منهجية مثل التزامنا بانموذج تعليل وتوضيح نظري يتخذ شكل نظرية مصوغة بطريقة استنتاجية . من الواضح والجلي جداً ، في هذا السياق ، هو اننا لا نجد في أعمال جومسكي وهوكيت في الحقل اللغوي أية اشارة لتبرير الادعاءات والمزاعم النفسية التي اتيا بها واسنادها لاعمال لغوية تتسم بالطابع التجريبي . أما بالنسبة لجومسكي ، فقد ثبت ، في نهاية المطاف ، أهمية مسالة التبرير النفسي لاعماله في مجال البحث اللغوي ، واتضح كذلك ، بان هذا التبرير يُعد حاسماً ومهماً . وبتعبير أدق وأقوى ، لقد جعل جومسكي عمله يشتمل على تلك القيمة وذلك من أجل أن يكون ذا شان وجديراً بالاهتمام .

يتضح من خلال بعض الملاحظات التي أوردها جومسكي انه لم يتخذ في عمله اللغوي منهجاً أو رأياً نظرياً أو مادياً آلياً أبداً وانما كان يتخذ دائماً رأياً يتدرج في اطار النظريات والآراء الواقعية[٩].

ان هذا التفسير المستند الى الاعتقاد بنظرية وآراء واقعية الذي استطاع أن يكون عامل جَذب ضخم لنظرية جومسكي لا يزال يُعد، في الوقت ذاته، المصدر الكبير لسوء الفهم. وكما رأينا آنفاً الطريقة التي اعتمدها جومسكي عند دمج مصطلحي النحو واللغة ، فقد اعتبر دمج جومسكي لانموذجه النظري مع بنية العقل الانساني العملية الاكثر ارباكاً منذ أن ظهر على مسرح البحث اللغوي والنفسي .

دمج العقل الانساني مع انموذج نظري : القياس المضلل لچومسكي

THE CONFLATION OF MIND AND MODEL : CHOMSKY'S MISLEADING ANALOGY

كما هي الحال مع هوكيت ، حاول چومسكي أن يستنتج قياساً منطقياً بين عالِم اللغة والطفل ، يقول چومسكي :

« ان بناء نظام نحوي في لغة ما ، يقوم به طفل عندما يبدأ باكتساب لغته الاولى ، حيث تتوفر لعالم اللغة معطيات لغوية في عينة بحثه ، اما الطفل فانه يُعرض على معطيات لغوية غير محلَّلة في اطار الاستخدام اللغوي . يحاول عالم اللغة القيام بصياغة قواعد اللغة أما الطفل فانه يقوم ببناء تمثيلات عقلية للغة ذاتها . كذلك فان عالم اللغة يبدأ بتطبيق مبادىء معينة ويبتكر فرضيات لاختيار القواعد النحوية من بين قواعد عديدة ممكنة يمكن أن تكون مرشحة لهذا الغرض وتكون منسجمة مع معطياته اللغوية . أما الطفل فيجب عليه أيضاً أن يقوم بعملية انتخاب من بين القواعد المتاحة حيث يكون بعضها منسجماً مع المعطيات اللغوية ذاتها » ، (١١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

يبدو للعديد من المتخصصين في علم النفس وعلم اللغة والفلسفة ان قياس المهمة التي يقوم بها عالم اللغة في بناء قواعد نحوية توليدية بتلك التي يقوم بها الطفل مسألة يمكن أن تكون مقبولة أو معقولة ظاهراً . واذا ما أخذنا الاهمية بعيدة الأثر لهذا الموضوع ، فان مسألة دراسة هذا القياس تستحق أن تكون أبق وأعمق .

يقال في هذا المجال ان حلقة الاتصال الاولى في هذا الموضوع تخص المعطيات اللغوية . يقول چومسكي في هذا السياق ، وكما مر بنا في النص آنفاً :

« يمتلك عالم اللغة معطيات في عينة بحثه اللغوي ، في حين ان الطفل يُعرض على معطيات لغوية غير محلَّلة في اطار الاستخدام اللغوي ، كذلك فان عالم اللغة يحاول القيام بصياغة قواعد اللغة ، بينما تكون مهمة الطفل بناء تمثيلات عقلية للنظام النحوي للغة » ، (١١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

يبدأ هذا القياس ، كما نلاحظ ، وبشكل واضح باعطاء ايحاء مضلِل جداً وذلك بسبب فشل چومسكي بتوضيح الفارق المهم بين انشطة عالم اللغة وبين تلك التي يقوم بها الطفل ، حيث ان عالم اللغة يبدأ مهمته بشكل واعٍ كلياً في حين ان الطفل

يتعلم التصرف اللغوي بشكل ذاتي غير واع الى حد شبه كلي . ان الوعي الذاتي الذي يتمتع به عالم اللغة لا يمكن إلا أن يكون مؤثراً فعلًا في المهمة التي هيأ نفسه لها وفي الطريقة التي اعتمدها في انجاز هذه المهمة ، وبناءً على هذا ، نصف مهمته بكونها تتلخص في بناء نظام نحوي للغة ، فاذا كان عالماً لغوياً توليدي المنهج ، فانه سيُنظر ، ولأسباب غير متصلة ببعضها بشكل واضح ، الى علم النفس بوصفه منظومة قوانين وقواعد لغوية ، أما اذا كان يهدف الى بناء قواعد نحوية للغة يعلم تفاصيلها بشكل دقيق ، عند ذلك ، ومن أجل انجاز هدفه ، سوف يقوم بأمثَلة موضوع بحثه ، حيث سيباشر بفصل تلك الجوانب المقيُدة من اللغة التي تبدو بانها خاضعة للتعبير المنتظم بشكل منظومات قواعد لغوية ، ويضع جانباً أيضاً كل الجوانب الاخرى من اللغة بالرغم من امكانية أن تكون بعض الجوانب الاخرى مهمة جداً ومركزية للغة عند الاستخدام الفعلي لها . أما الطفل فانه يتصرف بشكل مختلف تماماً . انه لا يحاول ايجاد أو خلق أُطر مُؤمثَلة ، حيث انه لا يحتاج لمثل هذه الأُطر أبداً . انه يُعرض على اللغة في سياق الاستخدام اللغوي اليومي وتأخذ اللغة مفعولها بناءً على احتياجاته الخاصة وعلاقاته مع الآخرين واعتقاداته التي يقوم بتطويرها وتجربته الذاتية التي تتسم بكونها قابلة للتوسع بشكل سريع جداً . ليس لدينا من الأسباب ما يدعونا لأن نفترض بأن الطفل لم يستخدم كل تلك المعلومات التي نوهنا عنها تواً أثناء تعلم اللغة ، وهي المعلومات التي استبعدها عالم اللغة التوليدي بوصفه مبتكراً لمنظومات القوانين والقواعد اللغوية ، مكرهاً بسبب التقييدات التي فرضها عليه انموذجه النظري . ان عالم اللغة ، باختياره ، لاثارة انتباه خاص الى تلك الجوانب من النشاط اللغوي التي تتصف بكونها منتظمة ، والتي بسبب ذلك ، تكون قابلة لأن تُوضع في صياغات منطقية ، يكون اذن متجهاً لانجاز مهمة أكثر محدودية ، بشكل كبير ، من تلك التي يقوم بها الطفل ، وهي بذلك مهمة تافهة بأقصى ما يمكن تصوره وتخيله ، وبخاصة اذا ما اتضح ان عوامل اللغة التي تبدو خاضعة لسياق منتظم هي تلك التي تُوصف عادة بالهامشية واللاأهمية .

فاذا ما أراد عالم اللغة أن يُنشيء نظاماً نحوياً للغة ما لا يعرفها بشكل جيد فانه والحالة هذه يكون في موقف مشابه الى حد كبير للموقف الذي يواجه الطفل عادة ، وحتى في مثل هذه المسالة فان القياس بين هاتين الحالتين لم يثبت حتى الآن ، حيث يستطيع عالم اللغة فعل الشيء القليل جداً أكثر من استخلاصه من المعطيات اللغوية ما يتصف بالانتظام وهو الذي يمكن أن يوصف بكونه قابلًا لأن

يتميز من غيره ، وبعمله هذه فان عالم اللغة ملزم بشكل مؤكد بالتأثر بما يمتلك من معرفة لغوية . أما الطفل فانه عندما يُقدّم الى « معطيات غير محللّة في اطار الاستخدام اللغوي » فانه في الحقيقة يقوم بعملية تعلم اللغة .

من الممتع حقاً ، بأن هوكيت ، الذي يُشبه جومسكي ، انتزع بعض خطوط التشابه النفسية بين العمل اللغوي بعامة وعملية اكتساب اللغة بشكل خاص ، مع ذلك فقد رأى بأن الفرق الجوهري بين المهمة التي يقوم بانجازها عالم اللغة وتلك التي يقوم بها الطفل تكون كما يأتي :

« ان الفرق الجوهري بين عملية اكتساب اللغة عند الطفل والاجراء الذي يقوم به عالم اللغة في حقل البحث اللغوي هو التالي : يجب على عالم اللغة أن يجعل تحليله لمعطياته اللغوية تتسم بالعلنية والصراحة العلمية وأن يكون هذا التحليل قابلاً للايصال الى الاخرين بعد أن يتخذ شكل مجموعة من القوانين يفهمها ، بشكل اصولي ، أي شخص مدرب لهذه المهمة والذي يكون بدوره قادراً على التنبؤ بالتعابير اللغوية التي لم تتم ملاحظتها حتى الآن بالدرجة نفسها من الدقة كما لو ان الذي قد قام بهذه المهمة هو المحلل الاصلي . ان التحليل الذي يقوم به الطفل يتألف ، من ناحية اخرى ، من مقدار كبير من الامكانات الاقترانية المتنوعة في جهازه العصبي . يتوصل الطفل ، في الوقت المناسب ، الى فهم السلوك اللغوي الملائم ، أما اللغوي فيجب عليه أن يعين هذا السلوك ويقوم بعرضه » ، (٢٠٨ : ١٩٥٧ ، هوكيت) .

وعلى خلاف هوكيت ، يبدو ان جومسكي قد افترض ان علماء اللغة يختارون في بناء قواعدهم شكل منظومات قوانين لغوية وذلك بسبب تأثرهم بنظرية أو رأي علمي معين ، أما الاطفال فانهم يقومون ، اثناء تعلم اللغة ببناء تمثيلات لهذه القواعد ، بالاضافة الى ذلك ، فانه يتوجب عليهم ، في بعض الاحيان ، مواجهة المشاكل النظرية ذاتها التي تواجه علماء اللغة عادة . يبدو لنا هذا الكلام كأنه خلط بين التعليل التوضيحي الذي يقدمه المنظّر اللغوي لظاهرة ما وبين الظاهرة ذاتها .

ربما ان أحد أهم وأوضح الأمثلة التي يمكن أن تُبين المدى الذي كان فيه عرض جومسكي لأعماله اللغوية مضللًا يأتي من استنتاج استخلصه من خلال عملية قياس وردت في نص في أحد أعماله اللغوية ، يقول جومسكي :

« ان النظرية اللغوية العامة التي تهتم بعرض المبادىء والحالات والاجراءات التي يستخدمها الطفل ليحصل على معرفته في اللغة يمكن أن تُحلّل على انها تعليل وتوضيح للمنهج المعتمد في البحث اللغوي ، وفي الوقت نفسه ، تعليل وتوضيح

للوسائل التي يتوصل بها عالم اللغة الى بناء القواعد التي يعتقدها صحيحة » ، (١١ : ١٩٧٥ ، جومسكي) .

عندما يلمح جومسكي الى ان « النظرية اللغوية العامة » General Linguistic Theory أو « علم النحو الكلي » Universal Grammar يهتمان مباشرة باستكشاف الامكانات الموجودة في مجال اكتساب اللغة وانه يمكن أن تُعد هذه العملية بمثابة توضيح وتعليل لبنية النظرية اللغوية ذاتها ، فان جومسكي ، بعمله هذا ، قد صور نفسه باسلوب انيق وكأنه مهتم بشكل مبدئي ورئيس بعلم النفس وان انشغاله بالنماذج النظرية في اللغة ياتي في المرتبة الثانية من الاهتمام . ولكن من أجل أن تكون ادعاءاته ومزاعمه اللغوية هذه مقبولة يتوجب أن تستند الى دعامة نفسية والا ليس هناك من اساس حقيقي وواقعي ثابت لادعائه بأن علماء اللغة مهتمون « بالمبادىء والحالات والاجراءات التي يستخدمها الطفل ليحصل على معرفته في اللغة » . وعندما نُدقق في هذه المبادىء والشروط والاجراءات التي يلجأ اليها عالم اللغة في العادة فاننا يمكن أن نتوصل الى حقيقة واضحة مفادها انها كلها جاءت نتيجة لمحاولة جومسكي في أمثلة اللغة الطبيعية لهذه الجوانب اللغوية بالذات لكي تتقبل الصياغة المنطقية الرياضية[١٠]. لماذا ينبغي لهذا النشاط المنفصل ، ما عدا بعض الاشياء التي يمكن أن تحصل مصادفة أو اتفاقاً ، أن يكشف كل شيء فيما يتعلق بمهمة اتمام عملية تعلم اللغة التي يقوم بها الطفل بشكل واضح والتي تتسم عادة بكونها مهمة وغنية بالمعلومات بشكل غير محدود وانها في الوقت نفسه عملية دقيقة ومعقدة في آن واحد ؟

لقد عبّر ماكس بلاك Max Black عن جوهر هذا السؤال قبل سنين مضت ، حين قال : « يمكن أن يُنظر الى النحو التحويلي Transformational Grammar بوصفه قسماً من الرياضيات Mathematics يُعَبّر عنه بأحكام وآراء نحوية Grammatical Verdicts يقوم بها رواة لغة يتسمون بالتقيد والتحديد في عملهم . وبهذا الشكل تبدو لنا المقدمات المنطقية الرئيسة التي جاء بها جومسكي بوصفها أطراً رياضية ، عندما نقول اننا نمتلك الشكل الآتي الذي يتصف بكذا وكذا وانه سوف يكفي فقط لتوليد كذا وكذا من أنواع الجمل (ابنية مجردة Abstract Structures توحي بها عبارات وجمل في اللغة حيث يمكن لمتكلمي اللغة ان يصادقوا على صحتها) .

لقد توصل جومسكي حتى الآن الى استنتاجات نفسية ومعرفية Psychological and Epistemological Conclusions تتسم بالاهمية في مجال البحث اللغوي .

فاذا كان تفكير چومسكي سليماً ، فان من الممكن أن نقدم في هذا السياق بعض المقدمات النفسية والمنطقية المعرفية من أجل توكيد اجازة هذا التحول ، أما فيما يتعلق بهذه المقدمات التي يمكن أن تُضاف الى تلك التي جاء بها چومسكي فانها غير واضحة بالنسبة لي » ، (٧ - ٤٥٦ : ١٩٧٠ ، بلاك) .

في الواقع ان هذه المقدمات الاضافية التي يحاول بلاك ايجادها من أجل توكيد الاستنتاجات النفسية والمعرفية تتسم بكونها ممكنة الايجاز وبالتالي ممكنة الاحالة الى مقدمة رئيسة واحدة :

تتلخص في فرضية چومسكي بوصف نظريته تمثل تفسيراً واقعياً للمعطيات اللغوية .

لقد حاول چومسكي أن يُبرز هذا وذلك من خلال تلاعبه بمفهوم ومصطلح النحو Grammar ، ذلك التلاعب الذي يُوصف بالمراوغة والتميز في الوقت ذاته . يقول چومسكي في مؤلفه الموسوم بـ « جوانب من نظرية النحو » Aspects of the Theory of Syntax :

« عندما نستخدم مصطلح النحو Grammar بشيء من الالتباس والغموض المنتظم (للاشارة ، أولًا ، الى نظرية اللغة التي توجد بشكل تمثيلات في عقل متكلم اللغة الأم ، وثانياً ، للاشارة الى ما يمكن أن يقدمه عالم اللغة في مجال توضيح وتعليل هذه التمثيلات العقلية) فاننا يمكن أن نقول بأن الطفل قد قام بتطوير وتمثيل اللغة بشكل عقلي توليدي ... » ، (٢٥ : ١٩٦٥ ، چومسكي) .

يعد هذا النص غاية في الأهمية ورئيساً لفهم كيفية نجاح چومسكي في تحويل نفسه من عالم لغة تقني الى عالم نفس عقلي Cognitive Psychologist . وفي هذه الحالة تم دمج شيئين مختلفين بشكل تام . فقد استخدم چومسكي المصطلح Grammar للاشارة الى عمليات لم نعرف شيئاً عن مستوى التعقيد الذي تشتمل عليه ، تلك العمليات التي يتوصل متكلمو اللغة من خلالها الى فهم العبارات والجمل الموجودة في لغاتهم . كذلك فقد تم استخدام هذا المصطلح للاشارة الى نوع من منظومات قوانين وقواعد أو نحو توليدي مبتكر ، كما رأينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، يقوم بتوضيح وتعليل جوانب من اللغة ، مقيدة جداً وتتسم كذلك بكونها غير متفق عليها بشكل كبير . ان مفهوم چومسكي لما يسمى بـ « الالتباس والغموض النحوي المنتظم » Systematic Ambiguity قد سمح له بأن يدّعي ، من دون توفر أي مبرر لذلك ، بأن الطفل يقوم بتطوير منظومة قوانين وقواعد شبيهة بتلك التي يتوصل

اليها عالم اللغة من خلال البحث والتقصي اللغويين . لقد قاد هذا الادعاء چومسكي الى ان يزعم وجود مشاكل خاصة جداً تجابه الاطفال الذين يبدأون تعلم اللغة . اننا متاكدون بأن هذه المشاكل غير موجودة على أرض الواقع وانها نشات بالاحرى من انموذج چومسكي النظري الذي أراد به تفسير عمليات تعلم اللغة . ففي سبيل المثال ، يدّعي چومسكي بأن :

« اللغوي يقوم بتطبيق مبادىء وفرضيات معينة وينتخب نظام نحو من بين عدة انظمة مرشحة تتسم بكونها منسجمة مع معطياته اللغوية . أما الطفل فانه يجب عليه كذلك أن يختار من بين أنظمة نحوية متعددة نظاماً يكون متلائماً مع المعطيات اللغوية » ، (١١ : ١٩٧٥ ، چومسكي) .

لقد واجه المنظّرون النحويون التوليديون ، كما مرّ بنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، مشكلة تقويم صياغات مختلفة للقواعد النحوية التي ابتكروها ، تلك القواعد التي أبتُكِرت ، ويجب أن نؤكد على هذا ، لتتعامل مع جوانب محددة من الشكل اللغوي . لم يفرّق چومسكي ، في هذا الوضع ، بين مشاكل الطفل التي تظهر اثناء تعلم اللغة (كما يقول بهذا) وبين تلك المشاكل التي يمكن أن تواجه عالم اللغة الذي يستخدم لغة من أجل ايضاح ووصف لغة اخرى Meta - Linguist ، مع ذلك ، فان هذا يمثل مساواة أو معادلة غير متوازنة ، الى حد بعيد جداً ، حيث يحاول چومسكي ، في هذا السياق ، أن يدعم هذه المعادلة من خلال اصراره على ان الطفل الذي يحاول أن يبتكر قواعد نحوية للغة التي يتواجه معها ، للمرة الاولى ، يمكن أن يجابه مشاكل عسيرة اذا لم تكن هناك قيود على الشكل الذي يمكن أن تتخذه تلك القواعد النحوية . تستطيع قوانين چومسكي العامة وقواعده الكلية أن تقوم بتوفير تلك القيود على الشكل الذي تتخذه القواعد النحوية التوليدية ، لذلك ادّعى ان من الممكن أن يُقال باننا نستطيع أن نساهم في تطوير فهمنا للقيود التي يتحرك ضمنها وفي اطارها الاطفال عندما يشرعون في صياغة القواعد النحوية واللغوية العامة التي تؤدي بهم الى تعلم اللغة . لاحظ ، ان من الجائز لرأيه هذا أن يكون مقبولًا فقط طالما ان غموض المصطلح Grammar بقي ثابتاً وكما كانت عليه الحال دائماً ، فطالما ان المعنيين بقيا منفصلين بشكل واضح ، فان من الجليّ ، والحالة هذه ، الا تكون هناك صِلات توضيحية تعليلية ضرورية بين القيود التي يتطلبها عالم اللغة ليفرضها على نوع خاص من النماذج النظرية الشكلية غير المستقرة أو التي تتصف بالتزعزع الواضح وبين تلك العمليات المعقدة التي تشتمل عليها عملية اكتساب

اللغة . واذا ما أمعنّا النظر في ادعاءات چومسكي ومزاعمه وتعمقنا فيها بشكل أكبر ، يتضح بانها كانت متسرعة ونابعة من الاحتياج الذي كان يضغط عليه لتبرير وتفسير انموذجه التوضيحي التعليلي الشكلي جداً الذي اقترحه بل ادخله عنوة في ميدان علم اللغة .

يقول چومسكي :

« ان مشكلة ... الكفاية التوضيحية التعليلية Explanatory Adequacy ... هي في الجوهر مشكلة بناء وايجاد نظرية في اكتساب اللغة ، أي التوصل الى التوضيح والتعليل العلميين للقدرات النظرية الخاصة التي يمكن أن تجعل من مسألة انجاز عملية اكتساب اللغة حقيقة ممكنة » (٢٧ : ١٩٦٥ ، چومسكي) .

بتعبير آخر ، ان المتطلبات الشكلية للقواعد الكلية سوف تكون قابلة للتبرير وستكون لها قيمة علمية أكبر بكثير مما هي عليه الآن اذا ما تم تبيان انها جزء من عملية تعليل وتوضيح للقدرات الفطرية الخاصة التي يمتلكها الطفل . ان الموضوع الذي يمكن أن ندرسه بسهولة هو الاتجاه الذي سلكه تبرير الدوافع التي كانت ، في الواقع ، السبب في استمرار العمل في نطاق علم اللغة التوليدي . لقد أدخل چومسكي ، ولأول مرة ، في علم اللغة ، انموذجاً نظرياً مصوغاً بشكل استنتاجي وذلك من أجل توفير أساس نظري أقوى وأكثر ثباتاً للأعمال النحوية التي أنجزها وصفيّو أمريكا الشمالية . لذلك فان الذي تم انجازه في البداية ، اذا ما صيغ بشكل مبسط ، لا يعدو أن يكون مجرد نظرية شكلية في النحو ، لقد أوحت هذه النظرية لچومسكي فرضيات حول موضوعات التنظيم العقلي Cognitive Organization واكتساب المعرفة اللغوية Acquisition of Linguistic Knowledge ، إلا ان هذه المزاعم النفسية التي كانت السبب الرئيس في شهرة چومسكي قد نشأت ، في البداية ، من الدافع الذي كان لديه لتبرير وتفنيد نظرية تجريبية أو قابلة للاختبار ، حيث يمكن ، لو انها كانت كذلك ، ان توفر أساساً أكثر قوة ومنعة لنتائج البحوث التجريبية التي أُنجزت في حقل اكتساب اللغة عند الاطفال . كذلك فان اصول هذه النظرية مختلفة جداً ، حيث ان الدافع الرئيس لها كان توفير نظرية مصوغة بشكل استنتاجي تتصف بالصرامة والكفاية العلميتين في مجاليّ التبرير والتعليل وأن تكوْن بمثابة توضيح للبنية اللغوية دون أن تُشير على الاطلاق الى العمليات العقلية الحقيقية Actual Congnetive Processes . حتى الآن ، غالباً ما توحي كتابات چومسكي الرئيسة بآراء مختلفة ، الى حد ما ، بشأن علاقة دراسته للغة بدراسة

العقل البشري . ففي النص الذي أستشهدنا به آنفاً بخصوص الاستخدام الغامض للمصطلح Grammar ، في سبيل المثال ، فاننا رأينا بأن الشكل الذي تم به تقديم مصطلح « الغموض والالتباس النحوي المنتظم » Systematic Ambiguity يتسم بالتقييد الكبير وبالقيمة الواضحة في ذات الوقت .

لقد أصبح التمثيل العقلي لنظرية اللغة ، التي يتكلمها متكلم اللغة الأم ، المعنى الرئيس للنحو ، أما الآن فيُنظر الى عالم اللغة بوصفه الشخص القادر على أن يوضح هذه المسألة ويبررها علمياً .

لقد كانت النظرية الشكلية لعالم اللغة ، وحتى وقت قريب من الآن ، في الحقيقة ، هي التي تقوم بتوفير الاساس للادعاء النفسي بأن متكلمي اللغة يمتلكون نظاماً نحوياً توليدياً ممثلًا في النظام العقلي لكل منهم بالاضافة الى هذا ، كانت نظرية چومسكي في اللغة محدُدة في مجالها ، ولو انها كانت ، من الضروري أن تكون كذلك ، وقد وفرت بذلك الجانب الصُلب الوحيد التأملي « لنظريته في اللغة » .

ان المزاعم النفسية التي ادعاها چومسكي لنظريته تبدو لنا مهمة من ناحيتين : أولًا : ان هذه الادعاءات تهم چومسكي نفسه بقدر ما تكون قد وفرت ، ولسنوات عديدة وحتى الآن ، ما يراه تبريراً للعمل الذي يجري لتوسيع وتطوير القواعد النحوية التي تُستخدم في ايضاح ووصف قواعد شكلية للغة اخرى أو تُستخدم في تطوير وتوسيع مجالات قواعد النحو الكلية Universal Grammars ، .وثانياً ، لقد كانت هذه الادعاءات النفسية مهمة بالنسبة الى چومسكي وذلك لانه يستطيع ، من خلالها ، ابداء ارتيابه بالأسس التي يستند اليها علم النفس السلوكي Behaviourist Psychology التي ازدهرت في الوقت الذي كان فيه چومسكي يطور اصلًا انموذجه اللغوي الشكلي . مع هذا وبسبب من ادعاءاته ومزاعمه النفسية التي اخذت بمبدأ التوضيح الغامض وغير الوافي في العمل التجريبي في هذا الحقل المعرفي ، فانها لم تكن ذات قوة توضيحية تبيينية تعليلية ولا تتمتع حتى بالقوة الايحائية ولو بشكل مشابه ، في سبيل المثال ، لما جاء في عمل برونر Bruner ، لما يمكن أن يحدث بالفعل عندما ينتقل طفل من اشكال وانماط اتصال قبل ـ لغوية الى استخدام اللغة بشكل صحيح .

نود هنا أن نختتم حديثنا في هذا المجال بالقول ان مفهوم الفطرة Innateness عند چومسكي لا يمكن ، بأية حال من الاحوال ، أن يعد مساهمة ايجابية من علم اللغة الى علم النفس لكن ، من ناحية اخرى ، ينبغي أن يُنظر اليه ، بالاحرى ، على

انه انعكاس لخصومة جومسكي مع علماء النفس السلوكيين . مع هذا ، فقد كان لرأي جومسكي وموقفه المضاد للسلوكية Behaviourism أهمية من جوانب اخرى ، وبشكل خاص ، كان لهذه المواقف المضادة تأثير مغوٍ على المواقف والآراء العامة ضمن اطار علم اللغة التوليدي تجاه المشاكل الحقيقية ذاتها والمتاصِلة في موضوع تثبيت معطيات ذات صِلة وايجاد توكيدات تجريبية للفرضيات اللغوية . لقد وصف كواين Quine السلوكية على انها اسم للطريقة التي يتبعها الماديون Materialists في عملهم في مجال علم النفس . على هذا الاعتبار ، لم يكن من غير المعقول أن يُرى رفض جومسكي للسلوكية في علم النفس على انه جزء من رفض أكثر عمومية للمادية Materialism . وبتبسيط شديد ، يمكن أن يُقال ، وكما هو معروف في تأريخ الفكر ، بأن الهروب من المادية قد قاد ، على نحو ثابت ، الى شكل ما من أشكال المثالية Idealism . ولدواعي هذا العرض العلمي ، يمكن أن نفهم ان المؤمن بالمنهج المادي Materialist هو تقريباً أي شخص ينظر الى الواقع على انه يتألف من أشياء مادية ترتبط فيما بينها بعلاقات مكانية وزمانية توجد بشكل مستقل عن تجربة وممارسة أي من تلك العلاقات . أما المثالي Idealist ، من ناحية اخرى ، فيمكن أن يُتَصور على انه ذلك الشخص الذي يمكن أن يرى الواقع على انه انعكاس للنظام العلاقي Relational System ، ذلك النظام الذي يشتمل على بناء تكون طبيعة عناصره المنفصلة ممكنة الفهم فقط بقدر ما يكون النظام ككل مفهوماً بشكل كامل بالنسبة للمثالي . وفضلًا عن هذا ، فان النظام يعتبر غير قابل للاستخلاص من مجموعة كبيرة من الحقائق التي يمكن أن تتوفر لنا بشكل ما ويمكن تصورها الى حد ما بوصفها معتمدة على المساهمة التي يقوم بها العقل البشري . فاذا ما تعرفنا على نظرية الفيلسوف « كانْت » Kant في اعتماد العقل البشري على الواقع ، فربما لا يكون مدهشاً اذا قلنا ان الفلاسفة قد يعدون آراء جومسكي فيما يخص القابلية الفطرية للانسان ، في بعض الاحيان ، على انها افكار كانْتيّة في غلاف لغوي . من اللافت للنظر في هذا السياق بان جومسكي نفسه قلما يشير الى الفيلسوف كانْت ولكنه ، من جانب آخِر ، كثير الاشارة الى الفيلسوف ديكارت Descartes والى مجموعة من الفلاسفة عرفت باسم افلاطونيي كمبردج[1] Cambridge Platonists ، ففي كتاب جومسكي الموسوم بـ « علم اللغة الديكارتي » Cartesian Linguistics وفي سياق نقد عام للآراء التجريبية في مجال الاكتساب اللغوي ، استشهد جومسكي بجورج هيربرت لورد چيربري George Herbert of Cherbury الذي استطاع تطوير مفهوم

مفاده ان هناك :

« ... مبادىء ومفاهيم معينة راسخة في عقولنا الى الحد الذي يمكنها أن تاتي باشياء من داخل أنفسنا ... كـ ... هبة مباشرة من الطبيعة ، وهذا هو مبدأ القدرة الطبيعية » ، (٦٠ : ١٩٦٦ ، جومسكي) .

يستمر اللورد جورج هيربرت في تعليقه قائلاً « ان بالرغم من ان هذه المفاهيم العامة الشائعة تحفزها وتثيرها المدركات الحسية ... فان لا أحد مهما تكن آراؤه متطرفة وغريبة يمكن أن يتخيل انها ممكنة الانتقال عن طريق المدركات الحسية نفسها » ، (٦٠ : ١٩٦٦ ، جومسكي) .

وفي مكان آخر ، يُشير جومسكي الى تعليق ديكارت فيقول :

« هل يمكن لاي شيء أن يُتَخَيل باسلوب أكثر منافاة للطبيعة والعقل بطريقة أكبر من قولنا ان كل المفاهيم الشائعة والمعروفة والمتاصِلة في عقلنا ينبغي أن تكون قد نشأت عن هذه الحركات المادية الموجودة في الطبيعة ويجب أن تكون عاجزة عن الوجود بدونها » ، (٦٧ : ١٩٦٦ ، جومسكي) .

من المعروف ان ليس باستطاعتنا أن نقدر الشيء حق قدره ونقوم بتقويم آراء ومواقف كثيرة خلال قرون عديدة عالجت بدقة وتنوع موضوعات تتعلق بالفلسفات العقلانية والتجريبية من ناحية وعالجت موضوعات اخرى تتعلق بالفلسفات المثالية والمادية من ناحية اخرى(١٢). لكن ، مع ذلك ، من المهم جداً ، في قضية فهم مواقف وآراء جومسكي ، أن نكون واعين للمقدار الكبير من الانهماك والاستغراق في موضوعي الفلسفة العقلية والمثالية الذي استطاع منهج جومسكي في البحث اللغوي أن يعكسه ، وأن نكون واعين كذلك للكم الضئيل الذي استطاع هذا المنهج تقديمه فيما يخص الفلسفة التجريبية . من الصعب جداً(١٣)، دون اللجوء الى التبسيط المفرط غير الاصولي ، أن نُعطي توضيحاً مؤثراً للطريقة التي يمكن من خلالها تبيان فلسفة جومسكي العقلانية والمثالية ، بشكل واضح ، في منهجه اللغوي وبخاصة عندما يعالج جومسكي مسائل وقضايا لغوية خالصة .

مع ذلك ، يمكن للنص التالي أن يمثل اسلوب المحاججة الذي استخدمه جومسكي بشكل مطرد سنين عديدة . في هذا النص ، تتم مناقشة المبادىء العميقة التي يتوجب اعتمادها عند القيام بمهمة صياغة الاسئلة في اللغة :

« تأمل ... عملية صياغة الاسئلة في اللغة الانكليزية ، فاذا ما تكلمنا باسلوب تقريبي ، فاننا يمكن أن نقول : أينما يكون هناك اسم في الجملة فاننا يمكن أن نسال

أو نستفهم عن ذلك الاسم . فاذا قلت : « I saw John » (رأيت جون) فاننا يمكن أن نحصل على السؤال المطابق : « Who did I see ? » (مَنْ رأيت ؟) ، وبشكل مماثل وبطريقة تُشبه اسلوب التوكيد النحوي يمكن أن نقول :
« He thinks that he saw John » (يعتقد انه رأى جون) وفي هذه الحالة يمكننا أن نصوغ سؤالًا للاستفهام عن الاسم الوارد في هذه الجملة فنقول : Who does he » think he saw ? » (من يعتقد انه رأى ؟) . وهكذا يمكن أن تكون لدينا قاعدة نحوية مقبولة في اللغة الانكليزية كخطوة اولى : « عند صياغة سؤال في اللغة الانكليزية عين الموقع الذي يمكن أن يظهر فيه الاسم ، ضع في ذلك الموقع كلمة مثل « who » (مَنْ : للفاعل العاقل) أو « whom » (مَنْ : للمفعول به العاقل) أو « What » (ما : لغير العاقل) ، وحرك هذه الكلمات لتكون لها الصدارة في الجملة ، (وقم بعمل بعض الاشياء البسيطة الاخرى) » . عندما تاتي لتنفيذ هذه القاعدة ستجد وبسرعة ان بالرغم من انها يمكن أن تكون عاملة على نطاق واسع ، إلا انها مع ذلك تفشل في معالجة بعض القضايا الاخرى .

لنفترض ، في سبيل المثال ، اننا قلنا :

« He wonders who saw John » (يتساءل مَنْ الذي رأى جون) واننا حاولنا أن نسأل عن « جون » ، فعند ذلك تكون الجملة الناتجة عند تطبيق القاعدة النحوية المفترَضة آنفاً هي :

« Who dose he wonder who saw ? » ، (مَنْ تساءل عمن رأى ؟) . حيث سنعلم حالًا بأن هذا التركيب لا يُعَد جملة . يمكن أن نقول بأنه ليس بجملة وذلك لانها فشلت في أن تكون ذات معنى ، لكن يبدو ان هذا الحكم ليس بالحكم الصائب ، وانه خاطىء بشكل تام ، وذلك لكون ان هذه الجملة التي يمكن أن تتسم بكونها جملة غير حقيقية ، تحتوي على معنىً تام . فاذا كانت جملة ، عندئذ يمكن لنا أن نعلم وبشكل دقيق ماذا تعني (مَنْ يكون كذا يتساءل عن مَنْ رآه ؟) ذلك ما يمكن أن تعنيه هذه الجملة ، لكننا لم نقل هذا . انها فقط لا يمكن أن تكون احدى الجمل الجائزة في اللغة الانكليزية لذلك يجب أن يكون هنالك مبدأ ما يكون جزءاً من قواعد النحو في اللغة الانكليزية منعنا من أن نقول جملة كهذه . يبدو من غير المحتمل أن يكون أي أحد قد قام بتدريس هذا المبدأ في أي يوم من الايام ... في حقيقة الامر ، ليس هناك من أحد يعلم هذا المبدأ حتى اليوم ... فلو كان بالامكان اكتشاف ماهية هذا المبدأ ، لكان باستطاعتنا أن نصوغ فرضية تتمتع بقوة القبول فيما يتعلق بماهية

وكنهِ ذلك الشيء الذي يمكن أن يساهم ، وبشكل معقول في الكشف عن الموهبة « الطبيعية لدى الفرد الذي يودُّ تعلم اللغة » ، (٢١١ : ١٩٧٨ ، ماغي) .

لا تكمن الاهمية العامة لهذا النص في المثال الخاص الذي يناقشه چومسكي وانما تتاتى ، بالاحرى ، من شكل الحجة التي يستخدمها چومسكي في هذا السياق ، ذلك الشكل الذي أصبح فيما بعد بمثابة ميزة فارقة للمنظرين التوليديين . في هذا النص ، يوضح چومسكي لمستضيفه براين ماغي Bryan Magee لماذا يمكن أن تكون هناك أنواع خاصة من الجمل لا يجوز استخدامها في اللغة الانكليزية وانها لا ترد فيها أبداً . ان الغرض من توضيح چومسكي لهذه المسالة هو لتبيان حقيقة ان عدم ورود هذا النوع من الجمل قد يكون بسبب بعض القيود النحوية الكلية Universal Syntactic Constraints والتي تشكل جزءاً من النظام العقلي Rational System الذي يمتلكه مستخدمو اللغة وراثياً . اذا ما افترضنا باننا سنقوم بدراسة تفصيلية لهذه الحجة ، فان ذلك سيقودنا الى الاستنتاج الذي يؤكد ان بعض المبادىء الشكلية والكلية ممكنة الارجاع الى الخصائص الفطرية للعقل . تبدأ هذه الحجة بافتراض ان لدينا قاعدة عامة تُستخدم في عملية صياغة الاسئلة في اللغة الانكليزية . وفضلًا عن ذلك ، تفترض هذه الحجة أيضاً ، بان هذه القاعدة ذات صيغة شكلية ، أي انها سوف لا تتاثر بالوظيفة التي يمكن أن تؤديها الاسئلة في اللغة الانكليزية ، وانها لا تتاثر أيضاً باية مكونات اخرى يمكن أن تشتمل عليها ، كما هي الحال في وجود كلمات مثل : « wonder » (يعجب ، يتعجب ، يتساءل ، يشك ... الخ) و « doubts » (يشك أو يرتاب في) و « asks himself » (يسائل نفسه) ... الخ ، وانها بدلًا من ذلك ، تاخذ بنظر الاعتبار قضية توزيع الصيغ اللغوية المختلفة وترتيبها .

اذن يمكن أن تُصاغ القاعدة العامة كما يلي :

من أجل أن نصوغ سؤالًا في اللغة [الانكليزية] عيّن الموقع الذي يمكن أن يظهر فيه الاسم ، ضع في ذلك الموقع كلمة مثل : « who » أو « whom » أو « what » وحركها لكي تاخذ الصدارة في الجملة ... أما الحركة المتميزة المقبلة فهي اشارته الى أمثلة في اللغة الانكليزية لا تستطيع قاعدة عامة كهذه أن تتعامل معها بكفاءة ، وفي مثل هذه الحالة يختار چومسكي جملًا من نوع :

He wonders who saw John . انه يتساءل عن

مَنْ رأى جون .

ان التطبيق الميكانيكي للقاعدة الافتراضية العامة يُنتج لنا جملًا لغوية غير مقبولة تماماً من الناحية النحوية وذلك مثل :

مَنْ تساءل مَنْ رأى ؟ Who does he wonder who saw ?

أما المرحلة المقبلة فتتسم باثارة سؤال تقليدي هو : لِمَ ترد هذه الصيغ والاشكال في اللغة ؟ ولماذا يتم استبعاد ، كما فعل جومسكي هنا « وبشكل خاطئ » ، مسألة ان المعنى يشكل عاملًا مهماً بل وحاسماً في التحليل اللغوي بعامة .

تشكل قضية ابعاد المعنى من التحليل اللغوي جزءاً مهماً جداً من حجة جومسكي هذه لأنه اذا اتضح بأن الأسباب الكامنة وراء عدم ورود هذا النوع من الجمل هي أسباب دلالية عند ذاك ، يثبت هذا حقيقة مفادها ان الاعتبارات الدلالية تلعب دوراً مهماً للغاية في موضوع صياغة الاسئلة في اللغة ، فاذا كانت هذه هي الحالة بالفعل فسيكون من الصعب على جومسكي أن يدّعي بان هذا يشكل مبدءاً نحوياً مقرراً بشكل وراثي فعّال وانه ذو أثر بيّن وواضح في اللغة . ان من المهم أن نضع في اذهاننا احتياج جومسكي عند ايراده حججه ، والعمل بكل الطرائق الممكنة ليُبقي عليها صامدة ضد النقد ، الى الالتجاء الى مقولة ان الجمل التي لا ترد في اللغة ، ولو انها غير نحوية ، إلا انها ينبغي أن تكون ذات معنى . لهذا ، ليس من المدهش أبداً أن نجده يزعم في هذه الحالة بأن السؤال الذي يوصف عادة بكونه غير مقبول تماماً من الناحية النحوية ، مثل :

Who dose he wonder who saw ? هو ، في الواقع ، مقبول من الناحية الدلالية وبشكل لا يرقى اليه الشك مطلقاً . يضيف جومسكي الى ذلك قضية اذا كان هذا السؤال ممكن الحدوث في اللغة فانه لذلك سيكون مفهوماً وبسهولة متناهية ، حيث سيعني ، كما يقول جومسكي :

Who is such that he wonders who saw him ?

مَن هو هذا الذي يتساءل عن الذي رآه ؟

ان الصعوبة التي عانينا منها ، ووجدنا اننا لسنا الوحيدين في هذا ، هو اننا لم نستطع أن نجد بأن السؤال :

مَن تساءل مَن رأى ؟ Who does he wonder who saw ?

يحتوي على أي معنى على الاطلاق .

لا يمكن لنا أن نعتبر عدم الاتفاق هذا حول مسألة توفر المعنى

Meaningfulness في الجمل غير الحقيقية pseudo - sentences قضية غير مهمة . انها تشكل ، برأينا ، جانباً حاسماً في القضية التي يطرحها چومسكي حول موضوع الموهبة الطبيعية والقدرة الوراثية وعلاقتهما بالمبادىء النحوية الكلية Universal Syntactic Principles ، تلك القضية التي تقول بان عدم ورود اشكال وصيغ لغوية كالجمل غير الحقيقية التي يُستشهد بها ينبغي أن تكون ذات دلالة واضحة . فاذا لم تكن ذات دلالة واضحة ، فيمكن عندئذ أن يكون انتفاء المعنى Meaninglessness كافياً لتوضيح عدم مقبوليتها Unacceptability . أما اذا كانت هذه الجمل ذات معنى ، كما يدّعي چومسكي ، فسيكون الطريق عندئذ مفتوحاً له للزعم باننا سنحتاج الى المبادىء النحوية ، وليس الدلالية ، لتوضيح مسالة عدم ورود مثل هذه الجمل بشكل عملي في اللغة . قبل أن نقوم بدراسة ماهية هذا المبدأ النحوي ، دعنا نفترض باننا كنا على صواب في نظرتنا بان جملة السؤال الآتي :

Who does he wonder who saw ?

ليست بذات معنى ، لكن وعلى غير ما ذهب اليه چومسكي ، سوف لا نكون ملتزمين تماماً بسلوك اسلوب تعليل توضيحي يعتمد على مبدأ توزيع الصيغ والاشكال اللغوية . اذن ، هناك عدد من الاسباب التي توحي بحد ذاتها بالسبب الذي منع من تطبيق القاعدة التقريبية التي جاء بها چومسكي في هذه الحالة .

ان هذه الأسباب ، ومن المهم توكيد ذلك ، غير مقيّدة بالكامل بالاشكال اللغوية وتوزيعاتها بالمقارنة مع أشكال اخرى وانما تتضمن وظيفة استخدام الاسئلة اثناء الحوارات الحاصلة بين مستخدمي اللغة المهتمين بتفهم بعضهم للبعض الآخر . فمن بين الاسباب ، في سبيل المثال لا الحصر ، ان أحداً لا يود أن يستفهم عن الاسم « John » بالطريقة المفترضة بالتركيب الآتي :

يتساءل عن مَنْ رأى جون . He wonders who saw John

وفي مثل هذه الحالة يكون (جون) مكوّناً في سؤال غير مباشر « Who saw John ? » (مَن رأى جون ؟) ، ومكوّناً قد يمكن الاحساس به والتعرف عليه في السؤال اعلاه من أجل أن يكون ذا معنى .

يمكن لتحليل الاسئلة أن يوضح بالتاكيد ، باننا وبشكل اعتيادي بامكاننا أن نسال اسئلة بشان شيء ما ، يُعَد معروفاً ومعلوماً بيننا وبين من يشترك معنا في حوار لغوي ودون أن يكون هناك افتراضات مسبّقة بشان المعرفة التي يمكن أن نشترك بها مع الآخرين والتوقعات والاعتقادات التي نحملها وسيكون من الصعب

علينا أن نرى كيف يمكن لهذه الاسئلة أن تنشأ[١٤]. اننا لسنا بصدد محاولة افتراض حل المشكلة التي اثارها جومسكي ، وانما نريد ، بالاحرى ، أن نُعطي فكرة عن مدى العوامل ذات الصِلة بالدور الذي يمكن أن تلعبه صيغ السؤال في التبادلات اللغوية التي تتوفر على المعنى المطلوب ، تلك التبادلات اللغوية التي ـ اعتماداً على وجهة نظر جومسكي النابعة من ايمانه بالفلسفتين المثالية والعقلانية ـ وصفها لتعالج جانباً لغوياً واحداً . ان وضع هذه الاشياء كلها لتعالج جانباً واحداً ، ترك جومسكي حراً ليرى عدم ورود جمل لغوية مثل :

Who does he wonder who saw ?

لقد وضع جومسكي حلًا لهذه المشكلة يمكن تلخيصه بادعائه الذي يؤكد على وجوب أن تتقيد القاعدة العامة الاصلية في تطبيقها على صيغ من هذا النوع . أما الحركة النهائية في هذا الموضوع فقد ركزت على زعمه بأن القيد Constraint أو الشرط Condition المفروض على ملائمية انطباق Applicability القاعدة يمكن أن يُعزى الى بعض الخصائص الفطرية للعقل البشري . أما المبدأ ذو الصِلة الذي عرف أصلًا باسم (A - over - A) والذي ينسبه جومسكي للتكوين الوراثي فقد تم تطويره وتوسيعه بشكل كبير جداً وهو الآن يشكل جزءاً مهماً من الدراسة العامة للقيود المفروضة على القواعد التحويلية في النحو . لا تُعَد تفاصيل التعديلات المتنوعة التي حصلت في اطار هذا الموضوع بذات قيمة كبيرة طالما ان الذي يهمنا هنا هو الشكل العام للمبادىء التعليلية Explanatory Principles المزعومة كتلك التي ذكرناها آنفاً ، أما الذي فعله جومسكي فهو لا يعدو أن يكون محاولة لايجاد شروط يفرضها على القدرة التوليدية لقواعده وقوانينه النحوية . ان هذه الشروط التي تمنع اشتقاق الاشكال والصيغ التي لا ترد أصلًا في اللغة عُدّت بعد ذلك جزءاً من قواعد النحو الكلّي التي قيلَ ان مستخدمي اللغة مزودون بها بشكل وراثي .

وبغض النظر عن عدم الاهتمام بالتوكيد التجريبي ، فان ما هو واضح للعيان بشأن هذا الاسلوب في المحاججة ، هو انه يشتمل على مشاكل توضحت فيها ، وبطريقة لا تقبل اللبس أو الغموض ، الصفة الاصطناعية المتكلفة لمنهج خاص في مواضيع بناء النظريات المعرفية . لقد لاحظ جومسكي بأن توزيعات معينة لاشكال لغوية نادراً ما تحدث أو انها قد لا تحدث البتة . بعد ذلك ، حاول جومسكي أن يحصل على تعليل وتبرير منطقيين لعدم حدوث توزيعات لأشكال لغوية معينة اخرى وذلك من خلال فرض تقييدات على الوسائل الشكلية المستخدَمة في انتاج الاشكال

اللغوية ذات الصلة . ان الذي لم يعلمه چومسكي بوضوح هو انه لم يقم باجراء تحليل اضافي لاستخدام هذه الاشكال ودلالاتها ـ وفي هذا نعني عمليات صياغة الاسئلة ـ في التبادلات اللغوية الحقيقية . ان الذي حدث ، كما يبدو ، هو ان التزام چومسكي باسلوب معين في بناء النظرية اللغوية وتوفير الشكل السليم والمشروع لها قد أجبره والعاملين معه على تبني اسلوب محاججة يُنظر له على انه يبعث على خلق مشاكل ، وانه قد لا يمكن أن يكون كذلك ، لو ان هدف هذا الاسلوب لم يكن يعتمد تطوير انموذج شكلي من نوع خاص يقع ضمن اطار مثالي في جوهره . تتلخص فكرتنا العامة في هذا السياق بأن علم اللغة عند چومسكي وعند اولئك الذين يعملون في اطاره قد ابتعد كثيراً عن موضوعه ومادة بحثه التي هي اللغة . لقد أعطى اسلوب چومسكي في الجدل وايراد الحجج توضيحاً لهذا الابتعاد . كذلك فقد تسبب التزام چومسكي بالفرضية التي تقول بأن مستخدمي اللغة مجهزون وراثياً بقدرة كبيرة وفعالة في مجال قواعد النحو الكلي ـ تلك الفرضية التي قام بتخيلها أصلاً في وقت تقديمه الاطار الاول لانموذجه الشكلي المبتكر الذي جاء استجابة للعمل الذي قام به الوصفيون آنذاك ـ ذلك الموضوع الذي جعله يتبع مشاكل ليس لها صِلة بالواقع وبالوجود معاً .

فاذا ما تم توسيع مجال عمل علم اللغة النظري ليتضمن بحثاً شاملاً ومنتظماً في استخدام اللغة ووظيفتها بوصفهما نشاطين هادفين يشتملان على ادراك الدور الجوهري الذي تلعبه المعرفة والاعتقادات التي يمتلكها متكلمو وسامعو اللغة على حد سواء ، والأهم من هذا كله ، ادراك التوقعات التي تحدث في اطار الوظيفة اللغوية ، وبعد ذلك ادراك أهمية عدم حدوث جملة من نوع :

Who does he wonder who saw ?

فعند ذلك يمكن أن تكون قضايا كثيرة جداً قابلة للتوضيح والتعليل وذلك من خلال اعتماد وسائل مختلفة تماماً . ان هذا لا يعني ، مع ذلك ، اننا نريد أن نتغاضى عن المساهمة الفعالة التي يؤديها كل من الشكل Form والبنية Structure في اللغة عند الاستخدام الفعلي لها ، بل على العكس من ذلك ، اننا نطمح ونرغب بالاستمرار في دراسة الشكل والبنية في اللغة بوصفهما عاملاً واحداً يتفاعل مع مجموعة عوامل اخرى تساهم جميعاً في فهم الجمل والعبارات اللغوية . مع هذا ، فان المشكلة سوف لا تكون متعلقة بموضوع فيما اذا كان علم الدلالة Semantics معتمداً في وجوده على علم النحو Syntax أو ان علم النحو هو الذي يقرر وجود علم الدلالة ويوجه مساره أو

العكس بالعكس ، ولكن المهم في هذا السياق هو تبيان وزن وقيمة العوامل المتفاعلة ذات الصلة في الحالات اللغوية الاعتيادية . ان تاسيس وتثبيت طريقة لتبيان أهمية هذه العوامل المتفاعلة لا يمكن ، بأية حال من الاحوال ، أن يكون مهمة بسيطة ومباشرة أو واضحة المعالم كلياً . حيث ان هناك مسالة مهمة واحدة أصبحت الآن أكثر وضوحاً ، من ذي قبل ، وهي انّ منهجاً يفترض وجوب صياغة للمشاكل اللغوية بوسائل تكون متماشية مع بناء نماذج نظرية تتخذ شكل نظام استنتاجي ، يحتمل أن يكون منهجاً غير منتج طالما انه يتطلب أطراً مُؤمْثَلة كثيرة تقود الى تشويه موضوع البحث اللغوي ، وهذا يعني ، بأن علماء اللغة سوف يبعدون انفسهم كثيراً عن مبدأ التعليل اللغوي الذي أدخله چومسكي الى علم اللغة وذلك بعد أن اقتبسه من العلوم الطبيعية . وقد يلجا علماء اللغة للبحث عن اسلوب آخر في التوضيح التعليلي يلائم ، بشكل أكبر ، موضوع بحثهم اللغوي ، حيث يمكن أن يصبح هذا الاسلوب منهجاً يحاول استكشاف اهمية ووزن كل تلك العوامل المتفاعلة التي تعوق عمل فرضية مركزية في فكر چومسكي اللغوي ، وهي الفرضية التي تؤكد الاستقلال الذاتي الذي يتمتع به علم النحو عن المكونات الاساسية الاخرى في اللغة .

ان الفكرة التي تقول بأن علم النحو يكوّن نظاماً مستقلّا عن المعنى ، والرأي الآخر ذو الصلة الذي يؤكد على امكانية دراسة اللغة فقط بوصفها نظاماً مستقلّا عن اعتقادات وتوقعات مستخدميها ، كلها انعكاسات جوهرية لنزعة عقلانية ومثالية يتوجب تركها . أما رأينا في هذا المجال فانه يتلخص باعتبار اللغة ظاهرة مصاحبة للعالم الخارجي وللواقع كما يدركها مستخدموها . ولذلك فان أية دراسة لغوية تهدف الى التوضيح التعليلي تحتاج الى أن تاخذ بنظر الاعتبار المعرفة والاعتقادات والتوقعات والاغراض التي يرمي اليها عادة مستخدمو اللغة .

سوف نقوم باستكشاف هذا الرأي وذلك في الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب حيث سنحاول تحرير أنفسنا من هذا النسيج المعقد من الفرضيات التي أصبحت تسيطر كثيراً على الفكر اللغوي خلال العقدين أو الثلاثة العقود المنصرمة من هذا القرن .

سنتوق الى رجعة اخرى لما اطلق عليه نورثروپ تسمية مرحلة تحليل المشكلة Analysis of the Problem Stage ونقترح بأن علم اللغة باعتباره علماً انسانياً Human Science سيحتاج كثيراً لان يعثر على صيغة من التوضيح التعليلي الذي يأخذ بنظر الاعتبار الشكل والطبيعة الخاصة للغة لانها تشكل موضوع بحثه على العموم .

هوامش المؤلفين

١ - اذا ما نظرنا الى هذا من اطار أوسع فيمكننا القول بان النزاع في مجال البحث اللغوي يشتمل على بعض الحالات المشابهة في الحوار قديم العهد في تاريخ فلسفة العلم حول الاراء المثالية والمادية في تقويم النظريات العلمية . يمكن لهذه القضايا أن تُصبح معقدة بشكل هائل جداً ، ويمكن كما قد أقترح مراراً ، أن تكون مجرد اختلاف في « اشكال مفضلة من الكلام » ، (١٥٢ : ١٩٦١ ، نايجل) . أما في الادب اللغوي الخاص بالوصفيين ، فقد كان علم اللغة ، الذي يعد اللغة بنية حقيقية تنتظر الكشف عنها God's truth Linguistics ، أقرب الى المنهج الواقعي في التفكير اللغوي ، بينما كان علماء اللغة ، الذين ينظرون الى معطياتهم اللغوية على توقع انهم سيفرضون تنظيماً معيناً عليها لكي يظهروا الطُرُز البنيوية لها Hocus - Pocus Linguists ، أقرب الى علماء اللغة الذين يعتقدون بصحة المنهج البراكماتيكي في البحث اللغوي ، مع هذا ، فان جومسكي يعني ، وبشكل ذي مغزى كبير ، بأنه في عمله في البحث اللغوي ... « يسلّم جدلًا بصحة المنهج الواقعي » ، (٣٧ : ١٩٧٥ ، جومسكي) .

٢ - لا تحتوي تعليقات جومسكي ، اذا ما كنا دقيقين جداً ، على الشيء الكثير فيما يخص مبدأ الفصل بين المستويات The Principle of Separation of Levels ومبدأ التحليل من اسفل الى أعلى Bottom - to - Top Ordering Principle في مجال البحث اللغوي .

٣ - يقول جومسكي : مهما تكن الالتزامات النظرية والمنهجية لعالم لغة ما ، فانه ، في الواقع ، عندما ياتي لمرحلة فهم مسالة في اللغة ... « فسيكون بمقدور من يستمع الى اللغة أن يحصل على جهاز مكتمل من أدوات النحو يستطيع من خلاله تقرير مجال الامكانات التي يمكن عن طريقها اشتقاق العبارة أو الجمل في اللغة ... » ، (١٠٦ : ١٩٦٤ ، جومسكي) . أما نحن فنود أن نقول بان ما يمكن لمستمع اللغة أن يحصل عليه هو ، في الحقيقة ، شيء كبر وأعقد بكثير من « جهاز نحوي كامل » .

٤ - يمكن أن يكون لرفض جومسكي للسلوكية Behaviourism أسباب وجذور أكثر عمقاً مما قد أعلن عنه حتى الآن . حيث من الممكن أن تكون هذه الاسباب قد نشات من الكره والاشمئزاز الطبيعيين للرأي القاسي والمفرح المتفائل في آن معاً والمتطرف بشكل كبير وعميق لامكانية الهندسة الانسانية Human Engineering التي تم التعبير عنها في بعض النصوص السلوكية ، كالنص الآتيْ الماخوذ من واتسن Watson :

« اعطني اثني عشر طفلًا رضيعاً يتمتعون بصحة جيدة ، وَاعطني عالماً خاصاً بي لكي استطيع القيام بتربية هؤلاء الاطفال فيه ، وساقوم باخذ أي واحد من هؤلاء الأطفال ، وبشكل عشوائي ، حيث سادربه ليُصبح اختصاصياً في أي حقل علمي اختاره له .

يمكن لي أن اختار له ليكون طبيباً أو محامياً أو فناناً أو تاجراً أو رئيس دائرة ، ويمكنني كذلك أن أجعله يكون شحاذاً أو لصاً بغض النظر عن مواهبه وميوله واتجاهاته وقدراته وكفاءته وسلالته واسلافه » ، (٨٢ : ١٩٢٥ ، واتسن) .

٥ ـ ان هذا واحد من جوانب عمل جومسكي الذي وجد طريقه بشكل يسير وواضح خارج ميدان علم اللغة . ولاهميته ، نظن بانه يستحق الذكر هنا . ان اصرار جومسكي على التمييز بين لغات الانسان وتلك التي تخص الحيوان قد قاده لأن يصوغ فرضية واضحة بشكل خاص . وكما يرى جومسكي ان استخدام الانسان للغة يمثل قفزة تطورية من نوع ما . ربما من الأفضل أن ينظر الى هذه الفرضية الجريئة على انها ظهرت للوجود كنتيجة متطرفة لعلم النفس المضاد للسلوكية الذي يؤمن به جومسكي . لم يستطع جومسكي أن يأتينا بأي دليل ليسند الرأي القائل بان الاستخدام الابداعي للغة يمثل قفزة تطورية في تطور النوع الانساني .

ان حال الدراسات التي تعنى بوسائل الاتصال عند الحيوان غير ثابتة وغير مؤكدة ولا يمكن والحالة هذه أن تقوم باستقراء أية استنتاجات رصينة منها .

٦ ـ عندما ميّز همبولدت Humboldt اللغة بوصفها قادرة على خلق « استخدام غير محدد بوسائل محددة » كان ، في الحقيقة ، يُشير بهذا الى مبدأ الابداع Creativity باقصى ما يمكن أن تحمله هذه الكلمة من معنى . وكما أشار جومسكي نفسه ، لقد رأى همبولدت بأن الامكانية القاموسية أو امكانية المفردات ، بشكل عام ، قد بُنيت « على مبادىء تنظيمية توليدية معينة يمكن أن تنتج امكانات مفرداتية في مناسبات محددة » ، (٢٠ : ١٩٦٦ ، جومسكي) .

٧ ـ لقد قاد هذا جومسكي الى تهور غريب ، قد لا نجافي الحقيقة اذا قلنا بان هذا التهور كان متعمَداً وهو بمثابة فشل تأتى من انهماكه النظري الكامل بالاشارة الى ارتباطات جلية وواضحة وما صاحب هذا الأمر من دهشة حول العلاقة الموجودة بين هذه الارتباطات ، تلك العلاقة التي اذا ما نُظر اليها من منظور آخر فسوف لا يكون فيها أي مكان للدهشة على الاطلاق . ففي سبيل المثال ، يحلّل جومسكي هاتين الجملتين :

John's friends appeared to their wives to hate one another .

أصدقاء جون بدوا لزوجاتهم يكره أحدهم الآخر .

John's friends appealed to their wives to hate one another .

أصدقاء جون رجوا زوجاتهم أن تكره احداهن الاخرى .

حيث يجدهما « ... متشابهتين جداً ـ وانهما تختلفان فقط في صفة صوتية وظيفية واحدة هي اختلاف كلمتي (appeared) و (appealed) في صوت واحد هو (الراء) في الاولى

و (اللام) في الثانية ، لكن هذا الاختلاف في صوت واحد قد غيّر الجملتين تغييراً كاملاً [في نصهما الانكليزي ، مع ان الترجمة العربية لهما لم تستطع إظهار هذا التغيير] ، مع هذا ، فان متكلمي اللغة يفهمون هاتين الجملتين بطرائق مختلفة جداً متجاهلين كل التشابهات الجزئية الواضحة » ، (١٤٢ : ١٩٧٦ ، جومسكي) . ان الامر الصعب جداً هنا هو مفهوم التشابه « Similarity » . أما الشيء الذي لم يره جومسكي كما يبدو لنا ، فهو ان هذه الامثلة اللغوية تكوّن لنا مشكلة فقط اذا ما تم حصر القياس المنطقي للتشابهات في الشكل فحالما يتم الاعتراف بالبُعد الدلالي فان هذه الجمل لا تُصبح عند ذاك « أمثلة اعتيادية يمكن أن تقود العالِم الباحث الى رفض فكرة ان توضيح اللغة وتعليل امثلتها يمكن أن يُؤسس على مفاهيم القياس والتعميم المنطقيين .. » ، (١٤٢ : ١٩٧٦ ، جومسكي) . على العكس من ذلك ، يمكن لعلماء اللغة أن يبيّنوا بأن التشابهات الصوتية لا يمكن أن تاخذنا بعيداً جداً في تاسيس وتثبيت علاقات ذات قيمة بين الجمل والتراكيب التي تشتمل على معنى كامل في بنيتها . فاذا كانت الجمل اللغوية متشابهة الى حد بعيد جداً من الناحية الصوتية لكنها مختلفة ، من جهة اخرى ، من الناحية الدلالية ، فيمكن لهذا الوضع حينئذ أن يخبرنا ببساطة بان القياس المنطقي طريقة غير مريحة لكي نتبعها عندما يقتصر ذلك على الشكل . انه لا يمكن أن يُفصح عن شيء عندما يكون المعنى واضحاً .

٨ - سوف نقوم فيما بعد بدراسة الطريقة التي يتم بها ، في نهاية المطاف ، ادخال جوانب محددة من المعنى في نظريته .

٩ - انظر ، على سبيل المثال ، ٣٧ : ١٩٧٥ ، جومسكي هنا وهناك .

١٠ - ان احدى النتائج الواضحة لعملية الامثلة هذه كان وصف جومسكي للمعطيات اللغوية التي تُقدم للطفل اثناء اكتسابه اللغة . تلك المعطيات التي وصفها جومسكي في السنين الاولى من مسيرته العلمية وبشكل محطم ودائم بانها « ضئيلة ومنحلّة » . ومن منظور عالم النفس التطوري Developmental Psychologist يبدو ان هذا الوصف غير معقول طالما ان ليس من الصعب مناقشة ان المعطيات اللغوية التي يوفرها اولئك المحيطون بالطفل ألذي يتعلم اللغة تتسم بكونها غنية ومبنية من الناحية الضمنية ، بشكل سليم ، فيما يتعلق باحتياجات الطفل وتجاربه . ومن المهم الملاحظة هنا ، مع ذلك ، بانه عندما كان جومسكي يصف المعطيات اللغوية بكونها « ضئيلة ومنحلّة » فانه أراد في حقيقة الامر ، أن يقوّي من موقفه بشكل جوهري ، فاذا كان بالامكان توضيح ان البيئة يمكن أن توفر للطفل الذي يتعلم اللغة مادة محددة فَقط ، فعند ذلك ، يُصبح من الجائز توفير دعم للرأي الذي يقول بان النحو الكلي المبني بشكل معقد الذي قيل بأن الطفل يمتلكه بشكل فطري ، يكون في الوقت ذاته ذا أهمية بالغة بالنسبة لعملية تعلم اللغة بشكل عام .

لقد حدث تحول ، جدير بالملاحظة والاهتمام والذكر ، في كتابات جومسكي الحديثة فيما

يتعلق بموضوع استخدام المصطلح اللغوي بشكل عام . ففي كتابه الموسوم بـ « تاملات في اللغة » Reflections on Language يصف جومسكي المعطيات اللغوية التي تحيط بالطفل للمرة الاولى ، ودونما تعليق على التغيير ، بوصفها « انموذجاً لغوياً كافياً نوعاً ما » . ان هذا النص يعكس ، كما يبدو ، تحولًا ، في اهتمام جومسكي ، من التفصيلات التي تخص أنموذجه الشكلي ـ الذي يُعَد مبنياً بشكل محكم ـ الى مسائل أكثر تاملية في اطاري علم النفس والفلسفة .

١١ ـ وكما لاحظ پاسمور Passmore ، لقد ازدهرت المثالية Idealism قبل القرن التاسع عشر في انكلترا في مناسبتين وكان ازدهارها في الوقتين يمثل حالة دفاع ضد المادية Materialism . ففي المناسبة الاولى ، حارب افلاطونيو كمبرج وبمساعدة ديكارت وافلاطون الفلسفات المادية الميكانيكية التي تُنكر وجود الله ، تلك الفلسفات التي تولدت عن طريق التطورات العلمية التي حدثت في القرن التاسع عشر ، وفي المناسبة الثانية ، نبّه الفيلسوف بيركيلي Berkeley الى خطورة الفلسفة المادية وأشار كذلك الى الربوبية Deism التي أبرزها العلم النيوتيني Newtonian Science وجعلها تظهر بشكل متعمد . ومن النادر أن يشير جومسكي الى كتابات افلاطون ، وقد لاحظ بعض الكتاب بان هناك بعض الارهاصات الافلاطونية في فكره : « عندما يتحدث جومسكي حول الطفل ويقول انه يولد وتولد معه معرفة تامة بقواعد النحو الكلي .. فليس هذا ، في الحقيقة ، إلّا احياءً للعقيدة الافلاطونية في المعرفة بوصفها شكلًا من أشكال التذكر » ، (١٦٢ : ١٩٦٩ ، هووك) .

١٢ ـ من أجل الاطلاع على نقاش ممتع ومتسم بالتبصر والعمق حول ماشكل الفلسفتين المثالية والمادية في علم اللغة ، ننصح بقراءة اطروحة پيتر إيلاند جونز Peter Eland Jones الموسومة بـ « المادية وبنية اللغة » Materialism and the Structure of Language ، جامعة كمبردج .

١٣ ـ لقد أبعد جومسكي منهج « التجريبية الواسع » Resourceful Empiricism وذلك بسبب كونه منهجاً متساهلًا جداً الى الحد الذي يجعله غير ذي قيمة ، انه « يشتمل على أي اقتراح تجريبي خاص يمكن أن يصوغه أي شخص ... ولكونه لا ينطوي على أي محتوى موضوعي فقد عدّ هذا المنهج غير مهم » ، (٩ ـ ١٥٩ ، s ١٩٦٩ ، جومسكي) . مع هذا ، فقد تطلب ، كما أصر على هذا كواين Quine ، وبخاصة عندما يسمح بأن يلتجأ للنزعات الفطرية ، بأن يكون ذا معنى اذا ما اخذ هذا المنهج بمبدأ الملاحظة الخارجية . وقد لاحظ كواين هذا ، مع التحذير باسلوب علم الفسلجة العصبي حيث قال « ... ان السلوكي Behaviourist وبشكل فطن ومبتهج مشبع بالآليات الفطرية حول استعدادات التعلم » ، (٦ ـ ٩٥ : ١٩٦٩ ، كواين) .

١٤ ـ اذا كان اسم الفرد الذي رآه الشخص-المجهول غير مفهوم بشكل اصولي ، عندئذ يمكن لنا

أن تسأل وذلك من خلال اسلوب التنغيم Intonation الملائم الذي يُعرف ، في بعض الاحيان ، بالسؤال التوكيدي :

انه يتساءل : مَنْ رأى مَنْ ؟ He wonders who saw whom ?

ان السؤال : « who saw whom ? » ، مع هذا ، يعد سؤالًا في مثل هذه الحالة حول شيء ما قيل بدلًا من أن يكون سؤالًا حول الطريقة التي تم بها ادراك الحدث .

فصـل اضـافي فاصــل
INTERLUDE

لقد وصفنا في القسم الأول من هذا الكتاب العمل الذي قام به جومسكي وقلنا انه يمثل دراسة اساسية في علم اللغة النظري . وقد قلنا كذلك انه كان هناك استياء عميق من الاهداف المحدودة والوسائل التي كان يعتمدها معاصرو جومسكي ـ تلك الاهداف والوسائل التي تأتت في رأيه من نظرتهم للعلم التي كانت تتسم بالنزعة الوضعية . وقد قاده هذا الاستياء الى البحث عن نظرية لغوية لا تقتصر في مقدرتها على وصف جوانب اللغة المختلفة بل تقوم أيضاً بتوضيحها وتعليل اسسها .

لقد تمخض هذا البحث عن تبني شكل من التعليل المنطقي في ميدان علم اللغة اتسم بكونه ناجحاً في مجال العلوم الطبيعية وقد سُمي هذا بالنظرية المصوغة بشكل استنتاجي . من المؤسف القول ، ان الجوانب الوحيدة في اللغة ، والتي تبدو ، بشكل واضح ، متلائمة مع تشكيل صارم من النوع الذي تتطلبه نظرية كهذه ، كانت تلك المتعلقة بالشكل اللغوي ، أو بطريقة أكثر دقة وتخصصاً تلك المتعلقة بالشكل النحوي . وباسلوب ينطوي على تناقض لا يدعو الى الارتياح ، قادت الحرية النظرية Theoretical Freedom ، التي حصل عليها جومسكي من خلال اقتطاعها ، دونما معاناة ، من القيود التي وضعها وصفيّو امريكا الشمالية ، من السلوكيين Behaviourists والوضعيين Positivists بسبب شكل التعليل النظري الذي تبناه ، الى صياغة تسلسلات نظرية جيدة في عمله التقني تتسم بدرجة القصور السابقة نفسها إلا انها من ابتكاره هذه المرة حيث اننا لا يمكن أن نعد هذا عملاً يتصف بدرجة وضوح أكبر مما أبداه في آرائه الاولى حول دور المعنى في التحليل اللغوي . يقول جومسكي :

« المعنى مفهوم يصعب تحديده حيث تكمن صعوبته في عدم ثباته على الاطلاق فاذا استطعنا أن نوضح بشكل ثابت ، بأن المعنى والمفاهيم الاخرى ذات الصِلة به يمكن أن تلعب مجتمعة دوراً مهماً في عملية التحليل اللغوي ، حينئذ تُصبح نتائج المعنى واستنتاجاته خاضعة لكل أنواع الشكوك والغموض والابهام التي ستُنزل بدورها كارثة محققة بدراسة المعنى وستكون بمثابة ضربة قاضية موجهة للأسس التي تقوم عليها النظرية اللغوية » . (١٤١ : ١٩٥٥ ، جومسكي) .

واذا ما نظرنا الى الخلف ، بعد ربع قرن من الزمن ، يبدو لنا هذا النص وكأنه هو الذي جدد الاتجاه العام لمكانة المعنى في اطار اسلوب جومسكي في الدراسة

اللغوية . لقد بدأ هذا الاتجاه بوجهة نظر واختتمها بتنبؤ . أما وجهة النظر فهي : طالما ان المعنى كما وصفه چومسكي في مكان ما من كتاباته ، بانه « غامض » و « مبهم » وانه « مفهوم صعب للغاية وتكمن صعوبته في عدم ثباته على الاطلاق » فانه لا ينبغي للتحليل اللغـــوي أن يعتمد ، بشكل مركزي ، عليه ، فاذا اعتمد التحليل اللغوي على المعنى فعندئذ « تُصبح نتائجه واستنتاجاته خاضعة لكل أنواع الشكوك والغموض والابهام التي ستُنزل بدورها كارثة محققة بدراسة المعنى » . ويختتم چومسكي هذا النص بتنبؤ مفاده : بما ان التحليل اللغوي سيعتمد على المعنى فان هذا « سيكون بمثابة ضربة قاضية موجهة للأسس التي تقوم عليها النظرية اللغوية » .

ان التطورات التي حصلت على النظرية اللغوية خلال العقدين الماضيين ، تبدو وكأنها قد بينت لنا في هذا التنبؤ بأن چومسكي عالم بالغيب وانه ذو بصيرة نافذة جداً . فمنذ العام ١٩٥٥ ، العام الذي تم فيه نشر بحثه الموسوم بـ « اعتبارات دلالية في النحو » Semantic Considerations in Grammar جرت عدة محاولات لدمج جوانب من المعنى في نظرية چومسكي في البنية اللغوية . ان هذه المحاولات لادخال المكوِّن الدلالي Semantic Component في الانموذج النظري قد تمت بوضوح لتفسير الشكل اللغوي حيث أثبتت حقاً بل وبرهنت على دقة تنبؤ چومسكي . لقد أدت[1] كل محاولة من هذه المحاولات الى اضعاف خطير في اسس النظرية اللغوية التي هي من النوع الذي اقترحه چومسكي في البداية . هنا لا بد من ايراد توضيح ضروري وهو : طالما ان كل اقتراح قدمه چومسكي في هذا السياق كان بمثابة محاولة لتوسيع ميدان عمل الانموذج النظري الذي جاء به اصلًا ، فان الضربة التي وجهت لم تكن ، من الطبيعي ، للأسس العامة لأية نظرية لغوية ، وانما كانت موجهة بشكل خاص للأسس التي تعتمد عليها النظريات المصوغة بشكل منطقي من النوع الذي تبناه علماء اللغة التوليديون . ان اسباب ذلك كانت هي الاسس التي اعتمد عليها تنبؤ چومسكي في الاصل . وكما رأينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، فان الشروط التي جعلت النظرية المصوغة بشكل منطقي استنتاجي مناسبة لكي تكون انموذجاً تعليلياً توضيحياً نظرياً هي انه يتوجب على الظاهرة ، التي يُراد تعليلها ، أن تكون في الأقل مفهومة بشكل تام وأن تكون محددة المعالم كلياً ، بالاضافة الى ذلك يتوجب عليها أن تكون قابلة ، وباسلوب معقول ، لأن يعبّر عنها بسهولة بوساطة نظام تدوين شكلي . ان النحو بعدد فصائله المحدودة بدا لأن يكون ظاهرة كهذه . أما علم

الدلالة والمعنى ، بشكل عام ، فمن الواضح انه لم يكن كذلك . واذا ما نظرنا الى المعنى نظرة مفعمة بالشكوك والغموض والابهـــام ، حينئذ يكون من الجليّ انه سيغدو غير قابل للتعليل أو التبرير على اساس نظرية مصوغة بشكل منطقي وتبعاً لهذا الفهم ، وبقدر ما يتعلق الأمر باعتبارات المعنى التي اصبحت مهمة جداً في التحليل اللغوي ، فان الأسس التي تقوم عليها النظرية اللغوية المصوغة بشكل منطقي استنتاجي اصبحت عرضة لتهديد خطير جداً ، بل انها في الحقيقة ، قد تهددت فعلًا . اذا لم يكن هناك انسجام بين المعنى وبين النظرية اللغوية من النوع المصوغ بشكل منطقي واذا كانتا غير متساويتين مع بعضهما فنحن والحالة هذه أما أن نقوم بمحاولة لتبديد الغموض الذي يغلف المعنى أو يتوجب التخلي عن النظرية المصوغة بشكل منطقي التي تحتوي على المعنى بوصفه جزءاً من ميدانها النظري . وكما تبين في نهاية المطاف ، فعلى الرغم من توقع جومسكي الذي ينذر بكارثة ، فقد أصبحت الاعتبارات الخاصة بالمعنى تلعب دوراً متصاعداً جداً في أهميته في التطورات اللاحقة التي أجراها على نظريته . في الحقيقة ، ان قسماً كبيراً من تاريخ المنهج العلمي الذي اعتمده جومسكي في البحث اللغوي وابتداءً من الستينات فصاعداً ، يمكن أن يُكتب بطريقة ادراج سلسلة من المشاكل التي ظهرت للوجود نتيجة لمحاولاته في ادخال جوانب من المعنى في انموذجه النظري الشكلي . لقد تناول علماء اللغة النظريون هذه المشاكل بطرائق شتى قادت بدورها الى تجزيىء حقل البحث اللغوي ، بشكل كبير ، وقد نتج عن هذه العملية عدد صغير ، إلا انه ، فعّال من المجاميع البحثية العازمة على السعي في مواصلة طريقة خاصة بها لتكييف النظرية والشجب بعزم لأية اقتراحات بديلة . ان تفسيراً وتوضيحاً مفصلًا للتكييفات المتنوعة للانموذج النظري الأساس يمكن أن يكون معقداً الى حد بعيد جداً ، حيث ستكون كل محاولة تكييف لهذا الانموذج موحية بالحذق والابداع والبراعة الكبيرة وستكون محدودة وضيقة الافق ، بشكل كبير للغاية ، فيما يخص بعض أقسام المعطيات اللغوية التي يزعم جومسكي انها مهمة حقاً ، وبسبب اعتقادنا بأن التكيفات المتنوعة التي حصلت كانت جديرة بالاهتمام وذلك لما تضمنته من براعة وابداع وليس كما أظهرته من تبصر بمشاكل المعنى في اللغة ، فسوف لا نحاول اعطاء توضيح وتبرير تفصيليين لحالة الصراع المر والضروس التي حصلت بين التعديلات والاشكال المتعارضة مع النظرية . وبدلًا من ذلك سنقوم بتلخيص الصورة العامة لهذا الموضوع . ان الدفاع الذي قد يُعد مقبولًا في موضوع الاتجاه الذي

اتخذته دراسة المعنى في اطار علم اللغة النظري الذي ألهمه العمل الذي قام به جومسكي ، يمكن أن يجري على وفق السياقات الآتية :

ما إن يكون الانموذج النظري للوصف النحوي ، الذي يتمتع بالكفاية العلمية المعقولة ، في متناول اليد ، حتى يُصبح ذلك الانموذج الذي شرعنا به ، بزعم اننا لم نعتمد في تكوينه على المعنى ، ويجب أن نؤكد هذا ، قادر على توفير قاعدة راسخة للانطلاق منها في مهاجمة مشاكل المعنى . وعلى مستوى عام جداً من المناقشة ، يمكن للمرء ان يعتقد بأنه طالما ان مشاكل المعنى قد قادت ، بشكل مؤثر جداً ، الهجوم المباشر ، اذن من الممكن لمنهج نظري غير مباشر بدرجة أكبر أن يتغلب على هذه المشاكل بنجاح . وأما فيما يخص قضية نظرية جومسكي ، فان هذا المنهج غير المباشر ، بشكل أكبر ، كان يمكن أن يظهر من صياغة الوصف النحوي . وعلى المستوى العام جداً ، مرة اخرى ، هناك مسوغ علمي كبير لايجاد منهج بحثي يظهر وكأنه يبتدىء بعمله بمعالجة مشكلة كبيرة ومتفاعلة في جزئياتها وذلك من خلال تجزئتها الى أقسام أصغر وممكنة الترتيب . من ناحية اخرى ، فان ملاحظات جومسكي الغامضة وصعبة التصديق التي وردت في كتابه الموسوم بـ « اللغة والمسؤولية » Language and Responsibility بأن « قسماً كبيراً من كتابيه الموسومين بـ « البنى النحوية » Syntactic Structures و « البنية المنطقية للنظرية اللغوية » The Logical Structure of Linguistic Theory قد تم تكريسه لدراسة المعنى » وقع موقعاً مناسباً بل ودقيقاً ضمن تفسير من هذا النوع . وعلى وفق هذا الرأي ، فان دراسة النحو يمكن أن تكون مقدمة لدراسة المعنى حيث ستكون أكثر ثباتاً وتكون مبينة على اساس نظري صارم جداً . ان الميزة الاكثر لفتاً للنظر في العمل اللغوي الذي تم انتاجه وفقاً لهذا المنهج النظري الملتوي في دراسة المعنى ، كان توكيده التعامل مع مشاكل المعنى باسلوب نحوي حقاً .

ان الفكرة الاساسية للاعمال التي جرت في اطار علم اللغة التوليدي التحويلي Transformational Generative Linguistics كانت تخص الطريقة التي تقرر الاعتبارات النحوية بها بحث الجوانب المختلفة للمعنى . لقد كانت الموضوعات كثيرة التعاقب والتكرار ، بشكل خطير ، في الكتابات اللغوية التي جرت في اواخر الستينات وخلال السبعينات من هذا القرن والتي كانت كلها تدور حول علاقة البنية Structure بالمعنى Meaning . لقد كان البحث اللغوي بالنسبة لكثير من العاملين في هذا الحقل العلمي ، يسير على وفق اتجاهين لهما . فاما أن يتالف من البحث عن

بعض الوسائل الشكلية ذات المتطلبات النحوية التي يمكن أن تبين بوضوح انها قادرة على توفير أساس للتفسير الدلالي وأما انه يتجه في مسار توسيع بعض وسائل الوصف النحوي من أجل ايجاد تمثيل لغوي للمعنى ذاته . ومن الأمثلة الواضحة التي يمكن ذكرها في هذا السياق النجاحات التي أحرزها مفهوم البنى النحوية العميقة وغير العميقة Syntactic Deep Structures and Surface Structures حال ادخال الاعتبارات الدلالية في الانموذج النظري الذي ابتكره چومسكي . لقد كان التبرير الأولى لهذين المستويين من التمثيل اللغوي هو وصف العلاقات النحوية وليس الدلالية حيث يمكن أن يُقال بأن بعض تراكيب الجمل في اللغة متشابهة على مستوى البنية غير العميقة إلا انها مختلفة على مستوى بنيتها العميقة . وان هناك بعض الجمل في اللغة تكون متشابهة على مستوى البنية العميقة لكنها مختلفة على مستوى البنية غير العميقة . ومن الأمثلة القياسية للظاهرة الاولى ، الجملتان :

جون سهل الارضاء . John is easy to please

جون توّاق لأن يرضى . John is eager to please

حيث انهما تشتركان بمكونات نحوية متماثلة كما يبدو واضحاً مما يأتي :

V	ADJ	COP	NP
(فعــل)	(نعت)	(فعـل مســاعـد)	(عبــارة اسميـة)

لكن ، وكما رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ان لهاتين الجملتين امكانية توزيعية مختلفة . فعند تطبيق الانموذج النظري لچومسكي ، يمكن لنا أن نوضح هذا الاختلاف في التوزيع وذلك من خلال اعطاء الجملتين تمثيلًا نحوياً مختلفاً على مستوى البنية العميقة واعطائهما التمثيل النحوي نفسه على مستوى البنية غير العميقة ومن ثم ربط المستويين التحليليين بقواعد النحو التحويلي في المرحلة الثالثة . ومن الأمثلة الشائعة في الأدب النحوي حول تماثل البنية العميقة لجملتين واختلافهما في البنية غير العميقة ، العلاقةبين الجمل المبنية للمعلوم Active Sentences والجمل المبنية للمجهول Passive Sentences حيث يمكن تبيان البنى العميقة المتماثلة بوضوح ولكن نتيجة لتطبيق قواعد النحو التحويلي تُصبح لهذه الجمل بنىً غير عميقة مختلفة بشكل جليٍّ . واذا ما سلمنا بأن هذين المستويين التحليليين للبنية النحوية قد ألقيا ضوءاً مهماً على موضوع العلاقات بين تراكيب الجمل المتشابهة فان الاكثر لفتاً للنظر واثارة للدهشة هي الادعاءات التي قيلت بخصوص وجود صِلة دلالية وذلك عندما تمت اضافة المكوِّن الدلالي للانموذج النظري

النحوي لچومسكي حيث أقتُرحَ أولًا بأن البنية النحوية العميقة لا غير العميقة هي التي قد شكّلت تلك الجوانب من بنية الجملة ذات الصِلة بالمكوّن الدلالي . لقد نجح هذا الرأي وأصبح رائجاً جداً ومقبولًا على أساس ان البنية النحوية العميقة وغير العميقة كلتيهما تساهمان ويشكل مختلف بتكوين التفسير الدلالي للجملة أو التركيب اللغوي ككل . أما رأي چومسكي الحالي فهو ان تفسيراً مناسباً وغنياً بالمعلومات وذا تصور شامل للبنية غير العميقة وحدها كافٍ وقادر على تقرير التفسير الدلالي للجملة . لا يعني هذا الرأي ، بأية حال من الأحوال ، بأن تغييرات مهمة قد حصلت وبخاصة اذا ما تم ابراز بعض الأُطر العميقة ، وانما يمكن أن يكون دليلًا على السمة الانتاجية لهذا الانموذج النظري . كذلك فان الموضوع هو : ان الاعتبارات الدلالية قد تم اخضاعها للاطار العام للنظرية النحوية التي بُنيت من قبل على اسس توزيعية وليست دلالية . وكنتيجة لذلك ، فان تعقيدات الجدال المستمر حول العلاقات التي يمكن أن توجد بين النحو والدلالة والتي يزخر بها الأدب اللغوي المنشور ، ليس بذات علاقة بالمسائل المهمة والاساسية التي تتعلق بطبيعة البنية والمعنى ولكنه كان يدور حول كيفية صياغة الوسائل النحوية على وفق منظومات قوانين وقواعد لغوية في نظرية لغة شكلية وبالتالي كيف يمكن أن يُعطي كل هذا مغزىً دلالياً . وباختصار ، ان الصورة الاجمالية للبحث اللغوي خلال ستينات وسبعينات هذا القرن قد أخذت المسار الآتي :

لقد أُفترض ، وعلى نطاق واسع ، بأن الانموذج النحوي قد تم بناؤه على اسس متينة وثابتة حيث جرت محاولات لتطعيم هذا الانموذج النظري بجوانب من المعنى بالرغم من انه كان يتطلب تغييرات مستمرة على مستويي اقامة علاقات بين انظمة قواعد متنوعة وتكوين علاقات اخرى بين المكوّن النحوي Syntactic Component ككل وبين المكوّن الدلالي Semantic Component الجديد . إلا انه لم يتم تحديد هذا المكوّن الدلالي الجديد وتوضيحه بشكل كافٍ كما هي الحال مع منظومة القوانين والقواعد النحوية ، لذا يفترض بالمكوّن الدلالي أن يكون قادراً على أن يشتمل على عدد كبير ومفرط من المسائل والموضوعات التي يحتوي عليها في العادة ، علم المعنى التقليدي Traditional Semantics ، ومن هذه الموضوعات والقضايا مسألة التمثيل اللغوي للجوانب الخاصة بمعنى المفردة اللغوية Word Meaning وكذلك مسألة الاقتضاء الضمني أو ما يُسمى كذلك بالافتراض المسبّق Presupposition وموضوع مدى ومركز النفي Focus and Scope of Negation والقياس Quantification

ضمن اطار الانموذج النظري الذي تم بناؤه بشكل واضح ، من أجل التعامل مع البنية اللغوية دونما أي اعتماد على المعنى .

لقد كانت النتيجة ، وكما توقعها چومسكي ، احداث المفاهيم الأقل وضوحاً وتحديداً لحالة من ضياع للدقة وابراز السمة الشكلية التي تُعد واحدة من أهم نقاط القوة التي كانت تمتاز بها النظرية في شكلها الاصلي ، بل يمكن القول بأن الانموذج النظري نفسه ، بعد هذا الضياع ، قد بدأ بالانحلال والتحطم . ان الاضافات والتغييرات والتكييفات والتوسعات والتنقيحات التي تم اجراؤها على نظرية الشكل اللغوي قد جعلت هذه النظرية غير قابلة للوصف باعتبارها نظرية مصوغة بشكل منطقي ، مع هذا ، فقد بقيت الزخارف والأطر العامة للنظرية الشكلية وبالأخص في سياق المختصر العام الذي يقدمه چومسكي عادة لانموذجه النظري الذي يتخذ اشكالاً متعددة ومتنوعة . لكن جوهرياً ، اصبحت الوسائل النظرية وبشكل تدريجي ، ليست أكثر من رسم تخطيطي لنظرية مصوغة بشكل منطقي ، وفي الوقت نفسه ، ان التزاماً نظرياً من هذا النوع في موضوع التعليل والتوضيح اللغوي لم يزل يمنع بل ويشكل اعاقة كبيرة للبحث في المشاكل ذات الصِلة بالمعنى بطريقة لا تقتصر على تغييرات وأوجه التصور الموجودة في الانموذج النحوي . لذلك وبالرغم مما قد يمكن توقعه من اتاحة الفرصة للاعتبارات الدلالية للدخول الى النظرية اللغوية المعاصرة فان واقع البحث الفعلي يؤشر بوضوح عدم القدرة على التعليل المؤثر بسبب الابتعاد الحاصل بين علم اللغة وبين اللغة بوصفها مادة البحث فيه .

لا تزال مناقشة المعطيات الدلالية ، في الحقيقة ، تتصل بالخيال الشكلي لكنها لم تكن أبداً متصلة بطريقة تتسم بالصرامة والدقة والضبط والشكلية التي ميزت اعمال چومسكي الأولى حول البنية المنطقية للنظرية اللغوية . هناك عدد من الاسباب التي تكمن وراء هذا الضعف الحاصل في هذه النظرية يبرز منها سببان ، بشكل خاص ، أولهما ان المفاهيم الدلالية مثل مفهوم الاقتضاء الضمني أو الافتراض المسبّق ومدى ومركز النفي وغيرها لم تكن محددة المعالم وواضحة ومفهومة بشكل وافٍ لكي يتم ادخالها الى البنية والاطار العام للانموذج النظري الشكلي . وثانيهما ، انه نتيجة للغموض النسبي الذي يلف المعنى لم توجد لغة شاملة أو مجموعة من الفصائل النحوية التي يمكن أن تُستخدم بشكل معقول وبطريقة يمكننا بها أن نقدم المعنى ممثلاً باسلوب شكلي مقنع . ان السبب الثاني مهم ، بشكل خاص ، اذا ما حاولنا فهم التطورات التي تحصل على مستوى علم اللغة التوليدي Generative

Linguistics . لم يستطع التراث اللغوي التقليدي أن يوفر لنا الفصائل الدلالية الضرورية Semantic Categories كما هي الحال في مسألة الفصائل النحوية المطلوبة في البحث اللغوي . لقد ناقشنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب بأن چومسكي ، بمعنىً ما ، قد استغل ـ النحو فضلًا على التزامه بالنظرية المصوغة بشكل منطقي باعتبارها شكلًا توضيحياً تعليلياً ـ لانه بدا له محدد المعالم وواضحاً بشكل معقول ، وما هو أكثر أهمية من ذلك ، توفر فصائل نحوية مناسبة . وعندما تم في آخر المطاف ادخال الاعتبارات الدلالية ، فشل علماء اللغة في أن يتعاملوا بجدية وكفاية مع مسألة تشكيل المعنى على غرار ما تم عمله وبدا ملائماً في موضوع تشكيل النحو وصياغته . ان هذا لا يعني طبعاً بأن علماء اللغة ، في عدد من المجالات اللغوية المختلفة ، لم يقوموا بمحاولات لابتكار فصائل شكلية الى حد ما ، لتؤدي مهمة تمثيل معاني الكلمات في اللغة ، وبشكل عام ، لم تخرج هذه المحاولات عن كونها أما تصنيفية Classificatory أو تحليلية Decompositional حيث يمكن لنا أن ندرج تحت المفهوم التصنيفي الجهود المبذولة لبناء علاقات بين مفردات اللغة سواء كانت ذات طبيعة هرمية كما هي الحال مع موضوع الاضواء Hyponomy(*) (العلاقات الاضوائية) Hyponomous Relations من نوع dog (كلب) و cat (قطة) ، animal (حيوان) ، أو daisy (زهرة الربيع) و buttercup (زهرة الحوذان) ، flower (زهرة)) أو أشياء محددة بشكل أقل ثباتاً ومن النوع الذي يمكن ايجاده في الاعمال الخاصة بوصف الحقول الدلالية Semantic Fields, أو تلك التي يتم بها بناء الاصناف الدلالية Semantic Classes . ان أكثر الاعمال اللغوية التي تم انجازها في حقل دراسة الاصناف الدلالية تركز على الافعال Verbs في اللغة ، وذلك لانها ربما تُعد أكثر سهولة من الفصائل النحوية الاخرى في امكانية وضعها في مجاميع تحت عناوين رئيسة مثل : Motion (حركة) [(Come يأتي) و go (يذهب) و skip (يطفر) و Jump (يثب / يقفز)] أو Surface Contact (تلامس سطحي) [Strike (يذهب ، ينطلق ، يضرب ... الخ) . و hit (يضرب) و beat (يضرب على نحو متكرر) ... الخ][٢]. وان ما ندعوه تحليلياً هي تلك

(*) بالامكان ترجمة المصطلح الى « الاشتمال » ، فكلمة « عائلة » مثلًا « تشتمل » على معان عدة منها : أب ، أم ، أخ ، أخت ، عم ، عمة ... الخ .

(المراجع)

المحاولات التي تنظر الى معنى المفردات اللغوية بشكل منفرد وتعده مركبات مكونة من متومات أو معالم دلالية Semantic Features أو تحليلها الى علامات دلالية Semantic Markers .

ان مركب المعالم والمقومات الدلالية التي يمكن أن تصنف وتحدد المفردة اللغوية « Man » (رجل) في سبيل المثال يمكن أن يحتوي على Human (انسان) و Male (ذكر) و Adult (بالغ أو راشد) ، ومن أجل وصف وتحديد المفردة اللغوية « bachelor » (الاعزب) يمكن للمرء أن يضيف Never Married (لم يُسبق له أن تزوج أبداً) . لقد تم تبني هذا المنهج واستعارته من طرائق البحث العلمي التي ابتكرها المتخصصون بعلم الانسان Anthropoloists التي أسموها بمنهج التحليل التكويني Componential Analysis والذي يمكن من خلاله وصف انظمة القرابة والنسب البشري الموسعة والموجودة في بعض المجتمعات البشرية بطريقة تتسم بالاقتصاد والمناسبة العلمية والمنطقية . يُطلق علماء اللغة على هذا المنهج اسم تحلل المفردات اللغوية Lexical Decomposition . يُعتبر التمييز بين المنهجين التصنيفي والتحليلي في موضوع تمثيل المفردات اللغوية بوضوح مسألة صعبة لم تكن واضحة المعالم في يوم من الايام ، وان هذه هي الحالة ، وستبقى كما هي عليه الآن اذا ما أريد تثبيت علاقات بين مفردات لغوية قد تم تحللها من قبل الى مركبات من المعالم الدلالية ، حيث يتم كل هذا على اساس حدوث أو عدم حدوث معالم دلالية خاصة في المركب ، مع هذا ، يمكن أن تكون هناك وسيلة عامة للتمييز بين المنهجين في تمثيل المعنى الذي يهدف الى استبعاد بعض الفروقات الدقيقة التي يمكن مستخدمي اللغة أن يكونوا قادرين على اجرائها ، وبين تمثيل المعنى الذي يهدف الى جعل تلك الفروقات الدقيقة أكثر وضوحاً . ففي أول هذين المنهجين ، في سبيل المثال ، يمكن للجملتين التاليتين :

دخل جون في البلدة .	1) John went into town
قاد الرجل مركبته الى المدينة .	2) The man drove into the city

أن تُعطيا تمثيلًا دلالياً Semantic Representaion بحيث يتداخل معنى الفعلين go و drive بعضه في بعضه الآخر تحت عنوان الصنف الدلالي Go أو Move ، وبشكل مشابه ، بين town و city اللتين يمكن أن تكونا في البداية ، واقعتين تحت الفصيلة الدلالية Place (مكان) . ان هذا التحجيم للفروقات الموجودة كسبب

في تعقيد المعنى مقيد من جهة وضروري بشكل عام من جهة اخرى للتحليلات التي نُجريها بوساطة الحاسبات الآلية عند دراسة اللغات الطبيعية . أما المنهج الثاني فقد شكل جزءاً من الاساس الذي بُنيت عليه النظرية اللغوية التي لم تعمّر إلا وقتاً قصيراً ، نعني بذلك علم الدلالة التوليدي Generative Semantics . ففي اطار هذا المنهج لا يمكن أن يُصبح التمييز بين الفعل « Kill » (يقتل) والفعل « injure » (يجرح) في المثالين الآتيين :

قتل جون بِل . 1) John killed Bill .

جرح جون بِل . 1) John injured Bill .

غير واضح المعالم ، بل ان الذي يحدث ، بالاحرى هو اننا يمكن أن نحلل الفعل « kill » بشكل اضافي الى Cause Become Dead (سبب أو علة أن يُصبح ميتاً) وان الفعل « injure » يمكن أن يتحلل أكثر الى Cause Become Hurt (سبب أو علة أن يُصبح متأذياً) . فضلًا عن ذلك ، ان ورود Cause (سبب) و Become (يُصبح) في كلا التمثيلين قد مكنتا الكلمتين الى الحد الذي أصبحتا فيه تشتملان على مفاهيم اساسية متشابهة وواضحة .

هناك فرضيتان مضللتان تشكلان الاساس بل جوهر المناهج المتعددة التي تتعامل مع الوصف النظري المنظم لموضوع دلالة المفردات اللغوية . هاتان الفرضيتان هما :

(١) ان الكلمات تحتوي على معان محددة بوضوح ، واذا ما احتوت الكلمة في اللغة على أكثر من معنى ، فعندئذ يمكننا أن نفرق بين المعنى والمعاني الاخرى بشكل سهل جداً .

(٢) اذا كان بالامكان تمثيل مجموعة صغيرة منتخبة من كلمات اللغة البسيطة بوساطة عدد محدود من المعالم الدلالية ، فعندئذ تُصبح مهمة ابتكار مجموعة شاملة من هذه المعالم Features لتغطية اللغة باكملها مسألة ممكنة التحقيق .

لقد تمت مناقشة ومعالجة كل من فرضية المعنى الواضح Clear Meaning Assumption وفرضية المعالم الشاملة Comprehensiveness of Features Assumption بشكل بيِّن ودقيق في بحث كاتز Katz وفودر Fodor الموسوم بـ « بنية نظرية دلالية The Structure of a Semantic Theory » حيث عُدّ هذا العمل أول محاولة جدية لرسم ميدان بحث خاص بعلم الدلالة يقع ضمن الاطار العام لنظرية

الاختلافات الفردية واضحة جداً ، حيث ان ما يدعوه شخص ما باللون الأخضر في الغالب يمكن أن يسميه شخص آخر لوناً أزرق . كيف يمكن اذن « لقاموس دقيق » أن يساعد في حل هذا الاشكال ؟ ان قاموساً يتسم بكونه عرضة للخطا[٤] بدرجة كبيرة يعرف الكلمتين « blue » (ازرق) و « green » (اخضر) على النحو الآتي :

يمكن أن يُشاهد اللون الاخضر اعتيادياً في أوراق الأشجار وهو يقع بين اللونين الازرق والاصفر في موشور تحليل الطيف الشمسي . أما اللون الأزرق فيعرفه القاموس المذكور بأنه اللون الذي يمكن مشاهدته بشكل اعتيادي من خلال النظر الى السماء عندما تكون صافية ويمكن مشاهدته أيضاً مصاحباً لدخان الخشب المشتعل وكذلك يمكن مشاهدته على سطح الحليب المقشود وفي مادة الرصاص . يستطيع أن يقدم لنا هذا القاموس كل هذه المعلومات التي تخص اللونين الازرق والاخضر وان الأمر بحد ذاته يدعو مستخدم القاموس أن يراجع تجربته الخاصة حول هذه المسالة دون الاعتماد على القاموس كلياً لأنه قد يُعطيه ارشادات ومعلومات لا تتمتع بالدقة المطلوبة وهو بهذا لا يساعده في التعرف على أسماء الالوان القريبة من حدود المناطق اللونية الاخرى التي تخص ثقافته بشكل خاص . انه يفعل هذا لنفسه ومن المحتمل أن تكون النتائج غير متماثلة مع تلك التي يمكن أن يتوصل اليها مستخدمو اللغة الآخرون .

تعد القواميس ، على العموم ، ضعيفة ، الى حد بعيد ، وبخاصة ، عندما تأتي الى مناطق التداخل بين كلمات اللغة ذات الصِلة بحقل دلالي عام ، حيث لا يُعد هذا المسلك غريباً أو يدعو الى الدهشة طالما اننا هنا بصدد هذا الموضوع وليس بصدد أي موضوع آخر يمكن للاختلافات الفردية فيه أن تكون أكثر وضوحاً واحتمالاً . فعندما تتأمل الكلمتين : « Sullen » (التي تعني : مقطّب الجبين ، متجهم الوجه ، غاضب، نكد ... الخ) و « Sulky » (التي تعني : عابس ، مقطب الجبين ، متجهم ... الخ) ، فاننا نجد في أحد القواميس تعريفاً للكلمة الاولى على انها تعني : غاضب بعبوس وصامت gloomily angry and silent كذلك فانها تأتي بمعنىً مؤذٍ وضار وحقود ومتمني السوء للآخرين أو مبتهج به ومهلك ومميت وخبيث ، وتأتي كذلك بمعنى مشؤوم ... الخ . أما الكلمة الثانية فانها تميـل الى حمل معاني الفعل « sulk » حيث انه يشتمل على كل معاني « sullen » التي هي : غاضب بعبوس وصامت وخبيث ومشؤوم . وبتعبير آخر ، ان قاموساً حقيقياً A real Dictionary (بالمقارنة مع مفردات اللغة النظرية Theoretical lexicon) يخبرنا ان الكلمتين كلتيهما تعنيان الشيء

الحال بالنسبة لاي قاموس لغة اعتيادي آخر مع اضافة مميزات صوتية وظيفية ونحوية ودلالية معينة لها .

يبدو ان كاتز وفودر قد افترضا دونما بحث أو تقصٍ كافيين ، بأن متكلمي اللغة يستخدمون المعرفة القاموسية « Dictionary Knowledge » في تفسيرهم للغة ، حيث يقولان في هذا السياق :

« لو اننا اعطينا مستخدم اللغة قاموساً دقيقاً في اللغة الانكليزية حيث يكون بمقدوره تطبيقه من خلال استخدام مقدرته اللغوية فعند ذلك سيكون باستطاعته أن يوضح دلالياً أية جملة في اللغة في شتى امكاناتها الاشتقاقية النحوية . Grammatical Derivations » (٤٩٢ : ١٩٦٤ ، كاتز وفودر) .

ان الشيء الذي يُثير الدهشة حقاً هو ان لا كاتز وفودر ولا اولئك اللغويين الذين يبحثون في مجال موضوع المفردات اللغوية قد فكّروا بالقضية التالية : هـــل من المعقول والمقبول منطقياً أن نفترض وجود قاموس دقيق جداً للغة الانكليزية ؟ ان قاموساً دقيقاً في لغة ما يُفهم على انه ذلك الكتاب الضخم الذي يحتوي على كلمات اللغة ومعانيها بحيث لا يشتمل على أية نسبة من الخطأ ويكون صحيحاً باجمعه . أما الذي يقول بفرضية ان متكلم اللغة يمتلك تحت تصرفه قائمة كبيرة وصحيحة من الكلمات ومعانيها فانه في الحقيقة يريد أن يعتنق بشكل ثابت رأياً لغوياً يعد الكلمات بموجبه اشياء تحتوي على معانٍ من المستحسن دراستها بشكل مستقل عن معرفة وتجارب مستخدمي اللغة وتوقعاتهم . سوف نقوم في الفصل الرابع من هذا الكتاب بمناقشة مفصلة لهذا الرأي عميق الجذور والذي يبدو وكانه متعذر الاستئصال من الأدب اللغوي حيث اطلقنا على هذا الرأي تسمية نظرية المحتوى Container View .

من المفيد أن نذكر هنا بأن في اطار هذه النظرية فقط يمكن أن يكون من المعقول افتراض ان مستخدمي اللغة يمتلكون قاموساً دقيقاً للغة التي يتكلمونها بوصفه جزءاً من معرفتهم اللغوية .

ان نسبة قاموس دقيق للمعرفة اللغوية التي يمتلكها متكلمو اللغة يجب أن تتضمن ، وبشكل لا يقبل الشك ، انهم عندما يتكلمون اللغة يعنون الشيء نفسه باستخدام الكلمات الموجودة في القاموس نفسه . حتى هذه اللحظة ، تجبرنا تجاربنا اللغوية والحياتية العامة على أن نعترف بأن هذا الكلام غير صحيح البتة .

ان مفهوم اللون وموضوعه واحد من عدة مفاهيم حياتية علمية تظهر فيها

الاختلافات الفردية واضحة جداً ، حيث ان ما يدعوه شخص ما باللون الاخضر في الغالب يمكن أن يسميه شخص آخر لوناً أزرق . كيف يمكن انن « لقاموس دقيق » أن يساعد في حل هذا الاشكال ؟ ان قاموساً يتسم بكونه عرضة للخطأ[٤] بدرجة كبيرة يعرف الكلمتين « blue » (ازرق) و « green » (اخضر) على النحو الآتي :

يمكن أن يُشاهد اللون الاخضر اعتيادياً في أوراق الاشجار وهو يقع بين اللونين الازرق والاصفر في موشور تحليل الطيف الشمسي . أما اللون الأزرق فيعرفه القاموس المذكور بانه اللون الذي يمكن مشاهدته بشكل اعتيادي من خلال النظر الى السماء عندما تكون صافية ويمكن مشاهدته أيضاً مصاحباً لدخان الخشب المشتعل وكذلك يمكن مشاهدته على سطح الحليب المقشود وفي مادة الرصاص . يستطيع أن يقدم لنا هذا القاموس كل هذه المعلومات التي تخص اللونين الازرق والاخضر وان الأمر بحد ذاته يدعو مستخدم القاموس أن يراجع تجربته الخاصة حول هذه المسألة دون الاعتماد على القاموس كلياً لانه قد يُعطيه ارشادات ومعلومات لا تتمتع بالدقة المطلوبة وهو بهذا لا يساعده في التعرف على أسماء الالوان القريبة من حدود المناطق اللونية الاخرى التي تخص ثقافته بشكل خاص . انه يفعل هذا لنفسه ومن المحتمل أن تكون النتائج غير متماثلة مع تلك التي يمكن أن يتوصل اليها مستخدمو اللغة الاخرون .

تعد القواميس ، على العموم ، ضعيفة ، الى حد بعيد ، وبخاصة ، عندما تأتي الى مناطق التداخل بين كلمات اللغة ذات الصِلة بحقل دلالي عام ، حيث لا يُعد هذا المسلك غريباً أو يدعو الى الدهشة طالما اننا هنا بصدد هذا الموضوع وليس بصدد أي موضوع آخر يمكن للاختلافات الفردية فيه أن تكون أكثر وضوحاً واحتمالاً . فعندما تتأمل الكلمتين : « Sullen » (التي تعني : مقطّب الجبين ، متجهم الوجه ، غاضب، نكد ... الخ) و « Sulky » (التي تعني : عابس ، مقطب الجبين ، متجهم ... الخ) ، فاننا نجد في أحد القواميس تعريفاً للكلمة الاولى على انها تعني : غاضب بعبوس وصامت gloomily angry and silent كذلك فانها تاتي بمعنىً مؤذٍ وضار وحقود ومتمني السوء للآخرين أو مبتهج به ومهلك ومميت وخبيث ، وتاتي كذلك بمعنى مشؤوم ... الخ . أما الكلمة الثانية فانها تميل الى حمل معاني الفعل « sulk » حيث انه يشتمل على كل معاني « sullen » التي هي : غاضب بعبوس وصامت وخبيث ومشؤوم . وبتعبير آخر ، ان قاموساً حقيقياً A real Dictionary (بالمقارنة مع مفردات اللغة النظرية Theoretical lexicon) يخبرنا ان الكلمتين كلتيهما تعنيان الشيء

نفسه في حين ان بعض متكلمي اللغة الانكليزية يمكن أن يفرقوا بينهما لكن بصعوبة بالغة . واذا ما أضفنا الى تلك الكلمتين الكلمة « moody » (التي تعني : كئيب ، نكد ، متقلب المزاج) نرى بانها تعرف على انها indulging in moods (أي منغمس في حالات نفسية) أو تعني بالضبط معاني الكلمة « sullen » التي سبق التطرق اليها حيث ان الكلمة « mood » تعني أن يكون المرء في حالة من العبوس أو التجهم . لذلك فعلى اساس المعرفة القاموسية يمكن أن تكون الكلمة « moody » ذات معنى مطابق لمعاني الكلمتين « sulky » و « sullen » . وفي مسح غير اكاديمي تم اجراؤه بين متكلمي اللغة الانكليزية كلغة أم اتضح بأن المتكلمين قد استطاعوا بشكل ثابت التمييز بين معاني الكلمتين « moody » و « sulky » وانهم قد اختلفوا فيما يتعلق بالمعنى الذي أضفوه على الكلمة « moody » أكثر من اختلافهم فيما يخص معاني الكلمة « sulky » . ان القاموس يُشبه اللغة نفسها حيث انه يعد وسيلة استقرابية صالحة لتمشية الحال ويعتمد ، من أجل أن يكون مقيُداً جداً ، على مستخدمي اللغة الذين يمتلكون تجربة ضخمة بشأن لغتهم وبيئتهم . ليس من الواضح بأن يكون كاتز وفودر واولئك الذين عملوا فيما بعد على موضوع مفردات اللغة قد أخذوا بنظر الاعتبار الطبيعة غير الدقيقة للمعرفة القاموسية . فلو انهم قد اخذوا هذه القضية بنظر الاعتبار لعنى هذا اعترافهم بأن معنى المفردة اللغوية لا يفي بالمتطلبات الضرورية حتى يتم دمجه في انموذج نظري مصوغ بشكل منطقي .

ان نظرية كاتز وفودر التي تُسمى بـ « نظرية القاموس » في دراسة المعنى ، باعتباره محدَّد المعالِم بوضوح ، قد تم عكسها بشكل أكثر تفصيلًا عند حديثهما لتوضيح معنى المدخل Entry في القاموس النظري Theoretical Dictionary حيث يقولان في هذا السياق :

« ... يُعد المدخل القاموسي Dictionary Entry تصويراً لكل معنى يمكن أن تشتمل عليه المفردة في أية جملة في اللغة »[٥]، (٤٩٣ : ١٩٦٤ ، كاتز وفودر) .

وبتعبير آخر انهما تبنيا وجهة النظر التي تُعد المداخل القاموسية أبواباً شاملة . يبدو هذا الرأي وكانه انعكاس لرأي ، لا يزال قائماً ، وعلى نطاق واسع ، مفاده ان مصنفي القواميس عالمون بكل شيء ، حيث يفترض منهج كهذا عد المعنى ، جوهرياً ، ظاهرة منتظمة ، أي ان مفردة لغوية واحدة يمكن أن تشتمل بالفعل على معانٍ أكثر من مفردة لغوية اخرى وان هذا الاختلاف يمكن أن ينعكس ببساطة حيث ان كلمة لغوية واحدة يمكن أن يكون لهامدخل قاموسي اطول من

المفردة الاخرى . وتوضيحاً لهذه المسألة ، يمكن للمرء أن يقارن بشكل جلي الكلمة « bachelor » التي يمكن أن تشتمل على المعاني الآتية من بين معانٍ ممكنة اخرى :

(١) رجل لم يتزوج البتة .
(٢) فارس شاب يخدم تحت إمرة فارس آخر أعلى منه رتبة .
(٣) من يحصل على الشهادة الجامعية الاولية أو أقل شهادة تمنحها الجامعات .
(٤) فقمة الفرو الصغيرة عندما تكون بعيدة عن رفيقها خلال مدة النشوء .

وبالنسبة لكلمة مثل « heron » (طائر مالك الحزين) التي لا تحتمل ، اعتيادياً ، إلا مدخلًا واحداً في القاموس حيث انها تعني مجموعة طبيعية كبيرة من الطيور المخوِّضة التي تتصف بطول رقبتها وسيقانها وانها تنتمي الى نوع يُسمى ارديا Ardea أو تُدعى هذه الطيور علمياً باسم اردياداا Ardeidae وبالاخص طائر مالك الحزين الرمادي الذي يُقيم في اوربا كمسكن دائم له حيث يُعرف علمياً باسم اسيترَيا Acinerea[٦]. لذلك ، ووفقاً لنظرية القاموس في المعرفة اللغوية ، التي يمتلكها متكلمو اللغة ، يمكن لمتكلم اللغة الانكليزية أن يكون تحت تصرفه تلك المفردات اللغوية التي تتسم بالمعاني المتميز أحدها عن الآخر ، وفي حالة اخرى ، الكلمات التيَ لا تشتمل إلا على معنىً واحد لا غير . افترض ، مع هذا ، أن تقوم بدراسة لكلمات لغوية اخرى مثل « do » « يعمل ... الخ » و « have » « يمتلك ... الخ » .

ان الصعوبة التي يمكن أن تظهر هنا هي : بينما يمكن لهاتين الكلمتين « do » و « have » أن تاتيا في تنوعات مختلفة من التشكيلات والصيغ اللغوية التي تتسم بكونها ذات معانٍ مختلفة جداً ، إلا انه ليس من الواضح أن تكون هاتان الكلمتان محتويتين على عدد كبير من المعاني المتميز بعضها عن البعض الاخر فبينما تاتي الكلمة « do » بشكل قياسي في بعض التكوينات والتشكيلات اللغوية مثل :

Max did the dishes / the bed / the Job / his hair .

(١) قام ماكس بتنظيف الصحون .
(٢) قام ماكس بترتيب سرير النوم .
(٣) قام ماكس بانجاز العمل .
(٤) قام ماكس بتصفيف شعره .

وتاتي هذه الكلمة أيضاً في تكوينات وتشكيلات وصيغ لغوية اخرى بشكل أقل انتظاماً / مثل :

Max did the elephant (clipped its tail) /
the frog (exam question on frogs) .

(١) قص ماكس ذيل الفيل .

(٢) قام ماكس بالاجابة على السؤال المتعلق بالضفادع .

هنا يمكن أن نؤكد بأن الكلمة « do » يمكن أن تاتي في تكوينات لغوية مع كل اسم « Noun » تقريباً على أساس انه يمكن للمرء أن يعمل « do » أي شيء حيث لا تعني المفردة « do » أكثر من « يتصرف بشكل ملائم ومناسب فيما يتعلق بـ » . أما ما يُعد ملائماً في هذا السياق فيعتمد على خصائص المفعول به « object » الذي يستوفيه الفعل « do » وعلى السياق اللغوي الخاص الذي يرد فيه الفعل « do » ويعتمد كذلك على خبرة وتوقعات مستخدمي اللغة . لذلك من الصعب رؤية الكيفية التي يمكن لنا بها ابتكار مدخل قاموسي لمادة لغوية مثل « do » التي يمكن أن يُقال بأنها تصف وتميز كل معنىً ممكن الاحتواء عليه لما لها من قابلية الائتلاف بطائفة كبيرة جداً من الاسماء في اللغة .

يحاول مؤلفو القواميس الحقيقية بالمقارنة مع واضعي القواميس النظرية ، أن يجزدوا في قائمةٍ معاني مواد لغوية مثل الكلمة « do » كما يتعاملون بالضبط مع معاني مفردات لغوية اخرى مثل الكلمة « bachelor » : فيمكن أن تعني المفردة « do » مثلًا : perform (التي تعني : يعني ، ينجز ، يعمل ، شيئاً حتى الانجاز ، يصنع ، يقوم بـ ... الخ) كذلك يمكن لهذه المفردة أن تعني : effect (التي تعني بدورها : يحدث ، ينجز ... الخ) أو يمكن أن تاتي بمعنى : execute (التي تعني : ينجز ، ينفذ ، يُجري ، يعدم (تنفيذاً لحكم قضائي) ، ينفِّذ : ينحت تمثالًا أو يرسم صورة (على وفق تصميم موضوع) ، يؤدي ، يعزف ... الخ) وبالامكان أن تاتي هذه المفردة بمعنى : Complete (التي تعني : يتمم ، يكمل ، يُنهي ، ينجز ، يجعل بالغاً حد الكمال ... الخ) أو انه يعني ما يمكن أن تعنيه المفردات اللغوية Produce و make و operate on و deal with و cook (اذا ما أُستخدمت في سياق لهجي غير فصيح) و provide (food etc.) for و tour و Visit as a tourist و swindle . من جانب آخر[٧] ، ان علماء اللغة التوليديين المهتمين بدراسة سلوك المفردات اللغوية يتجهون لتفادي المفردات اللغوية الصعبة كتلك التي اشرنا اليها آنفاً ويختارون بدلًا منها الكلمات التي يمكن احالتها الى مجموعة صغيرة وثابتة من المعاني أو الدلالات . ان المشاكل التي يمكن أن تُثيرها المفردات اللغوية من مثل « do »

تتضاعف وبخاصة اذا ما تأملنا بعض الادعاءات والمزاعم الاخرى التي أوردها كاتز وفودر ، حيث يقولان :

« ان الحقيقة الاساسية التي مفادها ان النظرية الدلالية Semantic Theory يجب أن تكون قادرة على التعليل والتوضيح المنطقيين تعني بأن متكلماً متمكناً من لغته يمكن أن يقرر معنى جملة بوساطة معاني المفردات اللغوية المكوّنة الاساسية لها ، (٤٩٣ : ١٩٦٤ ، كاتز و فودر) .

وبناءً على ما يقتضيه هذا الرأي فان فهم جملة مثل :
قام ماكس بتنظيف الصحون . Max did the dishes

يمكن أن تحتوي على معرفة مجتمعة لمعاني الكلمات : « Max » و « do » و « the » و « dishes » . هناك صعوبة مضافة يمكن أن تكون خاصة بكيفية التوصل الى المعنى الصحيح لكلمة « do » وبشكل أقل صعوبة منها التوصل الى معرفة الفهم الصحيح والدقيق لكلمة « dishes » في هذا التركيب اللغوي . فاذا ما رجعنا ، طلباً للمساعدة ، فاستعنّا بالمدخل القاموسي لكلمة « do » الذي أشرنا اليه آنفاً ، فمن الممكن أن نختار المعنى الذي يمكن أن تشتمل عليه المفردة اللغوية « operate on » أو « deal with » بوصفهما كلمتين مناسبتين للحالة التي نحن بصددها . وحينئذ يمكن أن يُقال . من خلال فهمنا لتركيب الجملة « Max did the dishes » والمستخدَم في سياق اعتيادي مألوف ، بأن ذلك يعني ان شخصاً معيناً تعامل مع « dealt with » أو قام بالعمل أو التعامل « operated on » مع مجموعة من الاشياء التي تستخدم عادة في تحضير الغذاء . وبناءً على هذا الرأي فان جملة « max did the dishes » يجب أن يُنظر لها على انها لا تُعطي إلّا فكرة غير دقيقة جداً عن ما قام ماكس بعمله فعلًا .

مع ذلك ، طالما ان مستخدمي اللغة يمتلكون تجربة عن طبيعة النشاطات التي تجري يومياً في الحياة العامة للانسان فانهم يعرفون ليس فقط ما يمكن أن تعنيه المفردة « dishes » بل انهم يعرفون أيضاً ما يمكن للمرء أن يتوقع بشكل معقول عن الذي بإلامكان عمله مع ما تعنيه هذه المفردة ، وبالنتيجة ، بامكانهم ، في الحقيقة ، أن يفهموا وبطريقة دقيقة ، الى حد ما ، سلسلة العمليات التي قام بها ماكس على الصحون « dishes » . انهم لا يعرفون هذه الحقيقة بسبب كونهم قادرين على التوصل لاستخدام القاموس اللغوي العقلي Mental Lexicon الذي يتم فيه خزن قائمة طويلة من المعاني الممكنة لكلمة « do » ولكنهم يعرفون هذه الحقيقة بسبب

التفاعل المعقَّد Complex Interaction بين كل من الوحدات اللغوية المتنوعة من جهة ومع المعرفة والتجارب اللغوية التي يمتلكها المتحاورون من جهة اخرى .

يمكن لهذا أن يتوافق مع ما قلناه اذا ما تامل المرء بانه في سياق مختلف ، ولنقل معرضاً للأواني الفخارية ، عندئذ فان الجملة « Max did the dishes » ممكنة الاختلاف في مدلولها عما سقناه آنفاً ، لكن مع ذلك ، فان هذا يعتمد على الدقة في تفسير السياق .

يبدو ان من غير المحتمل أن يكون تعاملنا مع المفردات اللغوية التي تكوِّن جملة ما متسماً بالاطراد والتشابه الكلي . فمن الممكن ، مثلًا ، أن تكون مفردات لغوية مثل : « dishes » أو « heron » وغيرهما قادرة على مساعدتنا بل ويمكننا من اختيار انواع معينة لماهية من مجموعة من الماهيات الممكنة ، حيث من الجائز أن نخزن نوعاً معيناً من التمثيل اللغوي للخصائص اللغوية للمفردات « dishes » أو « heron » ، من الصعب جداً أن تفهم كيف ان الشيء نفسه يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة لمواد لغوية مثل « do »أو « have » التي ، كما يبدو ، تتفاعل مع انواع اخرى من المواد اللغوية لتمكننا من التوصل الى مناطق من التجربة اللغوية المناسبة لتفسير جمل وتراكيب اللغة ككل . يجعل المنهج القاموسي Dictionary Approach ، الذي يتبنى الاستراتيجية نفسها في تمثيل معاني كل كلمة ، الفروقات المهمة غير واضحة . لذلك يمكن أن يفشل في أن ياخذ بنظر الاعتبار التفاعل الذي يحصل بين المواد اللغوية ذات الانواع المختلفة . سوف نرجع الى هذا الموضوع في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

ان الخطأ الذي وقع فيه كاتز وفودر واولئك الذين عملوا فيما بعد على موضوع المفردات اللغوية عندما أسسوا مكوِّن نظريتهم الدلالية على اطار القاموس اللغوي التقليدي Traditional Dictionary كان متاتياً من فشلهم في معرفة ان القاموس ، بعيداً عن كونه موثوقاً به أو جديراً بالاعتماد عليه ، لا يعدو أن يكون أكثر قليلًا من أن يتعامل شخص متمكن مع ظاهرة سهلة القياد مثل ظاهرة معنى المفردات اللغوية . لا يمكن للقاموس اللغوي أن يعد خزاناً لمعاني الكلمة المُراد البحث عنها ، بل هو بالأحرى ، قائمة من الكلمات مع خطوط وتوجيهات تتعلق بمنطقة تجربة لغوية تُشير اليها هذه الخطوط لتمكين مستخدمي اللغة من توكيد أو عدم توكيد انطباعاتهم الموجودة أصلًا بشأن الطريقة التي يمكن بها استخدام كلمات معينة بشكل منتظم في الأُطر التي تسمح بها ثقافتهم . من النادر أن نتعلم فعلًا معنى مفردة لغوية من

خلال استخدام قاموس ما ، فاذا ما نظرنا الى القاموس بهذه الطريقة ، فيبدو غريباً لنا بل شاذاً لو اننا استخدمناه بوصفه جزءاً من الوصف النظري للمكوّن الدلالي للمعرفة اللغوية لمتكلم اللغة ، وهو بهذا لا يعدو أن يكون وسيلة أو بديلًا مؤقتاً . لقد كان كاتز وفودر مُجبرين على افتراض ان المرء باستطاعته أن يفرض ، كما هو الحال بالنسبة لواضعي القواميس ، درجة كافية من الوضوح والدقة على معاني الكلمات لكي يضم جوانب من معنى الكلمة في بنية الانموذج النظري الحالي المصوغ بشكل منطقي . يمكن لعملية أمثَلة من هذا النوع أن تؤدي الى نتيجة مشوهة وخطيرة .

(2) SEMANTIC MARKERS CAN BE COMPREHENSIVE

يمكن للعلامات الدلالية أن تكون ذات سمة شمولية :

لا تعد هذه الفرضية أقل انتشاراً أو شيوعاً ، في الأدب اللغوي ، من الفرضية الاولى التي سبق الكلام عليها ، انها تنظر الى الكلمات بوصفها تحتوي على معانٍ محددة المعالم بوضوح ، أما الفرضية الثانية ، التي نحن بصدد الحديث عنها الآن ، والتي ذكرنا عنها آنفاً بعض الأشياء البسيطة ، اعني ما قلناه بانه طالما تبدو مجموعة صغيرة ومختارة من الكلمات ممكنة التمثيل اللغوي عن طريق مجموعات محددة من المعالم والمميزات فسيستتبع ذلك عندئذ حقيقة مفادها ان مجموعة شاملة من المعالم والمميزات تغطي اللغة باكملها ممكنة التحقيق والابتكار . لقد عنت هذه الفرضية بان الصعوبات الحقيقية نفسها المتاصلة في مسالة ابتكار فصائل دلالية Semantic Categories ملائمة لعينة لغوية واسعة ، الى حد معقول ، قد تم التغاضي عنها . ولكي نكون عادلين في حكمنا على المنهج الذي طوره أصلًا كاتز وفودر ، يكون من المهم ملاحظة انهما لم ينظرا الى العلامات أو المميزات الدلالية على انها قادرة على تمثيل المعنى بشكل كليّ وشامل ، لذلك فانهما يقولان :

« ... ان الدافع الاساس لتمثيل المعلومات التي تخص مفردات اللغة عن طريق العلامات أو المميزات الدلالية هو لكي نجيز نظرية تُعبِّر عن تلك العلاقات الدلالية Semantic Relations التي تقرر الاختيار الدلالي وبتلك الوسيلة يمكن الوصول الى المجموعة الصحيحة من التفسيرات الدقيقة لكل جملة في اللغة » ، (٤٩٨ : ١٩٦٤ ، كاتز و فودر) .

وبتعبير آخر ، ان دور العلامات هو توفير المعلومات ذات العلاقة بالخصائص الدلالية البارزة للكلمات ورسم مدىً واسع لاستحدامها ، تلك المعلومات التي يمكن أن تكون عندئذ متاحة لمنظومة شكلية لاختيار المعنى الملائم لأية حالة معينة[٨].

وكتوضيح بسيط ، تأمل مرة اخرى مثال كاتز و فودر المتعلق بالمفردة « bachelor » . فوفقاً لتمثيلهما لهذه المفردة ، فانها تحتوي على معنيين اثنين :

(١) رجل لم يُسبق له أن تزوج أبداً .

(٢) فارس شاب يخدم تحت إمرة فارس آخر أعلى منه رتبة .

حيث ان المعنيين المؤشرين في أعلاه يشتركان في الخصيصتين « Male » و « Human » . فاذا ما أضفنا خصيصة اخرى مثل « Young » (شاب) الى التمثيل اللغوي رقم (٢) يُصبح عندئذ وجود هذه الخصيصة سبباً في استبعاد الاختيار رقم (٢) بوصفه معنىً لكلمة « bachelor » في الجملة الآتية :

اخيراً مات العازب المسن . The old bachelor finally died

وذلك لتمكين القواعد الدلالية Semantic Rules من اختيار المعنى الصحيح لكلمة « bachelor » واختيار القراءة والتفسير الصحيحين للجملة التي ترد فيها هذه الكلمة . يُعَد العمل الذي قام بانجازه كاتز وفودر ممتعاً من حيث انه يُلقي نظرة خاطفة ويلمح لمشكلة مهمة ، لكنهما فشلا ، حتى الآن ، في ابرازها الى الوجود ، بشكل واضح ، ولم يستطيعا تبيان أهميتها في اللغة . ان الشيء الذي لمّحا اليه ، في الحقيقة ، هو صفة المتغيرية الجوهرية في معنى المفردات اللغوية . فبسبب انهما قد فصلا اللغة بعيداً عن مستخدميها . لذا فانهما قد حولا ، بعملهما هذا ، مشكلة المتغيرية المعقدة جداً الى مشكلة سهلة للغاية ووضعاها في اطار الكلمات التي تحتوي على عدد من المعاني التي يمكن التفريق بينها . لقد مكنهما هذا من أن ينظرا الى مستخدمي اللغة بوصفهم اشخاصاً لا تعدو وظيفتهم ودورهم اختيار معنىً ما من بين معان متنوعة لكلمات تتصف بالغموض والالتباس الكبيرين . مع هذا ، وبالرغم من تبنيهما لهذا الرأي ، فانهما فشلا في أن يأخذا بنظر الاعتبار المرونة Flexibility التي تتسم بها اللغة والتي تتكيف باستمرار وتتمخض عن تجارب وخبرات لغوية لم يسبق أن كانت موجودة[٩]. لقد افترض منهجهما بأن هذه الميزة الاساسية قد قامت بتغطيتها الفرضية التي تقول بأن كلمات اللغة تحتوي على عدد من المعاني المتميزة عن بعضها والقابلة للتخصيص والتعيين على انفراد ؟ وكما رأينا في المثال الذي درسنا فيه المفردة « do » التي أوضحت لنا ، مع ذلك ، بأن فرضية كهذه لا يمكن أن تعكس الطريقة التي يمكن بها للمواد اللغوية المنفردة أن تتفاعل مع بعضها بعض من جهة ومع المعرفة والتوقعات التي يمتلكها مستخدمو

اللغة من جهة اخرى . ان هذا مهم ، بشكل خاص ، بحيث ان كاتز وفودر ، وكما هي الحال مع چومسكي ، قد تبنيا نظرة واقعية لحالة نظريتهم مقترحين بأن ضم المعالم والخصائص الدلالية للانموذج النظري الشكلي قد أجاز « اعادة بناء لعملية آلية الاختيار » التي ينفذها المتكلمون عند تفسيرهم لجمل وتراكيب اللغة التي تحتوي على مواد لغوية متعددة أوجه الغموض والالتباس . لقد اعتقد بشكل لا لبس فيه ، ان المعالم أو الخصائص الدلالية يمكن أن تُضاف الى انموذجهما النظري اللغوي حتى جاء الوقت عندما قالا :

« ... بأن زيادة تعقيد نظرية دلالية من خلال اضافة معالم جديدة لم يعد يُعطي مردوداً ايجابياً ولا فائدة كافية في مجاليّ الدقة المطلوبة والمدى الذي يمكن أن يُجيز هذه الزيادة » ، (٥٠٠ : ١٩٦٤ ، كاتز و فودر) .

وبتعبير آخر ، لقد أتى الوقت الذي تكونُ فيه كلمات اللغة بأجمعها قد مُثلت من خلال تبني تقنيات تضمّ معالم وخصائص كافية للتفريق بين كل المعاني المختلفة لكل المواد اللغوية متعددة مجالات الغموض والالتباس . هذا هو الشيء الذي تخيلاه والذي تم بناؤه على أساس عدد صغير جداً من الامثلة التي لم تُعطِ أكثر من اثنتي عشرة مادة لغوية . يمكن ، من خلال استعادة الاحداث الماضية والتأمل فيها ، أن يُقال بأن هناك مجالًا لأن نرى شيئاً من التفاؤل الاستثنائي . كذلك فان هناك صعوبة اخرى تبرز بشكل واضح عند تبني هذا الرأي . نشأت تلك الصعوبة من حقيقة ان المتغيرية الحاصلة في المعنى ليست مقتصرة على اختيار عدد ضئيل من الكلمات ، بل انها شيء يميز بدرجات متنوعة ، معظم مفردات اللغة لذلك اذا كان الفهم يشتمل حقاً على الاختيار القائم على اساس نوع ما من الخصائص الدلالية ، واذا ما قلنا بان كل أربع من ست كلمات في جملة تحتوي على معان متعددة ، عندئذ يتوجب على آليات المعالجة اللغوية أن تتحرك خلال مدىً واسع من الصيغ والتكوينات اللغوية الممكنة من أجل التوصل الى القراءة والتفسير الصحيحين لتلك الجملة . يمكن أن تكون النتيجة في بعض الحالات بمثابة انفجار غير محدود من المشاكل الدلالية . سنحاول في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، برهنة ان هذا بعض المشاكل ناشىء من طريقة معاملة اللغة لا كظاهرة مصاحبة لتجارب مستخدمي اللغة نفسها وانما معاملتها باعتبارها موضوع دراسة مستقلًا . ومن أجل أن نرى ، بشكل أكثر وضوحاً ، المشكلة الناشئة عن افتراض ان المعالم الدلالية يمكن أن تكون ذات صفة شمولية ، تأمل مثالًا آخر ، وخذ الكلمة « cut » (يقطع) وبعض التكوينات والصيغ

اللغوية التي يمكن أن تحدث معها . انه لصعب جداً أن نرى الكيفية التي يمكن بها للمعالم أو الخصائص الدلالية أن توضح كيف ان المفردة « cut » يمكن أن تقع في تكوينات وائتلافات لغوية عديدة ومختلفة وتُحدِث بشكل لا لبس فيه اسهاماً تفسيرياً لغوياً مختلفاً في كل حالة لكل الجملة ، ذلك التفسير الذي يعتمد على كل من المواد اللغوية الاخرى في التركيب وعلى المعرفة والتوقعات التي يمتلكها مستخدمو اللغة عند الكلام . بما ان معنى المفردة اللغوية « cut » يختلف في الأمثلة الآتية :

Max cut his finger / his nails / the flowers / the cake / the sandwiches .

(١) جرح ماكس أصبعه .

(٢) قلّم ماكس اظافره .

(٣) قطف ماكس الازهار .

(٤) قطع ماكس الكعكة .

(٥) شقّ ماكس الشطائر .

وطالما ان آلية الاختيار « Mechanism of Selection » تتطلب كما يرى كاتز وفودر مكافئاً نفسياً للمعالم الدلالية التي يتم ربطها بالاسماء لتمكين المعنى المناسب من أن يُختار بشكل دقيق في كل حالة ، فعند ذلك يمكن للمرء أن يسال : اذا ما أردنا ابتكار مجموعة من معالم دلالية كهذه ، ماذا يمكن أن نعمل بشان المفردة « finger » التي تكوّن التركيب اللغوي « cut + finger » التي تعني (يُحدث جُرحاً يسبب ألماً ونزفاً) ؟ وماذا بشان المفردة « nails » التي تكوّن الترتيب اللغوي « cut + nails » التي تعني شيئاً مختلفاً تماماً وهو (تقصير طول باستخدام وسيلة مناسبة) ؟ وماذا بشان المفردة « flowers » التي تكوّن التركيب اللغوي « cut + flowers » التي تعني شيئاً مختلفاً أيضاً وهو (ازالة شيء من مكان فيه نبات) ؟ وماذا بشان المفردة « sandwiches » التي تكوّن التركيب اللغوي « cut + sandwiches » الذي يختلف تماماً عن التركيب اللغوي « cut + cake » بحيث يمكن أن تُشير الى عملية معقدة تشتمل ليس فقط على انتاج شطائر بل تشتمل أيضاً على جميع المقومات الضرورية مسبّقاً . ففي كل حالة ، يتوجب على المَعْلَم الدلالي أن يُغلّف المعاني الصعبة لتوضيح ماهيتها التي تجعل هذه النشاطات اللغوية مختلفة فيما بينها . ان المفردة « cut » هي مادة لغوية واحدة تصورها كاتز و فودر على انها الاساس الذي بموجبه يمكنهما أن يتعاملا بالطريقة ذاتها مع مفردات اللغة الاخرى . وكما هي الحال مع العديد من علماء اللغة ، في السنوات

الاخيرة ، فقد قدّر كاتز وفودر استقرائياً ، وبشكل طائش ، كمية هزيلة وغير ذات صفة تمثيلية من المعطيات اللغوية وعدّاها كافية لاطلاق حكم ذي خاصية شمولية . ان عمل كاتز وفودر واولئك الذين بدأوا بالعمل ، فيما بعد ، على موضوع المفردات اللغوية ، قد قدم تعليلًا وتوضيحاً لبعض المشاكل عند التعامل مع جوانب من المعنى ضمن الاطار الشكلي الذي بدا مناسباً لدراسة موضوع النحو . مع هذا ، كانت هناك تاثيرات هدّامة أكثر مباشرة ، نشات من توسع علماء اللغة التوليديين في الاعتبارات التي تخص مسائل دلالية ، تاثيرات تنطوي على الصرامة والدقة الشكلية التي يتسم بها الانموذج النظري النحوي نفسه . ومن الامثلة اللافتة للنظر حول تفكيك وحل الخصيصة الشكلية لاعمال جومسكي اللغوية ذاتها تلك التي وردت في بحث جومسكي الموسوم بـ « البنية العميقة وغير العميقة والتفسير الدلالي » Deep Structure , Surface Structure and Semantic Interpretation » الذي يُعَد واحداً من أهم الابحاث التي أشّرت المدخل الحقيقي الى نظريته التي كانت حينذاك مقبولة على نطاق واسع والتي كانت تشتمل على فرضية تقول بأن البنية اللغوية غير العميقة وكذلك البنية اللغوية العميقة تساهمان بتوفير المعلومات ذات الصلة بالتفسير الدلالي Semantic interpretation .

ان الخلفية الضرورية لهذا النقاش في البحث الذي أشرنا اليه آنفاً تتلخص في ان هناك تراكيب نحوية متنوعة يحتوي عليها الانموذج النظري النحوي الصِرف يتم توليدها عن طريق قواعد النحو التحويلية Transformational Rules من البنية النحوية العميقة . لذلك ، يمكن أن نقول بأن من الممكن ، ومن خلال البنية التي تشكل الأساس العميق للجمل الاخبارية Declarative Sentences في اللغة الانكليزية مثل :

John wrote poetry in the garden

(كتب جون شعراً في الحديقة)

للقواعد التحويلية أن تقوم وبشكل غير مقيَّد بتوليد تراكيب لغوية ذات صِلة كالجمل الآتية :

(1) It was John who read poetry in the garden

لقد كانَ جون مَنْ قرأ الشعر في الحديقة .

(2) It was poetry John read in the Garden .

لقد كان شعراً ما قرأه جون في الحديقة .

(3) It was in the garden John read poetry .

لقد كان في الحديقة ذلك الشعر الذي قرأه جون .

مع ذلك ، ما إن نحاول دمج ، ضمن الانموذج النظري النحوي ، ملاحظة ان هذه الجمل الثلاث التي بينما تكون ذات صِلة بعضها مع البعض الآخر على المستوى النحوي ، لكن مع ذلك تُعَد مختلفة عن بعضها على مستوى ما تعنيه كل واحدة منها في كل حالة ، هنا يبرز السؤال الذي لا بد منه ، بأيّ مستوى من الوصف النحوي ينبغي لهذه الملاحظات الدلالية أن تتصل ؟ لقد قرر چومسكي ، لأسباب عديدة كان أغلبها تقنياً ، بأن المستوى النحوي ذا الصلة هو ذلك الذي يخص البنية غير العميقة[١٠] من التركيب اللغوي . أما النتيجة فقد كانت ، في هذه المرحلة من تطوير وتوسيع نظريته اللغوية ، اعتبار ان كلًا من البنية العميقة وغير العميقة وثيقتا الصِلة بالمستوى الدلالي . من الواضح ان التوسع الذي حصل في الانموذج النظري تطلب من چومسكي ابتكار منظومة قوانين لغوية جديدة تكون قادرة على أن تضم الى كل مستوى من التمثيل النحوي Syntactic Representation المعلومات اللغوية وثيقة الصِلة بالتفسير الدلالي . مع ذلك ، لم يجر تخصيص أي جزء من دراسة چومسكي التي نوهنا عنها آنفاً لاعطاء أي توضيح شكلي لطبيعة منظومة القوانين النحوية تلك .

ان افتقار هذه الدراسة الى الصرامة والدقة المطلوبتين قد اصبحت من أكثر الامور وضوحاً وذلك بسبب التوقعات التي اثارتها اعمال چومسكي الاولى . واذا ما تفحصنا ذلك عن قرب ، من ناحية اخرى ، نرى بأن الافتقار الى الاجراءات الدقيقة والواضحة قد أصبحت أكثر بروزاً فقط عندما تم ادخال الاعتبارات الدلالية الى الانموذج النظري النحوي لچومسكي . أما المعارضون لنظرية چومسكي في اللغة فيمكن أن يكونوا قد تضايقوا وانزعجوا من عوامل معينة في الانموذج النظري النحوي نفسه باعتباره غامضاً على نحو فاضح . ففي سبيل المثال ، بينما كانت الخصائص الشكلية Formal Properties لمنظومات اعادة كتابة القواعد النحوية Rewriting Systems التي أوجدت لنا قواعد البنية التركيبية Phrase Structure Grammars الاولى قد تم تقييدها بشكل صارم ودقيق فانه لم يتم اعطاء اهتمام مشابه للطبيعة الشكلية لقواعد النحو التحويلية . انها وظيفة القواعد التحويلية ، بشكل عام ، تلك التي بموجبها يتم تحويل بنية لغوية معينة الى بنية لغوية اخرى مختلفة الشكل . فطالما ان بعض القواعد النحوية التحويلية تعمل على ناتج قواعد

نحوية تحويلية اخرى ، فمن المهم ، والواضح جداً ، بل من الواجب ، أن يكون ناتج أية قاعدة نحوية تحويلية متسماً بالتخصص الدقيق . ودون هذا المطلب يكون من الصعب رؤية كيفية كتابة وصف لاية قاعدة نحوية تحويلية يمكن تطبيقها على أية بنية لغوية تم اشتقاقها بشكل تحويلي . وباختصار ، يتطلب أن يتوفر ، لنظرية نحوية صارمة ودقيقة من النوع الذي جاء به جومسكي ، نظام رياضي ليس فقط لمنظومة قواعد البنية التركيبية بل يجب توفر هذا النظام الرياضي أيضاً للبنية التكوينية المشتقة Derived Constituent Structure للقواعد النحوية التحويلية . لم يحاول جومسكي أبداً ابتكار أي نظام رياضي على مستوى البنية التكوينية المشتقة . الى هذا الحد ، وحتى قبل ظهور مشاكل صياغة المفاهيم الدلالية التي تتمتع بالكفاية العلمية مثل مفهومي الاقتضاء الضمني أو الافتراض المسبّق ومدى ومركز النفي ، فان النظرية النحوية نفسها كانت في ذلك الوقت غير كافية الوضوح وتفتقر الى الصرامة والدقة المطلوبتين[11]. وبشكل أكثر عموماً ، كانت نتيجة المحاولات التي جرت لدمج المفاهيم الدلالية ، التي تفتقر الى الوضوح والتحديد ، في انموذج نحوي نظري شكلي لا يتسم بالامان والاستقرار جعل علماء اللغة يعملون ضمن اطار يتصف بالأساس النظري غير الرصين ويفتقر الى الموضوعية والدقة . حيث ان علماء اللغة هؤلاء لم يمتلكوا إلا ميزة العمل مع نظرية تتسم بالصرامة والدقة العالية وانها تعمل على تفسير ميدان معرفي محدد ومتفق عليه وهو البنية النحوية Syntactic Structure ، كذلك فانهم لم يمتلكوا حرية العمل في استكشافات وسائل دلالية لم يقيدها انهماك نحوي يفرضه الالتزام باسلوب تعليلي توضيحي مصوغ بشكل منطقي ، فضلاً عن ذلك ، طالما ان النظرية نفسها تفتقر الى الصرامة والدقة المطلوبتين في النظام النحوي الشكلي ، فانه لم يُعَد مقبولاً الادعاء بأن هذه النظرية تتسم بالكفاية التوضيحية التعليلية وانها نظرية من النوع المصوغ بشكل منطقي .

ان الذي فُقِدَ في هذا الوضع النظري الذي لا يدعو الى التفاؤل هو البحث الموضوعي المنتج في مشاكل فهم اللغة وإنتاجها . وبالرغم من التوسع الواضح في ميدان البحث اللغوي لم يقترب علم اللغة من المركز في الالتقاء مع موضوع بحثه الحقيقي الذي هو اللغة . فبدلاً من التحرك في فتح باب البحث في موضوع علم الدلالة لمعالجة مشاكل اللغة تم توجيه البحث اللغوي ، بشكل عام ، الى اطار علم اللغة النظري الذي اصبح حقلاً علمياً منقسماً على نفسه بشكل واضح وكبير . لذلك فاننا نرى بأن الوقت أكثر من أن يكون ناضجاً الآن للرجوع الى ما قد أسماه نورثروب

بمرحلة تحليل المشكلة The Analysis of the Problem Stage فاذا ما تم الاتفاق على ان المعنى يشكل الأساس المركزي في التحليل اللغوي ، ومع كونه غامضاً ومبهماً ، فاننا يجب أن نقوم بمحاولة تبديد هذا الغموض وتخفيف ذلك الابهام . سنقوم في القسم الثاني من هذا الكتاب ، باتخاذ بعض الخطوات المؤقتة باتجاه هذا الهدف . أي تخفيف حدة الغموض والابهام في مفهوم المعنى . سننطلق في عملنا هذا من منطلقين مسبُقين ، أولهما ، اعتبار أن علم اللغة ليس في مرحلة يمكن أن تكون فيه النظرية المصوغة بشكل منطقي هي الشكل المناسب في التوضيح والتعليل العلميين ، وثانيهما ، ان من غير المثمر افتراض بأن الأفضل لنا أن ننظر الى اللغة أو المعرفة اللغوية بوصفها كينونة تامة في ذاتها وانها منفصلة عن الانواع الاخرى من المعارف والاعتقادات والتوقعات وتجارب مستخدمي اللغة . سنبدأ في عملنا هذا مع ايماننا الراسخ بأن اللغة هي ظاهرة مصاحبة لأشياء كثيرة واننا عند تحليل مشاكل اللغة اثناء الاستخدام الفعلي لها ناخذ بنظر الاعتبار وبشكل جدي ادراك مستخدم اللغة للواقع والبيئة اللتين يعيش فيهما ويتفاعل معهما .

هوامش المؤلفين

١ ـ ان المقترح الاول الذي أعِد لغرض دمج وضم المكوّن الدلالي Semantic Component لنظرية جومسكي في البنية النحوية قد ورد في دراسة كاتز وفودر الموسومة بـ « بنية نظرية دلالية » The Structure of a Semantic Theory التي تم نشرها في العام ١٩٦٣ . لقد وقع عمل كاتز وفودر هذا موقع الرضا من جومسكي ، بشكل عام ، وقد قام بتلخيص معظم أفكار هذه الدراسة في انموذجه النحوي النظري في كتابه المهم والموسوم بـ « جوانب من نظرية النحو » Aspects of the Theory of Syntax المنشور في العام ١٩٦٥ .

ان الانموذج الذي عبّر عنه هذا العمل ، بشكل مفصّل ، والذي عرف فيما بعد بالنظرية المعيارية (القياسية) Standard Theory قد تضمن ، ولأول مرة ، مكونات نحوية ودلالية وصوتية وظيفية . حيث ظل المكوّن النحوي على ما كان عليه بوصفه المكوّن الأساس Base Component الذي يقوم بتوليد البِنى النحوية العميقة وغير العميقة المقبولة لدى متكلمي اللغة الام من خلال استخدام عمليات تصفية Filtering Operations لغوية تقوم بها القواعد النحوية التحويلية . أما المكونان الدلالي والصوتي الوظيفي فقد تم عدّهما مكوّنين تفسيريين صرف Pure Interpretative Components . حيث قيل بان المكوّن الدلالي يقوم بطريقة اشتقاقية لغوية باستخدام المعلومات المتاحة في اطار البنية النحوية العميقة لتعيين التفسيرات والتحديدات الدلالية . واذا ما وضعنا هذه الوظيفة في ابسط صورها فاننا يمكن أن نقول بان دور المكون الدلالي ينحصر في تحديد وتعيين المعاني التي تُعرف في الادب اللغوي بالقراءات Readings للبنى اللغوية التي يقوم بانتاجها المكوّن النحوي الاساس The Syntactic Base Component . أما المكوّن الصوتي الوظيفي Phonplogical Component فقد قيل بأنه يقوم بدور تحديد وتعيين التفسيرات الصوتية غير الوظيفية Phonetic Interpretations للبِنى النحوية غير العميقة المقبولة لدى متكلمي اللغة .

٢ ـ لقد قام بعض اولئك العاملين في مجال تحليل اللغة الطبيعية Natural Language باستخدام الحاسب الآلي بالافادة من تجميعات كهذه لكي يتمكنوا من ابتكار مجموعات من الاصول والمبادىء التي يمكن من خلالها اجراء تحليل دلالي آلي اولي للجملة في اللغة قيد الدراسة .

٣ ـ كما هو معروف وشائع ، لم يتم أبداً ، وفي أي وقت مضى ، وحتى الآن ، تنفيذ أي عمل تم به استنفاد كل مفردات اللغة ، حيث ليس هناك من قائمة للمداخل القاموسية متفق على قبولها

ويمكن اجراء توسيمات عليها بشكل منتظم . لقد حاول علماء اللغة افتراض ان مفردات اللغة محتملة الادراك باكملها . يمكن العثور على اعمال بحثية مفصلة كهذه مبعثرة هنا وهناك في الادب اللغوي المنشور .

٤ - انظر : Chambers Twentieth Century Dictionary .

٥ - سنعاود الرجوع الى مناقشة أوجه القصور الخطرة في هذا الرأي وذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، حيث سنقوم بتفنيد الزعم القائل بان باستطاعة النحو توفير تبرير وتفسير كاملين للمعرفة اللغوية وانه « سوف يتوجب عليه بذلك أن يجرد في النظام الصرفي للغة الحصيلة الكلية للخصائص النحوية والدلالية والصوتية الوظيفية لكل مفردة في اللغة » ، (Smith and Wilson ، ١٩٧٩ : ٥٣) .

٦ - انظر : The Shorter Oxford English Dictionary

٧ - انظر : Oxford Illustrated Dictionary

٨ - حول أوجه القصور في موضوع المعالم الدلالية في تمثيل جوانب من المعنى ، انظر الدراسة التي قامت بها كارين سپارك جونز Karen Sparck Jones والموسومة بـ « المعالم الدلالية » Semantic Markers كذلك راجع الدراسة التي قام بها دوايت بولنجر Dwight Bolinger والموسومة بـ « فصل المعنى الى ذرات » The Atomization of Meaning .

٩ - تُعتبر المرونة Flexibility نتيجة طبيعية لعدم القدرة على تحديد وتقدير معنى المفردة في اللغة ، فبسبب كون معاني المفردة اللغوية ، وبدرجات متفاوتة ، غير محددة وغامضة وغير نهائية ، أي ان بالامكان انطباق الكلمات على تجارب جديدة وتجديدات مبتكرة لتجارب مالوفة ، فقد أدى هذا الابتعاد الكلي ، عن مفهوم عدم القدرة على التقدير الضروري لمعنى المفردة في اللغة لصالح المفردات اللغوية التي تحتوي على معانٍ ثابتة ومستقرة ، بكاتز وفودر على أن يُجبرا على تنحية مشاكل الابداع اللغوي بمعناه الشامل جانباً .

١٠ - تقنياً ، ان ما يُعبّر عن وثاقة الصِلة الدلالية ، هي في الحقيقة ، البنية النحوية غير العميقة المفسّرة بشكل صوتي غير وظيفي .

١١ - لقد ازدادت قيمة عدم الكفاية الشكلية هذه عندما كانت التحويلات Transformations بالاضافة الى ايصال تركيب لغوي بآخر قد اصبحتا متطلباً اضافياً لتؤديا دور الوسائل المرشحة Filtering Devices لازالة الجمل غير المقبولة لغوياً . فمنذ انجاز هذه الوظيفة أصبح من المهم بل ومن الجوهري لعلماء اللغة أن يتعرفوا على البنى النحوية العميقة في اللغة . وبالرغم من التوضيحات الشائعة لم يتم تحديد البنية النحوية العميقة بشكل مباشر عن طريق قواعد تركيب البنية اللغوية الاساسية Basic Phrase Structure Rules . لقد اعتمد تعريف مفهوم البنية النحوية العميقة ، وعلى نحو اشتقاقي ، على مفهوم البنية النحوية غير العميقة التي يتقبلها متكلم اللغة الام . يعد هذا الموضوع مسالة تقنية بحتة ،

لكن ما هو جدير بالاهتمام والملاحظة ، هو ان التحولات النحوية بقيت هي الموضوع الاساس في تحديد وتوضيح البنية النحوية غير العميقة ، وبشكل غير مباشر ، في تحديد وتعليل البنية النحوية العميقة . لذلك بينما يبقى هذان المفهومان غير واضحين ، كانت مستويات التحليل اللغوي في البنية النحوية العميقة وغير العميقة بالضرورة غامضة ومبهمة تعريفاً وتحديداً . لقد تضمن هذا ، بطبيعة الحال ، معوقات خطيرة وقفت حائلًا دون أي تجديد في النظرية الدلالية التي تحتاج الى أن تُشير لكلا المستويين من التمثيل اللغوي . أن دور البنية النحوية العميقة في التفسير الدلالي قد تم تبنيه في السنوات القليلة الماضية ، بشكل واضح ، من خلال تعديل مناسب ودقيق في مفهوم البنية النحوية غير العميقة ، وقد فشل هذا في التغلب على مشكلة عدم كفاية الدقة في التحليل النحوي . لقد اعتبر علماء اللغة بأن ما تمخض عنه هذا التعديل لا يعدو أن يكون تحولًا من البنية النحوية العميقة الى البنية النحوية غير العميقة من التمثيل اللغوي التحليلي .

PART 2
TOWARDS A POST - CHOMSKYAN LINGUISTICS

القسم الثاني
نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي

اننا في موقف يُعد اكتشاف ما نحتاج الى توضيحه بالضبط مشكلة كبيرة في حد ذاتها .

الفصل الرابع

المتطلبات الاساسية لفهم اللغة

PREREQUISITES FOR UNDERSTANDING LANGUAGE

.... ان عقل مَنْ يستمع الى اللغة يتساوى في درجة فعاليته في مجاليّ التحويل اللغوي والابداع مع عقل مَنْ يتكلم اللغة ذاتها .

ولهيلم ووندت

فهم العمليات اللغوية : الاطار العام

UNDERSTANDINC LANGUAGE PROCESSES : THE GENERAL FRAMEWORK

على مستوى الحياة العامة ، يُعد موضوع فهم اللغة من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يحتاج الى تفكير أو تعمق من أي نوع لادراكه . فمن النادر أن يحدث لنا عندما ندخل في حانوت للتبضع أو عندما نقوم بايقاف مركبة لنا في مرآب لتصليح السيارات والتزود بالوقود أن نتساءل فيما اذا كان بامكان العامل الذي يعمل في هذين المكانين الخدميين أن يفهمنا عندما نطلب منه تلبية احتياجنا لعلبة من السجائر أو أربعة غالونات من الوقود . ان تلبية طلبنا في تسلم علبة السجائر أو الكمية التي طلبناها من وقود السيارات هو تاكيد على فهم احتياجاتنا المنوّه عنها آنفاً ، مع هذا ، ليس كل أمثلة الاستخدام اللغوي في الحياة اليومية العامة تجري بسهولة المَثَل الذي قدّمناه الآن ووضوحه . ان الذي هو ذو قيمة في مثال المرآب والحانوت والذي نحب التاكيد عليه هو ان اللغة قد تم استخدامها كجزء من تعامل مألوف يحتوي على مدىً محدَّد ، تقريباً ، من المبادلات اللغوية المحتمَل حدوثها ، لذا فانها تلعب هنا دوراً مساعداً واضحاً . حقاً ، ان الانتشار الواسع جداً للاسواق المركزية الكبيرة ومرائب الخدمة الذاتية تبين حقيقة ان اللغة لا تحتاج لان تلعب أي دور على الاطلاق في مثل هذه التعاملات . ومتى ما أمكن اللغة أن تلعب دوراً ما ، فعندئذ يكون احتمال تحقيق الدقة في الفهم اللغوي عالياً طالما قد تم تدعيم المبادلات اللغوية وتقويتها بشكل كبير حداً وذلك من خلال رؤية ما يدور الكلام حوله واعتبار نوع الحالة العامة المتضمنة في

الحديث . وبتعبير آخر ، ان المشتركين في هذه التبادلات اللغوية يشتركون في اطار تعزيزي واحد من المعرفة والتجربة ، وان هذا الاطار هو المسؤول عن تمكين لغتهم من أن تعمل بنجاح .

تأمل ، مع هذا ، نوعاً آخر من أمثلة الحياة اليومية العامة ، وهو ان غريباً عن المدينة التي تقيم فيها قد سألنا أن ندلّه على مبنى دار البلدية ، أو قاعة عرض الآثار الفنية ، أو طلب ارشاده الى مكان شارع نعرفه معرفة تامة . افترض ان الطريق الموصلة الى ذلك الشارع تحتوي على اشياء من بينها عبور قطعة ارض خالية من البناء والذهاب بمحاذاة ممر ضيق بجانب ساحة تابعة لكنيسة وأخيراً سلوك طريق مختصرة من خلال سوق تقع على ممر مُقنطَر . انك تواجه الآن مهمة ترجمة هذه الارشادات الى لغة ومنها الطريق المعقّدة للغاية الى الحد الذي يتطلب تمييزها عن أية أنواع اخرى من الطرق الممكن تصورها . افترض كذلك بأنك تستطيع أن تنجز هذه المهمة بنجاح ، أما الشخص الغريب عن المدينة فانه يواجه الآن مهمة مماثلة حيث يقوم بمقارنة كلماتك مع ما يراه حوله ويختار من بين كل المنعطفات الممكنة تلك التي حاولت ، بشكل خاص ، وصفها باستخدامك اللغة . لقد تم اخباره لينتبه الى وجود قطعة أرض خالية من العمران تقع على يمينه حيث سيُفضي هذا المكان الى مكان مفتوح يحتوي على بعض جذوع من الاشجار ومن ثمّ سيمر ببعض من أجزاء أشياء ستبدو له وكأنها بعض من الابدان المعدنية التالفة . أما الآن فانك تعلم ، لانك مطلع على كل معالم المدينة التي تعيش فيها ، ان هذه هي ساحة لعب لرياضات الجري ، لذلك فاذا قصدت افهامه عبور هذه الساحة ، فعندئذ كان الاجدر بك أن تستخدم هذا المصطلح بدلًا من مصطلح الأرض الخالية من البناء . ان ما كنت تدعوه أرضاً خالية من البناء تقع في الحقيقة على بعد مئتي ياردة من ساحة لعب رياضات الجري . أما الغريب ، من ناحية اخرى ، فانه يفهم مصطلح الارض الخالية من العمران بشكل مشابه تماماً لساحة لعب رياضات الجري بسبب انحداره من منطقة ريفية ، وكذلك فانه لم يمتلك خبرة لغوية ولا حياتية ليفهم أشياء كهذه . لذا فاما انه سيقع في خطأ وسيعبر ساحة لعب رياضات الجري أو سيبقى في شك من أمره حتى يصل الى قطعة الأرض الخالية من البناء التي عينتها بالفعل . لقد تم اخبار الغريب كذلك بأنه سوف ينعطف الى جهة اليسار بمحاذاة ممر ضيق بجانب فناء تابع لاحدى الكنائس . انه يرى الى يساره كنيسة صغيرة مع مساحة من الارض غير واسعة تحيط بها وان هناك شارعاً ضيقاً يمتد بموازاة الأرض التي تلي الكنيسة الصغيرة هذه . أما

بالنسبة للشخص الغريب عن المدينة فان هذا الشارع الصغير جداً يمكن أن يفهمه على انه ممر ضيق . أما الذي لا يعرفه لا سيّما وانك لم تعد هناك لكي تقوم بتقديم النصح والمشورة ، فهو هل ان مفهوم الكنيسة الصغيرة chapel عندك هو ذات المفهوم للكنيسة الاعتيادية church ؟ ، وهل ان الشارع الذي يراه صغيراً حقاً الى الحد الذي يمكن أن يعده ممراً ؟ وان الذي لا يعرفه أيضاً ، هو وجود كنيسة كاثوليكية كبيرة حول المنعطف التالي مع ممشى مشجر يمتد بمحاذاة فناء هذه الكنيسة . فاذا ما استطاع الشخص الغريب أن يتفادى كل هذه الامور ويصل الى مركز المدينة فيستوجب عليه عندئذ أن يقرر أي قسم من منطقة السوق التي يكون السير فيها حراً هي التي كنت تُشير اليها باصطلاح السوق الذي يقع على ممر مُقنطَر . وقد يُصيب الغريب شيء من الارتباك حول القسم الذي يزدحم بالحوانيت على الجانبين والذي يقع على بعد ثلاثين ياردة قبل الانفتاح على ساحة تشتمل على نافورة مياه في وسطها . هل يمكن أن يُعدُّ مكان بمساحة ثلاثين ياردة ممَراً مقنطراً ؟ أم انك كنت تشير الى شيء آخر ؟

لقد درسنا هذا المثال بشيء من التفصيل وذلك لكونه يبدو ، بالمقارنة مع مثال الحانوت والمرآب ، الحالة التي يمكن أن تُظهِر لنا بجلاء ان للغة أهمية مركزية بدلًا من وصف هذه الاهمية بانها تشكل عنصراً مساعداً . ففي حالة عدم توفر خارطة أو أي شيء من وسائل الارشاد والتوجيه نرى الشخص الغريب يقوم بتوجيه الاسئلة لاشخاص يختارهم بشكل عشوائي ، هؤلاء الاشخاص الذين يمكن أن تكون لهم خلفية ثقافية وحياتية مختلفة تماماً عما يمتلكه هو ، من أجل ترجمة قسم من تجربته في العالم المادي الى كلمات لغوية . ان الدرجة التي يمكن للمتحاورين أن يشتركوا فيها في امتلاك اطار تعزيزي واحد يمكن أن يُوصف بانه أكثر محدودية في هذا النوع من التبادل اللغوي . ونتيجة لذلك ، وبالرغم من اشتراكهم بلغة واحدة ، كان هناك عدد من المناطق التي يمكن أن تُفصح عن ارتباك لغوي كبير . لقد اتخذنا الخطوة الاولى في ترسيخ الكيفية التي يتم بها فهم الاستخدام اللغوي وهي وجوب الادراك الكامل لمفهوم اللغة بوصفها تعتمد على اطار تعزيزي من المعرفة والتجربة . ان الدرجة التي تعمل اللغة على تحقيقها في أية مناسبة تتصل بشكل كبير جداً بالدرجة التي يعمل على تحقيقها الاطار التعزيزي لكل تداخل لغوي يقوم به المتحاور في أية تجربة لغوية .

يمكننا أن نوضح أهداف هذا المثال بشكل أكبر من خلال التجربة الآتية :

لقد تم تسجيل نص لغوي قصير على آلة تسجيل الكترونية ومن ثم تم اسماع

التسجيل لمجموعتين من طلبة المدارس الثانوية ممن تطوعوا لاجراء هذه التجربة حيث طُلب منهم تصنيف وتدريج هذه القطعة اللغوية المسجّلة على أساس قائم على الفهم ومن ثم محاولة استرجاع وتذكر أقصى ما يمكنهم من مادة هذا النص وكتابته . وفضلًا عن هذا ، لقد تم السماح لمجموعة من المجموعتين بأن تُعطى وقتاً مقداره ثلاثون ثانية قبل سماع النص المسجل من أجل دراسة سياق لغوي مصوّر بينما لم تُعطَ المجموعة الثانية أي سياق مصوَّر شبيه . ولكن يُسمَح لها بان تسمع النص المسجَّل مرتين متتاليتين كذلك فقد سُمِحَ للمجموعة التي رأت السياق المصور بان تسمع النص المسجل ولكن مرة واحدة فقط . أما النص فكان الآتي :

« اذا ما تفرقعت المناطيد فليس لصوت الانفجار القدرة على الانتقال الى مسافة كبيرة لأن كل شيء سيكون بعيداً عن الطابق المعني في البناية . وكذلك فان النوافذ المغلَقة باحكام يمكن أن تمنع الصوت من الانتقال الى مسافة ما نظراً لكون معظم البنايات مزودة بموانع تحول دون تسرب الصوت والحرارة أو التيار الكهربائي . وطالما ان العملية بكاملها تعتمد على جريان التيار الكهربائي المستمر والثابت فان أي قطع يُصيب وسط السلك الموصِل للكهرباء يمكن أن يسبب مشاكل كثيرة أيضاً . من الطبيعي ، يمكن للشخص أن يصيح بصوت عال إلا ان الصوت الانساني ليس بالشدة الكافية لأن يصل الى مسافة بعيدة . وهناك مشكلة مضافة وهي : اذا ما انقطع أحد أوتار الآلة الموسيقية التي تعزف عليها فعندئذ سوف لا يكون بمقدورنا أن نخلق جواً من الانسجام الموسيقي وسوف لا يكون بمقدورنا كذلك ايصال ما نريد الى جمهور المستمعين وبخاصة اذا كنا على مسافة ليست بالقريبة . فمن الواضح ان أحسن حالة هي تلك التي تكون فيها المسافة بين العازفين والمستمعين وبين مصدر الصوت وسامعيه قريبة الى حد معقول ، وعند ذاك ، تُصبح المشاكل المتعلقة بوصول الصوت بوضوح أقل نسبياً . وهذا يعني ان الاتصال القريب بين الانسان والاشياء في الحياة بعامة يتمخض دائماً عن اقل ما يمكن من الاخطاء » (٧١٩ : ١٩٧٢ ، برانسفورد وجونسن)(*).

لاحظ ان هذا النص لا يحتوي على مفردات لغوية تتطلب معرفة واسعة فهي ليست غامضة وليست بالمفردات التي تتعلق بتقنيات علمية معقّدة معينة ، كذلك فان

(*) يفتقر هذا النص ، كما هو واضح ، الى الترابط اللغوي الموضوعي الدقيق وقد ساقه المؤلفان بهذه الصورة بشكل متعمَّد .

السبك النحوي لجمل هذا النص لا يمكن أن يتسم بالتعقيد والصعوبة ، لذلك ان الاشخاص الذي طُلب منهم تصنيف وتدريج هذا النص على اساس قائم على الفهم العام له ، قد واجهوا اختياراً كان يُوصف بالبساطة والمباشرة على مستوييْ الكلمات والبنية النحوية للتراكيب اللغوية . وباستخدام مقياس عددي مكوَّن من سبع نقاط فان المتوسط الحسابي لتدريج وتصنيف المجموعة التي لم ترَ السياق المصوَّر كان (2.3) بعد السماع الاول للنص المسجَّل حيث يؤشر هذا الرقم بوضوح صعوبة في الفهم العام لهذا النص . لقد ارتفع هذا الرقم الى (3.6) بعد السماع الثاني للنص المسجَّل حيث يدل هذا على وجود أكثر من صعوبة متوسطة الدرجة في الفهم أما المتوسط الحسابي لتصنيف المجموعة التي رأت السياق المصور فقد كان (6.1) وهو رقم يؤشر سهولة في الفهم بعد الاستماع الى النص المسجَّل مرة واحدة فقط . يمكن أن نحسب المجموعة التي لم ترَ السياق المصوَّر على انها في حالة لم تكن فيها لغة النص المسموع معزَّزة حيث يرجع ذلك الى سببين ، أولهما : هو اننا في حالة تجريبية تكون فيها التلميحات ومفاتيح حل بعض المعاني ، التي يجب أن تكون موجودة في العبارات الاعتيادية التي يحتوي عليها الاستخدام اللغوي ، مفقودة ، وثانيهما : لم يتم اعطاء معلومات سياقية ، وباي شكل من الاشكال ، في النص المسموع ، فينبغي أن نتوقع ، في مثل هذه الحالة المتطرفة درجة متدنية من الفهم ، حيث أيدت التصنيفات الاحصائية ذلك وقد تعززت أكثر من خلال النتائج التي تمخض عنها اختبار التذكر الذي أجري فيما بعد . فمن الأربع عشرة فكرة التي عيَّنها كل من برانسفورد Bransford وجونسن Johnson في ذلك النص اللغوي ، استطاعت المجموعة التي لم ترَ السياق المصوَّر أنْ تتذكر ما معدله (3.6) فقط ، ارتفعت الى (3.8) بعد القراءة الثانية . أما المجموعة التي تسنى لها رؤية السياق المصوَّر ، فقد استطاعت تسجيل معدل بلغ (8) خلال قراءة واحدة فقط . ان هذا شيء مما يمكن أن يتوقعه المرء على أساس تصنيفهم لفهمهم الذاتي للنص وعلى اساس انهم قد وُضعوا في حالة قد تم تدعيم النص اللغوي فيها بشيء من التعزيز الذي ساعدهم في رفع مستوى فهمهم . ذلك التعزيز الذي يصعب وصفه وتمييزه بسبب صفة التكلف التي ترافق الحالات التجريبية بشكل عام . لم يرتفع مستوى الفهم بسبب الصورة التي رافقت النص على اعتبار انها تمثل دعماً بصرياً مبسَّطاً وصريحاً ولكن السبب يكمن في النظر الى الصورة ، الذي أعطى المجموعة التي تسنى لها رؤية السياق المصوَّر ، معلومات قد مهدت الطريق لبناء اطار تعزيزي مكَّن افراد المجموعة من فهم

هذا النص اللغوي .

وكمثال اخير ، تأمل النص اللغوي التالي المجتزأ من تقرير ورد في احدى الصحف اليومية :

« لم يُفلح نيكلوس Nichlaus في ادخال الكرة في الحفرتين السابعة والثامنة اذا انه قد أسقطها خلف حُفَرٍ قديمة . ولما لم يتمكن حَكم المباراة من القيام بتسطيح الأرض المحيطة بالحُفَرِ ، بشكل مقنع ، فقد أعلن بأن المنطقة تحت الاصلاح ومنح نيكلوس ضربة خلفية »(*) (٧٨ : ٦,٧ ، الاويزيزفر) .

من المحتمل جداً أن يمنح شخص ما درجة واطئة في فهم واستيعاب هذا النص بالرغم من امتلاكه المعرفة والاطلاع الواسعين بكل المفردات التي استخدمت فيه ، إذ ان السبب في ذلك يعود الى كون هذا الشخص غير ذي معرفة على الاطلاق باصول لعبة الغولف وقواعدها . كذلك ، يمكن أن يكون هناك فرق كبير في درجة فهم هذا النص القصير بين لاعب متمرس في هذه اللعبة وبين شخص ما تنحصر معرفته ومعلوماته ببعض القضايا البسيطة المتاتية من خلال حضوره بعض مباريات بهذه اللعبة أو نجاحه في دورة تشتمل على معلومات تخص هذه الرياضة . يمكننا القول بأن هذا الاختلاف في فهم هذا النص المجتزأ غير متعلق بالمهارات اللغوية Linguistic Skills لمتفهمي اللغة ولكن من الممكن أن يتعلق بالمدى الذي يكون فيه فاهمو اللغة قادرين على امتلاك الدعم والتعزيز اللغويين المناسبين اللذين يساعدان كثيراً في تفسير وفهم النص موضوع النقاش .

فبسبب الخبرة المتراكمة يُصبح لاعب الغولف حَسَن الاطلاع على كل انواع النشاطات التي ترافق تعابير لغوية مثل : smooth old holes (يقوم بتسطيح الأرض التي تقع عليها حُفَرٌ قديمة) و declare ground under repair (يُعلن الحكم بأن منطقة الحُفَر في لعبة الغولف تحت الاصلاح) و give relief (يُعطي ضربة خلفية) ، حيث يعد الفهم بالنسبة له عملية تشتمل على استخدام اللغة للوصول الى مجالات من المعرفة تخص لعبة الغولف يختزنها في عقله بشكل صيغ وتكوينات معرفية عامة . أما الذي لا يعرف شيئاً عن اصول وقواعد لعبة الغولف فانه يعمل

(*) يقف حكم المباراة حيث يواجه ملعب الغولف فيرمي الكرة من فوق كتفه لتقع الى الخلف منه بمسافة عدة أقدام فيبدأ اللاعب بضرب الكرة حين سقوطها .

ويحاول ويبذل جهداً كبيراً لفهم عبارات من هذا النوع إلا ان مردوده على مستوى الفهم أقل من الجهد المبذول ، فاذا ما قرأ المجتزأ المشار اليه آنفاً بشكل سريع فانه سيفهم الشيء القليل من معناه العام بالنظر لكونه غير حَسَن الاطلاع على النشاطات والفعاليات التي يمكن أن ترافق الكلمات والعبارات التي ترد في نص يتعلق بلعبة الغولف وهو بهذا لن يكون قادراً على أن يصل الى الخبرة والمعرفة اللتين تخصان رياضة الغولف . واذا ما رجع وقرأ النص اللغوي مرة اخرى ، ولكن ببطء أكبر ، فمن الممكن أن يحاول استخدام معرفته المحدودة حول هذه اللعبة فيصوغ فرضيات حول الانشطة والفعاليات التي يمكن أن تشير الى العبارات Smooth old holes و declare ground under repair و give relief ، لكنها ستبقى مجرد فرضيات . أما فهمه لعبارة « give relief » مثلًا فلا يمكن أن يتاتى من خلال فهم الكلمات التي تتالف منها فقط ، فاذا حاولنا أن نفهمها من خلال تجميع معاني الكلمات المكونة لها فلن نكون دقيقين البتة . لذلك ، بينما يمكنه ، بالتاكيد ، استخدام اللغة ويحاول أن يكمل اطاراً تعزيزياً يتسم باللاكفاية إلا ان ذلك لم يكن ليمكنه من فهم النص بالدرجة ذاتها من الدقة بالمقارنة مع لاعب الغولف الذي يكون اطاره التعزيزي في هذا الحقل من الخبرة متسماً بالسمة التفصيلية ويُوصف بالشمول والدقة .

نحن نعتقد بان هذه الملاحظات المدعمة بالامثلة ، حول المدى الذي يكون فيه استخدام اللغة مقيَّداً بشكل صميمي بالمعرفة والخبرة التي يمتلكها مستخدمو اللغة ، معقولة ومنطقية إلا انها ليست بالجديدة على وجه الخصوص ولا بالثورية على وجه التحديد . أما الشيء الذي وجدناه واضحاً ومدهشاً ، في الوقت ذاته ، مع هذا ، فهو ان مدى العلاقة التكاملية بين اعمال اللغة من جهة وبين الأطر التعزيزية لمستخدمي اللغة من جهة اخرى قد تجاهلها ، بشكل كبير ، اولئك الذين يرون أنفسهم وكانهم يقومون بتطوير نظريات توضيحية تعليلية لغوية ويبدو ان هذا قد حدث نتيجة لعملية الأمثَلة التي تمت مناقشتها آنفاً والتي انتشرت بل واستشرت في حقل علم اللغة ، تلك العملية التي فصلت اللغة عن مستخدميها وعدتها شيئاً بالامكان وصفه كماهية قائمة بذاتها . ان احدى نتائج عملية الأمثَلة هذه هي جعل علماء اللغة يتجهون لتركيز مقدار غير متجانس وغير متكافىء من الطاقة على الشكل والبنية اللغويين على حساب مسألة ما زالت دون حل بشكل واضح وهي : كيف تعمل اللغة بشكل فعلي ؟ لم يحاول علماء اللغة ، بشكل عام ، وصف اللغة وتمييزها بالاسلوب الذي يوضح الكيفية التي تكون فيها سلسلة من الاصوات اللغوية التي يقوم

باطلاقها شخص واحد مفهومة بالنسبة لشخص آخر أو تبدو كذلك .

لقد بدت عملية الأمثلة ، التي تعد اللغة كينونة قائمة بذاتها ، مقبولة حتى عندما توسعت لتشمل المعنى وذلك بسبب فرضية أساسية ، يبدو اننا كلنا نعتقد بصحتها ، اعني تلك الفرضية التي تقول ، اننا بشكل أو بآخر ، نعتقد بأن الكلمات والجمل التي نقوم باستخدامها « تحتوي » على معانٍ واننا قادرون عند استخدام هذه الكلمات والجمل على « نقل » هذه المعاني الى اشخاص آخرين . من المعتاد ، كما يكون مناسباً في مرات كثيرة ـ وربما قد لا يكون من المعتاد عندما لا يكون مناسباً جداً ـ أن نتكلم على الكلمات والجمل بوصفها « تحتوي » أو تحمل معاني ، وكذلك عندما نتكلم على الجمل باعتبارها تقوم بنقل المعنى أو الافصاح عنه . من المؤكد بأن المجازات البلاغية Metaphors في حقلي الالفاظ التي تدل على معنى الاحتواء Containment والنقل Transport تتسم بكونها كليّة الوجود ، حيث تبرز هذه السمة في المناقشات الرسمية وغير الرسمية التي تجري حول موضوع المعنى . ففي بعض الأحيان ، يبدو اننا نتعرف على التعابير اللغوية التي تتعلق بحقليّ الاحتواء والنقل بوصفها مجازات بلاغية لهذين الحقلين اللغويين ، أو اننا في احيان اخرى ، نعتبرها مجازات بلاغية دون الاشارة الى الحقل اللغوي الخاص بها . وحتى الآن ، تعد قوة المجاز البلاغي هذه ، والتي أظهرتها الى الوجود النظريات الدلالية المختلفة ، شيئاً قد تم ابرازه على أساس الفرضية التي تنظر الى المجازات البلاغية بوصفها أوصافاً لما تعنيه الحالة والسياق اللغويان ، فهناك مثلاً تراث طويل ، على المستوى الزمني التاريخي يرجع في قدمه حتى العصر الذي عاش فيه الفيلسوف الاغريقي « افلاطون » يؤكد على قضية الايمان باحتواء الكلمات على المعاني . ان هذا الرأي والاعتقاد الذي اطلقنا عليه تسمية نظرية وعاء المعنى Container View of Meaning ينعكس بوضوح على طرائقنا الاعتيادية التي نتناقش على أساسها في مجال معاني الكلمة الواحدة أو الكلمات المختلفة . فاذا ما صادفتنا كلمة جديدة مثل Opsimath (شخص يتعلم على كِبَر) وسألنا السؤال المعتاد دائماً ، ما معنى هذه الكلمة ؟ أما الجواب فسيحتمل مسالك عدة من بينها ، أما تبني طريقة اعطاء الأمثلة لما يمكن أن تُشير اليه هذه الكلمة أو استنباط أمثلة مختارة من الواقع المادي الذي نحياه أو باعطاء خصائص ومميزات نعتقد بانها يمكن أن تكون قياسية بالنسبة لتعريف وتحديد نوع من الاشياء بامكانها أن تفي بمتطلبات كونها Opsimath . يبدو ان هذا جواب طبيعي معتمد على عدد من الافتراضات التي تحتاج

الى إطالة في شرحها وتوضيحها من أجل تقويم المنهج الذي تعتمد عليه نظرية وعاء المعنى في دراستها لدلالة المفردة اللغوية ومعرفة امكانية أن يكون هذا المنهج مثمراً ومنتجاً على المستوى العملي .

نظريات الدلالة :
بعض التأملات بشان نظرية وعاء المعنى
THEORIES OF MEANING :
SOME REFLECTIONS ON THE CONTAINER VIEW

تشكل نظرية وعاء المعنى الأساس الجوهري لكل النظريات التي تبحث في دلالات المفردة اللغوية سواء أكانت تلك النظريات معتمدة في البحث العلمي اللغوي أو غير ذلك ، حيث انها تفترض مسبقاً امكانية دراسة المعنى بشكل مستقل عن مستخدمي اللغة . وعند الحديث عن هذه النظرية ، فاننا وكذلك متكلمي اللغة ، لا يتوجب علينا جميعاً أن نفهم على اننا نعني بها دلالات معينة باستخدام مفردات اللغة وانما نعني ، في الحقيقة ، ان الكلمات نفسها تحتوي على معانٍ خاصة بها ، ومن هنا ، نستطيع أن نفترض علاقة تضم ثلاثة أطراف مهمة ، حيث يفترض وجود :

(١) كلمات Words .

(٢) الأصناف المختلفة من الاشياء Objects والاحداث Events والمواقف Situations الى آخره ، في العالم المادي الذي نحياه والتي يمكن أن تشير اليها المفردات اللغوية أو تقوم باختيارها .

(٣) معاني الكلمات Meanings of Words .

فعلى هذا الأساس ، يعد وصف دلالة الكلمة وكأنه وصف لعلاقة يُعتقد بوجودها بين اللغة من جانب وبين العالم المادي من جانب آخر . كذلك فانها يمكن أن تتضمن تصوراً مفاده ان العالَم المادي الذي يمكن أن يكون ذا علاقة باللغة يُعتقد بامكانية استقلاله عن ادراك مستخدمي اللغة . ان الصعوبة في نظرية كهذه تتجلى ، في الحقيقة ، في تجاهلها للدور الخطير والفعال الذي يلعبه مستخدمو اللغة في مجال ربط الكلمات التي يعالجونها بعمليات مختلفة أو التي يقومون بانتاجها من خلال الخبرة التي يمتلكونها عن الواقع بشكل عام .

يعد اظهار الدلالة فناً ، كما اشار پولاني Polanyi الى ذلك في كتابه الموسوم بـ « المعرفة الشخصية » Personal Knowledge المنشور في العام ١٩٥٨ ، ذلك لأن من يستخدم المفردات اللغوية ، يضعها في اشكال وصيغ وعبارات متنوعة ، بنشاط يتسم بعدم الدقة والشخصية والذاتية الضيقة بافراط . مع هذا فان نظرية وعاء المعنى التي تركّز على حقيقة ان الكلمات في اللغة تحتوي على معانٍ ، تفترض ، بشكل مضلّل للغاية ، ان متكلمي اللغة ومن يسمعونها لا يعدون أن يكونوا

أكثر من مستخدمين سلبيين لنظام يمكن أن يوصف ، وبشكل علني ، بأنه مستقل عنهم وليس بذي صِلة مهمة بهم ، حيث يتعامل هذا النظام مع اللغة بوصفها شيئاً أو ماهية معينة بدلًا من عدها وسيلة تمكن مستخدمي اللغة من استحداث آليات معالجة لغوية معقدة يكون لها دور مؤثر في مستخدم لغة آخر . سوف نقوم في فصل لاحق من هذا الكتاب بتطوير نظرية بديلة اطلقنا عليها تسمية نظرية الظاهرة المصاحبة « Epiphenomenalist View » .

لقد تمخضت عن العلاقة ذات الأطراف الثلاثة ، التي أشرنا اليها آنفاً ، فرضية تقول بامكانية تخصيص وتعيين معاني المفردات في اللغة بشكل موضوعي ومحدد كما هي الحال في القواميس اللغوية . فضلًا عن هذا ، وحالما تم افتراض علاقة الاطراف الثلاثة بشأن نظرية وعاء المعنى وعدها أمراً مفروغاً من صحته ولا يرقى اليه الشك ، بدأت تبرز عند ذاك أنواع معينة من التساؤلات المهمة التي كانت تدور في خلد المفكرين وبشكل يتعذر اجتناب ظهورها تقريباً . وكما هي الحال بالنسبة لكل أنواع التحقيق العلمي فان الافتراض المسبق المطلق وعلاقة الاطراف الثلاثة التي تشتمل على شيء من الطبيعة المطلقة للافتراض المسبق المطلق كان لها تاثير حاسم على نوع التحقيق والبحث العلمي اللغوي الذي تمت مباشرته والشروع فيه[1]. فمن التساؤلات الواضحة التي يمكن اثارتها تساؤل حول ما اذا كانت كل الكلمات والعبارات في اللغة ممكنة الوقوع وبسهولة ضمن عملية الأمثَلة التي افترضتها علاقة الاطراف الثلاثة أم لا . إذ ان من الجلي ان بعض الكلمات والعبارات لا يمكن التفكير بها وبدراستها على اعتبار انها تحتوي على معانٍ دون الاشارة الى متكلمي اللغة والمستمعين اليها بالمعنى الواسع للسياق اللغوي الذي هو سياق الجملة . ومن الحالات التقليدية التي تصلح لأن تكون نماذج في هذا السياق كلمات مثل : here (التي تعني : هنا ... الخ) و now (التي تعني : الآن ... الخ) و today (التي تعني : اليوم) ، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الضمائر الشخصية Personal Pronouns مثل : I (الذي يعني : أنا : ضمير المفرد المتكلم) و you (الذي يعني : ضمير المخاطب : أنتَ ، أنتِ ، أنتما ، أنتم ، أنتُنَّ ، كَ ، كِ ، كما ، كم ، كُن) و she (الذي يعني : هي ... الخ) و we (الذي يعني : نحن) و they (الذي يعني : هم ، هُنَّ ... الخ) ، حيث يُطلق على الكلمات من هذا النوع تسمية المصطلحات الفِهرسية Indexical Terms والمصطلحات التشخيصية الإشارية Diectic Terms . أراد الكثيرون من الفلاسفة وعلماء اللغة المهتمين بدراسة المعنى ، في الأقل كعملية

أمثلة اولى ، ان يستبعدوا عن وصف المعنى[٢] المشاكل التي رأوا بأن المصطلحات الفهرسية والتشخيصية الإشارية هي المسؤولة عن ظهورها . ان ابتعاد عملية الأمثلة النظرية عن هذه العبارات قد سمح لجوانب من المعنى ، وبخاصة تلك التي تعتمد بشكل واضح على المعرفة والاعتقادات والظروف والتوقعات التي يمتلكها مستخدمو اللغة ، لأن تُستبعد من ميدان النظرية الدلالية .

ان التحرك باتجاه النظر الى العبارات الفهرسية Indexical Expressions والعبارات التشخيصية الإشارية Diectic Expressions بوصفها نوعاً فرعياً خاصاً من الكلمات والعبارات التي تحتاج لان يُتعامل معها بشكل مختلف كان نفسه نتيجة من نتائج تبني نظرية وعاء المعنى ، فما إن يتم العمل بنظرية وعاء المعنى حتى تُصبح عملية التفريق التقليدية الحالية بين العبارات التشخيصية وغير التشخيصية ليست بذات أهمية أو قيمة كبيرة . كذلك ما إن يتم استبعاد العبارات التي لا تتفق بوضوح مع علاقة الاطراف الثلاثة حتى يبرز لنا عدد من المسائل أهمها ما يتعلق بالطرف الثالث في هذه العلاقة ، أي معنى الكلمة ، وعلاقته بطرفي العلاقة الاخرين . وحول هذه القضية ، هناك تاريخ طويل ومتصل من الخلاف الذي لا يزال مستمراً وقائماً حتى الآن ، حيث يمكن كتابة تاريخ علم الدلالة باظهار آراء متنوعة تم تبنيها باتجاه هذه المسألة ويمكن أن يُقال ان أبسط هذه الآراء قاطبة كانت تلك التي تنظر الى امكانية فهم معنى المفردة اللغوية على أساس كونها تشكل علاقة بين الكلمة والشيء أو بين أشياء في الواقع الذي نحيا فيه وذلك الشيء الذي تختاره المفردة أو الذي تُشير اليه .

وعلى أساس هذا الرأي ، أصبح يُشار الى العلاقة بين الكلمة والشيء باسم علاقة الاشارة Relationship of Reference كذلك فان هناك تراثاً طويلاً لعلم الدلالة كان ينحو لمساواة مشكلة معنى المفردة في اللغة مع مشكلة الاشارة اليه . لذلك ففي أكثر الحالا وضوحاً يُعد اسم العلم Proper Name مثل : ماكس Max أو كمبرج Cambridge من قبيل الأشياء التي تُشير الى شخص أو ماهية معينة . ومثلما يمكن لاسماء العلم في أن تُشير الى اشخاص معينين فان الأسماء (بالمعنى العام) Common Nouns تُشير الى أصناف وأنواع من الاشياء ، وان الافعال Verbs يمكن أن يُقال بانها تشير الى أنواع من الاعمال والاحداث ، وان الصفات (النعوت) Adjectives تُشير الى خصائص معينة لها علاقة بالاشخاص ، وان الظروف Adverbs تُشير الى خصائص الافعال . يُطلق ، أحياناً ، على هذا الفهم لعلاقة الاشارة تسمية

الامتدادية Extensionalism حيث تتعامل مع موضوع معنى المفردة اللغوية بوساطة الاستعانة بالاشياء التي تعرف بالامتدادات أو أعضاء مجموعة الامتداد التي يُقال بأن كلمات اللغة تُشير اليها . لقد ظهر عدد من المشاكل من جراء الاعتقاد بهذا المنهج في فهم معنى المفردة اللغوية عن طريق ما يُسمى بالامتدادات . ان كمية قليلة من المعطيات اللغوية التي يُظن بأنها قادرة على توفير دحض لمنهج امتدادي مبسط قد جاءنا بها فريج Frege وذلك في نهاية القرن الماضي . تأمل المشكلة الاتية :

اذا ما استطعنا أن نجد أمثلة لعبارات في اللغة لها مجموعة امتدادية واحدة ، أي انها تُشير الى المجموعة نفسها من الاشياء إلا ان هذه العبارات غير ممكنة الفهم بالطريقة نفسها ، عندئذ يُصبح توضيح المعنى الخاص بالمفردة ووصفه بطريقة الامتدادات غير كافٍ ولا وافٍ بالغرض ، بل انه غير ملائم البتة . لقد أخذ فريج التعبيرين « the morning star » (نجمة الصباح) و « the evening star » (نجمة المساء) اللذين يشيران الى الشيء ذاته وهو (كوكب الزهرة) The Planet Venus وبيّن بانهما لا ينطويان على المعنى نفسه واذا ما كانا متشابهين في المعنى فان الجملة :

1) The morning star is the evening star .

نجمة الصباح هي نجمة المساء .

يمكن أن تُفهم بالطريقة ذاتها التي يتم بها فهم الجملة الاتية :

2) The morning star is the morning star .

نجمة الصباح هي نجمة الصباح .

فضلًا عن ذلك ، فان الجملة الاولى قد احتوت على معلومة وعلى اخبار مفيدة Informative في حين ان الجملة الثانية لم تشتمل على هذه الخاصية Uninformative .

ان التطابق في المشار اليه الذي بيّنــه لنا فريج من خلال المثالين في الجملتين المذكورتين آنفاً لم يكن ليشكل لنا حالة من الكفاية اللغوية ليتم الحصول على تطابق مماثل في المعنى . لقد قادت الأمثلة من هذا النوع كلًا من الفلاسفة وعلماء اللغة للتفريق ، ولكن ليس بشكل منتظم ، بين المعنى sense والدلالة (العلاقة بين الكلمة ومقصودها) Reference ، وبين معنى الكلمة ومقصوداتها Referents ، أو في أوقات أكثر قدماً في تاريخ البحث الدلالي ، بين الظِلال الدلالية

Connotations للكلمة ومعناها الحقيقي Denotation ، أو في وقت أكثر حداثة ، بين مفهوم Intension عبارة أو تعبير نحوي وامتداده الدلالي Extension . ان القضية التي نريد طرحها وتوضيحها من خلال اساليب التفريق بأشكالها المتنوعة ، وكما مر بنا آنفاً ، هي وجوب أن يكون هناك شيء ما يربط بين الكلمة أو العبارة وبين مجموعة امتدادها الدلالي Extension Set أو مدى معناها الحقيقي Denotation Range يكون فهمه وادراكه كلياً بمثابة الوسيلة التي تمكننا من معرفة ما الذي يمكن أن يقع أو لا يقع ضمن الامتداد الدلالي أو المعنى الحقيقي للتعبير اللغوي . هذا الشيء الذي لم نحدده بعد هو مجموعة الشروط Set of Conditions التي يتوجب أخذها بنظر الاعتبار اذا ما اريد استخدام العبارة اللغوية بشكل لا يحتمل الوقوع في الخطأ . تعرف هذه المجموعة من الشروط في واحدة من تضاداتها Oppositions بمفهوم التعبير اللغوي وفي تضاد آخر بالظِلال الدلالية للتعبير اللغوي وفي تضاد ثالث تعرف بمعنى التعبير اللغوي . واذا أخذنا زوجين من هذه التضادات فحسب ، وليكن مفهوم التعبير اللغوي ، فاننا يمكن أن نصوغه بشكل أكثر بساطة مما قد يسمح به الادب الفلسفي ، ونستطيع أن نعده مجموعة من الخصائص المعيارية (القياسية) التي تقرر قابلية استخدام الكلمة في اللغة . لذلك فان التفريق الذي أوجده فريج بين معنى التعبير Sense of an Expression ومقصوداته يمكن اعادة صياغته وعده تفريقاً بين مفهوم التعبير اللغوي وبين امتداده الدلالي .

ومن أجل معرفة معنى كلمة ما ، وفقاً لهذه الصياغة الجديدة ، فاننا نريد في حقيقة الامر أن نعرف مفهومها . ان سيطرة وغلبة علاقة الأطراف الثلاثة لنظرية وعاء المعنى قد عنت في الواقع ان الفلاسفة وعلماء اللغة المهتمين بدراسة معنى الكلمة في اللغة قد ركَّزوا انتباههم ، وبشكل كبير جداً ، على العلاقة بين مفهوم الكلمة وامتدادها الدلالي ، التي في جوانب كثيرة فيها ، تعيدنا الى موضوع العلاقة التي ذكرناها آنفاً ، بين مفردات اللغة وبين العالم المادي الذي نحياه . لقد حجبت هذه الجهود الكبيرة المبذولة افتراضاً مسبَّقاً مطلقاً ، اعني ذلك الافتراض المسبَّق المطلق الموجود بين كلمة ما في اللغة وبين شيء ما في عالمنا أو نوع من الاشياء التي يمكن أن تُشير اليها الكلمة ، وهذا يعني ان هناك علاقة أُحادية بين الكلمات والأشياء التي يمكن تشخيصها وتعيينها بشكل منفرد ودقيق جداً . يمكن لبعض الكلمات أن تُشير الى عدد من أشياء مختلفة أو الى أنواع متعددة من الشيء نفسه ، وفي مثل هذه الحالات يكون بمقدورنا أن نقوم بتثبيت وتاسيس عدد من العلاقات

المختلفة والتي تقبل التخصيص والتعيين بشكل منفرد . سنقوم بتحدي هذا الرأي بشأن معنى المفردة اللغوية من خلال الدراسة الدقيقة للأنواع الاخرى من الوحدات اللغوية Linguistic Units مثل ـ المفردات : « in » (التي تعني : في ، الى داخل ، بـ ، بوساطة ، الى ... الخ) و « cut » (التي تعني : يجرح ، يجرح الاحساس ، يضرب الكرة بحيث يغيِّر اتجاهها أو يجعلها تدور ، يقص الشعر ، ... الخ) و « round » (التي تعني : مستدير ، كروي ، اسطواني ، مبروم ، ممتليء الجسم ... الخ) و « have » (التي تعني : يمتلك ، يحوز ، يتضمن ، يشتمل ، يحتوي على ... الخ) و « do » (التي تعني : ينفِّذ ، يفعل ، يقوم بـ ، يرتكب ، يعود عليه بـ ... الخ) حيث لا يمكن لنا أن نؤسس بين هذه المفردات والعالم الذي نحيا فيه أية علاقة واضحة المعالم . لقد تم اطلاق تسمية الوحدات المتغيرة Variable Units على هذا النوع من المفردات . ان القيمة والفائدة التي يمكن أن نحصل عليها من هذا النوع من المعطيات اللغوية ليست بالكبيرة الى الحد الذي لا تستطيع فيه نظريات الوعاء Container Theories تبريره وتوضيحه بشكل منطقي علمي ، لكن بشكل أكثر عموماً ، يمكن أن توفر لنا هذه القيمة وتلك الفائدة الأسس القوية للارتياب في المحاولات التي تجري لتثبيت نوع من العلاقة المتلازمة بين اللغة من جهة وبين الواقع الذي نحيا فيه من جهة اخرى . وبدلًا من ذلك، نركِّز اهتمامنا وانتباهنا وجهدنا على علاقة من نوع مختلف ، تلك هي العلاقة التي تجمع بين اللغة والواقع الذي نعيش فيه كما يدركه مستخدمو اللغة كاشخاص ، بشكل منفرد ، حيث يمكن لهم أن يعكسوا هذه العلاقة ويظهروها من خلال اعتمادهم على المخزونات المعرفية « Knowledge stores » أو على قواعد تخزين المعطيات والمعلومات « Data Bases » في انتاجهم وفهمهم للغة . لقد أعطينا شيئاً من الأهمية لهذه الطريقة وهذا النوع من التفكير في تناول هذا الموضوع لما تبقى من الكتاب الحالي . ان النظرية التي نطلق عليها عادة تسمية نظرية الوعاء في معنى المعرفة اللغوية والتي تؤكد ان اللغة تحتوي ، الى حد ما ، على معناها وتدل على ذاتها ، قد تم عكسها ليس فقط من خلال النظريات التي تعالج موضوع معنى المفردة في اللغة ولكن تمت معالجتها أيضاً من خلال النظريات التي تتعامل مع معنى الجملة في اللغة Theories of Sentence Meaning وكما هي الحال مع الفرضيات التي تشكل الأساس في طرائق ودراسة معنى المفردة اللغوية فمن الممكن أن تكون ، على الاقل ، بعض المشكلات ، التي شغلت الفلاسفة زمناً طويلًا ، وقد شغلت أيضاً علماء اللغة المحدثين المهتمين

بدراسة طبيعة معنى الجملة في اللغة ، دون حل ليس بسبب ان هذه المشكلات عويصة الفهم وعميقة الابهام وانما يعود السبب في ذلك الى كون ان هذه الفرضيات الاساسية ، المتعلقة باللغة والتي تسببت في ظهورها ، مضلِّلة وغير واضحة المعالم .

تفترض مناهج الدراسة التي تناولت مفهوم المعنى على مستوى الجملة في اللغة ، نظرية وعاء حيث ـ كما هي الحال مع موضوع معنى المفردة في اللغة ـ تقترح مسبَّقاً علاقة متكونة من ثلاثة اطراف هي :

(١) الجمل Sentences .

(٢) الأشياء Objects والأحداث Events والمواقف Situations التي يمكن بها تثبيت معنى الجملة أو عدم القدرة على ذلك .

(٣) معنى الجمل The Meaning of Sentences .

فبناءً على هذه الفرضية ، أصبحت المشكلة متعلقة بمسالة وصف معنى الجمل في اللغة وتحديده ـ أي الطرف الثالث في علاقة الاطراف الثلاثة المذكورة آنفاً ـ بوساطة العلاقة التي تجمع بين الطرفين الآخرين ، أي بين الجمل اللغوية وبين الأشياء والأحداث والمواقف الموجودة في العالم المادي الذي نحياه أو في الواقع المعيش[٣].

لقد حاول بعض الفلاسفة ، الذين يعملون ضمن دائرة الاهتمامات التي اشارت اليها الفرضيات المتعلقة بنظرية وعاء المعنى ، وصف وتحديد المعنى من خلال اثارة مفهوم صدق وصحة التعبير في اللغة The Notion of Truth الذي بلغ حد الادعاء بأن معنى جملة ما في اللغة يمكن التعبير عنه بوساطة الشروط التي يحتاج الى توفرها في الجملة من أجل أن تكون جملة صحيحة أو صادقة على مستوى الدلالة . لذلك يمكن أن نميز الجملة الصحيحة أو الصادقة دلالياً بقولنا انها ذلك التعبير اللغوي الذي يكون موضوعه الواقع الذي يطابق الطريقة التي يكون عليها الواقع المعين أو أي واقع ممكن آخر .

ان مَنْ ليس على اطلاع كلي على اصطلاحات المنطق الشكلي Formal Logic ولغته سيجد دون شك هذا المنهج في وصف وتصوير المعنى غريباً عليه الى حد ما . ومن أجل معرفة لِمَ يتوجب على الفلاسفة المهتمين بدراسة طبيعة المعنى أن يتحولوا الى مفهوم صدق وصحة التعبير اللغوي ، يحتاج المرء لأن يدرك بشكل كامل بأن هذا المفهوم قد مكّنهم من أن يقتبسوا من الاعمال التي أُنجزت في اطار

المنطق الشكلي والتي تتمتع بوزن كبير من الاهمية ، يرتكز الى موروث علمي طويل ، مفاهيم مثل : قيمة صحة العبارة في اللغة Truth Value وشرط صحة العبارة في اللغة Truth Condition . لقد بدت لبعض الفلاسفة ولبعض علماء اللغة حديثاً ، امكانية الاستفادة من هذه المفاهيم اذا ما تم دمجها واعتبارها جزءاً مهماً في موضوع دراسة معاني الجمل في اللغة الطبيعية . ان من أحد الأسباب التي يمكن أن تجعل من استخدام هذه المفاهيم في دراسة معاني الجمل بمثابة خطوة الى أمام في حقل التفكير اللغوي هو ان هذه المفاهيم محدَّدة تماماً وباسلوب شكلي في علم المنطق .

لقد أعتقد بأنه اذا كان بالامكان جعل هذه المصطلحات قابلة للانطباق على اللغة الطبيعية فستكون النتيجة عندئذ تكوين قدرة ممتازة تتمتع بالكفاية العلمية لوصف وشرح المعنى في اللغة الطبيعية بطريقة شكلية صارمة .

مع ان هذا المنهج يُعَد مقبولًا إلا ان هناك عدداً من العقبات الكأداء التي سوف يعاني منها دارسو اللغة الطبيعية . سوف لا نحاول تقويم الحجج التي تؤيد أو تلك التي تعارض مقترحات عديدة تم تقديمها وابتكارها من أجل التغلب على هذه العقبات ، طالما ، وكما نعتقد ، بأن المشروع نفسه قد أُسيىء فهمه بشكل أساس . فمن الأسس التي اعتمدنا عليها في اعتقادنا هذا والتي تشكل جانباً جزئياً في أهميته هي اننا اذا ما اردنا تطبيق علم المنطق على علم الدلالة في اللغة الطبيعية فان بعضاً من الخصائص الجوهرية للمعنى يتوجب حذفها أو سيتم تشويهها[٤]. وعلى المستوى نفسه من الأهمية ، ان نوع التحليل الدلالي الذي يمكن أن يتمخض عن علم الدلالة الشكلي Formal Semantics سيكون ذات صِلة غير مباشرة باللغة الاعتيادية وستكون هذه العلاقة غير مباشرة وذلك بسبب ان الاجراءات التي سيسير علم الدلالة الشكلي وفقاً لها لا يمكن تطبيقها إلّا بعد أن تكون اللغة الاعتيادية قد تم تحويلها أو ترجمتها الى نوع من التمثيل الذي تتطلبه طبيعة علم المنطق الشكلي ، وهذا يفترض مسبقاً وجود اجراءات ترجمة وتحويل مناسبتين . ان العائق هنا هو عدم توفر أي اجراء صارم بالمرة لانجاز تحويل أو ترجمة كهذه لمدى ومجالات مهمة في جمل وعبارات أية لغة طبيعية[٥]. لقد اشار جارداين Jardine الى هذه المسألة بالذات حيث قال :

« انه لأمر جميل جداً بالنسبة لعلماء اللغة أن يدعوا امكانية السيطرة على مجالات كثيرة في اللغات الطبيعية وذلك بوساطة اللغات الشكلية Formal

Languages ... وكمعيار يمثل الكفاية العلمية في حدها الادنى لهذه السيطرة ، يمكن أن نحتاج الى تخصيص وتعيين قواعد تحويل وترجمة مؤثرة الى الحد الذي يجعلها قادرة على أن تأخذ بنظر الاعتبار المعلومات السياقية Contextual Information في عملية تحويل الجمل في اللغة الطبيعية الى صيغ صحيحة البنية Well- Formed Formulae في اللغة الشكلية ، حيث نقوم بعملنا هذا بطريقة يُحتفظ فيها بالمستلزمات التي توجد عادة بين الجمل في اللغة الطبيعية وذلك بوساطة العملية الناتجة التي تحددها اللغة الشكلية ... بهذا المعيار الذي يمثل الكفاية العلمية في حدها الأدنى ، لم يتم التعامل أو السيطرة على مجال مهم في اللغة الطبيعية حتى الآن » ، (٤٩٣ : ١٩٧٥ ، جورداين) .

ينبغي أن يكون واضحاً لعلماء اللغة بأنهم اذا كانوا مهتمين ، فعلًا ، وبشكل دقيق ، وحقيقي ، بدراسة الموضوعات التي تقع في اطار علم دلالة اللغات الطبيعية Semantics of Natural languages عند ذاك ، يكون غياب اجراءات التحويل سبباً كافياً لجعل المناهج العلمية المستخدمة لعلم المنطق الشكلي زائفة ولا يُعَوّل عليها ولا تتسم بالدقة . للأسف الشديد ، يبدو ان اعتبار وهيبة الشكليات Formalisms المقرونة بنظرية وعاء المعنى التي تقول بامكانية التعامل مع اللغة على انها موضوع دراسة مستقل عن مستخدميها ، قد كانت السبب في منع علماء اللغة من ادراك ان علم المنطق الافتراضي Prepositional Logic وعلم المنطق الحَمْلي Predicate Logic لا يعتبران وسيلتين مناسبتين للبحث في دلالات الجمل في اللغة الطبيعية[٦]. ففي المنطق الافتراضي ، في سبيل المثال ، يتم التعامل مع الجمل في اللغة بوصفها كليّات غير محلّلة Unanalyzed Wholes وماهيات Entities ليس لها نظام نحوي . فعلى مستوى بسيط جداً ، يمكن لجملة مثل :

عند ماكس كلب . Max has a dog

أن تُمثل بواسطة الرمز S ، أما الافتراض الذي تعبّر عنه الجملة فيمثل بالرمز P ، فاذا افترضنا واقعاً يمتلك فيه ماكس كلباً وان الرمز P قد تم اختباره بناءً على ذلك الواقع ، عند ذلك ، سيكون الرمز S ممثِلًا لجملة صادقة وصحيحة ، فاذا ما قيل بأن معنى الجملة هو ، في الحقيقة ، الشروطُ التي تحتاج اليها الجملة في بنيتها لتكون صادقة وصحيحة ، فضلًا عن ذلك ، تعتبر S صادقة وصحيحة اذاً وفقط اذا كان الرمز P يتطابق مع الواقع ، عندئذ يمكن القول وفقاً لبعض طرائق ومناهج البحث في موضوع المعنى بأن : S تعني P .

أي ، ان الجملة تعني الافتراض الذي يشكل الأساس الكلي لها . أما اذا اتبعنا اجراءً مماثلًا مع جملة اخرى ورمزنا لها بالرمز R ، مثل :

عند أليس قطة . Alice has a cat

وافترضنا ان في الواقع ذاته تمتلك أليس قطة بالفعل ، عندئذ لا يمكن للرمز P أن يتطابق مع الحالة التي عليها الواقع لذلك فان الرمز R يُعَد جملة زائفة وغير صحيحة . فاذا ما تم دمج الجملتين في تركيب لغوي واحد :

Max has a dog and Alice has a cat .

عندما ماكس كلب وعند أليس قطة .

أو بشكل رمزي : S and R

واذا كانت الجملة الاولى صادقة وصحيحة وان الجملة الثانية زائفة وغير صحيحة فعند ذلك ستقتضي جداول وقواعد صدق العبارة وصحتها ، المعتَمَدة في تحديد وتعيين قيم صدق التعبير وصحته التي يستلزم وجودها لتوحيد جزيئات الجمل الصادقة وغيرها ، بأن كل التركيب المعطوف يمثل جملة صادقة وسوف تتمخض قواعد صدق العبارة وصحتها عن النتيجة ذاتها اذا ما كان طرفا التركيب المعطوف غير صحيحين(٧).

لم يشغل الفلاسفة المهتمون بدراسة المعنى ، من وجهة النظر هذه ، أنفسهم بما فيه الكفاية لابتكار طرائق تمكنهم من تحويل انواع مختلفة من الجمل في اللغات الطبيعية الى صيغ لغوية شكلية ، كذلك فانهم لم يقوموا ، بشكل جدي ، بدراسة الكيفية التي يمكن بها للفرد أن يختبر صحة الجمل الجزئية Atomic Sentences وصدقها بالنسبة للواقع الذي قيلت فيه(٨). لقد أُفتُرض بأن كلا الاجرائين ممكن التحقيق . لقد كان اهتمام الفلاسفة منصباً بدلًا من ذلك على معالجة الصيغ التي تحتوي عل روابط العطف المنطقية الوظيفية ذات العلاقة بصدق وصحة العبارة اللغوية . وبتعبير آخر ، كانوا مهتمين بالمعالجات التي تخص البِنى اللغوية المحولة أصلًا من اللغة الطبيعية . أما بالنسبة لاولئك الذين يمكن تصنيفهم على انهم خارج حقل الدراسات الفلسفية والمهتمين في الوقت نفسه بدراسة معنى الجمل في اللغات الطبيعية المحوَّلة الى متغيرات منطقية Logical Variables والتي تشكل المكوِّنات الاساسية للصيغ المعقدة Complex Formulae ، فقد رأوا بأن هذا المنهج القائم على اساس صدق التعبير وصحته صعب ويتعذر تبريره والدفاع عنه ، وفوق هذا وذاك ، يبدو غير ذي أهمية وليس واضحاً البتة(٩). أما السبب الذي جعل هذا المنهج

يشكل عامل جذب لبعض العاملين في حقل علم اللغة فهو ظهوره وكانه يمثل طريقة يمكن بها توفير توضيح وتبرير شكليين لمفهوم المعنى الذي ما انفك يوصف بكونه مفهوماً غامضاً ومبهماً . وبينما يتعامل المنطق الافتراضي مع الجمل الجزئية بوصفها وحدات غير محلّلة ، فان المنطق الحملي ، المهتم عادة بالعلاقات التي تجمع بين عوامل الجمل في اللغة وجزيئاتها ، يبدو أكثر صِلة وقرباً من علماء اللغة المهتمين بدراسة المعنى . مع هذا ، فان هذه ليست بالمسالة التي نحن بصددها . يستخدم المناطقة منهج المنطق الحَمْلي للتغلب على بعض نواحي القصور عند استخلاص استنتاجات واستقراءات صحيحة في المنطق الافتراضي ، لذلك ، ليس هناك من حاجة لاستخدام انواع المنطق المختلفة لكي يتم التطابق ، وبشكل قريب جداً مع النظام النحوي للغة الطبيعية ، حيث يمكن ، مثلًا ، لمنطقيٍّ حَمْليٍّ A predicate Logician أن يحلّل الجملة :

قرأ ماكس المجلة النقدية . Max read the review

كـ : P (a , b)

أي ان المحمول predicate P وبرهانيه « a » و « b » يُردان الى ثابت المحمول Predicate Constant . أو بشكل أكثر تبسيطاً ، ان المحمول P و « Max » و « review » يُردان الى الثوابت الفردية Individual Constants «a» و « b » على التعاقب . مع ذلك ، من الممكن أيضاً تحليل الجملة ذاتها على الشكل الآتي : P (a) حيث يمثل الرمز P العبارة باكملها « read the review » ففي المنطق الحَمْلي يمكن لنا احالة العبارات المعقَّدة مثل :

« drives to the station five mornings a week between 7.30 and 8 » .

« يقود سيارته الى المحطة خمسة أيام في الصباح من كل اسبوع بين الساعة السابعة والنصف والثامنة » ..

الى محمول بسيط مثل P . وكما هي الحال مع المنطق الافتراضي . تجابه عالم اللغة مشكلة ، لا يتجابه بمثلها علماء المنطق في العادة ، الاجراءات التي يتم بها أو وفقاً لها تحويل جمل اللغة الطبيعية بشكل منتظم ومتسق الى الصيغ المتبعة في المنطق الحملي .

لم نحاول تقدير أهمية هذه المشاكل والخلافات والمناظرات التي يشتمل عليها علم الدلالة الشكلي بسبب اعتقادنا بأن الجهود المبذولة لتطبيق تقنيات المنطق الشكلي على اللغة الطبيعية قد تم توجيهها باسلوب خاطيء . واذا ما ناقشنا هذه

المسألة بأي تفصيل اضافي فانها ستأخذنا بعيداً عن موضوعنا الرئيس الذي نحن بصدده . مع هذا ، فاننا سنعمل على استخلاص بعض الدعم لهذا الرأي من خلال كتابات تارسكي Tarski الذي يُنظر اليه في بعض الاحيان بوصفه يمثل الأب الحقيقي ، اذا صح التعبير ، للمحاولات التي ركّزت على موضوع توضيح المعنى عن طريق نظرية صدق العبارة وصحتها Theory of Truth . لقد عبّر تارسكي عن تحفظات خطيرة حول كفاية مناهج اللغة الشكلية في فهم المعنى في لغة التعامل اليومية . ففي بحث مهم يحمل عنوان « مفهوم الصدق في اللغات المشكّلة » The Concept of Truth in Formalized Languages ، أخذ تارسكي على عاتقه مهمة ايجاد وبناء « تعريف وتحديد يتسمان بالكفاية العلمية على المستوى المادي وبالصحة والضبط على المستوى الشكلي لمفهوم الجمل الصادقة والصحيحة في اللغة » ، ففي القسم الأول من ذلك البحث الذي يحمل العنوان الفرعي « مفهوم الجملة الصحيحة في اللغة اليومية أو العامية » The Concept of True Sentence in Every day or Colloquial Language يقول تارسكي : أن من غير الممكن بل من المستحيل بناء وصف موضوعي لعبارة الجملة الصادقة والصحيحة True Sentence في اللغة اليومية ، ان جزءاً من سبب هذه الاستحالة كان ، بحسب رأي تارسكي ، يرجع الى كليّة اللغة Universality of Language .

لقد عنى تارسكي بكلية اللغة ذلك « النسيج المفتوح » للغة الذي سمح بدخول عبارات موهمة للصحة paradoxes مثل العبارة التي تدل عليها الكلمة « liar » « الكذوب ، الافّاك » ، حيث كُتب عن هذه العبارات يقول :

« ... انها تعطينا البرهان على ان كل لغة تتسم بكونها كليّة بالمعنى الذي أشرنا اليه آنفاً حيث تقيدها قوانين منطقية اعتيادية تكون بالتالي متضاربة العبارات في كثير من الاحيان .

وقال مختتماً حديثه :

... ان الامكانية الحقيقية للاستخدام غير المتناقض منطقياً للتعبير « true sentence » الذي يتسم بالانسجام والاتساق مع قوانين المنطق ومع روح اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية الاعتيادية ، تبدو مشكوكاً فيها بدرجة كبيرة ، وبالنتيجة فان الشك نفسه سيرافق امكانية ايجاد بناء تعريف دقيق لهذا التعبير » ، (١٦٥ : ١٩٥٦ ، تارسكي) .

أما القسم الثاني من بحثه فقد حمل العنوان الفرعي « اللغات المشكّلة

وبخاصة لغة حساب التكامل والتفاضل في موضوع الاصناف Formalized Languages , Especially the Laguage of the Calcalus of Classes ، فقد أستهله بالملاحظة الآتية :

« للأسباب التي ذكرناها في القسم السابق ، ساترك الآن أية محاولة لحل مشكلتنا [تعريف وتحديد العبارة « True sentence »] وذلك بسبب ما يميز الحياة اليومية ، وساحاول من الآن فصاعداً تقييد نفسي كلياً والاقتصار على دراسة اللغات المشكّلة Formalized Languages »[١٠]، (١٦٥ : ٩٥٦ ، تارسكي) .

ان أكثر الأسباب التي تكمن وراء ممانعتنا وعدم رغبتنا في تبني دراسة أعمق لصلة علم الدلالة الشكلي بمعنى اللغة الطبيعية ، متشابهة الى حد كبير مع الحالات التي تمت مناقشتها في الفصل الثاني من هذا الكتاب والتي تركزت ضد محاولة جومسكي ابتكار انموذج شكلي للبنية اللغوية . انها تلك المحاولات التي كان الغرض منها تكييف معنى اللغة الطبيعية مع قوانين علم المنطق الشكلي التي استلزمت استحداث امثلات صارمة ومبهمة . لقد عنت هذه المحاولات فيما عنته مثلًا ان بروزاً واهتماماً غير ضروريين قد أُعطيا لنوع معيَّن من أنواع الجمل اللغوية مثل الجملة الاخبارية Declarative Sentence في الصيغة الاخبارية (للفعل) Indicative Mood وذلك بسبب ان جملًا كهذه يمكن اقرانها ببساطة كبيرة الى افتراضات معينة تقود بدورها الى نتيجة مهمة وهي سهولة الحكم على هذا النوع من الجمل من حيث الصدق والصحة أو افتقارها الى هذين المعيارين المهمين . وكنتيجة لهذه العملية ، تم وبشكل كلي استبعاد انواع مختِلفة من الجمل اللغوية أو تم التعامل معها على انها جمل لغوية هامشية وغير مهمة . ومن نتائج هذه العملية أيضاً ، ان فلاسفة محدثين آخرين ، كان أولهم الفيلسوف اوستن Austin وبعده جاء الفيلسوف سيرل Searle حيث كانا مهتمين بدراسة دلالات هذه الانواع من الجمل ، قد فسح المجال لهم وذلك من خلال ابتكار ملاحق Supplements أو اضافات Additons قد أغنت النظرية الشكلية Formal Theory حيث تضمنت ما قد أصبح يعرف فيما بعد بالافعال أو الأحداث الكلامية Speech Acts . ان الافعال أو الأحداث الكلامية هي استخدامات معينة للجمل اللغوية تتسم بكونها غير افتراضية مثل Promising (وعد ، عهد ، تعهد ... الخ) و Ordering (أمر ، تقدير ... الخ) و Naming (تسمية ، التذكير أو الاشارة الى الشيء بالاسم ، التعيين ، التحديد ... الخ) حيث يُنظر الى هذه الامور على انها قوى مضافة الى الخصائص الافتراضية والجوهرية للجمل في اللغة وهي

بذلك لا تكون بديلًا للمنهج الشكلي الاساس في اللغة . كذلك فان هناك نتيجة اخرى قد تمخضت عن عملية الأمْثلة التي فرضها تبني علم الدلالة الشكلي كانموذج لدراسة المعنى في اللغة الطبيعية وهي الاحتفاظ بتفريق مطلق بين الكلمات أو العبارات والجمل اللغوية الكاملة . ان الفكرة الرئيسة والقياسية لهذه المناهج تتركز حول امكانية أن تشتمل الكلمات على دلالات إلا ان الجمل اللغوية وحدها هي التي يمكن لها أن تعبّر عن افتراضات تبين صدق وصحة هذه الجمل أو غير ذلك . ومن نتائج قبول هذا النوع من التفريق هي انه كلما يتضح ان كلمة واحدة ، أو عبارة منفصلة ، عن سياق لغوي أكبر تستطيع التعبير عن افتراض ما فانه سيتوجب اعتبارها ، لكي يتم الابقاء على هذه النظرية ، عملية حذف ايجازي Ellipsis لجملة كاملة البناء النحوي قد تم نطق جزء مهم واحد منها . لذلك فان قبول هذا التفريق يتطلب نظرية متكاملة لمعالجة موضوع الحذف الايجازي في نحو اللغات الطبيعية . يمكن أن يكون صحيحاً القول بأن من الضروري دائماً أن يكون لدينا تقاليد واعراف لغوية معينة يتم بموجبها ووفقاً لها ربط الكلمات والعبارات بعضها ببعضها الاخر . لكن هناك حالات لا عد لها ولا حصر ، وان عدداً كبيراً من هذه الحالات لا يمكن أن توصف بأنها بسيطة ، وان عدداً كبيراً آخر منها وبخاصة في اللغة المنطوقة Spoken Language يكون التاثير الذي ينوي متكلم اللغة احداثه من خلالها ممكناً عن طريق انتاج كلمات تشكل نماذج غير مترابطة بإحكام أو حتى مجرد كلمات منفردة . يمكن لكلمة أو عبارة منفصلة أن تقود أو لا تقود المحاور الذي يشترك معنا في حديث الى فهم ما يدور في خلدنا بقدر ليس أكثر ولا أقل كفاية من الجملة مكتملة البناء النحوي والجملة صحيحة البنية والدلالة . ان الفرق في التاثير الذي تحدثه الكلمة مقابل الجملة في اللغة لا يعتمد على كون كلمة أو جملة غير مكتملة البنية Incomplete وان كلمة أو جملة اخرى تتسم بكونها مكتمِلة البنية Complete ، ولكنها تعتمد ، في الحقيقة ، كلياً تقريباً ، على الشكل والصورة الدقيقين للمعرفة والاعتقادات والتوقعات التي يمتلكها المحاور الذي نشترك معه في حديث في لحظة سماع اللغة أو حتى أثناء القراءة . يجب أن تؤخذ هذه المسالة بنظر الاعتبار وبدلًا من أن تكون عملية التفريق بين الكلمات تشتمل على الدلالات والجمل التي تعبّر عن الافتراضات الصادقة وغير الصادقة هي التي ستقرر بشكل كبير الدرجة التي نفهم بها الجمل والعبارات في اللغة . لقد قمنا باعطاء هذا الوصف التصويري المختصر لمناهج البحث والنظريات التي تهتم بدراسة دلالة الجملة في اللغة الطبيعية من أجل توضيح سبب غلبة وسيطرة نظرية وعاء المعنى

التي تؤكد فرضياتها على مسألة ان العلاقة التي نحتاج الى وصفها وتمييزها لكي نفهم طبيعة المعنى هي تلك التي تجمع بين اللغة من جانب وبين الواقع العملي الذي نحياه من جانب آخر . سنقوم في القسم التالي من الكتاب الحالي بتلخيص نظرية بديلة لنظرية وعاء المعنى .

نظرية الظاهرة المصاحِبة

AN EPIPHENOMENALIST VIEW

كانت نظرية وعاء المعنى سبباً باعثاً ومشجعاً ، بشكل كبير ومؤثر ، على الكثير من الانشغال والانهماك في موضوع العلاقة بين اللغة وبين ما يُعرف ، على نحو غير محكم ودقيق ، بالعالَم الذي نعيش ضمنه أو الواقع الذي نحياه . لقد افترضنا في القسم الاخير من هذا الفصل وقلنا بأن غياب تقدم حقيقي في حل المشكلات التي نشأت نتيجة لهذا الانشغال الكلي تضمنت عدم كفاية علمية خطيراً في الاطار العام لمنهج البحث اللغوي المعتمد في نظرية وعاء المعنى نفسها . ففي المركز من نظرية وعاء المعنى أفردنا افتراضها المسبَّق المطلق بشأن عد المعنى خصيصة متأصِلة في كلمات اللغة الطبيعية وجملها . وقد رافقت هذه النظرية عملية أمْثَلة واسعة الانتشار وبخاصة في الاعمال النظرية لدراسة المعنى في حقليَّ علم اللغة والفلسفة ، تلك العملية التي تباعدت كثيراً عن متكلمي اللغة والمستمعين اليها وعن مَنْ يكتب اللغة ويقرأها ، وبشكل عام ، عن مستخدمي اللغة والأُطر التعزيزية التي يمتلكونها في مجالات توقعاتهم واعتقاداتهم وتجاربهم المصنَّفة والمنظَّمة بشكل دقيق . وبقدر ما يمكن تلخيص هذا النوع من القضايا المعقدة بشكل يتسم بالكفاية العلمية الكبيرة ، يمكن القول بأن بالرغم من هذه المظاهر المختلفة التي اصبحت دارجة ومألوفة ، فقد افترض المنظِّر في موضوع نظرية وعاء المعنى بأن من الأفضل دراسة اللغة باعتبارها شيئاً تاماً في ذاته وانها تمثل نظاماً مستقلًا بنفسه الى درجة كبيرة حيث تستخدمه اعداد كبيرة ومهمة ، في جماعة لغوية واحدة Language Community ، لنقل المعنى . أما في منهجنا البديل لدراسة اللغة ، المنهج الذي أطلقنا عليه تسمية منهج الظاهرة المصاحِبة Epiphenomenalist Approach ، فسيتم النظر الى اللغة باعتبارها نظاماً يعتمد بالضرورة على مستخدمي اللغة وحالاتهم الفردية Individual States .

سنبدأ بدراسة دور مستخدمي اللغة بدلًا من اللغة ذاتها ، فنلاحظ بأن مستخدمي اللغة يتمتعون بكونهم حسنيّ الاطلاع على ما يدور في بيئتهم التي يعيشون فيها وانهم قد اكتسبوا تجارب كبيرة ، أو بالاحرى ، قد تعلموا أموراً كثيرة حول مدىً واسع من الظواهر وان هذه المعرفة وهذه التجارب قد تم ، الى حد ما ، تمثلها واستيعابها . وضمن هذا المَنظور يمكن أن نعتبر اللغة وسيلة يتمكن من خلالها

أحد مستخدمي اللغة بالعمل على أن يصل مستخدم آخر الى خزينه من المعارف والتجارب المتراكمة والاحكام العامة المستقرأة لتعيين ما يمكن أن يُشير الى معنى من الاصوات اللغوية التي يسمعها . واذا ما نظرنا الى العملية اللغوية بهذا الشكل ، لا يمكن أن يتم نقل أي شيء يُذكر من مستخدم لغة الى آخر . ان اللغة تمكن الجنس البشري من أن يتصل أحدهم بالآخر بدرجات مختلفة من النجاح ، في هذه المهمة ، من خلال تمكين متكلمي اللغة من ابتداء ، ضمن اطار متفهمي اللغة ، سلسلة معقدة من آليات المعالجة التي تتسم بكونها مقيَّدة ، بشكل جوهري ، مع حالاتهم ، بشكل عام ، في وقت معالجة ومعاملة اللغة .

وفضلاً عن امكانية انجاز مستخدم اللغة ، وبشكل منفرد ، لدرجة معينة من الفهم ، فان خزينه من التجارب والاحكام العامة المتراكمة تحتمل أيضاً احداث تغييرات وتعديلات إلا انها يمكن ألا تكون بذات قيمة على الاطلاق ، كما هي الحال في معالجة العبارات المسبوكة بشكل جيد ، أو يمكن أن يكون هذا التعديل مهماً جداً وبخاصة اذا كانت العبارة أو الجملة تحتوي على طرائق غير اعتيادية في آليات معالجتها . وفي هذا المجال ، سيشتمل قسم من اللغة على بعض خصائص ومميزات المواد المحفِّزة أو العوامل المساعدة في لغة الكيمياء . ان هذا المنظور الذي تُرى من خلاله اللغة على انها عامل مساعد أو مادة محفِّزة أو بمثابة القادح الذي يخدم قضية الابتداء بسلسلة معقدة من الآليات ، له نتائج مهمة جداً . فعلى غير شاكلة نظرية وعاء المعنى ، لم تَعد هناك من علاقة يمكن تكوينها وتثبيتها بين اللغة وبين العالَم أو الواقع المعيش ، أو بين بنية اللغة وبين بنية الواقع الذي نحيا فيه . فبدلاً من تلك العلاقة ، هناك مشكلة جديدة : وهي العلاقة بين اللغة وبين تجارب مستخدمي اللغة المتراكمة واحكامهم العامة المستقرأة ، وبتعبير آخر ، يمكن توضيح هذه العلاقة من خلال اثارة التساؤل التالي : ما هي طبيعة العلاقة بين اللغة وبين ما يمكن أن ندعوه بتخزينات المعلومات والمعطيات لدى مستخدمي اللغة اذا ما تم اخذهم على انفراد ؟

ان ما ندعوه دائماً بالمعرفة والتجربة اللتين يعتمد عليهما مستخدم اللغة في عمليتي انتاج الكلام وفهمه هي في الحقيقة مشكلة غاية في التعقيد . تعد المفردة « Store » (خزين المعلومات والمعطيات) مصطلحاً مضلِّلاً الى حدٍ ما ، طالما انه يوصي بشيء يتسم بكونه ثابتاً Fixed أو مستقراً Static . فمن المحتمل جداً أن تكون المعرفة المتراكمة والاحكام العامة التي يتوصل اليها مستخدم اللغة عن الواقع الذي

يعيش فيه قابلة للتغيير والتعديل بشكل مستمر ودائم من خلال التجارب التي يمر بها على الدوام ، سواء كانت هذه التجارب لغوية Linguistic أو غير لغوية Non- Linguistic . ومن المجازات المفضلة والممكنة في هذا الشأن أن ننظر الى مركز آليات المعالجة المعقدَة كما هي حالة الاثارة والاهتياج المستمر . فاذا ما فكرنا فيما نُطلق عليه ، بشكل اجمالي عام ، بالمعرفة « knowledge » على انها رُسَيْمات وخطوط من نوع ما ، موجودة في الدماغ Brain فان كل مراكز شبكة الرُسيمات والخطوط هذه يمكن أن يعتقد بانها تقع تحت حالات مختلفة ومتنوعة من الاثارة والاهتياج . لذا يمكن أن ينظر الى مسألة التغذية اللغوية Language Input الى دماغ متكلم اللغة على انها هي السبب في التغييرات والتعديلات التي تحصل في مراكز شبكة هذه الرُسيمات والخطوط . وفي هذا السياق ، تعتبر معرفة اللغة هي السبب في جعل الاشارات السمعية Aural Signals قادرة على أن تتعامل أو تشتبك على نحو اتصالي مع رُسيمات وخطوط معينة من الشبكة يتوجب أن تكون عملية الاشتباك الاتصالي هذه بتلك الرُسيمات والخطوط المختارة والمنتقاة بشكل دقيق ، معقدة الى درجة كبيرة جداً ، حيث من المفترض انها تحتوي في الأقل ، على بعض الرُسيمات والخطوط المحددة والواضحة المعالم بشكل لا لبس فيه بينما تُصبح الرُسيمات والخطوط الاخرى محددة بدقة اثناء عملية معالجة المعلومات في الدماغ . نأمل أن يكون هذا المثال المجازي قد قدم نوعاً من المساعدة في فهم هذه العملية المعقدَة ، إلّا انه لا يعدو أن يكون ، في نهاية الأمر ، مجرد مثال مجازي تأملي . لم يتم التعرف إلا على الشيء القليل عما يحدث فعلًا في دماغ الانسان وان المعرفة العلمية لم تقدم لنا حتى الآن توضيحاً مقنعاً في هذا الشأن حيث انها لم تستطع على تقدمها ودقة تقنياتها أن تبين أو توضح لنا الطريقة التي يعتمدها مستخدمو اللغة في خزن المعرفة التي تمكنهم ، من خلال التعامل اللغوي ، من التوصل الى التفاعل مع الأشياء وظواهر الحياة المختلفة . كذلك فان بنية هذا الخزين المعرفي الموجود في الدماغ لا زالت سراً من الاسرار التي يكتنفها الغموض من كل الجوانب .

الى هذا الحد ، يمكن أن تبرز لنا ثلاثة استنتاجات غاية في الأهمية ، أولًا : ان اللغة لا يمكن ، لا بل غير قادرة على نقل المعنى . فمن منظور منهج الظاهرة المصاحِبة في دراسة المعنى ، تقوم اللغة بمهمتها بوصفها وسيلة تعيينية وتحديدية لتمكين شخص واحد يتسبب في أن يتوصل شخص آخر الى معرفة يمتلكها هو أو يتسبب في أن يتوصل شخص آخر الى الحصول على استقراءات مهمة من المعرفة

التي يمتلكها أساساً . وعلى وفق هذا الرأي في البحث اللغوي ، لا يمكن أن يكون المعنى جزءاً متاصِلًا أو لازماً في ألفاظ وعبارات اللغة وانما ينبثق منها . أي ان علماء اللغة الذين يتبنون منهج الظاهرة المصاحِبة في دراسة وبحث مظاهر المعنى المختلفة لا يعتبرون المعنى شيئاً لازماً ولكنه بالنسبة لهم خصيصة ناشئة من اللغة . سوف نحاول اغناء هذا الرأي ودراسته بشكل أعمق في الفصل الخامس من هذا الكتاب . ثانياً : ونتيجة طبيعية للرأي الذي يقول بان المعنى خصيصة ناشئة أو منبثقة عن اللغة أي ان مستخدمي اللغة وأُطُرهم التعزيزية في مجالات توقعاتهم واعتقاداتهم ، بشكل عام ، والمعرفة التي يمتلكونها عن العالَم الذي يحيون فيه ، كلها أشياء لا يمكن استبعادها اثناء دراسة اللغة وبخاصة دراسة الجزء الذي يتعلق بمعنى المفردة والجملة اللغوية ، فالمعنى هو ما يمكن التوصل الى فهمه نتيجة لعبارة أو جملة لغوية قد تمت معالجتها وانه ينبثق فقط من التفاعل المعقَّد Complex Interaction للاصوات التي تكوِّن العبارات والجمل ومن التفاعل الذي يحصل بين البيئة وبين الحالة الآنية للتحول المستمر والدائم في خزين المعلومات والمعطيات التي يمتلكها متفهِم اللغة .

كانت جهود علماء اللغة والفلاسفة خلال القرن الحالي منصبّة حول استحداث أو ابتكار أطر عامة لعملية أمْثَلة اجمالية في مجال التعامل مع موضوع المعنى في اللغة بعيداً عن الرأي اللغوي الذي عبّرنا عنه في الاستنتاج الثاني المار ذكره والاقتراب قدر الامكان من رأي آخر قد أُعتبر أو كان علماء اللغة والفلاسفة يعتبرونه أقل تفاعلًا ، ونعني بذلك نظرية وعاء المعنى التي ركزت على فرضية ان اللغة منفصلة ، وبشكل واضح ، عن مستخدميها وبالتالي يتوجب تحليلها على انها ماهية أو كينونة قائمة بذاتها . أما بخصوص رأينا في هذه المسالة فيتلخص بكــــون عملية الامْثَلة هذه ، وعلى الرغم مما قد تشكله من جهد مشروع وحقيقي للتقليل من درجة التعقيد التي تشتمل عليها عملية فهم اللغة واحالتها الى تناسبات سهلة الفهم والقياد ، إلّا انها لم تُفضِ الى افكار عميقة يمكن أن تساعد في حل الاشكالات التي تخص الامور التي تحدث في عقل الفرد عند محاولته تفهم اللغة .

ان ترك نظرية وعاء المعنى واهمالها والاقرار بالاهمية الكبيرة لوظيفة اللغة ودورها الحاسم مع خزين المعطيات والمعلومات اللغوية بالنسبة لمستخدم اللغة له تأثير عميق على نوع النظرية التعليلية التوضيحية Explanatony Theory التي يمكن ابتكارها . من الجليّ ان القيام بأية محاولة لبناء وايجاد نظرية مصوغة بشكل

منطقي سوف يفتقر الى الاهمية المطلوبة من عمل كهذا وذلك بسبب ان الظاهرة التي تطمح هذه النظرية في معالجتها والتعامل معها ، والتي تتصف في هذه المرحلة بكونها غير واضحة المعالم وليس بالامكان احالتها الى اطار محدّد ومعلوم البنية ، سينتج عنها تشويه كبير لنظام التدوين الرمزي الشكلي الذي ستعتمد عليه هذه النظرية . فبينما يبدو هذا بديهياً وبيّناً ، الى حد كبير ، إلّا انه ينبغي لنا أن نؤكد حقيقة مهمة وهي ان الرأي العام والاعتقاد السائد لعلماء اللغة العاملين في اطار علم اللغة النظري وبعض فروع الفلسفة ، خلال العقدين المنصرمين من القرن الحالي ، قد ادّيا الى صعوبة في تبني هذا المنهج القائم على اساس الفطرة السليمة في اصدار الاحكام اللغوية . ان اعتبار ونفوذ الانموذج النظري المصوغ بشكل منطقي ، والذي ناقشناه بشكل مفصل في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، قد قصد الى حقيقة مفادها اننا اذا اردنا الحصول على منزلة رفيعة لابحاثنا في مجال علم اللغة والعلوم الانسانية الاخرى فيتوجب علينا حينئذ أن نُحيل المشاكل التي تواجهنا الى علاقات متبادلة تظهر بشكل قابل للتعبير عنه بما لا يقل عن اطار نسبي من العبارات الشكلية . لقد جعلت هذه الطريقة من التفكير المشاكل مبهمة وبالتالي أخذت موقفاً ثانوياً في البحث اللغوي بشكل عام . ان غياب التفكير العميق في الاعمال البحثية اللغوية نتيجة لتبني المنهج الذي أشرنا اليه توّاً يوحي وبشكل قوي ، بضرورة التخلي عنه وتركه نهائياً .

سنكون نظاميين Systematic بدلًا من تبني الاسلوب الشكلي Formal ، وذلك في محاولاتنا التي سنقوم بها في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، والتي سوف تتركز على اعطاء شيء من القوة والمتانة لرأينا الذي أطلقنا عليه تسمية نظرية انبثاق المعنى Emergence View of Meaning حيث سيبدأ منهجنا العلمي ، الذي نعده مشابهاً ، بشكل كبير جداً ، للمنهج المعتمَد في العلوم الصِرفة والذي تتبناه ، بشكل خاص ، كثير من العلوم الطبيعية ، بمجموعة من المشاكل وكذلك دراسة جوانب من اللغة عند الاستخدام الفعلي لها والتي تتسم ، بشكل عام ، بكونها غير مفهومة من قبل . سنحاول ابتكار مفاهيم عمل سنكون قادرين بموجبها على معالجة المشاكل واختبار شرعية وصِلة هذه المفاهيم بالمقابلة مع جوانب اللغة التي نقوم بتحليلها بدلًا من أن نكون مقيدين باطار نظري صارم الى درجة مبالغ فيها . أما الاستنتاج الثالث المتأتي من تبني منظور مبني على أساس منهج الظاهرة المصاحِبة في دراسة المعنى فهو ان مسألة العلاقة بين اللغة والواقع أو بين بنية اللغة وبنية هذا

الواقع لم تظهر للعيان بشكل واضح . وعلى هذا المستوى من البساطة في عرض هذا الاستنتاج يثبت في آخر الأمر بأن العلاقة هي من الاشياء التي يصعب جداً استيعابها وفهمها بأعمال الفكر . ان أحد الأسباب التي تدعو علماء اللغة في النظر الى قضية المعنى بوصفه كينونة قائمة بذاتها ، الى حدٍ ما وانه سريع التفشي الى حد كبير Pervasive وصعب التخلص منه قد نشات ، في حقيقة الامر ، من امكانية استخدام اللغة بشكل لغوي ما ورائي . نحن معتادون على ان نستخدم اللغة عند الكلام عنها أو الكلام عن معنى المفردات في اللغة أو عند الكلام عن بنية الجمل اللغوية وانتاج الاصوات . يمكن لهذا الاعتياد أو التقليد الذي نفعله على مدار اليوم أن يدعم الرأي الذي ينظر الى اللغة بوصفها شيئاً أو كينونة من الممكن فصلها ودراستها بشكل منعزل عن أية مسالة اخرى . تتطلب هذه الرؤية الى اللغة مقداراً كبيراً جداً من التصميم من أجل أن نُبقي في خلدنا وبشكل دائم ، مستوى المدى الذي يمكن أن نقع فيه في فخ اسلوب التفكير الذي نعتمده عندما نأتي الى مرحلة التعرف على الطريقة التي لا تقوم فيها العبارات في اللغة ، أي المجموعات المؤتلفة من الوحدات اللغوية ، وبغض النظر عن دورها في نقل المعاني والمعلومات من A الى B ، بأكثر من تمكين A من أن يكون السبب في جعل B يحاول أن يعيِّن ضمن اطار خزينه من التجارب المتراكمة واحكامه العامة التي استقرأها من الواقع الذي يحيا فيه ، لتبدو ذات صِلة بما ذهبت اليه دلالات الكلمات التي نطق بها A .

واذا ما حاولنا فهم الامور من هذا المنظور ، فهذا لا يعني بأننا لم نعد مهتمين بالخصائص التي تشتمل عليها مجاميع الوحدات اللغوية التي تؤلف عبارات وجمل اللغة بشكل عام . اننا ، في الحقيقة ، نعطي هذه الوحدات اللغوية أوضاعاً ومراتب مختلفة . فاذا نظرنا اليها على اعتبار انها عوامل مساعدة يُؤتى بها من أجل اظهار وتوفير آليات معالجة لغوية معقدة فعندئذ ستبرز لنا مجموعة من المشاكل . فمن المشاكل التي ستظهر لنا والتي تتعلق ببنية الخزين المعلوماتي ، مشكلة فهم التعبير ذاته ، أي مجموعة الكلمات نفسها بطريقة مختلفة ، أي تمكين مستخدم اللغة نفسه ليتوصل الى مناطق مختلفة من خزينه المعلوماتي في ظروف لغوية مختلفة . واذا ما استخدمنا مثالنا المجازي البديل ، فان العبارة ذاتها لا تتسبب ، على الدوام ، في إحداث التنوع نفسه في حالات الاثارة والانفعال التي تحدث ضمن الدماغ . أي انها لا تتسبب دائماً في احداث النماذج نفسها التي يريد مستخدم اللغة صياغتها وتشكيلها لغوياً . ما هي النتيجة التي يمكن أن تتمخض عنها هذه المسألة بالنسبة

لموضوع وصف وتصوير الوحدات اللغوية ؟ من وجهة نظر نظرية وعاء المعنى ، يمكن لنا أن نفترض بأن الكلمات في اللغة تساهم بشكل منتظم في المجموعات التعبيرية اللغوية التي تكون جزءاً منها . أما فيما يخص نظرية الظاهرة المصاحِبة في دراسة المعنى ، فانه قد يتوجب ترك عملية الأمثَلة بالكامل . ففي الحقيقة ، ترى هذه النظرية بأن فهم الكلمة ذاتها ، في تراكيب لغوية متنوعة ، بشكل مختلف ، هو نوع من الالغاز والاحجية وانه الغموض والابهام بعينه حيث انه يُلقي ضوءاً قوياً على درجة تعقيد آليات المعالجة اللغوية التي تشتمل عليها عمليتا انتاج اللغة وفهمها .

ان احدى النتائج التي تولدت عن نظرية الظاهرة المصاحِبة في دراسة المعنى هي امكانية أن يُصبح من الجائز بل والسهل جداً أن نُبدي ارتيابنا في المنزلة والاعتبار الخاصين الممنوحين للغة ، وبشكل دقيق ، اللغة المكتوبة Written Language في حضارات الشعوب غير الأُميَّة Literate Cultures . فبالنسبة لهذه النظرية ، تعد اللغة وسيلة من بين عدد من الوسائل ، ابتداءً من الأزمنة السحيقة في القِدم ، التي استخدمها الانسان في محاولاته الكثيرة والمتكررة لاحداث تأثير في الآخرين من أجل التوصل الى خزين من المعطيات والمعلومات . فالحركات الجسدية Bodily Movements وتعبيرات الوجه Facial Expressions وايماءاته Gestures هي نوع آخر من هذه الوسائل . ان بعض الناس الذين ينتمون الى ثقافات وحضارات مختلفة ، وبالاخص اولئك الذين ليس لهم لغات مكتوبة في الغالب ، قد طوَّروا ، وبشكل تدريجي ، انواعاً عديدة من الحركات Movements والايماءات ووضعوها في أُطر مختلفة ليشكّلوا منها بالتالي انظمة اتصال Communicative Systems غاية في التعقيد . لقد أعطى التطور في النظم الكتابية Writing Systems وبطء انتشارها في المجتمعات البشرية الاولى شبه المتعلِمة والمجتمعات البشرية المتعلِمة فيما بعد ، اللغة قوة نفاذ واضحة وأكسبها أهمية كبرى . لم تجعل قوة النفاذ هذه اللغة تبدو شيئاً ملائماً للتحليل والدراسة فحسب ، بل أيضاً وفي أزمنة مختلفة ، جعلها وبدرجات متنوعة ، قادرة على أن تحول الكلمة المكتوبة Written Word الى شيء قد عكس التمكن منها واستخدامها ، بشكل دقيق ، على ما يعتقد ، لتكون قوى كبرى في أهميتها لها هيبة لا تُدانيها هيبة اخرى على الاطلاق . لقد بدأ جَيْ . غوودي J. Goody و آي . واط Watt . I ليقصا علينا القصة المعقدَة للتاثيرات الاجتماعية للأنواع المختلفة من النُظُم الكتابية التي تطورت تدريجياً في أجزاء مختلفة من العالم ، حيث وصف الفجوة الواسعة ، التي كانت توجد في مصر Egypt والعراق

(بلاد ما بين النهرين) Mesopotamia والصين China ، بين حضارة تقتصر فيها الكتابة على فئة قليلة من الناس Esoteric Literate Culture ، تلك الفجوة التي علقا عليها بقولهما بان « الحضارة التي يوجد فيها مجتمع يستطيع الكتابة يهتم كثيراً بالمحافظة على هذا الانجاز ويحاول تطويره باستمرار » ، (٣٢٣ : ١٩٧٢ ، غودي و واط) .

لقد احتفظ السومريون Sumerians والاكديون Akkadians بالكتابة واهتموا بها وصانوها ، بل وصلوا في صيانتها الى حد عدها سراً من أسرار الدين والدنيا أو انها سر الكنز والثروة الحقيقية . وقد اقتُبست عن غوردين چايلد Gorden Childe ملاحظة يقول فيها « ان الكاتب Scribe لا يُكَلَّف بأي عمل يدوي ، انه هو الذي يأمر في المجتمع » . أما فيما يخص حضارتنا فإنَّ لنفوذ ومنزلة اللغة المكتوبة تاثيرات معقدة وقد يُصبح لها ، وبخاصة اثناء قيامنا بدراستها ، تاثيرات اغوائية واغرائية في بعض الأحيان . وبهذا الخصوص ، يعد معظم علماء اللغة أكاديميين في نزعتهم واتجاههم العام إذ ركزت دراساتهم اثناء تحصيلهم العلمي الجامعي الأولي على كتب خاصة ومنتقاة تحتفظ بها الجامعات حيث ان سبب ومبرر وجود هذه الكتب raison d'être كان ينبع ، في الغالب ، من الحاجة الى امتلاك مخازن ومستودعات بهذه التسجيلات المكتوبة . ومن نتائج كل هذا ان اصبح تحليل اللغة المكتوبة يتجه لياخذ الاسبقية في الاهتمام على اللغة المنطوقة Spoken Language . قد يكون من غير الدقيق بل المضلِّل القول بأن التحليل الذي تركز بشكل خاص على اللغة المكتوبة كان يمثل خياراً مقصوداً ، بل انه جاء نتيجة للافتراض الضمني بأن من الممكن للغة المكتوبة أن تشكل هدفاً منطقياً واصولياً للدراسة . ونتيجة لهذا ، بدا من الطبيعي ، الى حد كبير ، أن يقوم دارسو اللغة بفصل اللغة المكتوبة عن عملية الاتصال اللغوي الاجمالية التي يمكن بها لعوامل Factors اخرى وايماءات Gestures وأوضاع Postures وأنواع من الضوضاء المعبَّر عنها بالأصوات Vocal Noises ، ولا نعني بهذا الاصوات التي يُعبَّر عنها بشكل نطقي ، أن تلعب دوراً مهماً . وبما ان هذه العوامل ليس لها وجود في اللغة المكتوبة ، وهذه حقيقة معروفة ومفهومة الى حد كبير ، فان تجاهلها وعدم دراستها بشكل دقيق يبدو منطقاً مبرَّراً . ومن الامور التي لم يتم تبريرها إلَّا في النادر ما يُسمى بالفرضية الخفية Covert Assumption القائلة بأن خصائص ومميزات اللغة المكتوبة والمنطوقة متماثلة الى حد يكفي لأن يضمن تحليل اللغة المكتوبة القاء ضوء مهم على مسالة توضيح وتعليل اللغة المنطوقة . مع

ذلك توجد اختلافات مهمة جداً بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، منها في سبيل المثال ، ان كلًا منهما يتطلب تحليلًا مستقلًا تتوضح فيه نقاط القوة وأوجه الضعف والقصور باعتبار ان كلًا منهما وسيلة لتمكين متكلم ما من أن يُحدث أثراً في متكلم آخر ليتوصل الى استخدام خزينه من المعطيات والمعلومات بشكل دقيق[11]. كذلك فان من الممكن دراسة اللغة المكتوبة بوصفها شيئاً قائماً بذاته. ومن الجائز أن يحدث ، من ناحية اخرى ، شيء من الارباك والفوضى في مسألة الفصائل اللغوية Categories اذا ما تمت معاملة اللغة المكتوبة على اعتبارات مكافئة لتحليل اللغة بكليّتها Entirety[12].

اذا ما سلّمنا بهذه المنزلة الخاصة للغة المكتوبة التي تمنحها اياها الحضارات التي تسود فيها الكتابة فمن السهولة بمكان التغاضي عن حقيقة انَّ اللغة ما هي إلا وسيلة من عدد كبير من الوسائل التي يستخدمها الافراد في إحداث الأثر المطلوب لدى الآخرين من أجل التوصل الى خزينهم من المعطيات والمعلومات ولذلك يتمكنون من انجاز عملية الاتصال المطلوبة . يمكن لنا أن نفهم هذه العملية ، بشكل أكثر دقة ، اذا ما وضعنا اللغة بطريقة أوضح بين انظمة الاتصال الاخرى Systems of Communication واذا ما أخذنا واحدة من ايماءاتنا الأكثر شيوعاً ودرسنا المجموعة المعقدة من الشروط التي يجب أن تتوفر من أجل أن يتم استخدام هذه الايماءات بطريقة ناجحة ومفهومة. تأمل الحالة الآتية : اذا اردنا أن نصرف انتباه من يحاورنا الى شيء ما فاننا نُشير الى ذلك الشيء . فاذا ما أُريد لهذه العملية أن تُنجز بنجاح فاننا يجب أن نفي بشروط معينة . أحد هذه الشروط هو ان نشترك باطار واحد من المعرفة والمواقف العامة حول الشيء المُشار اليه . فاذا لم يحصل الاشتراك بيننا في هذا الاطار فان أحسن ما يمكن أن يُوصف به المُشار اليه بانه فعل جسدي Bodily Act تم عن طريق مد اصبع السبابة في اليد وانه سوف لا يكون فعلًا ناجحاً في توجيه انتباه مَن نتحاور معه . حقاً ، ان مد اصبع السبابة لا يعدو في أن يكون وصفاً أكثر ملاءمة لما نقوم بعمله عندما نحاول صرف انتباه قطة الى المكان الذي يُوضع لها فيه كمية من الحليب . مع هذا ، فان النتيجة الأكثر احتمالًا ، ومهما يكن الجهد الذي نحاول بذله عندما نشير ، هي ان القطة سوف تقوم بالتفتيش عن اتجاه رؤوس الاصابع عند القيام بفعل الاشارة ، وبطريقة مماثلة ، يمكن أن نفشل في القيام بتوجيه وصرف الانتباه بوساطة الاشارة بالاصبع ضمن ثقافة ما كما هي الحالة بين مجموعة معينة من هنود امريكا الشمالية حيث ان الاشارة الى الاشياء

تُنجز عن طريق الشفاه[١٣]. أي ان التأشير كوظيفة لغوية لا يمكن أن يعني كلاماً اذا ما تم وحده . فعندما نشير الى شيء ما فاننا لا نقوم بعمل نفصل بموجبه ايماءة معينة ونخص بها شخصاً في حالة من التجاهل التام لها ، وانما على العكس من ذلك ، ان الشخص الذي تخصه الايماءة التي نقوم بها يمتلك من خلال حياته الطويلة تجارب متراكمة وتعميمات واحكاماً مختلفة عن البيئة التي يعيش فيها ، فاذا كان عضواً في الاطار الثقافي الحضاري ذاته كما هي الحال بالنسبة لنا ، عند ذلك سيكون جانب صغير جداً من تجاربه ذا صِلة كبيرة بفحوى هذه الاشارة أو الايماءة . كذلك فان قسماً جزئياً من تجاربه سيكون قادراً على تشكيل عامل اولي في خزينه من المعطيات والمعلومات ، أي ان تَفَهُم الحدث الجديد لفعل الاشارة سيشتمل على تعيين مكان هذه المنطقة في خزينه المعلوماتي .

يمكن اعتبار ما أشرنا اليه الآن بأنه يمثل توضيحاً اجمالياً لآليات تتسم بالدقة والتعقيد المتناهيين . ولقد عددناه توضيحاً اجمالياً وذلك بسبب طريقة العرض الذي قدمناه به من جانب ومن جانب آخر ، أكثر أهمية بكثير من الأول ، بسبب ان الاستراتيجيات الخاصة بخزن المعطيات والمعلومات في الدماغ وطريق التوصل اليها لم تُعرف بشكل دقيق حتى الآن . وان ما يمكن أن يُصبح واضحاً ، مع ذلك ، هو اننا اذا اردنا أن نميز ونصف شيئاً ما ، وان كان ببساطة الاشارة كفعل لغوي ، أو في الأقل ، أي شيء يمكن أن يتسم بكونه بسيطاً ، عند ذاك ، ومن أجل أن نقوم بعمل كهذا ، يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار الحالة ككل وبخاصة تلك التي تمت في اطارها مهمة انجاز هذه الايماءات وتاثيراتها . لا تحتوي الايماءات ، على أكثر مما تحتوي عليه الكلمات والجمل على معانيها ضمن أطرها كايماءات . لقد أعطينا شيئاً من الاهتمام لموضوع الايماءات ودورها في اللغة لكي نوضح وسيلة اخرى غير اللغة يمكن لنا بها أن نقوم بإحداث أثر لدى الآخرين لتعيين المواد الأكثر مناسبة في خزينهم من المعطيات والمعلومات . وقد قمنا بهذا ليس ، بطبيعة الحال ، لاننا نريد أن ننكر ان اللغة هي واحدة من أكثر وسائل الاتصال التي اخترعها الانسان أو عثر عليها مصادفة ، فائدة وتاثيراً ، أو لإنكار حقيقة ان اللغة هي أكثر وسائل الاتصال استخداماً في الحضارات والثقافات التي نعرفها حتى الآن ، وانما ، ان رأينا هو ان اللغة ، وبشكل خاص ، المكتوبة ، هي واحدة من تلك الوسائل ، والاكثر من ذلك انها لا تعد أكثر الوسائل تاثيراً كما يقول بذلك المدرسون والفنانون وعلماء الرياضيات والمحبون الذين وجدوا هذه الوسيلة في كثير من الاحيان غير ملائمة ولا تتسم

بالكفاءة العلمية للتعبير عن اغراضهم الخاصة . قد يمكن القول طالما ان تلك هي أيام مبكرة في تاريخ تطور الجنس البشري فمن الممكن في المستقبل أن يتمكن الانسان من أن يخترع وسائل اخرى أو انه يعثر على بعض الوسائل بطريق المصادفة وتكون أكثر تاثيراً من اللغة .

وربما بعد وقت طويل من الاضافة الى اللغة وتكميلها قد يبطل دور اللغة باعتبارها الوسيلة الاساسية في الاتصال بين البشر كما حصل عندما ابطلت اللغة دور الايماءات في الأزمنة السحيقة في القدم . واذا أريد للايماءة أن تكون مؤثرة فانه يتوجب على الافراد أن يشتركوا في اطار واحد من التجربة والتوقعات فيما يتعلق بتلك الايماءة ، بعد ذلك ، اذا أريد للغة في أن تكون مؤثرة يتوجب توفر شروط أكثر تعقيداً بكثير من الايماء . في القسم التالي من الكتاب الحالي سنقوم بمناقشة ودراسة طبيعة بعض من هذه الشروط .

شـــروط عمـل اللغـــة

CONDITIONS FOR LANGUAGE FUNCTIONING

من القضايا الفرعية التي يتناولها هذا الكتاب ضرورة أن يُنظر الى اللغة بوصفها وسيلة غير متكاملة يمكن بوساطتها للمتحاورين بها ، من خلال الاعتماد على أطرهم التعزيزية في مجال المعرفة والاعتقادات والتوقعات ، أن يُصبحوا قادرين على أن يُحرّكوا في بعضهم بعض آليات معالجة معقدة للغاية ، وكنتيجة للأعمال التي تتمخض عنها هذه الآليات ، يشعر المتحاورون ، وبدرجات متفاوتة ، بانهم قد فهموا أحدهم الآخر ، حيث يمكن لعملية الفهم هذه أن تتم كلما كان المتكلم قادراً على استخدام الاصوات اللغوية التي قام بانتاجها المتكلم الآخر وذلك من أجل أن يعيِّن جزء المعرفة المناسب في خزينه من التجارب المتراكمة والتعميمات والاحكام التي يمتلكها .

ان الاسباب التي تدعونا الى الاقتناع بان اللغة وسيلة لم تصل الى حد الكمال ، في الحقيقة ، تكمن في الشروط التي نرى الاحتياج الى وجودها ضرورياً جداً ، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بفهم نوع معين من أنواع المعارف . لقد وجدنا اننا اذا أردنا أن نناقش هذه الشروط فانه يتوجب علينا أن نبتعد عن موضوع اللغة لدراسة الشروط الاكثر عمومية للمعرفة نفسها . فاذا كانت اللغة غير قادرة على أن تعمل بصورة صحيحة دون أن تتوفر أُطر ساندة لمتكلمي اللغة ، عند ذلك يمكن أن نقول اننا اذا ما أردنا أن نفهم وظيفة اللغة فاننا نحتاج الى تحديد وتوضيح مفهوم الاطار التعزيزي هذا . أما اذا كان باستطاعة اللغة تمكين مستخدميها من أن يتوصلوا ، ولو بشكل جزئي ، الى ما يمكن أن يكونوا قد عرفوه من قبل ، وان كان بشكل غير مكتمل ، فان معرفة امور أكثر بشأن الاشياء التي يعرفونها من قَبلُ تُعد مسالة ذات علاقة واضحة وصميمية بدراسة اللغة .

قد يبدو هذا الابتعاد عن موضوع اللغة كانه عمل طائش ولا يتسم بالحكمة لأسباب ربما ترتبط بالطريقة التي نحصل فيها على المعرفة من البيئة الثقافية والحضارة التي نحيا في اطارها العام . ان الطريقة التي قامت حقول المعرفة العلمية المتخصصة بتطويرها قد جعلت من الصعب متابعة التحصيل المعرفي ، بشكل خاص ، من خلال مسارات التفكير الاعتيادية التي تأخذ الباحث الى مناطق لا يمكن له أن يكون خبيراً متمرساً فيها . ومن المعروف ان الوعي بالشيء والاطّلاع على تفصيلاته ، كما هي الحال بالنسبة للمتخصص في موضوع معرفي فرعي

صغير ، يقود وبشكل سهل الى القناعة ، التي يدعمها الحذر الذي يؤكد عليه العلماء في أعمالهم بشكل دائم ، التي تدعو الى وجوب بقاء كل متخصص في دائرة تخصصه ، إلا ان معظم الاكاديميين ، للأسف الشديد ، لم يصلوا الى الشجاعة الكافية التي تجعلهم ياخذون هذه التوصية بنظر الاعتبار . مع ذلك ، وفي هذه المناسبة ، يمكن أن نقول اننا قاومنا هذه القناعة وذلك لأن الموضوع الذي نحن بصدد مناقشته يتطلب ذلك في نهاية المطاف .

سوف نناقش في هذا القسم من الكتاب وبشكل مقتضَب قضايا غير لغوية تبدو لنا جوهرية من أجل التوطئة للوصول الى شيء من الفهم للطريقة التي يمكن بوساطتها أن نُدرك بعض أجزاء مهمة في اللغة .

لقد قلنا بان الجهود التقليدية ، التي بذلها علماء اللغة والفلاسفة ، من أجل وصفّ المعنى وتحديده بوصفه يمثل العلاقة بين اللغة وبين الواقع المعيش قد اسيء فهمه وتوجيهه .

ان العلاقة التي يتوجب علينا تمييزها هي تلك التي توجد بين اللغة وبين ادراك مستخدميها للواقع ، كما ينعكس في الخزين من التجارب والتعميمات والاحكام العامة ، عندما يحتاجون اليها عند الاستخدام الفعلي للغة . ان ادراك مستخدمي اللغة للواقع ، من ناحية اخرى ، صعب التحديد الى درجة كبيرة . لم يستطع مستخدمو اللغة ادراك الواقع أو التفاعل معه ، بشكل واضح وبسيط ، كذلك فانهم لا يستطيعون إلّا اختيار اجزاء معينة من هذا الواقع والتفاعل معها وذلك بسبب التركيب الخاص لبنية حواسهم ونتيجة للتاثيرات المتنوعة على آليات توجيه الانتباه . لذلك فاننا نريد أن نلفت الانتباه الى الآليات المختلفة التي تشتمل عليها عملية ادراك اللغة من أجل اعطاء فكرة عن مستوى التعقيد الذي تتسم بها الشروط الواجب توفرها لكي تعمل اللغة بشكل دقيق وبسيط .

تامل ، كمثال ، العمل الذي تقوم به آليات الادراك الحسي ومنها عملية الإبصار عند الانسان ، فمن المفاهيم المعروفة لدى الناس هي ان العين لا تعـــدو أن تكَونَ نافذة تطل على العالم . لقد اتضح ، فيما بعد ، بأن هذا التعبير المجازي عن وظيفة العين أو عن حقيقة ما تقوم به لا يُعَدُّ دقيقاً بالمرة . فمن الأفضل أن ننظر الى العين باعتبارها فتحة غائرة في قحف الرأس تسمح بدخول بعض حُزَم من أشعة الضوء ، حيث يقع البؤبؤ pupil في مقدمتها وان هناك عدسة تُشبه ، الى حد كبير ، آلة التصوير (كاميرا) . كذلك فان العين تحتوي على ما يسمى بالحَدَقة أو قزحية

العين Iris التي تقع حول البؤبؤ يكون عملها شبيهاً ، الى حد كبير ، بفتحة التحكم الموجود في آلة التصور حيث تسمح بدخول كمية من الضوء في الاوقات التي يكون فيها الجو غائماً وكمية أقل من الضوء اذا ما كان الجو مُشمِساً ، وسيتم كل هذا من خلال تنظيم حجم فتحة الضوء الموجودة في وسط العدسة . فعندما تقع أشعة الضوء المتأتية من الشمس ، أو من أي مصدر ضوء آخر ، على الاشياء الموجودة من حولنا ، تقوم هذه الاشياء بعكس الاشعة أو انها ترتد بعيداً عنها حيث ان بعضها يقع على عدسة العين . أي انها تقوم بجمعها وحزْمِها ، إذا صح التعبير ، ويجعلها تأخذ شكل حُزَم صغيرة مخروطية الشكل وتوجهها نحو شبكية العين Retina التي لا تعدو أن تكـون سطحاً صغيراً لا يتجاوز حجمها حجم قطعة النقد الانكليزية المعروفة بالپنس أو أصغر من ذلك وتقع في داخل المنطقة الخلفية لمُقلة العين Eyeball . ان شبكية العين حساسة جداً في تعاملها مع الضوء الى حد يُشبه ، بشكل كبير ، رُقاقة الفلم الموجودة في آلة التصوير ، فعندما يسقط عليها الضوء ، تحدث فيها تغييرات كيمياوية وعمليات اخرى من أنواع مختلفة وكنتيجة لهذه التغييرات التي تحدث في شبكية العين ، تبدأ نبضات معينة بالحدوث تقوم الاعصاب بنقلها من العين الى الدماغ . لا تأخذ هذه الأعصاب في سيرها طريق الذهاب الى مقدمة الدماغ كما يمكن أن نتوقع وانما تذهب الى المنطقة الخلفية منه . وبعد أن تصل نبضات الاعصاب البصرية الى الدماغ ، وفقط في هذا الوقت ، نبدأ بممارسة ما يُعرف بعملية الإبصار أو النظر الى الاشياء التي من حولنا . لذلك فان عملية النظر الى الاشياء ليست بالسهولة والمباشَرة التي يمكن أن نعتقدها عن طريق ما يُشاع أو عن طريق ما يمكن أن نستنتجه بالفِطرة . ان الفرضية البسيطة القائلة بأن الاشياء موجودة هنا أو هناك واننا نراها بشكل مباشر ودون وساطات لا يمكن أن تدعمها الابحاث العلمية التي يُجريها العلماء في اطار علم وظائف أعصاب حاسة البصر Neurophysiology of Sight ، إذ يجب أن يحدث عدد من التفاعلات المعقدَة والمركبة قبل أن نتمكن من رؤية الاشياء التي حولنا . ومما يلفت النظر ويدعو في الوقت نفسه الى الاستغراب ، هو ان ما نراه ليس ، في الحقيقة ، ذلك الشيء الذي يؤثر في فسيولوجية العين في الوقت الحاضر وانما هي تلك الاشياء التي اثرت في مكونات وآليات العين منذ اجزاء من الثواني التي انقضت قبل قليل ، حيث ان السبب في ذلك يرجع الى حالة التباطـؤ في الوقت التي تحصل أثناء عملية سير النبضات العصبية من العين الى الدماغ . ومن هذا يتضح بأننا لا يمكن أن نمارس عملية الابصار ولا نستطيع رؤية

ما يحدث في الوقت الحاضر وان كل ما نستطيع رؤيته هو ما يحدث في الزمن الماضي القريب جداً .

من المعروف ان ليس كل الموجات الضوئية Light Waves ، أي الذبذبات الالكترومغناطيسية ، تؤثر في شبكية العين مما يجعلنا بالتالي نتمكن من ممارسة عملية الابصار حيث ان أشعة الضوء التي تؤثر في فسيولوجية العين هي تلك التي تتراوح أطوالها بين ٦٠,٠٠٠ / ١ و ٣٠,٠٠٠ / ١ من البوصات . أي ان الموجات الضوئية التي تقع بين الحد الاعلى والحد الأدنى هي الوحيدة التي يمكن أن تعكسها الاشياء وتسقط على العين فيؤدي ذلك الى إحداث تغييرات في شبكية العين التي تتسبب بدورها في إحداث تغييرات في الاعصاب التي تقع خلف العين وتؤدي الى احداث تغييرات في الدماغ .

هناك ، في الواقع ، الكثير من الموجات الضوئية الاخرى ، التي لا نستطيع أن نكتشفها بسبب كونها أطول من تلك التي يمكن أن تتفاعل معها اعضائنا الحسية ، كذلك فان هناك موجات ضوئية مثل الاشعة فوق البنفسجية Ultra - Violet Rays وأشعة غاما Gamma Rays لا يمكن أن نكتشفها وذلك بسبب كونها أقصر من تلك التي يمكن أن تتعامل معها حواس الانسان . واذا ما صُغنا هذه العبارة بشكل آخر أكثر وضوحاً ، يمكن أن نصف أعيننا على انها عمياء بالنسبة للتعامل مع أغلب الاشياء التي تحيط بنا . أي ان الاسلوب الذي يظهر لنا به العالَم الذي نحياه بكل أبعاده هو عالم مقيَّد بل ومشروط بعوامل وأُطر تقررها الآليات العامة لجهازنا الوظيفي . فلو كانت أعيننا مختلفة من الناحية المادية الفسلجية ، فقد يكون بوسعنا أن نتعامل مع هذا العالم بشكل مختلف جداً .

ان تلك الملاحظات التي فرغنا من مناقشتها الآن بشأن حاسة البصر بالامكان توسيعها وتكرارها لتنطبق على عضو حسي آخر له علاقة قريبة ومهمة بالاهتمامات التي يشغل عالم اللغة نفسه بها . فاذا ما تناولنا الأذن فسيكون الفرق بينها وبين العين هو ان الاولى لا تتفاعل مع الموجات الالكترومغناطيسية وانما مع موجات ضغط الهواء . حيث تحيط بنا موجات هواء من أطوال من كل الانواع الممكنة . فاذا كانت موجات الهواء هذه اطول من الحد الأعلى الذي يصل الى (٣٥) قدماً أو أقصر من الحد الادنى الذي يصل الى ٨ / ٧ من البوصة فان أُذُن الانسان لا تستطيع كشفها أو التعامل معها . أما الموجات التي تقع بين الحد الاعلى والحد الأدنى فانها تمر الى اسفل فتحة في الرأس نطلق عليها تسمية الأذن Ear ، فتضغط

هذه الموجات على طبلة الأُذن Ear Drum التي هي بمثابة سطح من الجلد الرقيق الذي يمتد عبر الفتحة التي تُشبه رأس الطبلة . تعمل موجات الهواء على جعل سطح الجلد الرقيق هذا يتذبذب بمستوى تذبذب هذه الموجات . وعلى الجانب الداخلي من هذه الطبلة ، هناك امتداد مُرَتَّب مكوّن من ثلاث رافعات من العُظيمات الصغيرة التي تقوم بنقل وتضخيم الحركة وتمريرها الى قسم آخر من جلد رقيق يمتد عبر نافذة في عمق أبعد في داخل رأس الانسان . تنفتح هذه النافذة على تجويف يسمى قوقعة الأُذن Cochlea وهي جزء من الأُذن الداخلية حيث تكون مملوءة بسائل يجعلها تهتز وتتذبذب بشكل دقيق وبطريقة متزامنة مع موجات الهواء الاصلية . تنتشر نهايات الاعصاب بشكل يُشبه الشُعيرات في داخل هذا التجويف الموجود في السائل الداخلي ، لذلك عند تحرك هذا التجويف الى ومن نهايات الاعصاب هذه فانها تاخذ شكلًا منحنياً . تستمر هذه النبضات بالسير على طول الحُزَم العصبية التي تقود الى الدماغ ، وعندما تصل هذه النبضات الى الدماغ تكون عملية السمع قد تمت لدى الانسان . وكما هي الحال مع مسألة الإبصار ، هناك مقدار قليل من التخلف في الوقت في سير النبضات العصبية ، لذلك لا يمكننا أن نسمع ما يقال لنا الآن وانما نسمع ، في الحقيقة ، فقط ما قيل لنا قبل أعشار من الثواني الزمنية . تُطلق تسمية الموجات الصوتية Sound Waves على الموجات التي يكون طولها من النوع الذي يمكن أن تتفاعل معه الأُذن البشرية .

تستطيع طيور الحمام أن تستجيب وتتفاعل مع موجات طويلة جداً من الاصوات الدوسمعية Infrasounds التي لا نستطيع نحن البشر سماعها ، بينما تستطيع الكلاب أن تستجيب وتتفاعل مع موجات هواء ذات أطوال أقصر من تلك التي نستطيع أن ندركها .

لقد أصبح مدربو كلاب الرعي بمثابة علماء تطبيقيين Applied Scientists وذلك لدى قيامهم باحداث أنواع من الصفير باطوال موجية قصيرة جداً لا يمكن أن تسمعها إلّا الكلاب .

ومن أجل أن نصوغ ما قلناه بخصوص حاسة السمع لدى الانسان بشكل مجازي ، يمكن القول بأن آذاننا تُعَدُّ صماء لكل شيء من حولنا تقريباً . فاذا لم تكن اذاننا مثلما هي عليه الآن فاننا والحالة هذه يمكن أن نمتلك تجربة سمعية غير تلك التي نمارسها الآن .

وباختصار يمكن القول بأن هناك مساحات كبيرة في الواقع الذي نحياه بشكل

يومي ، لا نستطيع ، بل نحن غير قادرين بالمرة على ادراكه ومعرفة أسراره وخفاياه وذلك بسبب جوانب القصور المتاصلة في أعضائنا الحسية . وبشكل أكثر أهمية ، هو اننا عندما نتامل الشروط التي يجب توفرها للغة من أجل أن تعمل بشكل اصولي ودقيق فان سؤالًا مهماً لا بد أن يثار بشأن هــل الاعضاء الحسية (الحواس الخمس) لمختلف الافراد متشابهة مع تلك التي نمتلكها بدرجة كافية تجعلنا نفترض بأن مستخدمي اللغة يرؤن الواقع الذي يحيونه ويسمعون الاصوات التي تصدر عنه بطريقة مساوية لما نقوم به نحن على وجه العموم ؟ لا يمكن لنا أبــداً أن نكون متيقنين من صحة الاجابة عـن سؤال من هذا النوع . اننا نعلم بأن هناك كثيراً من الاختلافات التي يمكن ملاحظتها والاحساس بها بين النُظم الوظائفية العصبية عند بعض الأفراد ، هناك ، فـي سبيل المثال ، فروقات معروفة جداً في مجال الادراك والاحساس بالالوان حيث تظهر مثل هذه الفروقات بشكل واضح جداً في حالات عمى الالوان Colour Blindness .

ان ما نُطلق عليه تسمية عمى الالوان ما هو ، في الحقيقة ، إلا حالة تنتج من فشل العين لدى المصاب بهذا الداء لان تستجيب للاختلاف الدقيق جداً في طول الموجة بين الموجات ، التي يدعوها غير المُصاب بعمى الالوان ، بالاحمر « Red » وتلك التي يدعوها بالخضراء « Green » . نحن نعلم كذلك ان الافراد يستجيبون للموسيقى Music ، فـي سبيل المثال ، كذلك يستجيبون لدرجة الحرارة Temperature ولكن بشكل مختلف جداً . ومن جهة اخرى ، فان هناك من الادلة والبراهين التي يمكن أن نستقرئها من تجاربنا التي نمارسها يومياً ، والتي تؤكد وجود حالات تشابه كثيرة ومهمة جداً في مجال ما يقوم به الافراد عند ادراك العالَم المادي Physical World الذين هم جزء منه .

تصور اننا نفترض بان حواس مستخدمي اللغة كافراد تُعطيهم القدرة على ادراك الواقع بشكل يُشبه أحدهم فيه الآخر على وجه الاجمال ، هنا ، تبقى لدينا مسألة مهمة اخرى وهي ان هؤلاء الافراد ليسوا متلقين سلبيين للمعطيات والمعلومات التي تنتج عن كل حاسة من هذه الحواس ، بل على العكس من ذلك ، هناك عمليات اضافية تتفاعل مع ادراكنا المباشر للواقع يتم بها تقرير ما نقوم بملاحظته كأن نجده ذا صِلة بالمادة المطلوب ادراكها أي انه شيء له بروز ووضوح في الواقع أو انه يتطلب أن نوجه له انتباهاً خاصاً أو يتطلب في أن يُنظر اليه باعتباره شيئاً ماثلًا أو يقع في طليعة الأشياء التي يجب رؤيتها أولًا في الواقع . اننا ،

في الحقيقة ، لا نعرف الشيء الكثير عن هذه العمليات ما عدا اننا يمكن أن نقول بانها عمليات تتسم بالفاعلية والصفة الاستكشافية وانها تتفاعل مع النظام الوظيفي العصبي للانسان لتقرير ما يمكن أن يُدعى بمعرفة شيء ما . لذلك يمكن أن يقال بأن ادراك الافراد للواقع ومكوناته ما هو إلا نتيجة للتفاعل الذي يحصل عادة بين كل من العمليات الحسية Sensory Processes وعمليات توجيه الانتباه الاخرى . وعلى هذا الاساس ، يطور الافراد ما يدعى بمخزونهم المتراكم من التجارب والتعميمات المستقرأة من الواقع .

أما علماء النفس العقليون Cognitive Psychologists وآخرون مهتمون بموضوعات مثل اكتساب اللغة Language Acquistion وتنظيم المعرفة Organiza- tion of Knowledge فانهم استخدموا مصطلحات اخرى مثل الخرائط العقلية Cognitive Maps وصور الواقع Models of the World وصور الذات Models of Self والانطباعات الذهنية Images والتمثيلات الدماغية Cerebral Representations والأُطر الدماغية Cerebral Frames . كل هذه العبارات والمصطلحات لا تعدو أن تكون مجرد محاولات لتمييز ووصف البنى المعقدة Complex Structures الناتجة عن تفاعل العمليات الوظيفية العصبية والعقلية والعاطفية . بهذا يتضح بان البِنى Structures التي تتصف بثبات مكوناتها الذاتية ، إلا انها من ناحية اخرى ، تتميز بكونها دائمة التغير وذلك بسبب ما يضاف اليها من تجارب جديدة تُستقد من الواقع الذي يتسم بالتغير الدائم أيضاً . تعتمد اللغة في عملها على هذه البنى المعقَّدة التي يمكن أن يقال عنها انها تؤلف خزين الفرد من التجارب المتراكمة والتعاميم المستقرأة وبذلك تتحكم بادراكه للواقع .

ان من غير المستبعد جداً بأن لا تكون هذه البنى العقلية Cognitive Structures مختلفة فيما بينها ، ففي بعض الاحيان تختلف احداها عن الاخرى بشكل كبير جداً لدى مستخدمي اللغة . فبالرغم من ان حواس مستخدمي اللغة كأفراد قد تمنحهم القدرة على ادراك الواقع بشكل مشابه لاحدهم الآخر إلّا ان تفاعل الادراك الحسي مع الآليات الاخرى الموجهة للانتباه وتلك التي تتخصص بالجانب العاطفي ، يتجه الى أن يقود الى اختلافات كبيرة بالاضافة الى التشابهات الواضحة التي توجد بين الافراد . ترتبط العمليات المتخصصة بتوجيه الانتباه خاصة ، بشكل وثيق بتجربة الفرد الذاتية وانها تتاثر بدرجة كبيرة بحالاته الانفعالية والعاطفية . تقود عملية فهم آليات عمل اللغة الى مشكلة ، فاذا عددنا اللغة وسيلة يتمكن

مستخدم اللغة من خلالها بالتسبب في إحداث تاثير لدى فرد آخر يتم به التوصل الى خزينه من التجارب المتراكمة والتعميمات المستقرأة ، واذا عددنا هذه المخزونات المعرفية لافراد معينين تختلف بشكل واضح ، فكيف يمكن للغة اذن أن تقوم بوظيفتها بشكل دقيق ؟ ان جزءاً من الاجابة عن هذا التساؤل يتعلق بضرورة التعرف أولًا ، على ان اللغة وفي مناسبات عديدة لا تؤدي وظيفتها بشكل ناجح ودقيق ، وثانياً ، عندما تقوم اللغة بوظيفتها ، بشكل اعتيادي ، يتوجب علينا عند ذلك أن نفترض بأن المتحاورين بهذه اللغة يشتركون على وجه الاجمال بنفس البِنى العقلية أو في الاقل بنفس البِنى العقلية في دائرة معينة ومحددة من التجارب المعيشة التي ترتبط بعمل اللغة المتحاوَر بها . يمكن أن يعني هذا ، وبخاصة اذا ما رجعنا الى مثال استشهدنا به آنفاً ، بأن لاعبَين محترفَين في لعبة الغولف يمكن لهما أن يستخدما اللغة للاتصال بينهما والتحادث بشأن هذه اللعبة بشكل ناجح جداً حتى وإن كانا يمتلكان ادراكاً مختلفاً لبعض جوانب الواقع الذي يتفاعلان معه ، لذلك فان الشرط الرئيس الذي يجب أن يتوفر من أجل أن تعمل اللغة بشكل ناجح جداً ، في أية مناسبة ، وتحت أي نوع من الظروف ، هو ضرورة أن يمتلك المتحاورون باللغة ادراكاً متشابهاً لدائرة معينة من التجربة الانسانية المعيشة أو بجانب معين من الواقع الذي يتعلق به موضوع الحوار اللغوي . لذا فان حقيقة كون الافراد يختلفون فيما يخص المحتوى الاجمالي للمعرفة ويختلفون كذلك في بنية مخزونات التجارب المتراكمة والتعميمات المستقرأة لا يعني انهم لا يستطيعون استخدام اللغة بشكل معقول وناجح لاغراض الاتصال فيما بينهم حول دوائر عديدة من شؤون الواقع المعيش ، لذلك يمكن أن يُقال ان اللغة تؤدي وظيفتها التي وُجدت من أجلها بدرجات مختلفة من التاثير . فضلًا على ذلك ، هناك جوانب من التجربة اليومية التي يُحتمل اشتراك معظم الافراد بها ضمن المجموعة البشرية اللغوية الواحدة ، وبناءً على ذلك ، فانهم يمتلكون بِنىً عقلية متشابهة بشكل عام . فاذا ما أقتصرت دراسة آليات عمل اللغة على تحليل التبادلات اللغوية ذات الصِلة بالاحداث اليومية مثل الاكل والشراء والبيع أو مشاهدة التلفزيون عندئذ يمكن أن تبدو اللغة وكأنها ترتبط بشكل مباشر ، الى حد ما ، بواقع معيش مشترك ، ولذا يمكن أن يُنظر الى اللغة بوصفها وسيلة اتصال مؤثرة الى حد بعيد جداً . ومن ناحية اخرى ، اذا ما تمت دراسة اللغة باعتبارها وسيلة تدريس وتعليم حيث يمكن من خلالها لشخص ما أن يحاول استخدام مفردات اللغة ليتسبب في أن يُضيف مخزونات جديدة من المعطيات

والمعلومات لافراد آخرين يتمتعون بخلفيات وتجارب متنوعة فعندئذ يمكن أن تبرز لنا صورة مختلفة جداً من تاثير تلك اللغة .

لقد وضع علماء اللغة والفلاسفة جانباً ، موضوعيّ ، اعتماد اللغة في اداء وظيفتها على ادراك الواقع المنفرد لمستخدمي اللغة ، والتأثير غير المتساوي للغة بوصفها وسيلة اتصال ، ولم يهتموا بدراستهما على العموم . ان سبب ذلك يعود بشكل كبير ، الى افتراضهم بأن هناك كينونة ما ، تشكل الاساس للعمليات المعقّدة التي تشتمل عليها اللغة اثناء استخدامها الفعلي يمكن لنا وصفها وتمييزها أو حتى فصلها أو ازالتها . لقد أطلق سوسير تسمية اللغة Langue على هذه الكينونة أما چومسكي فقد أطلق عليها تسمية القدرة / الكفاية اللغوية Linguistic Competence . لقد كانت النتيجة ، كما أشرنا آنفاً ، أن ترك علماء اللغة دراسة المشاكل وأسباب الغموض التي اكتنفت الصورة التي تعمل وفقها اللغة ، بشكل فعليّ ، عند استخدامها . واذا ما نظرنا الى هذه القضية من زاوية اخرى ، يمكن القول عندئذ بأنه جرت اعادة لصياغة هذه المشاكل وتلك الجوانب الغامضة في اللغة لكي تتناسب مع الاطار النظري الذي يفترض امكانية دراسة اللغة بشكل مستقل عن مستخدميها .

ان رفض فرضية كهذه لا يعني انكار امكانية تصنيف وتبويب ، في سبيل المثال ، الانماط التصريفية Inflectional Patterns للغات متنوعة أو اجراء تصنيف وتبويب لخصائص معينة في الانماط الصوتية Sound Patterns لهذه اللغات . انها تعني بأن من غير المحتمَل في أن يكون تصنيف صيغ اللغة قادراً على القاء ضوء كافٍ على ما يحدث عندما يحاول الاشخاص الاتصال ببعضهم البعض عن طريق الرموز الصوتية Sound Symbols أو الرموز المكتوبة Written Symbols وتحت أية شروط يمكن للغة في أن تكون قادرة على العمل بشكل مؤثر .

لقد كان هدف هذا القسم من الكتاب مناقشة ودراسة موضوع ضرورة أن يُنظر الى مستخدمي اللغة بوصفهم مهمين جداً في بحث اللغة بشكل عام . فاذا ما لاقت هذه الفكرة القبول لدى علماء اللغة بعامة ، فان هذا قد يعني بأن على علم اللغة أن يسارع بترك الحجج والذرائع التي يشتمل عليها بكونه علماً مماثلاً لاكثر العلوم الطبيعية تطوراً . يمكن لهذه الفكرة أن تعني بأنه يتوجب على علماء اللغة بأن يتركوا ، في الوقت الحاضر ، المحاولات الجارية لبناء نظريات توضيحية تعليلية مصوغة بشكل منطقي حيث لا يمكن لنا في هذه المرحلة ، من جهلنا بتفاصيل عمل

اللغة بشكل دقيــق ، أن نختزل معارف واعتقادات وتوقعات مستخدمي اللغة ونُحيلها الى أُطُر تدوينية رياضية شكلية مناسبة . ان علم اللغة ، كعلمٍ صِرف ، يمر الآن بمرحلة تستدعي القيام بتحليل تفصيلي دقيق لمشاكل معينة وخاصة في حقل الاستخدام اللغوي حيث يحتاج البحث المنتظم في هذه المشاكل الى العمل الدؤوب لايجاد تراكيب وأبنية نظرية تكمن فائدتها وأهميتها في توضيح هياة وشكل المشكلة وتبيان معالمها وما تحتاج اليه من معطيات اضافية . لقد حان الوقت الآن لأن ناخذ بنظر الاعتبار ، ما قد سُميَّ بنصيحة نورثروب التي تقف بالضد من اهمال مرحلة التاريخ الطبيعي في البحث العلمي والتحرك سريعاً جداً الى مرحلة بناء النظرية المصوغة بشكل منطقي والالتفات الى أخذ هذه المسالة والتعامل معها بشكل جديَّ مخافة أن ينغمس علماء اللغة النظريون في نظرية غير « مُنضَجة وغير مهياة بشكل علمي جيد تتسم بسمة الجزم وعلى الاجمال عديمة القيمة والجدوى » ، (٨ – ٣٧ : ١٩٥٩ ، نورثروب) .

سيكون مستوى التوضيح والتعليل المنجز في علم اللغة لا يشتمل ، بالتاكيد تقريباً ، على مدى Scope وعمومية Generality النظريات الشكلية للعلوم الطبيعية . أما شكل واسلوب التوضيح والتعليل الذي يتخذه علم اللغة ، علاوة على ذلك ، فمن المحتمل أن يكون غائياً Teleological بدلًا من أن يكون اختزالياً Reductive لكن شكل واسلوب التوضيح والتعليل يجب أن ياخذ مدىً أكبر ، وبشكل لا حدّ له ، بكونهما أكثر ملاءمة ومناسبة لموضوع البحث في علم اللغة ، وبذلك سيكون من المحتمل جداً في أن يبدأ علم اللغة بتقديم اجوبة مقبولة للمسائل الرسمية والتي لم يتوفر لها حل حتى الآن في مجال اللغة عند الاستخدام الفعلي لها . سنناقش في الفصل الاخير من هذا الكتاب بعض أهم هذه المسائل .

هوامش المؤلفين

١ - يناقش ار . جي كولنفوود R.G. Collingwood في كتابه الموسوم بـ « مقالة في علم ما وراء الطبيعة » An Essay of Metaphysics ، وبشكل واضح وبليغ ، الاهمية الكبيرة لما يدعوه بالافتراضات المسبَّقة المطلَقة Absolute presuppositions في أي نوع من أنواع التحقيق والبحث العلميين . لا يُعَدُّ هذا العمل في الفهم الاعتيادي لما يحتويه بالمقالة وليس هو بالكتاب أيضاً ، الذي يعالج بشكل مركَّزموضوع علم ما وراء الطبيعة .

٢ - تُنسب المصطلحات والعبارات التشخيصية الإشارية .والفِهرسية الى علم البراكماتكس . Pragmatics

٣ - من المعتاد ، عند اجراء التبريرات الاكثر تفصيلًا ، أن نفرق بين الجمل في اللغة وبين القضايا ، لذلك يُقال بأن الجمل في اللغة تُعبّر عن القضايا التي تُظهر بدورها وبوضوح ما تعنيه الجمل بشان الواقع . وعلى أساس هذه الاصطلاحات الفنية فان مشكلة معنى الجملة كما عبَّرنا عنه سيُعاد وصفه بوصفه مشكلة تخص معنى القضية . تبقى المشكلة ، مع هذا ، تخص تمييز ووصف معنى القضايا بوساطة العلاقة بين الطرَفين الاخرين اللّذين هما : القضية من جهة والاشياء والاحداث ... الخ التي يتم بشانها توكيد أو إنكار هذه القضايا من جهة اخرى .

٤ - بغض النظر عن جوانب المعنى في اللغة الطبيعية وبخاصة تلك التي لم يتضمنها علم المنطق الشكلي Formal Logics فاننا يجب أن ناخذ بنظر الاعتبار الاختلافات بين الاستدلالات الصحيحة والمشروعة والفعالة وبين نوع من الاستدلالات العملية التي تنبثق من الجمل والعبارات في اللغة الطبيعية . من المعروف كذلك وعلى نطاق واسع ، بأن الدلالات في موضوعات النفي المنطقي Logical Negation والوصل والربط الخِلافي المنطقي Logical Conjunction and Disjunction والاشتراطات المنطقية Logical Conditionals لم تبين ولم تقدر أهمية الاستخدام المعقَّد للنفي Complex Use of Negation في مجالات الوصل والربط الخِلافي والشرط في اللغات الطبيعية . في أواخر الستينات من هذا القرن وسَّع المناطقة كرايبك Kripke وبراير Prior وهينتكا Hintikka ومونتيغ Montague مدى التراكيب النحوية التي أصبحت قادرة على توفير تفسير ووصف دلاليين . وبقدر ما يتعلق الامر بنا ، وبفهمنا لطبيعة هذا الموضوع ، فاننا يمكن أن نقول بان المشاكل ذاتها والمتعلقة بمعاملة الظواهر الموجودة في اللغات الطبيعية بطرائق لا ينتج عنها توضيح مقنع حول شكل وبنية هذه اللغات بقيت كما هي .

٥ - لقد قام مؤسسو علم الدلالة الشكلي Formal Semantics وهم فريج Frege ورسل Russel وكارناب Carnap وتارسكي Tarski بلفت الانتباه ، وبشكل متكرر ، الى التقلبات وعدم الثبات

Vagaries ومخالفات المنطق Illogicalities التي تجري في اللغات الطبيعية . لقد رأى هؤلاء المناطقة هذه السمات في اللغات الطبيعية بشكل جعلهم يتصورون بأن انجاز مهمة اجراء حوار من نوع معين في هذه اللغات يبدو مستحيلاً .

٦ - وكما لاحظ چيرچ Church :

« اذا ما تبدينا لغة يتم صياغتها بشكل خاص فانها لذلك سوف تشتمل على مهمة تكييف نظرية أو نظام منطقي تحليلي خاص بها -(يجب أن تُعتبر هذه القضية بمثابة سمة جوهرية للغة التي تتم صياغتها بشكل خاص حيث لا تُعد هذه السمة هي الاكثر بروزاً وانما هي ، في الحقيقة ، السمة الاولى الاقل أهمية على المستوى النظري والتي يمكن العثور عليها لتكون ملائمة في عملية استبدال المفردات اللغوية المتهجاة بحروف مفردة وبرموز متنوعة خاصة في معظم اللغات الطبيعية المكتوبة) » ، (٣ : ١٩٦٥ ، چيرچ) .

٧ - ومن بين المشاكل الاخرى ، يتوجب ملاحظة ان اداة الربط أو العطف المنطقية « and » هي ، في الحقيقة ، اداة مؤقتة Temporal ولا تتسم بالثبات . لذلك فان قيمة صحة العبارة ذاتها تنسب الى الجملة Alice married and had a baby (تزوجت أليس ورُزقت طفلاً) والى الجملة Alice had a baby and married (رزقت أليس طفلاً وتزوجت) .

٨ - لقد شرع فريج Frege في تبيان الاتجاه الصحيح عندما كتب قائلاً بان مهمة القارىء هي التي توضح له كل قضية proposition .

٩ - لم يستطع طلاب علم اللغة في الغالب ، فهم قيمة الصيغة اللغوية : « الثلج أبيض » Snow is white باعتبارها جملة ذات دلالة صحيحة اذا، وفقط اذا كان الثلج ابيض .

١٠ - لقد لاحظ كارناپ Carnap وبشكل مشابه بان : « نتيجةً لكون بنية المفردات في اللغات الطبيعية تتسم بصفة عدم الانتظام والنقص (مثل اللغة الالمانية واللاتينية) فان عرض قواعدها الشكلية وبيانها في موضوعي الصياغة Formation والتحويل Transformation يمكن أن يكون معقداً جداً الى الحد الذي يكون من الصعب تطبيقها في الواقع » ، (٢ : ١٩٣٧ ، كارناپ) .

١١ - انظر ، في سبيل المثال ، الدراسة التي قام بها ماريون أون Marion Owen حول : « تنظيم الموضوع في أثناء المحادثة » Topic Organaization in Conversation .

١٢ - من الاختلافات اللافتة للنظر مسالة الاستخدام المتكرر في اللغة المكتوبة Written Language لعبارات الوصل غير التقييدية Non - Restrictive Relative Clauses التي تتصدر معلومات جديدة بشكل اعتراضي . أما في اللغة المنطوقة فان حدوث عبارات الوصل غير التقييدية يُعتبر شيئاً نادر الحدوث ، فبدلاً من ذلك يتم استخدام عدد من العبارات مثل : وبالمناسبة ، والشيء بالشيء يُذكر by the way وكما تعلم you know وعلى أية حال any way وبعض صيغ التردد المنتظمة Regular Hesitation Forms مثل : « ums »

و « ahs » لبناء الاضافات الاعتراضية للمادة اللغوية الجديدة . وفي حالة ما قدمه چومسكي من معطيات كثيرة اثناء دراساته في الحقل اللغوي فقد أصبح من الصعب ، في الغالب ، أن نعرف فيما اذا كانت حصيلة أشباه الجمل Sentoids التي تتمخض عن الانموذج النظري ممكنة الافتراض كجمل شبيهة الى حد التطابق مع الجمل التي يمكن أن نحصل عليها في اللغة المكتوبة أو المنطوقة . ان الوضع غير المؤكد لموضوع التنغيم Intonation ضمن اطار النحو التوليدي التحويلي Transformational Generative Grammar يشكل دلالة اخرى للقلق الذي يشعر به كثير من علماء اللغة التوليديين حول فيما اذا كانت تحليلاتهم لها علاقة باللغة المنطوقة أو المكتوبة أم لا . وبالرغم من الاشارات التي تَرِد ، من وقت لآخر ، اثناء كتابات چومسكي وآخرين حول موضوع التنغيم الاعتيادي Normal Intonation في اللغة ، كان من الصعب على الدوام أن نقرر نوع الانموذج التنغيمي Intonation Pattern الذي ينبغي أن يُخصص لاجزاء مهمة جداً من المعطيات اللغوية .

١٣ - يناقش ديزموند موريس Desmond Morris وآخرون في كتابهم الموسوم بـ « الايماءات » Gestures ، طبيعة التفسير اللغوي الذي يعتمد على الثقافة العامة لما يُقارب من عشرين ايماءة رئيسة في اربعين مكاناً في عموم اوربا .

الفصل الخامس

نتائج المتغيرية (في البحث اللغوي)

THE CONSEQUENCES OF VARIABILITY

الكلام هو النافذة الوحيدة التي يستطيع المتخصص في علم وظائف الاعضاء physiologist أن يطل منها على الحياة الدماغية Cerebral Life للانسان ... والمشاكل التي يثيرها تنظيم اللغة تبدو السمة المميزة لكل النشاطات الدماغية الاخرى .

كارل لاشلي

لقد ناقشنا في الفصل السابق من هذا الكتاب الاسباب التي دعتنا الى الاعتقاد بأن اللغة هي جزء لا يتجزأ من الخبرة المتراكمة المصنَّفة لمستخدمي اللغة . يقودنا هذا الرأي الى نتيجة مفادها ان أي عمل نظري ، في مجال علم اللغة يتأسس على المثالية التي تتجاهل مستخدمي اللغة ، لا بد أن يكون مفتقراً الى الانسجام مع موضوع البحث والى الصلة بأسرار اللغة وموضوعاتها المبهمة اثناء الاستخدام الفعلي لها . لا تكمن الصعوبة الحقيقية هنا ، في قبول أهمية مستخدمي اللغة ومعارفهم واعتقاداتهم وتوقعاتهم للتوصل الى فهم معين لوظيفة اللغة وانما تكمن في تحديد ميدان البحث والدراسة حالما يتم الاقرار بأن تلك الامور هي المحور المركزي في مجال الدراسات اللغوية . أما چومسكي فيعتقد انه لو ثبتت ضرورة رفض عملية الأمْثَلة الاولى للغة « كموضوع للدراسة » فانه يمكن أن يُتوصل الى الاستنتاج بأن اللغة ما هي إلا مادة مختلطة ومشوشة ولا تستحق الدراسة » ، (٣ ـ ١٥٢ : ١٩٧٩ ، چومسكي) . ينتشر هذا الرأي بصيغ متنوعة وبشكل واسع بين علماء اللغة النظريين إذ ما يزال العديد منهم يعتقد بأن القوة الحقيقية للنماذج الشكلية ، كتلك التي ابتكرها چومسكي ، تكمن ، برغم عيوبها ، في الاطار الدقيق الذي توفره في دراسة جوانب اللغة . ويتعزز هذا الرأي بالافتراض الذي يقول ان البديل الوحيد لنظرية مصوغة بشكل استنتاجي سيكون بالعودة الى المناهج الغامضة والسردية في دراسة اللغة . ان العيب في هذه الآراء هو استنادها الى وجهة نظر ضيقة جداً فيما يتعلق بالبحث العلمي ، فهي في سبيل المثال ، لا تُدرك بأن المناهج المستخدمة في العلوم الطبيعية أكثر تنوعاً بكثير من المناهج السردية بحيث انها تبدو ، في بعض

الاحيان ، واضحة بشكل كبير حتى لاولئك الذين تتركز ثقافتهم في مجال العلوم الانسانية بالدرجة الأساس . علاوة على ذلك ، ان هذه الآراء لا تاخذ في الاعتبار ، بالقدر المطلوب ، حقيقة ان طبيعة المشكلة قيد البحث هي التي تحدد الطريقة العلمية المناسبة للتعامل معها . وعلى أية حال ، فالمناهج العلمية الصحيحة لا تقتصر على منهج واحد . وأخيراً فان هذه الآراء تهمل المراحل الضرورية في أي بحث علمي ، فالمناهج نفسها ليست بالضرورة مناسبة أو صحيحة في كل المراحل . تمثل هذه النقاط الاساسية ، وبخاصة تلك التي تتعلق بمراحل البحث العلمي ، الموضوع الرئيس لعمل نورثروب F.S.C Northrop الذي تمت مناقشته بشكل موجز في مقدمة هذا الكتاب . يقول نورثروب في كتابه الموسوم بـ « منطق العلوم وعلاقته بالدراسات في مجال العلوم الانسانية » The Logic of the Sciences and the Humanities ما يلي :

« مرة اخرى ، نرى ضرورة التوكيد على المراحل المختلفة في البحث العلمي ، كما نَودّ أن نشير أيضاً الى أهمية عدم الاعتقاد بوجود منهج علمي واحد فقط يصلح لدراسة جميع الموضوعات أو لجميع مراحل البحث في موضوع معين . فالمناهج العلمية تُشبه مفهومي الزمان والمكان في اطارها النسبي .

ان المنهج العلمي نسبي في علاقته مع مرحلة البحث التي يهتم بها الباحث ، فضلًا عن نسبيته مع نوع المشكلة قيد الدرس . فالمنهج العلمي المناسب للمرحلة الثانية من البحث يختلف عن المنهج العلمي المناسب للمرحلة الثالثة منه . فضلًا عن ذلك ، ان ضمان المنهج العلمي المستخدم في مرحلة لاحقة يفترض مسبّقاً نوع المنهج العلمي المستخدم في مرحلة سابقة » ، (٣٨ : ١٩٥٩ ، نورثروب) .

يمكن ، وفقاً للمنظور الذي يطرحه تحليل نورثروب في البحث العلمي ، أن نلمس ان علماء اللغة النظريين الذين يتبنون منهج چومسكي في البحث اللغوي يهملون المرحلة الاولى الحاسمة في البحث ، أي المرحلة التي تتضمن تحليل المشكلة . وأكثر من ذلك ، فانهم يفترضون بأن وجود قواعد النحو التقليدية Traditional Grammars دليل كافٍ لجعل علم اللغة يتخطى المرحلة الثانية ، أي مرحلة التاريخ الطبيعي ، لذا فقد انتقلوا بسهولة كبيرة الى المرحلة النهائية من البحث وهي مرحلة النظرية المصوغة بشكل استنتاجي .

ان أحد الأسباب الرئيسة التي تجعل النظريات التي تُصاغ بتلك الطريقة لا تكشف عن شيء مهم هو اهمالها لمرحلة التحليل الاولي للمشكلة إذ ان علماء

اللغة النظريين المعاصرين قد قلّلوا من أهمية البدء بتوضيح وتعليل ووصف المشكلة بشكلٍ دقيق . وكما أكدنا في الفصلين الثاني والثالث من هذا الكتاب ، فان المشاكل التي استحوذت على اهتمام چومسكي قد نشأت من (بدلًا من أن تكون الاساس لـ) محاولاته لتطبيق نظرية مصوغة بشكل استنتاجي على وصف جوانب محدَّدة من الشكل اللغوي . فاهتمامه ، مثلًا ، بتفسير فكرة « خضوع تعبير أو جملة ما للقواعد النحوية المقبولة في اللغة » يبدو كأنه ناتج ، كما قلنا ، من جهوده لاثبات صحة انموذج نظري كان قد وصفه من قبل . وكنتيجة للتطورات التي حصلت في حقل علم اللغة النظري خلال الخمس والعشرين سنة الماضية والمتمثلة في تجزئة هذا الحقل العلمي وغياب الحلول المُرضية للمشاكل المتفق عليها وعلى تشعبه وابتعاده عن موضوعه الاساس فاننا نُدرك بشكل خاص الحاجة الى الغاء التوكيد على النظرية المصوغة بشكل استنتاجي والتركيز بدلًا من ذلك على مرحلة تحليل المشكلة Analysis of the Problem Stage ، حيث ان هذه المرحلة ، في نهاية المطاف ، هي التي ستفصح عن أهميةٍ وصلةٍ بعمل أكثر تفصيلًا وذلك من خلال وضع فرضيات تجريبية عملية ومفاهيم عمل مؤقتة يمكن اختبارها بشكل منتظم ، بالصبر والاجتهاد والعمل الدؤوب ، ضمن مديات أوسع من المعطيات والمعلومات ذات الصِلة وذلك في المرحلة الثانية أو في مرحلة التاريخ الطبيعي .

سنتناول في هذا الفصل من الكتاب مرحلة تحليل المشكلة وسنتخلى ، بشكل تام ، عن عملية أمْثَلة اللغة كموضوع مستقل للدراسة وسنُقر بوجوب أن تؤخذ معارف مستخدمي اللغة المتراكمة وخبراتهم وتجاربهم بعين الاعتبار اذا أردنا أن نفهم وظيفة اللغة . واذا أخذنا بالرأي الذي يقول بأن اللغة هي ظاهرة مصاحِبة تتحدد حسب حالات مستخدميها وخزين معلوماتهم فعندئذٍ سيبرز لنا السؤال التالي : ما هو نوع العلاقة التي يمكن أن توجد بين كلمات اللغة وعباراتها وبين الحالات وخزين المعلومات الذي يمتلكه مستخدمو اللغة ؟ عند محاولة الكشف عن العوامل المعقدَة المرتبطة بهذه المشكلة نجد بأن الامر يُصبح أكثرَ شفافية ، وبشكل متزايد ، الى الحد الذي لا تظهر فيه أية علاقة بسيطة ومباشرة بين كلمة ما وبين موقع معين في خزين المعلومات الخاص بأحد مستخدمي اللغة . لقد توصلنا الى هذه النتيجة من خلال التكرار المستمر لكل صيغ الاستخدام اللغوي لنوع معين من الوحدات حتى توصلنا الى تحديد المصطلح « متغير » Variable . ان الوحدة المتغيرة Variable Unit هي تلك الوحدة التي لا يمكن معرفة دلالتها بسهولة بمعزل عن ورودها في سياق

وحدات اخرى ، فالمادة اللغوية « put on » (التي تعني من بين معانٍ كثيرة : يرتدي ، يصطنع ، يتظاهر بـ ، يزيد (السرعة ... الخ) ، يقدم (الساعة) ، يؤدي ، يقوم بـ ، يراهن بـ ، يبالغ ، يضع قيد الاستعمال ... الخ) هي مثال نموذجي للوحدات اللغوية المتغيرة . إذ يمكن لهذه الوحدة اللغوية أن تَرِد في سياق عدد كبير من الوحدات اللغوية الاخرى مثل :

put on the television / your socks / a big smile / the tablecloth / the milk / the brake / the dinner .

١ - يقوم بتشغيل جهاز التلفزيون .
٢ - يرتدي جواربه .
٣ - يتظاهر بابتسامة عريضة .
٤ - يمدُّ السِماط .
٥ - يقوم بتحضير الحليب .
٦ - يحاول ايقاف المركبة .
٧ - يقوم بتهيئة وجبة الطعام الرئيسة (غداء أو عشاء) .

فمعنى هذه الوحدة اللغوية يختلف في كل حالة إذ انها تستمد دلالتها ، كما هو واضح ، من علاقتها بالوحدات الاخرى في الجمل اللغوية التي ترد فيها . وفضلًا عن المادة اللغوية « put on » توجد وحدات لغوية متغيرة اخرى مثل : have (التي تعني من بين ما تعنيه : يملك ، يحرز ، يتضمن ، يشتمل ، يحتوي على ، يضطر الى كذا ، يكون ملزماً بكذا ، يتعين عليه كذا ، يتلقى ، يعاني من ، يُجري ، يقوم بـ ، يلقي ... الخ) و « take » (التي تعني من بين معانٍ كثيرة جداً : يأخذ ، يستولي على ، يلقي القبض على ، يصادر ، يمسك بـ ، يباغت ، يفاجىء ، يأخذ على حين غرة ، يضرب ، يأسر ، يسحر ، يلفت (النظر أو الانتباه) ... الخ) و « do » (التي تعني من المعاني الشيء الكثير جداً مثل : ينفذ ، يفعل ، يقوم بـ ، يرتكب ، يعود عليه بـ ، يقدم ، ينهي ، ينجز ، يبذل ، يضع ، ينتج (أثراً أدبياً أو فنياً) ، يقوم بتمثيل دور ، يخدع ، يحتال على ، يرتب ، ينظف ، يعد للطبخ ، يجمل بمستحضرات التجميل ، يزخرف ، يمتهن ، ... الخ) و « Cut » (التي تعني من بين معانٍ عديدة جداً : يجرح ، يجرح الاحساس ، يجلد ، يضرب الكرة بحيث يغير اتجاهها أو يجعلها تدور ، يقص (الشعر) ، يشذب ، يقلِّم (الاظافر) يختصر بالحذف ، يرقق سائلًا :

يخفف من كثافته بالمزج بالماء ، يخفض ، يحصد ، يقطع ، يفصل عن ، يغير اتجاه شيء تغييراً حاداً ، يتقاطع ... الخ) و « in » (التي قد تعني من بين معاني كثيرة : في ، الى الداخل ، بـ ، بواسطة ، الى ، الى أو نحو داخل غرفة أو بيت ، نحو مكان معين ، على مقربة دانية ، حاكم ، متمتع بالسلطة أو القوة ، داخلي ، آت ، وافد ، قادم ... الخ) و « round » (التي يمكن أن تعني من بين دلالات كثيرة جداً : مستدير ، كروي ، اسطواني ، مبروم ، ممتلىء الجسم ، تام ، مدور ، معبّر عنه بالعشرات أو المئات أو الالوف أو نحوها ، صحيح تقريبياً ، ضخم ، صريح ، دائري ، كامل ، مكمّل : متمّم على نحو بالغ حد الكمال ، رشيق ، نشيط ، جهوري ، حول ، دائري ، بطريق اطول ، من شخص الى آخر ... الخ) واعداد اخرى من الوحدات اللغوية التي لا تُعد ولا تُحصى لكثرتها .

اننا نعتقد بأن معظم الوحدات في اللغة تتسم بكونها متغيرة الى درجة ما . وفي هذا السياق نود أن نقول بأننا نشك في الافتراض القائل بأن الوحدات اللغوية كافة تشتمل على خصيصة التغير في الدلالة . تكمن أهمية الوحدات اللغوية المتغيرة بكونها تُكسب اللغة صفة اللاتحديد الضرورية لها . وعلى العموم ، يُتوقع من وحدات اللغة أن تكون غير محددة لأن عليها أن تلبي حاجات اعداد لا تُحصى من الأفراد في مجتمع لغوي معين وحسب تجارب كل فرد من هذا المجتمع ، تلك التجارب التي تختلف من فرد لآخر . فمستخدمو اللغة يفهمون العالم (الواقع) على انه غير ساكن ولا يتسم بالثبات وان صورته ليست متماثلة لدى الافراد جميعهم مما يعني وجوب أن تكون الوحدات اللغوية مرنة بما فيه الكفاية لتمكّن مستخدمي اللغة من تطويعها من أجل تكوين رؤىً جديدة للواقع وظروف جديدة لا يمكن التنبؤ بها ولهذا نتوقع من الكلمات والعبارات اللغوية أن تقع وتنتظم في تشكيلات مألوفة تماماً لكنها تُفسّر أو تُفهم بطرائق جديدة أو غير معهودة . اذن لو لم توجد سمة اللاتحديد لكان مَن الصعب معرفة الطريقة التي تعمل بها اللغة وسيلة وواسطة للاتصال بين الافراد الذين يمتلكون تجارب وخبرات عن الواقع تتصف باللاتماثل والتنوع والاختلاف الكبيرين . فاذا تم الاعتراف باللاتحديد Indeterminacy كخاصية اساسية في اللغة فلا بد حينها من الشك في عملية الأمْثَلة قديمة العهد في علم اللغة النظري تُجاه موضوع المعرفة المستقلة عن تدخل مستخدميها والتي تُوصف في الوقت نفسه بالتجرد والتجانس التامين . فالقصور الذي تقدمه عملية أمْثَلة اللغة بعيد جداً عن واقع استخدامها لدرجة يستحيل معها معرفة الكيفية التي تستطيع بها تفسير الطريقة

الفعلية والحقيقية التي تعمل بها اللغة . اننا نفترض انه حينما تكون وحدات لغوية معينة متغيرة بشكل عام فلا بد أن يكون هذا التغير على درجات مختلفة ، فالوحدات اللغوية المتغيرة بدرجة واطئة هي تلك التي يمكن ربطها بسهولة مع أحد الجوانب المحددة بوضوح لدى معظم مستخدمي اللغة ، حيث يميل علماء اللغة الى تركيز تحليلاتهم الدلالية على هذا النوع من الوحدات اللغوية والتي غالباً ما تكون أسماء لأشياء محسوسة وشائعة . إلّا اننا ، من جانب آخر ، نركز على وحدات متغيرة بدرجة أعلى طالما انها هي التي تُلقي الضوء على صعوبة الوصول الى تفسير مقنع للعلاقة بين الكلمات والعبارات من جهة وبين خزين المعطيات والمعلومات وحالات مستخدمي اللغة من جهة اخرى . ان ربط هذه الوحدات اللغوية ذات التغير العالي ربطاً مباشراً بخزين المعطيات والمعلومات غير ممكن الأمر الذي يسبب لغزاً أو سراً حول كيفية تمكّن متكلم اللغة ، المقيّد باستخدام عدد محدود من الوحدات اللغوية المتغيرة ، من جعل المستمع الى اللغة يتوصل في فهمه وفي العديد من الحالات الاخرى الى المناطق المقصودة في خزين المعطيات والمعلومات الخاص به . يبدو هذا اللغز أو السر من الأهمية بمكان بحيث اننا أعدنا صياغة السؤال الكبير عن الكيفية التي تعمل بها اللغة الى تساؤل أكثر تحديداً وهو : كيف يؤثر تغير الوحدات اللغوية على عمل اللغة ؟ واثناء تحليل هذه المشكلة قمنا بصياغة الفرضيتين الآتيتين :

١ - ان معظم الوحدات اللغوية متغيرة ولكن بدرجات متفاوتة ، وان عملية تشكيل مجاميع من الوحدات اللغوية يتضمن تفاعل وحدات ذات درجات مختلفة من التغير . كما ان معنى مجموعة معينة يعتمد جزئياً على التفاعل بين الوحدات ذات الدرجات المختلفة من التغير .

٢ - تأتي بعض العبارات في الموقع نفسه من السياق بصورة متكررة وتشكّل مثل هذه العبارات حالة خاصة غير معرّفة تعريفاً دقيقاً وتُوصف بأنها « مألوفة » .

يمتلك كل فرد خزيناً من العبارات المألوفة يختلف بها عما يمتلكه أي فرد آخر يمكن أن يعالج هذا النوع من العبارات بطريقة مختلفة نوعاً ما حيث بالامكان تحويلها الى عبارات لغوية تتصف بكونها غير مألوفة بالنسبة لمستخدم اللغة .

تغير الوحدات اللغوية : تحليل المشكلة
VARIABILITY OF LINGUISTIC UNITS : ANALYSIS OF THE PROBLEM

يمكن ابراز حدة مشكلة التغير Problem of Variability بتقديم المثال البسيط التالي :

put on the television

يقوم بتشغيل جهاز التلفزيون

وهو تعبير يستخدم في المواقف العائلية اليومية المألوفة . لنفرض ان امرءاً قال بأن الوحدة اللغوية « television » قد جيء بها هنا لتمكين متفهم اللغة من التعرف على شيء موجود في بيئته المباشرة ثم يجره ذلك الى ملاحظة بسيطة جداً وهي انه قد تعلم الربط بين مجموعة الاصوات التي تتكون منها المفردة « Television » وبين نوع معين من الاشياء التي اصبحت مألوفة لديه . فاذا وضعنا جانباً وللحظة واحدة ، اداة المعرفة ، يتضح لنا بأن فهماً مماثلًا لـ « put on » يمكن أن يكون أقل احتمالًا في حدوثه . إذ سيكون من الصعب القول بأن متفهم اللغة قد تعود الربط بين مجموعة الاصوات التي تؤلف التعبير « put on » وبين نوع معين من الأفعال المألوفة لديه (معالجة المفتاح الكهربائي باليد مع ادخال القابس plug في المِقبَس socket اعتماداً على حالة كون هذه العملية قد تمت من قبل أم انها لم تتم) .

فلو ان التعبير اللغوي كان :

البس حذاءك . « put on your shoes »

لما أصبح لنوع الفعل الذي قيل ان متفهم اللغة يربط بينه وبين مجموعة الاصوات التي تؤلفه أية خصائص متماثلة ومشتركة . كذلك سيكون الأمر مختلفاً مع عبارة :

يمدُّ السِماط . « put on the tablecloth »

ومختلفاً كذلك مع تعبير :

يتظاهر بابتسامة عريضة . « put on a big smile »

وهكذا دواليك حتى نهاية قائمة الأمثلة التي تم ذكرها آنفاً . ويبدو ان متفهم اللغة قادر على تفسير التعبير اللغوي وبالتالي اداء العمل الذي طلب منه لانه

يستطيع أن يفهم الوحدة اللغوية « put on » بحسب علاقتها بالشيء الموجود في بيئته المباشرة والذي يستطيع تحديد هويته من خلال الوحدة اللغوية « television » . وفي هذا المثال بالذات ، يظهر لنا وجود تفاعل بين عمليتين مختلفتين ، الى حد ما ، هما عملية تحديد هوية الشيء الموجود في البيئة المباشرة وعملية تحديد نوع الفعل الذي يفترض وقوعه عليه ، أي تفسير عبارة « put on » . وفي هذه الحالة ستكون طبيعة الشيء المادي المنتخَب من البيئة المباشرة ذات أثر كبير في تحديد التفسير المناسب للوحدة اللغوية المتغيرة « put on » . فاذا وافقنا على هذا التحليل فسيترتب على ذلك اختلافات في العلاقة بين الوحدة اللغوية « television » وقاعدة المعطيات والمعلومات لدى مستخدم اللغة من جانب وبين التعبير « put on » من جانب آخر بعيداً عن النظر الى العمليات المؤدية الى الفهم وعدها مستغلة لهذا الاختلاف .

والآن نَودُّ أن نجعل تحليلنا الاولي البسيط هذا أكثر تعقيداً وذلك بالاشارة الى ان الوحدة اللغوية « television » هي نفسها وحدة متغيرة ، الى حدٍ ما ، من حيث كونها لا تؤدي الى انتخاب شيء موجود في البيئة المباشرة للمتكلم في كل المجاميع والسياقات التي تَرِد فيها ، كما في المثال الآتي :

يشجع التلفزيون على العنف . « Television encourages violence »

الذي يمكن أن يُقال عن أي جهاز تلفزيون في العالم وكما يحتمل أن يُفهم على انه اشارة الى شيء أكثر تعقيداً من أن يُحَدَد بالشيء المادي البسيط : التلفزيون ، ولهذا على فاهم اللغة أن يأتي بستراتيجيات عمل من نوع مختلف لكي يفهم الوحدة اللغوية « Television » في مثالنا الثاني ، هذه الستراتيجيات التي لن تمكنه من تحديد شيء معين وانما توصله الى جانب من الخبرة يرتبط بالشيء المادي المعروف بـ « television » الذي هو أقل دقة منه بكثير . اضافة الى ذلك ، هناك اعتقاد مُرَجّح بوجود درجة من التشابه بين الأفراد ، فيما يتعلق بفهمهم للمادة اللغوية « television » في المثال الأول ، أعلى من درجة التشابه في المثال الثاني . يمكن أن تعد المادة اللغوية « television » وحدة متغيرة ولكن بدرجة أقل من المادة اللغوية « put on » إذ اننا نعتقد ، على وجه العموم ، بأن انتاج وفهم اللغة يتطلب وحدات لغوية ذات درجات مختلفة من التغير لتتلاءم مع بعضها البعض . ولتحري هذا الرأي ، نُشير الى نوع من التلاؤم يتمثل في تاثير الخصائص التنغيميّة للغة . وقد يقول قائل بأن متفهمي اللغة يميزون هذا الاختلاف في اسهام الوحدة اللغوية

« television » في تلك الجمل اللغوية من خلال ملازمة أو عدم ملازمة اداة التعريف Definite Article لها . إذ لا مجال للانكار في هذه الحالة بأن التمييز يرتبط بوجود أو عدم وجود أداة التعريف « the » . وعلى أية حال ، سيكون من باب التسرع غير المبرَّر الاستنتاج من ذلك بأن وجود كلمة مقررة لدلالة الاسم الذي يُعطي تمييزاً دلالياً بين استخدام كلمة لانتخاب واختيار شيء مادي وبين استخدام الكلمة نفسها من أجل أن يؤتى بمعنى مشابه لكنه أكثر تجريداً وبالنتيجة فان الجملة :

« The television encourges violence »

يشجّع التلفزيون على العنف

لا يختلف في شيء عند بعض الناس عن الجملة :

« Television encourges violence »

يشجع البث التلفزيوني على العنف .

وبالطريقة ذاتها ، يقول البعض :

« We spend our evenings watching television »

نقضي أماسينا بمشاهدة البث التلفزيوني .

بينما يقول آخرون :

« We spend our evenings watching the television »

نقضي أماسينا بمشاهدة التلفزيون .

فيما يبقى المعنى هو هو في الحالتين . ان مسالة تقدير أهمية مساهمة المعلومات النحوية ، كوجود أو عدم وجود كلمة مقرّرة لدلالة الاسم في فهم العبارات اللغوية ، ليست واضحة المعالم بشكل كافٍ . أما نحن فاننا نرى بأن أهمية المعلومات النحوية مبالغ فيها وذلك لان مظاهرها ، سواء أكانت بشكل علامات صرفية Morphological Markings أو انها جاءت بشكل تقاليد ترتيب المفردات اللغوية Word Ordering Conventions أو أية وسائل اخرى ، سهلة الملاحظة والتصنيف نسبياً . إذ من الواضح بأن العبارات اللغوية تضم مقداراً كبيراً جداً من المعلومات النحوية التي يسهل الادعاء بانها مهمة في عملية الفهم إلا ان هذا الادعاء سيكون مضلِّلا . سنبحث في قسم لاحق من هذا الكتاب ، العواقب التي يمكن أن تلحق بعملية فهم اللغة نتيجة لتجاهل الكثير من تلك المعلومات .

بذل علماء اللغة والفلاسفة ، على مدى السنوات الماضية ، جهوداً حثيثة لحل المشاكل الناشئة مما ندعوه بتغير الوحدات اللغوية وكانت أفضل الطرائق العلمية

لمعالجة هذا التغير هي بافتراض امكانية تحجيم تاثير الخصائص التنغيمية للغة الى نسب طيعة وذلك عن طريق الاعتراف بأن لبعض الكلمات عدداً من الدلالات والتسليم بأن تلك الدلالات يمكن تمييز بعضها عن البعض الآخر ويمكن ادراجها في قوائم كذلك . وكما قلنا في الفصل الاضافي الفاصل من هذا الكتاب ، يتبنى واضعو المعجمات هذه الفكرة استجابة للمشكلة العملية المتمثلة في اعداد دليل تقريبي وجاهز لاستخدامات المفردات اللغوية . وفي محاولة اجراها علماء اللغة لتقديم شرح منهجي لدلالة المفردة في اللغة ، اضطر هؤلاء الى نبذ سمة اللاتحديد وتبني بدلًا من ذلك موقفاً مشابهاً لموقف واضعي المعجمات ، إلا ان القصور في نظرتهم المعجمية لموضوع التغير يكمن في تسليمهم بصحة نظرية وعاء المعنى التي سبق وأن ناقشناها في الفصل الرابع من هذا الكتاب ، أي تسليمهم بأن المعنى خاصية متاصلة في الكلمات أكثر مما تكون منبثقة عن العبارات اللغوية عند نطقها فهي بهذا تُلغي السمات الجوهرية للمعنى . وكتوضيح لذلك ، سنقارن بين تفسير وعائي وآخر انبثاقي للمعنى لنفس المجموعة من الأمثلة . تامل الجمل الثلاث التالية التي عادة ما تُقال في المواقف العائلية المالوفة اليومية :

1 - Put on the television

يقوم بتشغيل جهاز التلفزيون .

2 - Put on the gas fire

يقوم بتشغيل المدفأة الغازية .

3 - Put on some music

يقوم بتشغيل جهاز التسجيل لسماع شيء من الموسيقى .

المتغيرية في اللغة من وجهة نظر نظرية وعاء المعنى
A CONTAINER VIEW OF VARIABILITY

تقول نظرية وعاء المعنى بأن الكثير من مفردات اللغة وعباراتها تحتوي على عدد من الدلالات المتميزة والمحددة ، وعلى هذا الأساس ، اذا ما فُهمت الجملة التي تقع فيها المفردة أو العبارة فلا بد حينها أن يكون بالامكان ربط تلك المفردة أو العبارة باحدى دلالاتهما المحدَّدة . ولو تعاملنا مع التعبير « put on » بمقتضى هذا الرأي فسيتم ربطه بالمعنى ذاته في كل جملة من الجمل المذكورة في أعلاه ، ويمكن تحديد هذا المعنى بصورة تقريبية على انه « يتسبب في تشغيل Cause to work » ، وعليه فان معنى التعبير في الجملة الاولى سيكون أمراً بالتسبب في تشغيل شيء مادي محسوس ذي خصائص تنطبق على جهاز التلفزيون ، ومعناه في المثال الثاني ، أمر بالتسبب في تشغيل شيء مادي محسوس ذي خصائص تنطبق على مدفأة غازية أما معناه في المثال الثالث فانه ، في الحقيقة ، يُفسر ان المقصود بالتسبب بالتشغيل ليس الموسيقى بل مصدرها هنا ، أما أن يُفسر المثال الثالث بهذه الطريقة أو أن يكون البديل القول بأن التعبير اللغوي « put on » في المثال الثالث يختلف عنه في المثالين الأول والثاني ولهذا يجب ربطه بمعنى آخر من قائمة المعاني المحددة مسبقاً إلّا ان المعنى الذي سيُسبغ عليه ليس واضحاً بدرجة كافية .

المتغيرية في اللغة من وجهة نظر نظرية انبثاق المعنى
AN EMERGENCE VIEW OF VARIABILITY

أما نظرية انبثاق المعنى فانها تركز على ملاحظة مفادها بأن على الرغم من وجود الوحدة اللغوية « put on » نفسها في كل من الأمثلة الثلاثة إلا ان مستخدم اللغة الذي تفهم تلك الأمثلة سيقوم بعمل مختلف في كل حالة ، كما ان ذلك العمل الذي يقوم به يعتمد على معرفته وتوقعاته الخاصة وعلى حالة البيئة التي يحيا ضمن محيطها ، ففي المثال الأول ، لا يعرف مستخدم اللغة فيما اذا كان القابس داخل أو خارج المقبس ، وكذلك فانه غير متاكد من نوع المدفاة الغازية في المثال الثاني ، أي فيما اذا كانت تتطلب عود ثقاب عند تشغيلها أم انها لا تحتاج الى ذلك ، أما في المثال الثالث ، فان مستخدم اللغة غير متيقن من المصادر المتوفرة لسماع الموسيقى واحتمال وجود أكثر من مصدر لاداء هذا الغرض .

أما اذا وقع الاختيار على مجموعة مختلفة من الامثلة اللغوية مثل :

يمدُّ السِماط . 1 - Put on the tablecloth

يقوم بطبخ البطاطا . 2 - Put on the potatoes (to cook)

يُضيف المركبة (السيارة) الى القائمة 3 - Put on the car

فان دور نظرية انبثاق المعنى سيكون من خلال التركيز على حقيقة ان مجموعة مختلفة من الافعال (تعتمد على توقعات متفهم اللغة وحالة البيئة) ستؤدي الى انبثاق افعال لا تتشابه إلا بمقدار ضئيل مع بعضها البعض الآخر أو مع المجموعة الاولى من الأمثلة . تؤكد نظرية انبثاق المعنى على احتياج هذا التنوع الى تفسير واضح وانها تميل الى أن تعد معنييُ المثالَين الأولَين قد انبثقا من الخصائص التنغيمية للوحدات اللغوية المتغيرة بدرجات متفاوتة ، حيث سيبدو ذلك وكأن الأمر يتضمن أنواعاً مختلفة من تقنيات العمل التي تشتمل على انتخاب أشياء من البيئة المباشرة وتحديد الاعمال بما يلائم نوعية تلك الاشياء . كما ان حالة البيئة وعلى الأخص حالة الشيء المنتخَب منها ، تشكل عنصراً حيوياً في هذه العملية النغمية Modulatory process ، وعلى هذا الأساس ، يمكن القول بأن معنى الوحدة اللغوية « put on » يتضح لمتفهم اللغة من خلال تفاعلها مع وحدات لغوية اخرى ذات درجة تغير أقل . يمكن أن نخرج من المقارنة بين هذين التفسيرين بالنقاط المهمة الآتية :

تفترض نظرية وعاء المعنى الافتراض ذاته الذي نوهنا عنه آنفاً ، حيث قلنا بأن علم اللغة في هذا القرن من الزمن يتبناه بشكل كامل وكلّي ، وهو الافتراض المتمثل بامكانية فصل اللغة عن مستخدميها واعتبارها كياناً يمكن وصف خصائصه وصفاً مستقلًا ، تلك الخصائص التي تضم فيما تضم من أشياء اخرى ، معنى الكلمة . أي ان نظرية وعاء المعنى هي نظرية معجمية بالدرجة الأولى تقضي بأن اعطاء معنى للكلمة يجب أن يصحابه اقرار بأن الاستخدامات المتنوعة لتلك الكلمة تشترك جميعاً بخاصية معينة ، أي ان للكلمة المعنى الاساس ذاته في كل مجموعة من الأمثلة التي تَرد فيها حيث تُعطي تلك الخصيصة المشتركة تعريفاً وتحديداً معيناً لمجموعة الكلمات كلها . وقد كان التعريف والتحديد في المثال الذي أوردناه هو « التسبب في تشغيل » Cause to work ، وعلى أية حال ، يشتمل هذا الرأي على عدد من العيوب الخطيرة أبرزها فصل الكلمات والعبارات وتجاهل تأثير بعضها على بعضها الآخر في المجاميع اللغوية . كما ان هذا الرأي لا يقترب من المشكلة المركزية المتمثلة باللغة اثناء الاستخدام الفعلي لها ، وبالكيفية التي تتلاءم فيها الوحدات اللغوية ذات الدرجات مختلفة التغير مع بعضها البعض في مجاميع وكيفية تفسيرها من خلال تفاعلها مع ادراكات وتوقعات مستخدمي اللغة . نتيجة لافتراض نظرية وعاء المعنى بأن للمفردات والعبارات اللغوية مجموعة من المعاني المحددة بغض النظر وبمعزل عن ورودها في مجاميع مع وحدات لغوية اخرى في سياقات معينة فقد تم اهمال واحدة من أهم خصائص اللغة الأساسية ألا وهي قدرة مستخدمي اللغة على عكس عدد غير محدود من التجارب الانسانية مع الأخذ بنظر الاعتبار العدد المحدود نسبياً من المفردات اللغوية التي يمتلكها مستخدمو اللغة . يتم انجاز كل هذا من خلال اعتماد مستخدمي اللغة ، نتيجة لافتراض نظرية وعاء المعنى بأن للمفردات والعبارات اللغوية مجموعة من المعاني المحددة بغض النظر وبمعزل عن ورودها في مجاميع مع وحدات لغوية اخرى في سياقات معينة فقد تم اهمال واحدة من أهم خصائص اللغة الاساسية ألا وهي قدرة مستخدمي اللغة على عكس عدد غير محدود من التجارب الانسانية مع الأخذ بنظر الاعتبار العدد المحدود نسبياً من المفردات اللغوية التي يمتلكها مستخدمو اللغة ، يتم انجاز كل هذا من خلال اعتماد مستخدمي اللغة على طريقة الاستخدام التجديدي والابداعي للغة The Innovative and Creative Use of Language ، على ان الافراط في هذا النوع من الاستخدام من جانب أحد المتكلمين قد يجعل من المستحيل على متكلم آخر أن

يربط بين أي شيء في تجربته الخاصة وبين اللغة التي يستمع اليها ، وكما ناقشنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب ، فان ما يقيِّد الابداع اللغوي عند مستخدمي اللغة ، بشكل منفرد ، هو الاجماع (الذي غالباً ما يكون ضمنياً وغير مقصود) بين المتحاورين الذين تتشابه معتقداتهم وتجاربهم وتوقعاتهم ازاء العالم المحيط والواقع الذي يحيون في محيطه ، وبشكل عام ، كلما كانت الاعمال والمهن التي يزاولها المتحاورون وطبقتهم الاجتماعية واصولهم الاقليمية وثقافتهم واعمارهم أكثر تشـــابهاً ازداد احتمال تقبلهم للتجديدات والابتكارات اللغوية التي يحاول كل منهم ادخالها على اللغة .

أما العيب النوعي الآخر في نظرية وعاء المعنى فهو رسمها للحدود بين المعاني المختلفة للكلمة الواحدة أو العبارة الواحدة ، فالتعبير « put on » في المثال الثالث ليس متشابهاً تشابهاً واضحاً ولا مختلفاً اختلافاً واضحاً عن التعبير ذاته في المثالين الأول والثاني . فلو تم بحث الوحدة اللغوية « put on » بشكل أعمق لبرزت اسئلة مثل : هل يجب أن يكون للوحدة اللغوية « put on » في السياق اللغوي « put on your shoes » (يلبس حذاءه) التعريف والتحديد ذاته للوحدة اللغوية نفسها في السياق اللغوي « put on a bandage » (يضع الضماد).؟ أو : هل هناك تشابه ممكن بين الوحدة اللغوية « put on » في السياق اللغوي « put on some coal » (يزيد من كمية الفحم) والوحدة اللغوية ذاتها في السياق اللغوي « put on the lid » (يضع الغطاء) ؟

ان هؤلاء الذين سلموا بصحة هذا الرأي لم يحاولوا أبداً وضع منهج دقيق لتحديد الفروقات بين ما يحدده هذا الرأي على انه معانٍ مختلفة للكلمة الواحدة أو العبارة الواحدة في اللغة ، ولهذا تعد نظرية وعاء المعنى ذات أساس غير متين وان أسوأ ما يمكن أن ينتج عنها هو التساؤل اللامجدي حول ما اذا كانت كلمة معينة في مجموعة ما هي نفسها بالفعل في مجموعة اخرى أم غير ذلك ؟

أما موقف نظرية انبثاق المعنى من موضوع التغير فانه يصطدم بعقبة تجعل من الصعوبة بمكان صياغته بشكل دقيق جداً ، حيث من الأفضل أن نطلق عليه عند معالجة هذا الموضوع تسمية الرأي الذي يقول بانبثاق المعنى بدلًا من اطلاق تسمية نظرية انبثاق المعنى على الرغم من اشتمالها على ميزة مهمة وهي انها تكون اطار أمثلة أقل تعقيداً بكثير مما يوجد بالفعل في الاطار النظري العام لنظرية وعاء المعنى ، كما انها تدرك الحاجة الى أخذ حالة البيئة التي يتعامل معها مستخدم

اللغة بنظر الاعتبار . فضلًا عن أخذ حالة قواعد المعلومات عند متفهم اللغة بنظر الاعتبار وبالأخص عند محاولتها شرح وتوضيح العمليات المتفاعلة أثناء عمل اللغة .

علاوة على ذلك ، انها تحد ، بشكل كبير ، من المشكلة التي تنشأ عن مفهوم التغير في نظرية وعاء المعنى التي ترى بأن الوحدات المتغيرة ترتبط بعدد (في بعض الاحيان كبير) من المعاني المختلفة ، ولذلك فان فهم العبارات اللغوية التي تضم مجاميع من الوحدات يتضمن اختبار عدد من المعاني المحتملة للوحدات المتغيرة الموجودة في العبارة . وفي تعبير يضم عدداً من الوحدات المتغيرة يمكن أن تكون نتيجته حصول انفجار مجاميعي لغوي برغم عدم وجود دليل على حدوث مثل هذا الانفجار حقيقة . تطرق نظرية انبثاق المعنى هذه المشكلة بافتراض ان توقعات مستخدمي اللغة وحالة البيئة كلها تساعد على ايجاد تفسيرات مناسبة للعبارات اللغوية اضافة الى انه قد تبرز الى السطح احدى خصائص اللغة التي تلغيها نظرية وعاء المعنى . وتؤكد نظرية انبثاق المعنى ، في معرض تركيزها على الوحدات اللغوية المتغيرة ، على اللاتحديد الذي عددناه سمة متأصلة في اللغة مما يمكنها من التأثير على الافراد الذين لا يمتلكون إلا توقعات متوافقة بصورة جزئية مع الواقع الأمر الذي يؤدي في الوقت نفسه الى نشوء مشكلة مستعصية على الحل تتفاداها نظرية وعاء المعنى باستمرار . هذه المشكلة هي : اذا كان معنى وحدة لغوية متغيرة مثل « put on » ينشأ لدى متفهم اللغة نتيجة لتفاعلها مع وحدات لغوية ذات درجات مختلفة من التغير وحالة البيئة وتوقعات متفهم اللغة فهل يؤدي كل هذا الى التسليم بأن الوحدات اللغوية المتغيرة يمكن أن تفترض امكانية وجود أي معنى على الاطلاق ؟ من البديهي أن يكون الجواب على هذا التساؤل بكلا فنحن ، عموماً ، لا ندّعي بأن الوحدات اللغوية المتغيرة يمكن أن تشتمل على عدد غير محدود من المعاني وانما كلما كانت درجة تغير الوحدة اللغوية أكبر اتسع نطاق معانيها المحتملة ، وعلى الرغم من ان المشكلة المتعلقة بكيفية وضع قيود أكثر دقة على الوحدات اللغوية المتغيرة ، ما زالت دون حل ، إلا ان نظرية انبثاق المعنى قد استطاعت في الاقل أن تعرضها على بساط البحث . أخيراً ، تركز نظرية انبثاق المعنى على موضوع الكيفية التي تستطيع بها الوحدات اللغوية ، ذات الدرجات المختلفة من التغير ، تحديد الصيغة النهائية لتفسير المجموعة اللغوية التي تقع فيها . ان معظم الاجزاء المتبقية من الكتاب الحالي ، قد تم تكريسها لبحث مسالة

تحديد الصيغة النهائية للتفسيرات في اطار نظرية انبثاق المعنى .

وقبل الولوج في بحث ما تنطوي عليه معالجة تغير الوحدات اللغوية نَودُّ أن نضيف بُعداً آخر للمشكلة بصيغة التمييز بين نوعين من العبارات : العبارات التي تُطلق وتُسمع وتُفهم بشكل متكرر في سياق النشاطات اليومية والعبارات التي لا تُطلق بشكل متكرر . وندعو العبارات التي تدخل ضمن الفئة الاولى بالعبارات المألوفة Familiar وندعو تلك التي تندرج ضمن الفئة الثانية بالعبارات غير المألوفة Non- Familiar حيث يستخدم ملايين من الأشخاص العبارات المألوفة يومياً مثل : « Can I have ... » (هل لي ان ...) و « Give me ... » (اعطني أو ناولني ...) و « At mealtimes » (في أوقات تناول الطعام) و « Do you want ... » (هل تريد ...) و « Would you like some ... » (هل ترغب أو تحب أو تَودّ أن ...) و « Turn it up / down » . « In relation to television or music » (ارفع أو اخفض من درجة صوت جهاز التلفزيون أو الموسيقى) ، و « What time is it ? » (ما هو الوقت الآن ؟) وهو سؤال يطرحه المتأخرون ، في العادة ، أو الذين لم ينجزوا الأعمال **المنوطة** بهم بعد .

تستخدم بعض هذه العبارات بشكل متكرر ضمن مجموعات لغوية أصغر ، كذلك فانها تتميز بكونها موجودة في اللغة بأعداد كبيرة حيث يستطيع مستخدمو اللغة التعامل معها بسهولة .

ان أحد الأسباب التي دعتنا الى التطرق لهذه العبارات هو ان وجودها قد يزيل التعقيد عن موضوع معالجة الاستخدام اللغوي وذلك من خلال جعلها تبدو أكثر وضوحاً ودقة . ويمكن عدّ العبارات المألوفة فئة خاصة غير معرَّفة تعريفاً دقيقاً وذلك لأن الصفات والخصائص المنسوبة اليها لا تتعدى الاثنتين وهما (مألوفة) و (يومية) ، ومن المهم أن نُشير هنا الى ان العبارات التي تقع ضمن هذه الفئة من التصنيف قد جاءت كذلك بسبب استخدامها بشكل متكرر في الوقت نفسه وليس بسبب صفات لغوية خاصة . والسبب الآخر الذي يدعونا الى الاهتمام بالعبارات المألوفة هو لموازنة التركيز الذي سلطناه على الاستخدام التجديدي للغة من خلال التطرق الى وجود فئة واسعة من العبارات التي ينطقها مستخدمو اللغة ويفهمونها من خلال تكرارها مرة بعد اخرى .

يصعب وصف العبارات المألوفة بدقة حيث يرجع ذلك الى أسباب عديدة إلا ان أهمها يتمثل بكونها تعتمد على الأفراد الذين يتكلمون اللغة . فقد يكون تعبير ما

مألوفاً لدى أحد مستخدمي اللغة وغير مألوف لدى مستخدم آخر وهذا يعني بأن اللغة نفسها لا يمكن تقسيمها الى عبارات مألوفة واخرى غير مألوفة بطريقة محددة سلفاً . ان ما درج عليه علماء اللغة هو الاقرار بوجود عبارات ثابتة أو شعائرية Fixed or Ritual Expressions في اللغات حيث تدخل هذه العبارات بصورة عامة تحت أبواب التحايا Greetings والقسم Oaths وصيغ التهذيب Politeness Formulae مثل « I would be grateful if ... » (سأكون ممتناً اذا ما ...) أو « Sorry to Keep you waiting ... » (آسف لجعلك تنتظر » أو « آسف لتأخري عليك » ، والملاحظات التقليدية التي عادة ما تستخدم في الكلام مثل :

« Nice day , isn't it ? »

(يوم جميل ، أليس كذلك ؟)

وهلم جراً . إلا ان ما فات علماء اللغة هو ان هذه الصيغ الثابتة تشكّل فئة ثانوية لدى كل فرد وهي قسم من مجموعة أوسع من العبارات التي تُطلق وتُفهم بالتكرار . وللعبارات الثابتة أو الشعائرية ، كفئة ثانوية ، صفة مميزة تتمثل بكونها تستخدم في مجتمع لغوي بكامله تقريباً . فضلًا عن هذه الفئة الثانوية ، هناك عبارات تُطلق وتُفهم بالتكرار ضمن مجموعات صغيرة جداً من الناس كمجموعة افراد يعملون في مكان معين معاً . ان مثل هذه العبارات لا تشكل اطاراً من العبارات الثابتة للغة معينة بل لمجموعة من المتكلمين ضمن سياق موقف معين ، ففي الدائرة الحكومية مثلًا يتم استخدام عبارات مثل :

1 - Will you check this ?

هل بالامكان تدقيق هذا ؟

2 - Have you time to get this done today ?

هل لديك من الوقت ما يجعلك تنجز هذا العمل اليوم ؟

3 - The paper's run out .

نفد الورق .

4 - I have got some work for you .

أوَدُّ أن اكلفك بعمل .

5 - Can you come in for a moment ?

هل لك أن تدخل للحظة رجاءً ؟.

والكثير غيرها . وقد يستخدم بعض الأفراد المجموعة نفسها من الوحدات

اللغوية دون تغيير عندما يتكرر الموقف نفسه وقد يختار البعض الآخر عدداً آخر من البدائل .

ان ما يجب وضعه في الذهن دائماً هو ان العبارات التي تُطلق وتُفهم بالتكرار ضمن مجموعة معينة ، أي العبارات المألوفة لتلك المجموعة ، يستخدمها أفراد يحتمل انهم يقومون في الوقت نفسه بأعمال معينة مثل تقديم ورقة أو وضعها أمام فاهم اللغة أو الايماء الى فرد آخر . وتتلقى العبارات المألوفة ، عادة ، دعماً كبيراً ، فهي مألوفة بفضل استخدامها المتكرر في اطار لغوي معين وليس بسبب امتلاكها لخصائص لغوية معينة . ان الافراد الذين يعيشون معاً كعوائل أو أزواج أو أصدقاء يستخدمون المجاميع من العبارات المألوفة نفسها ، تماماً كما تشترك أية مجاميع من الأفراد مهما كانت صغيرة في أي نشاط من الأنشطة المعروفة الاخرى .

ان التمييز بين العبارات المألوفة وتلك غير المألوفة عمل غير قائم على أساس علمي ولكننا تطرقنا اليه بسبب ما يحتويه من اشارات ضمنية تفيد في فهم المعالجة اللغوية ، وأهم تلك الاشارات هو ان حجم المعالجة التحليلية المطلوبة في فهم العبارات المألوفة أقل من حجم المعالجة التحليلية المطلوبة لفهم العبارات غير المألوفة ويمكن تبرير ذلك بالقول بأن تقنيات المعالجة المستخدمة في فهم العبارات المألوفة متداخلة بطريقة ما .

قد تبدو هذه الفرضية البسيطة سهلة الاختبار نسبياً من خلال قياس عدد المرات التي يستجيب فيها مستخدمو اللغة للعبارات المألوفة ومقارنتها بعدد المرات التي يُستجاب فيها للعبارات الاخرى ، وهو أمر صعب جداً على المستوى العملي وذلك لأن العبارات المألوفة تتم معالجتها بسهولة بسبب استخدامها بشكل متكرر في سياقات المواقف المختلفة وليس لبساطتها الدلالية أو النحوية المتأصلة فيها ، كما تتوجب الاشارة هنا الى ان من الصعوبة بمكان أن تتم اعادة صياغة مثل هذه السياقات من أجل استخدامها عملياً وتجريبياً . واذا ما أُطلق التعبير المألوف خارج سياقه المعهود فانه قد لا يُعالج كتعبير مألوف بل يُعالج بشكل مختلف وهنا يكمن السر . وليس الأفراد المختلفون وحدهم الذين يعالجون التعبير نفسه بشكل مختلف تبعاً لكونه جزءاً من مجموعة عباراتهم المألوفة أم لا . فان شخصاً غريباً . في سبيل المثال ، يدخل دائرة حكومية ما ، فيلاحظ ما يجري هناك ، يمكنه ، في الحقيقة ، أن يعالج فـي الأقل جزءاً مما يسمعه بشكل أبطأ مما يفعله المتحاورون بالطبع ، ولكن فضلًا عن ذلك ، فان الشخص نفسه يمكن أن يعالج مجموعة الكلمات نفسها بشكل

مختلف اعتماداً على كونها جزءاً من سياق مألوف وبالتالي تعدّ تعبيراً مألوفاً أو انها جزء من موقف آخر. ان التعبير اذا ما (عولج بشكل مختلف) Processed Differently فانه لا يمكن أن يُجعل أكثر دقة باضافة أي شيء آخر اليه عدا تكرار ما قلناه سابقاً وهو ان العبارات المألوفة تتطلب من متفهمي اللغة تحليلًا أقل مما تتطلبه العبارات غير المألوفة ، ويمكن القول كذلك ، بأن معاني العبارات المألوفة أصبحت أمراً مفروغاً منه بفضل تكرارها الدائم والمستمر في الموقف نفسه والبيئة نفسها ، أو ربما ، ان درجة تقنيات المعالجة التي تجعل الفهم يبدو ذاتياً (اوتوماتيكياً) تعتمد على درجة الفة التعبير في السياق المعني . ان احتمال اختلاف المعالجة اللغوية بين الأفراد ، حسب كون تعبير ما عنصراً في مجموعة العبارات المألوفة لدى كل فرد ، هو أمر خطير فيما يتعلق بمسألة تحديد الوحدات اللغوية الاساسية في التحليل ، حيث يتمخض عن هذا ، التساؤل الآتي :

- كيف يقوم الدماغ بخزن المعلومات اللغوية ويسمح بالوصول اليها بحيث تستطيع الوحدة اللغوية نفسها بأن تقع كـ :

١ - جزء لا يمكن اقتطاعه من تعبير مألوف .

٢ - جزء من نفس المجموعة المستخدمة في سياق غير مألوف وعليه يُعالج كتعبير غير مألوف .

٣ - جزء من مجاميع اخرى مألوفة وغير مألوفة تختلف فيها مساهمتها في تفسير التعبير ككل ؟

وبعبارة اخرى ، كيف يستطيع متكلم اللغة الانكليزية أن يقوم بخزن وحدة لغوية ويصل اليها وقتما يشاء ، مثل : الوحدة اللغوية « check » التي يمكن أن تقع في :

١ - تعبير مألوف مثل : « Will you check this ? » ، الذي يمثل عملًا يتضمن مادة تحتاج الى تدقيق في سبيل المثال .

٢ - تعبير غير مألوف : « Will you check this ? » ، الذي يمثل جزءاً من حديث على الهاتف ، يتعلق ، مثلًا ، بشيء قيل ان شخصاً ما قد قاله .

٣ - تعبير آخر مثل : « We'll have to check this » (سوف يتوجب علينا ايقاف هذا) ، في اشارة الى نوع من الأذى الذي يجب ايقافه وبالتالي القيام بنشاط يختلف عما في (١) و (٢) .

ان المفاهيم التي تم تناولها في اطار تحليلنا لمشكلة التغير حسب وجهة نظرية انبثاق المعنى ، بالاضافة الى ما تطرقنا اليه بشأن خصيصة التآلف والصفات

التنغيمية في اللغة ، كلها تُفيد في توكيد قرارنا بضرورة اهمال عملية أمْثَلة اللغة أو أمْثَلة المعرفة اللغوية كنظام مستقل .

سنتطرق في القسم القادم من الكتاب الحالي الى بعض ما يتضمنه تحليلنا الاولي لفهم عملية الخزن اللغوي في الدماغ وتسهيلات الوصول الى ذلك المخزون . إلا انه ليس في نيتنا ، برغم هذا الكم الكبير من الاصطلاحات المستخدمة ، عقد مقارنات موسَّعة بين دماغ الانسان وقدرة الخزن في الحاسب الآلي لتشابه وظيفتهما ، بل ان كل ما سنقوم بافتراضه هو ان الدماغ يقوم بخزن المعلومات بصيغة معينة ليستخدمها شخص ما بطريقة انتقائية مما يحتم عليه أن يكون قادراً بدوره على وضع المعلومات التي يحتاجها في موقع معين داخل خزين معقَّد التركيب . يمثل انتاج اللغة وفهمها حالة تكون فيها تسهيلات الوصول الى المعلومات في هذا الخزين مهمة للغاية . نودُّ أن نؤكد مرة اخرى بأنه اذا كانت كلمة « خزين » تعني شيئاً ثابتاً ومستقراً فهي اذن كلمة مضلِّلة وغير واضحة . فنحن نستخدم هذه الكلمة ، في العادة ، للاشارة الى « المعرفة المتراكمة والمعمَّمة جزئياً والتي يمتلكها شخص ما عن العالم المحيط به كما يفهم هو » . ان هذا الخزين ، كما اشرنا اليه سابقاً ، في حالة استثارة دائمة وذلك من خلال تحويره بصورة متواصلة بطرائق تتسم بالدقة الكبيرة . وتبقى طبيعة « الخزين » ، في حدود معرفتنا الحالية ، سراً مغلقاً تقريباً ، إلا ان هذا لا يعني بأن بعض علماء النفس والفلاسفة والعاملين في مجال الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence لم ينكبّوا على دراسة ما يُدعى في بعض الأحيان بـ « بنية المعرفة » « The Structure of Knowledge » وقد يكون من الانصاف القول بأن البحث في هذا المجال ما زال في مراحله المبكرة .

تغيّرية الوحدات اللغوية :
آثار ذلك على المعالجة اللغوية
VARIABILITY OF LINGUISTIC UNITS :
IMPLAICATIONS FOR LANGUAGE PROCESSING

سوف نبدأ من حقيقة مفادها بأن ما يُعرف عن عملية الخزن المعلوماتي اللغوي في الدماغ وما يُعرف عن تقنيات الوصول الى ذلك الخزين قليلٌ جداً . وهذا يعني بأن هناك الكثير من الامور التي يمكن أن تكتشف حول طرائق معالجة حتى أبسط العبارات في اللغة . لذلك سنركز على انموذج صغير من العبارات اللغوية البسيطة المستخدمة في سياقات الحياة اليومية المألوفة لاظهار العوامل المعقّدة التي لا بد وأن تدخل في معالجة ما يبدو واضحاً منها وما لا يبدو كذلك . وللتركيز على فهم تلك المعالجة سنبحث في السؤال العام حول الكيفية التي تُعالج بها العبارات اللغوية عن طريق وضع ما يأتي في الحُسبان :

١ - نوع المعلومات التي يستطيع فاهم اللغة الوصول اليها عن طريق الوحدات اللغوية المكوِّنة للتعبير .
٢ - تفاعل الاشكال المتنوعة من المعلومات .
٣ - دور البيئة في فهم التعبير اللغوي .
٤ - العوامل الداخلة في تقويم أهمية الاشكال المتنوعة من المعلومات الموجودة تحت تصرف فاهم اللغة والتي تُستخدم في ادراك التعبير اللغوي وفهمه .

أما الحالة الاولى التي سنتناولها في هذا الصدد فهي حالة امرأة متزوجة تفتح باب بيتها لطارق يسألها :

هل زوجك في البيت ؟ Is your husband in ?

حيث سيُصبح هذا التعبير الاعتيادي المألوف أكثر أهمية اذا ما نظرنا اليه بصفته يمثل تعاملًا مادياً وقع بين كائنين حيين معقديّ التركيب في بيئة تتسم بتعقيد تركيبها أيضاً ، إذ يطلق أحد هذين الكائنين سلسلة من الاصوات اللغوية ثم يستقبل الكائن الآخر جزءاً من سلسلة الاصوات هذه كمادة مدخلة الى دماغه . وفي كل الحالات التي يمكن تصورها تقريباً ، فان الكائن المستقبل سيدخل في الوقت نفسه معلومات مادية اخرى الى دماغه ثم تُعالج المادة المدخلة بكاملها حسب حالة

وتركيب كل من البيئة وخزين المعلومات للكائن معقد التركيب وقت استقباله للمادة المدخلة . عندما تطرح الظاهرة المراد بحثها ودراستها بهذه الصيغة فلا بد انها ستبدو عسيرة المعالجة . وبعيداً عن التبسيط يمكن القول بأن مثل هذا الحديث بين كائنين حيين معقديّ التركيب يحتوي على العديد من العوامل ذات الخصوصية التي تحول دون اطلاق أية أحكام عامة . أما الطريقة الاخرى التي يمكن أن تشكل بديلًا للاستمرار في بحث ودراسة ما نحن بصدده هي قبول مبدأ تعقيد هذه الظاهرة مع المحاولة بحذر وانتباه شديدين للقيام بفصل بعض ، على الاقل ، مما قد تبدو سمات لا خصوصية لها .

ان أول افتراض موسّع يتوجب علينا طرحه هو القول بأن الحديث كان طبيعياً بحيث ان أياً من المتحدثين لم يكن غير اعتيادي بشيء ولم تحوّل نوعية صوت الطارق ولا نغمة سؤاله انتباه المرأة عن مهمته الأساسية التي هي الفهم . يمكننا القول في هذا السياق اننا لا نستطيع التقدم في بحثنا على الاطلاق دون الاستعانة بمثل هذه الأمثلة . ولو افترضنا انه قد تمت الموافقة على تطبيق عملية الأمْثَلة هذه على حوار طبيعي أو حديث فستكون الخطوة التالية دراسة المرأة كفاهمة للغة فهي بهذه الصفة لا بد وأن تستخدم سلسلة الاصوات التي تستقبلها كمادة مدخّلة في الوصول الى ما سندعوه ، بشكل لا يوحي بالدقة المطلوبة بـ « المعلومات » التي تمكنها من تفسير مجموعة الوحدات اللغوية المكوّنة للتعبير ، فاذا ما عرفنا بأن هذه الوحدات هي : (is) و (your hasband) و (in) فلا بد أن نعلم بأنها يجب أن تدرك ان سؤالًا معيناً قد تم توجيهه اليها . واولى ملاحظتنا هنا هي ان الوحدات اللغوية المكوّنة للمجموعة (التعبير) ستمكن فاهم اللغة هذا بالذات من التوصل الى المعلومات المتعلقة بجوانب معينة من تجربته الخاصة ، تلك الجوانب التي تتسم بكونها معرّفة تعريفاً وافياً . كما انها تمكّن هذا الفاهم للغة (المرأة) من تحديد وجود أو عدم وجود شخص معين وتحديد علاقته بها وبوضوح تام فضلًا عن تحديد منطقة معينة من بيئتها وهي بيتها في هذا المثال . ويمكن توضيح ذلك بطريقة اخرى بالقول بأن هذا التعبير اللغوي يشكل نماذج للمادة المدخَلة ، تلك النماذج التي تهتدي الى طريقها داخل الدماغ بوساطة تعقب الآثار المؤدية الى جزء محدَّد (غير معمَّم) من المعرفة . ولا بد من الاشارة هنا الى عدم وجود علاقة بالضرورة بين المعالجة ، التي تقود الى الوصول الى جزء « محدَّد من المعرفة » وبين خصائص لغوية معينة تشتمل عليها العبارات . وقد يعترض عالم لغة ما قائلًا بأن « your »

و « husband » ، مثلاً ، هما وحدتان لغويتان منفصلتان وان ضمير التملك Possessive Pronoun هو الذي يُعلمنا بأن الزوج المشار اليه هو زوج بعينه دون غيره ، أي زوج المرأة المخاطَبة في النص . وبعبارة اخرى فان تلك الجملة تحتوي على تعبير تشخيصي Deictic Expression تُحل مشكلة تفسيره من خلال السياق . والمشكلة هنا ليست في احتمالية أن يكون التعبير خطأً ، بل تكمن في غموضه . افترض بأن المرأة التي تفتح الباب غير متزوجة وانها تعيش وحدها ، ومع ذلك ، ما زال عليها أن تتعامل مع التعبير : « Is your husband in ? » لنتمكن من أن تستجيب للسؤال . وقد يقودنا هذا الى التساؤل عن نوع المعلومات التي تستطيع التوصل اليها عن طريق الوحدة اللغوية « your husband » . من الواضح ان هذه الوحدة اللغوية لا تستطيع أن تمكنها من وضع يدها على معلومات تدلها على شخص معين ما دام هذا الشخص لا وجود له ، مع ذلك ، فهي تفهم السؤال الموجه اليها . وعلى هذا الأساس ، لا بد من أن تفترض في هذه الحالة بأن سلسلة الاصوات المكونة للتعبير اللغوي يمكن أن توصلها الى معلومات تعميمية مثل سمات الازواج بصورة عامة وغيرها . وبهذا سيكون أول استنتاج نتوصل اليه من هذا المثال هو اننا نمتلك ، في الأقل ، معرفة من نوعين مختلفين وهما : المعرفة المحدّدة والمعرفة المعمَّمة . بالاضافة الى ذلك ، ان المعرفة المحدَّدة الخاصة بأية حالة تختلف باختلاف حالة فاهم اللغة والبيئة ولا تختلف طبقاً لخصائص التعبير اللغوي .

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بتفسير الوحدة اللغوية « in » والتي تُفهم في هذه الحالة على انها تعني (البيت) أو (هناك) . وقد استخدمنا تعبير (في هذه الحالة) لأنها لم تُعطَ نفس المعنى في كل الحالات التي تقع فيها لأنها وحدة لغوية على درجة عالية من التغير . وعلى أية حال ، فمتفهم اللغة يستطيع أن يفسر الوحدة اللغوية « in » تفسيراً مناسباً في معظم العبارات اللغوية التي تَرد فيها . ان تغير وحدات لغوية مثل « in » تفرز تحدياً قوياً لأية نظرية لغوية تعالج وتبحث في قضايا معجمية . لقد أصبحت مسألة المفردات (الصرف) ، في التعديلات الاخيرة لنظرية چومسكي في اللغة ، تلعب دوراً أوضح بكثير من ذي قبل ، ففي كتاب منهجي حديث أُعدَّ للبحث في تأثيرات فكر چومسكي على علم اللغة ، ورد ما يأتي :

« ... سيكون على علم النحو المصمَّم لتقديم وصف شامل للمعرفة اللغوية أن يدرج في قائمة المفردات اللغوية المجموع الكامل للخصائص النحوية والدلالية والصوتية الوظيفية لكل مفردة في اللغة » ، (٥٢ : ١٩٧٩ ، سمث وولسن) .

ان الرأي القائل بأن مهمة عالم اللغة هي تقديم وصف كلّي لكل مفردة في اللغة من حيث خصائصها النحوية والدلالية والصوتية الوظيفية رأي لا يتسم بالدقة والموضوعية وقد يفشل بسببه عالم اللغة وبشكل تام في السيطرة بوضوح على المشاكل الناتجة عن التغير واسع الانتشار بين الوحدات اللغوية وسيظهر ذلك بشكل جليّ اذا ما حاولنا أن نقوم بتسجيل المجموع الكلي للخصائص المتنوعة لوحدة لغوية عالية التغير مثل « in » التي تبدو خصائصها الصوتية الوظيفية أقل صعوبة بكثير من خصائصها الاخرى إذ يمكن تقديم وصف شامل للصوتين المكونين لـ « in » بيسر وسهولة . إلا ان المشاكل قد تظهر واضحة للعيان عند تسجيل الظروف التي يمكن أن تؤدي الى تحوير هذين الصوتين خاصة وان الأمر يتطلب ادراج العوامل غير الصوتية الوظيفية . أما الخصائص النحوية فهي أكثر صعوبة إذ قد تشتمل على الفصائل النحوية التي يمكن أن تنسب اليها الوحدة اللغوية « in » إذ لا بد أن تتضمن تلك الفصائل فصيلتي الظرف وحرف الجر . أي اننا وعلى اساس الجمع بين الحدس اللغوي ومبادىء النحو التقليدي نقوم بتصنيف الوحدة اللغوية « in » كحرف جر أو ظرف . فاذا راجعنا ، فضلًا عن ذلك ، أحد المعجمات فاننا سنجد بأن يمكن للوحدة اللغوية « in » أن تأتي نعتاً أيضاً وفي حالة الجمع فانها تأتي اسماً كذلك . ان قولنا بأن وحدة لغوية هي ظرف أو نعت أو اسم أو حرف جر يمكن أن يتحدد وبشكل واضح اذا ما توفرت لدينا طريقة معينة لنفرّق من خلالها ما الذي يجعل تلك الوحدة اللغوية ظرفاً أو صفة أو اسماً أو حرف جر . لقد ناقشنا هذه المشكلة وبشكل مطوّل في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

وقد يقول البعض بأن يمكن للوحدة اللغوية « in » أن تكــون حرف جر اذا ما جاءت في شبه جملة Prepositional Phrase (جار ومجرور) ، أي عندما يتبعها اسم ، ولهذا ففي المثال :

Is the chicken in the oven ?

هـــل الدجاجة في الفرن ؟

تم استخدام الوحدة اللغوية « in » كحرف جر ، ولكن لو كان المثال قد صيغ على الشكل الآتي :

Is the chicken in ?

هـــل الدجاجة موجودة في الداخل ؟

فهل تُعَدُّ الوحدة اللغوية « in » في هذا السياق ظرفاً ؟ أم هل تُفهم على انها تعني ما عنته عندما جاءت في السياق « in the oven » حيث ستكون شبه جملة حُذف منها ركنها الاسمي ؟. اذن ، مرة اخرى ، لا يمكن لنا أن نفسر وبشكل دائم الوحدة اللغوية « in » في السياق اللغوي « Is the chicken in ? » على انها تعني « in the oven » فاذا بدأنا بوضع سيناريوهات لهذه الحالة فقد نتمكن من تفسير الوحدة اللغوية « in » على النحو الآتي :

Has the cost of the chicken been taken into account in the budgeting ?

أي (هل تم أخذ كلفة الدجاجة الواحدة بنظر الاعتبار عند وضع الميزانية ؟)

فهل تعد الوحدة اللغوية « in » في هذا السياق ظرفاً أم حرف جر؟

وهكذا ، من السهل الاستمرار ، وبشكل مطوّل ، على هذا المنوال ، بطرح اسئلة من هذا النوع . ما نريد أن نؤكده هنا ، هو سذاجة مَنْ يقول بأن بالامكان أن تُنسب مفردة لغوية ما الى عدد من الفصائل النحوية في حالة غياب المعايير الخاصة بالتنسيب لتلك الفصائل النحوية . إذ يمكن أن نقول هذا فيما يتعلق بالوحدة اللغوية ذات التغيز العالي « in » التي تحدد فصيلتها النحوية ، أي كونها ظرفاً أو حرف جر ، بالإعتماد على حالة الملاءمة اللغوية الموجودة في السياق ككل ، الأمر الذي يحدث في الحالات الاخرى جميعها . ويمكن لعالم اللغة ، خدمة للأغراض التحليلية اللغوية التي يقوم بها ، أن يعد الوحدة اللغوية « in » حرف جر في حالة معينة وظرفاً في حالة اخرى اعتماداً ، كما بيّنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، على تقديره الحدسي اللغوي الخاص لمعنى الجملة أو التعبير الذي هو بصدد دراسته أو التامل فيه .

نأتي الآن الى الخصائص الدلالية للوحدة اللغوية « in » والتي يصعب تحديد ما يتضمنه مجموعها الكلّي وذلك بسبب درجة تغيرها العالية .

أما الكتاب المنهجي الذي اقتطفنا منه الفِقرة الخاصة بمحتويات المعجم (مفردات اللغة) فان مؤلفيهِ يقبلانِ بوجود الفروقات التقليدية بين المعنى الحرفي Literal Meaning والمعنى غير الحرفي Non- Literal Meaning ويؤكدان على ان المعنى يجب أن يُوصف في اطار من مستلزماته الخاصة . وعلى أية حال ، يدخل هذا المنهج ضمن الاطار العام لافتراضات وأمْثلات نظرية وعاء المعنى الذي تمت مناقشته في الفصل الرابع من هذا الكتاب . فهو يفترض امكانية أن يُعَدُّ معنى جملة معينة في اللغة كمجموعة من الاقتراحات التي تقوم الجملة نفسها باظهارها ، وان

مهمة علم الدلالة (١٥٠ : ١٩٧٩ ، سمث و ولسن) هي بيان مستلزمات نوع معين من الجمل اللغوية ، وهي الجملة الخبرية البسيطة . وتُعرَّف مستلزمات الجمل اللغوية على انها تلك الاقتراحات التي يمكن استنباطها من جملة خبرية معينة بمعزل عن أي سياق لغوي ، ففي المثال « That is a horse » (ذلك حصان) يستلزم « That is an animal » (ذلك حيوان) و « I bought a horse » (اشتريت حصاناً) يستلزم « I bought an animal » (اشتريت حيواناً) وهكذا دواليك[1]. واستناداً الى هذا الرأي الخاص بمعنى الجملة ، فان معنى كلمة معينة يُعَدُّ مساهمة يمكن أو يجب أن نقدمها لمستلزمات الجملة التي ترد فيها[2] . ان أهمية الوحدات اللغوية المتغيرة مثل « in » تكمن في كونها لا تسبِّب مشكلة عملية لمثل تلك الآراء والمناهج فحسب بل انها تسبِّب كذلك مشكلة تتعلق بالمبادىء التي تستند اليها تلك الآراء .

وبما ان مساهمة الوحدات اللغوية المتغيرة في معنى جملة معينة تنشأ نتيجة تفاعلها مع وحدات لغوية اخرى في المجموعة فان خصائصها الدلالية لا يمكن حصرها في قائمة من الاحتياجات المحدَّدة مسبَّقاً في مدخل معجمي . ولهذا فان الوحدات اللغوية المتغيرة مثل « in » يمكن أن تكون مبعثاً للارتياب في جدوى محاولات ايضاح المعرفة اللغوية من خلال اعطاء « المجموع الكلِّي » للخصائص النحوية والدلالية والصوتية الوظيفية لكل مفردة لغوية . ويرى أحد الآراء البديلة التي تُجاري نظرية انبثاق المعنى بأن الوحدات اللغوية ذات أنواع مختلفة وان بعض تلك الانواع قادرة على أن تحدد الصيغة النهائية للعبارات التي تَرِد فيها وبشكل أفضل بكثير مما تفعل غيرها من الانواع .

وعموماً ، يمكننا القول بأن مدى تحديد الصيغة النهائية لتفسير تعبير لغوي معين يرتبط بدرجة تغير الوحدة اللغوية التي تحدد تلك الصيغة النهائية ، وعلى هذا الاساس فان الوحدة اللغوية « your husband » في السياق اللغوي « Is your husband in » يمكن أن تُعَدَّ وحدة لغوية مثبتة « Fixing » or « Anchoring » Unit يُفهم على أساسها ما تبقى من التعبير وتعمل هذه الوحدة اللغوية بهذه الدرجة من الاقتدار لتمكين فاهم اللغة من الوصول الى « المعلومات » المحدَّدة أو المعمَّمة .

وهكذا ، تُعَدُّ الوحدة اللغوية « in » وحدة غير مثبِّتة لانها لا تمكن فاهم اللغة من الوصول مباشرة الى المعلومات ، بل ان تفسيرها ينشأ نتيجة عدد من العوامل :

١ ـ معالجة الوحدة اللغوية المثبِّتة حيث تتضمن هذه المعالجة أيضاً تحديد

العلاقات بين الوحدات اللغوية .

٢ - توقعات متفهم اللغة ومدى تحققها .

وفي الحالة التي نحن بصدد مناقشتها ، سيكون لفاهم اللغة ، اثناء ذهابه الى الباب ، توقعات لما سيكون عليه اسلوب الحديث في هذه الظروف . وفي ظروف أعقد من هذه ، تنشأ التوقعات من طبيعة الحديث الذي يكون قد جرى بالفعل .

يتسم التمييز بين الوحدات اللغوية المثبّتة والوحدات اللغوية غير المثبّتة بكونه قاطعاً .

لقد تناولنا فيما مضى حالات تبدو واضحة جداً مثل : « husband » و « in » ، إلا ان هناك من الحالات ما يُعتبر أكثر تعقيداً حيث يصعب فيها إنساب الوحدات اللغوية للفصائل النحوية بصورة أكيدة ، ومع ذلك ، فاننا نعد مثل هذا التمييز من الامور التي تستحق البحث وذلك كجزء من محاولة للتحرر من القيد الذهني الذي فرضته فصائل النحو التقليدي والعلاقات والنظريات المعجمية في المعنى .

بعد أن بيّنا مشكلتنا في اطار المعالجة الموضوعية نجد لزاماً علينا أن نحدد الوحدات اللغوية المهمة في فهم عمل اللغة . ان الأهمية الخاصة للتمييز بين الوحدات المثبّتة Anchoring Units والوحدات غير المثبّتة Non- Anchoring Units تكمن في القاء الضوء على طبيعة الخزين المعرفي أو قاعدة المعلومات التي يلجأ اليها مستخدم اللغة لفهم اللغة . ولتوضيح الرؤية نستعيد تعبيراً مجازياً استخدمناه في موضع سابق من هذا الكتاب حيث افترضنا بأن النماذج الصوتية الوظيفية المكونة للمادة المدخَلة يمكن أن تهتدي الى طريقها داخل الدماغ من خلال تعقب الآثار المطبوعة فيه كنتائج للخبرات . ولو استخدمنا هذا التعبير المجازي مرة اخرى لقلنا انه في حالة الوحدات اللغوية المثبّتة يمكن أن يكون التعقب مباشراً وذلك لأن الدماغ يقوم بخزن معلومات حقيقية مرتبطة بنماذجها الصوتية . أما في حالة الوحدات اللغوية غير المثبتة فان الأثر غير واضح ولا يمكن أن يُصبح واضحاً إلا بعد اجراء سلسلة معقدة من التفاعلات التي يحدث البعض منها بين الوحدات المثبّتة والوحدات غير المثبّتة ، وان بعضها الآخر مرتبط بحالة متفهم اللغة وتوقعاته وحالة بيئته بشكل عام . من الصعب جداً مناقشة هذه العوامل بتحديد أكبر وبخاصة تلك التي تتعلق بالمعالجة اللغوية ، ومع ذلك ، فهي مهمة جداً في تفسير الوحدات اللغوية غير المثبّتة ، تلك الوحدات التي اذا ما عددناها جزءاً من اللغة يتسم بالمرونة الكبيرة وتُصبح هذه العوامل من المسائل التي لا غنى عنها مطلقاً اثناء

عمل اللغة . افترض اننا عدنا الى المثال « Is your husband in ? » وقمنا بتغيير بيئة التعبير وبالتالي توقعات فاهم اللغة ، عندها ، نتوقع أن يؤثر ذلك على تفسير الوحدة اللغوية المثبّتة « Your husband » بدرجة أقل من تاثيره على الوحدة اللغوية غير المثبتة « in » . فاذا كانت السيدة تشاهد مباراة بالكريكت(*) A cricket match ، مثلًا ، وكان زوجها يلعب في تلك المباراة فسُئلت « Is your husband in ? » حينها ستتمكن هذه السيدة من خلال الوحدة اللغوية المثبّتة « your husband » ، مرة اخرى ، من تحديد شخص بعينه منغمس في تلك اللحظة بنشاط معين .

ان تفسير الوحدة اللغوية « in » بـ « batting » (يلعب الكريكت) نشأ نتيجة تفاعل هذه المعلومة مع المحاور والتوقعات التي تفرزها البيئة . فاذا غيرنا الوحدة اللغوية المثبّتة وأصبح المثال : « Is your application in ? » (هـــل طلبك موجود عندنا) فان تفسير الوحدة اللغوية غير المثبّتة « in » قد يكون مختلفاً ، مرة اخرى ، فقد يرتبط بـ :

١ ـ المعلومة التي تقوم بايصالها الوحدة اللغوية « your application » والتي تمكّن فاهم اللغة من تحديد نوع طلب « application » معين في مرحلة معينة من التقديم .
٢ ـ المعلومة المعمّمة عن الطلبات « applications » والغرض منها .
٣ ـ شخص السائل ومركزه وعلاقته بالطلب وهكذا . ان التفسير الناتج لن يشتمل بالضرورة على أي تشابه ، قابل لان يُدرك بسهولة ، مع تفسير الوحدة اللغوية « in » في تعبير آخر ذي وحدات لغوية مثبتة مختلفة .

أما ملاحظتنا الاخيرة في موضوع التمييز بين الوحدات اللغوية المثبّتة والوحدات اللغوية غير المثبّتة ممكنة الاستبدال ، في بعض الظروف ، بوحدات لغوية اخرى غير مثبّتة ، ففي المثال الذي تسأل فيه سيدة تفتح الباب : « Is your husband in ? » يمكن استبدال الوحدة اللغوية غير المثبّتة « in » بوحدات لغوية اخرى مثل « around » (التي تعني : حول ، في مكان قريب ، هنا وهناك ... الخ) و « about » (التي تعني : حول ، حوالي ، نحو ، تقريباً ، هنا وهناك ، في مواطن عدة ، على مقربة ، في الجوار ... الخ) و « there » (التي تعني : هنا : الى

(*) لعبة من العاب الكرة والمضرب .

هناك ... الخ) و « here » (التي تعني : هنا ، الآن ... الخ) و « out » (التي تعني : خارجاً ، الى الخارج ، بعيداً عن العمل أو المنزل ... الخ) ، ومع ذلك ، فان « in » لا تُعَدُّ مرادفة للمفردتين اللغويتين « out » و « about » . وبعبارة اخرى ان « in » تشترك مع وحدات لغوية اخرى في أنواع معينة من الوظائف بحيث يمكن أن يتشابه المعنى المنبثق عن « in » مع المعنى المنبثق عن عدد من الوحدات اللغوية الاخرى في حالة وجودها مع وحدات لغوية مثبّتة معينة وفي مواقع معينة .

ومن جهة اخرى ، يمكن استبدال الوحدة اللغوية « in » في حالة مباراة الكريكت بوحدة لغوية مثبّتة هي « batting » وقد يُقال عن مستخدم اللغة الذي يلجأ الى هذا الخيار بأنه أكثر وضوحاً من ذلك الذي يختار وحدة لغوية غير مثبّتة . هنا يمكن تعريف فكرة (الوضوح) بأنها استخدام عدد من الوحدات اللغوية المثبّتة أكثر مما هو ضروري بالنسبة للمتحاورين .

ركّزنا خلال تناولنا لموضوع التمييز بين الوحدات اللغوية المثبّتة والوحدات اللغوية غير المثبّتة على التفاعل بين أنواع مختلفة من الوحدات اللغوية التي تَرِد ضمن تعبير لغوي واحد . وقبل أن ننتهي من هذا المثال نَودُّ أن نطرح تساؤلًا آخر وهو : كيف يستطيع متفهم اللغة أن يتعرف على حقيقة ان ما يُطرح عليه هو سؤال وليس أية صيغة اخرى من التعابير اللغوية ؟

سيُجمع الكل ، بالطبع ، على ان لمستخدمي اللغة اساليب عديدة في صياغة الاسئلة ، فقد يستخدمون أدوات استفهامية Question Words أو يستخدمون التصاريف Inflexions أو قد يلجأون الى اجراء ترتيب محدَّد للمفردات في اللغة Word Order أو اجراء نمط معين من التنغيم Intonation pattern . ومن الواضح هنا ان المثال الذي نحن بصدد الحديث عنه هو نوع من الاسئلة التي يُجاب عنها عادة بنعم أو لا . وتتميز هذه الاسئلة في اللغة الانكليزية ، بشكل عام ، من خلال وجود فعل مساعد يقع في بداية الجملة مثل :

هل تريد أن تذهب ؟	Do you want to go ?
هل إنصرف ؟	Has he gone ?
هل سيصل في الوقت المحدد ؟	Will he arrive on time

وهكذا ، ففي هذه الحالة بالذات يكون فعل الجملة الرئيس فعل كينونة « be » ويُوضع في بداية الجملة . كذلك يستخدم متكلم اللغة الانكليزية طريقة اخرى في طرح الاسئلة وذلك من خلال ترتيب عناصر الجملة بنفس طريقة ترتيب عناصر الجملة

الخبرية ولكن باستخدام نمط تنغيم مرتفع A rising Intonation pattern ، وعليه يستطيع الطارق أن يقول في هذه الحالة : « Your hasband is in ? » (بتنغيم مرتفع) إلا ان هذا غير اعتيادي في الواقع . ولا يمكن استبدال احدى هاتين الطريقتين بالاخرى في طرح الاسئلة دون احداث فروقات ، فنحن نشعر من خلال حدسنا اللغوي بأن الطريقة الاولى أكثر اعتيادية وطبيعية من الثانية برغم ان الموقف هو الذي يكون غير اعتيادي في المثال الذي تناولناه باعتبار ان السؤال المطروح هو فاتحة الحديث بين المتحاورين دون أن يكون هناك تمهيد مسبّق بينهما . فلو ان السؤال قد تم طرحه في مرحلة لاحقة من الحوار لكان أكثر اعتيادية وأكثر انسجاماً مع الطبيعة اللغوية . إلا ان التحقق من صحة هذا الافتراض يتطلب بحثاً عملياً معمّقاً . ان الأمر الذي لا يُعَدُّ غير اعتيادي هو افتتاح الحديث بسؤال يخلو كلياً أو على الغالب من فعل الربط copula : « Your husband in ? » (بتنغيم مرتفع) .

مرة اخرى ، نَودُّ أن نقول بأن التقييدات الموجودة والتي تحد من استخدام هذه الصيغة في طرح الاسئلة لا يمكن تحديدها إلا من خلال البحث العلمي المركز .

أن المسألة المهمة الاولى التي نَودُّ طرحها في ضوء هذه الملاحظات هي ان طرح الاسئلة أمر معقد للغاية إذ ان مجرد استعراض الصيغ المحتملة (وهو ما يقوم به النحو التقليدي على الدوام وما يستمر على عمله وممارسته چومسكي[٣] ، بشكل أكثر تعقيداً بكثير) ما هو إلا عمل تصنيفي لا يُمكّننا حتى من مس سطح المشكلة التي نحن بصدد مناقشتها . ان القضية التي نريد أن نطرحها على بساط البحث هي : ان اللغات تتميز بشكل مؤكد بمنظومتها الخاصة في ترتيب الكلمات و / أو قواعد التنغيم التي يوظفها مستخدمو اللغة في طرح الاسئلة واعطاء المعلومات واصدار الاوامر وغير ذلك. ولكن ، هل يعني هذا بأن مستخدمي اللغة يدركون ان سؤالاً يطرح عليهم أو ان معلومات تُعطى لهم نتيجة معرفتهم بطرائق معينة في ترتيب الكلمات أو ترتيب انماط معينة من التنغيم ؟ بعبارة اخرى ، اذا كنا نبحث عن تفسير للمعالجات الداخلة في فهم اللغة فما هو حجم الاهمية التي يجب أن نوليها للملاحظة القائلة بأن اللغات تُعطي صيغاً مميزة ترتبط في عدد من الحالات بوظائف معينة ؟ ففي حالة المثال موضوع البحث المتعلق بامرأة متزوجة تفتح الباب لطارق مجهول يسال :

« Is your husband in ? » ، علينا أن لا نُعطي أهمية تُذكر لدور البنية النحوية ، ولا يرجع السبب في ذلك الى كون التعبير اللغوي بسيطاً جداً ، بل بسبب الوحدات

اللغوية المعطاة من أجل المعالجة العقلية ، ولأن الطارق مجهول لا يحتمل ، في ظروف طبيعية ، أن يخبرها بأن زوجها في الداخل ، كلها ترجّح ، الى حد بعيد ، طرح السؤال . عندها يمكن القول بأنها (أي المرأة) تتوقع بأن التعبير اللغوي « Is your husband in ? » الذي تنبأت في أن يكون سؤالًا ، مرتبطاً بنموذج اصطلاحي لغوي معين .

ان التساؤل التالي يتضمن فرقاً دقيقاً : هل انك تستطيع تمييز السؤال من خلال وجود ترتيب معين للكلمات أو نمط معين من التنغيم يؤكدان توقعاتك ؟ من الممكن القول ، لمتابعة هذه المسألة بشكل مفيد ، بأنه يجب التمييز بين نظام ترتيب الكلمات Word Order والتنغيم Intonation بدقة وعناية فائقة . فقد يكون للملامح الصوتية العَروضية Prosodic Features دور في المعالجة اللغوية ليس لأنظمة ترتيب الكلمات في اللغات مثله . ونحن إذ نؤكد على هذه القضية انما نريد أن نضع لا أن نجيب على اسئلة حول الأهمية النسبية للنحو Syntax وعلم الصوت الوظيفي Phonology .

ومن الواضح بأن من الممكن وصف جوانب اللغة في ضوء أنماط البنية Structure patterns اللغوية المرتبطة بالعلامات الصرفية Morphological Markings مختلفة الأنواع أو بترتيب الكلمات أو بكليهما . ان السؤال الذي نَودُّ اثارته يتلخص فيما يأتي : ما هو المدى الذي يمكن أن يذهب اليه مستخدمو اللغة في تفسيرهم هذه العلامات الصرفية والأنظمة الاخرى لكي يتم معالجتها بنجاح ؟ وما مدى ارتباط هذه العلامات والأنظمة الاخرى بالتوقعات الناتجة عن عوامل اضافية ؟

والآن نَودُّ أن نعود لمسألة تقويم الانواع المختلفة من المعلومات في سياق مناقشة المثال الآتي :

لو أخذنا حالة امرأة انتقلت لتعيش في منطقة جديدة حيث تقابل للمرة الأولى احدى جاراتها التي تسألها : « Does your son go to school yet ? » (هل بلغ ولدك سن الذهاب الى المدرسة الآن) ، يبدو هذا التعبير اللغوي الذي يشتمل على السؤال جاداً مرة وتافهاً مرة ومعقداً جداً مرة اخرى . بما ان تقاليد أمْثَلة اللغة تفترض بأن المشاركين في الحديث يديرون حواراً اعتيادياً فان المسألة المهمة الاولى التي نريد طرحها هي احتمالية وجود فرق في المعالجة اللغوية تتقرر بحسب نوعية الاجابة على السؤال أي فيما اذا كانت ايجابية أم سلبية . على انه في الحالتين ، كما في المثال السابق ، ستمكّن الوحدة اللغوية (your son) فاهم اللغة

من تحديد شخص معين ، إلا ان تفسير الوحدة اللغوية (go to school) سيكون مختلفاً ، حيث سيكون وجه الاختلاف كامناً في نوعية المعلومات التي تم التوصل اليها ، أي ان كانت محدَّدة أم معمَّمة . فاذا افترضنا بأن الجواب كان ، « كلا » ففي مثل هذه الحالة ، سوف لا تمكِّن سلسلة أصوات الوحدة اللغوية (go to school) متفهمة اللغة من الحصول إلّا على معلومات معمَّمة وذلك لعدم وجود سياق لغوي محدَّد مثل : (son + school + going) في تجارب فاهمة اللغة بشكل عام . ولهذا فان المعالجة العقلية في هذه الحالة ستتضمن الحصول على نوعين مختلفين من المعلومات في الوقت نفسه : أي معلومات محدَّدة واخرى معمَّمة . أما اذا كان الجواب « نعم » فان معالجة الوحدة اللغوية (your son) والوحدة اللغوية (go to school) ستضمنان توصل فاهمة اللغة الى معلومات متعلقة بنشاطات الذهاب الى المدرسة التي يقوم بها شخص معين ، أي ان المعلومات ستكون محدَّدة فقط . وعلى أية حال فان الذهاب الى المدرسة ليس نشاطاً موحداً سهل التعريف الامر الذي يعقِّد أية معلومات يتم التوصل اليها عن طريق الوحدة اللغوية (go to school) سواء أكانت تلك المعلومات معمَّمة أم محدَّدة ، فالذهاب الى المدرسة يشتمل على أوجه عديدة بحيث انها تختلف من شخص الى آخر الى الحد الذي يصعب بحث هذه الاختلافات الفردية عملياً إذ من غير الملائم أن نأتي بأشخاص ونطلب منهم أن يسجلوا ما يفهمونه من الذهاب الى المدرسة (school going) ، أو ما الذي يرتبط عندهم بالوحدة اللغوية (go to school) . أما الأفضل من ذلك فهو أن نستنبط تجارب يُظهر المشاركون فيها دلائل على ما يفهمونه دون جعلهم يصفون ما يفهمونه بأنفسهم وهم واعون لما هو مطلوب منهم . ونتوقع في مثل هذه التجارب أن تكون الاختلافات الفردية الاكثر بروزاً في الحالات التي يتضمن الفهم فيها التوصل الى معلومات معمَّمة بدلًا من الحالات التي يتم التوصل فيها الى معلومات محددة . وحتى لو سألنا طفلًا معيناً يذهب في العادة الى مدرسة معينة فان المعلومات المحدَّدة الداخلة ضمن عملية الفهم ستكون نوعاً من التلخيص لتجربة معينة في الذهاب الى المدرسة رغم كونها متعددة الأوجه ، وعليه فان الأمر المهم الأول الذي يمكن أن نستنتجه من هذه الملاحظات هو ان المعلومات المحدَّدة التي نقوم بخزنها ، نحن متفهمي اللغة ، ونستخدمها كثيراً في معاملاتنا اليومية هي بدورها ذات أنواع مختلفة وقد ناقشنا حتى الآن نوعين مهمين منها وهما : المعلومات التي تمكّن فاهم اللغة من اختيار شخص معين والمعلومات المتعلقة بنشاط معين رغم انه غير

موحَّد . ونَودُّ أن نؤكد مرة اخرى على ان التقسيمات التي نضعها هنا هي ليست جزءاً من نظرية لغوية جديدة ولكنها يمكن أن تعتبر جزءاً من محاولة لمناقشة الوحدات اللغوية وتفاعلاتها بما يرتبط بفهم عملية المعالجة اللغوية . لاحظ بأننا افترضنا لأغراض المعالجة اللغوية ، بأن السياق اللغوي (go + to + school) يشكل وحدة لغوية واحدة وهو افتراض يحتاج الى دعم وتعزيز كبيرين . كما ان هذا الافتراض يعكس محاولة للابتعاد عن نظرية وعاء المعنى الجامدة حول اللغة التي تضع تحت تصرف مستخدمي اللغة قاموساً عقلياً Mental Dictionary يقوم بخزن مفردات اللغة مع قوائم محدَّدة سلفاً تشتمل على خصائص تلك المفردات اللغوية . أما المسألة المهمة الاخرى التي نَودُّ تثبيتها فيما يتعلق بهذا المثال فهي اننا نتعامل مرة اخرى مع سؤال . ان الصيغة النحوية للتعبير اللغوي تنطبق على سؤال يمكن أن يُجاب عليه بنعم أو لا Yes - No question . ان السؤال هو الاحتمال الحقيقي الوحيد ، في الظروف الطبيعية ، لهذا التعبير اللغوي الذي تكوّنه الوحدات اللغوية (your son) و (go to school) . إذ لا يُعقل أن يقوم غريب باخبار شخص ما عن نشاطات ابنه (ابن الشخص) المتعلقة بالذهاب الى المدرسة ، فضلًا عن ان الوحدة اللغوية « yet » في هذا النوع من الجمل بالذات تُعَدُّ علامة سؤال . ولهذا يمكن ربط اربعة عوامل وهي : النحو والتنغيم وعلامة السؤال والتوقعات ، مع حقيقة ان سؤالًا يُطرح . ان هذا العدد من العوامل والاضافات يجعل من الصعب تقويم الأهمية النسبية للعوامل المتنوعة . كما ان هذه العوامل جميعاً تُعَدُّ ثانوية في عملية التوصل الى المعلومات الناتجة عن معالجة الوحدتين اللغويتين : (your son) و (go to school) . افترض على أية حال بأننا حذفنا الوحدة اللغوية « yet » وبقي لدينا التعبير :

Does your son go to school ?

هل يذهب ولدك الى المدرسة ؟

بالبنية نفسها وبنمط التنغيم نفسه والظروف والتوقعات نفسها ، عندئذ سيبدو التركيب وكأن الفرق ضئيل جداً بالنسبة لتفسير التعبير كسؤال مما يدفعنا الى التقليل من أهمية وجود « yet » كعلامة سؤال . افترض كذلك بأننا قمنا بتغيير البنية النحوية ، وذلك عن طريق حذف الفعل المساعد من بداية التعبير ليكون « your son go to school (yet) ? » مع المحافظة على نمط التنغيم المرتفع نفسه والظروف والتوقعات نفسها ، وهو ليس بصيغة غريبة للسؤال حيث يمكن تعديله الى : « your

« son goes to school ? مع المحافظة على نفس التنغيم . أما لو كان حاضراً لكان قد أومأ الرجل باتجاهه وقال : « Go / goes to school ? » بتنغيم مرتفع ، سيفهم ذلك بسهولة مما يعني بأن علينا أن نقلّل من أهمية بنية التعبير Structure of Utterance . والآن لنفترض بأن اللغة الانكليزية هي ليست اللغة الأم للجار الذي يقوم بتوجيه السؤال وانه قال : « your son go to school ? » بتنغيم منخفض Falling Intonation . ان اساءة فهم التعبير على انه جملة خبرية أو غير ذلك يترك تحديده لما ستسفر عنه البحوث العلمية التجريبية . اننا نعتقد بأن التوقعات الناشئة عن مجموعة الوحدات اللغوية والظروف والعلاقة بين المتحاورين ستطغى على نمط التنغيم حيث ستفسر هوية التعبير اللغوي على انه سؤال على الدوام . إلا ان ذلك لا يعني بأية حال من الاحوال التقليل من أهمية موضوع التنغيم ، بشكل عام ، بل ان المعلومات التي يتم الحصول عليها عن طريق الوحدات اللغوية المكوِّنة للتعبير فضلًا عن الظروف الاخرى ، تكفي في بعض الأحيان لتجاوز التفسير الذي ينسجم مع نمط التنغيم المستخَدم بالفعل .

اننا نعدّ مسألة التقويم النسبي قضية مهمة جداً بالنسبة لعلماء اللغة لكي يقوموا ببحثها بأنفسهم . فهي مجال يمكن البحث فيه بالطرائق العملية حيث نامل أن تمكننا هذه الطرائق من التوصل الى جوهر الخاصية التفاعلية في استخدام اللغة .

ثمة مثالان آخران نَودُّ التطرق اليهما بايجاز في هذا الفصل من الكتاب الحالي يتعلقان بحقيقة ان قاعدة المعلومات Information base الخاصة بمستخدمي اللغة قابلة للتحور وبشكل مستمر بطريقة تجعل من الصعب جداً وضع روابط متينة بين صيغة التعبير اللغوي والطريقة التي يُعالج بها . إذ بامكان الشخص نفسه أن يقوم بمعالجة التعبير نفسه (أي المجموعة ذاتها من الوحدات اللغوية) بطريقة مختلفة من يوم لآخر ، بل من دقيقة لاخرى . خذ مثلًا حالة شخص ينظر من حوله الى السيارات وفي نيته أن يشتري في الآخِر إحدى هذه السيارات . تامل طريقة معالجته للتعبير اللغوي :

« I hear you've got a new car »

تناهى الى سمعي بأنكم تمتلكون سيارة جديدة

ان احدى المسائل المهمة التي يثيرها هذا المثال هي : هل ان هناك امكانية لأن تقوم الوحدة اللغوية « a new car » بقيادة فاهم اللغة الى معلومات ذات صفة

تعميمية حول السيارات أو معلومات محدَّدة تمكِّنه من تحديد سيارة معينة بالذات (ولكن ليست سيارته الجديدة) ، سيارة نظر اليها مثلًا لكنه لم يقرر بعد ان كان سيشتريها أم لا ؟ والقضية الغامضة الاخرى هي : اذا ما وجهت لفاهم اللغة نفس الملاحظة في مناسبة اخرى فهل سيصل الى معلومات متعلقة بآخِر سيارة قد رآها ؟ أو اذا كان قد توقف فعلًا للنظر الى السيارات فهل ستكون المعلومات التي سيصل اليها معمَّمة أكثر منها محدَّدة ؟ أما اذا كان قد اشترى سيارة بالفعل فان عاملًا آخر هو التغير « Variation » سيدخل في تحديد المعنى المنبثق Emergent Meaning من الوحدة اللغوية « got » يتعلق بتاريخ الحصول عليها . ان الوحدة اللغوية « got » تُعَدُّ ، على العموم ، وحدة لغوية غير مثبَّتة حيث تتغير في هذه المجموعة تبعاً لواقع متفهم اللغة . فاذا كان قد اشترى سيارة حديثاً فان مجموعة الظروف هذه ربما ستقوده الى تفسير الوحدة اللغوية « got » على انها أتت بمعنى « acquire » (يحصل على) ، أما اذا كان قد اشترى السيارة منذ مدة فانه سيميل الى تفسير الوحدة اللغوية « got » على انها أتت لتعني « possess » (يمتلك) .

أخيراً ، افترض بأن التعبير قد كان كما ياتي :

I hear Fred's got a new car .

لقد سمعت بأن فزيد يمتلك سيارة جديدة .

عندها ستتضمن المعالجة الاولية (إذ لم يكن فاهم اللغة يعرف بما فعله فزيد Fred) التوصل الى مجموعتين من المعلومات : معلومات محدَّدة (شخص معيَّن : فزيد « Fred ») ومعلومات معمَّمة تتعلق بالتملك وبالسيارات الجديدة . ولنفترض بأن فزيد « Fred » يمتلك سيارة جديدة حقاً فان فاهم اللغة ، إذا ما تمت اثارته وتحفيزه ، سيتذكر حالة فزيد « Fred » بشكل كافٍ ليُعيد معالجة التعبير اللغوي سواء تم تكراره على مسامعه أم لا ، ثم انه سيصل الى معلومات محدَّدة هذه المرة تتعلق بفزيد « Fred » وسيارته . ان هذه المعالجة ذات المرحلتين ليست بالمسألة غير الشائعة في الأدب اللغوي ، حيث انها تتضمن عاملًا آخر يجب أخذه بنظر الاعتبار عند بحث العلاقة بين اللغة وبين قواعد المعلومات والمعطيات العامة العائدة لمستخدمي اللغة . وسيكون لمثل هذا البحث علاقة بعمل تم انجازه في اطار علم النفس يتعلق بتصنيف الأنواع المختلفة من الذاكرة Memory ، مع هذا ، لا توجد ،حتى الآن ، أية علاقة واضحة بين هذا العمل وبين الفهم المفصل لمعالجة اللغة . ومن أجل التوسع في تحليل مشكلة التغيرية Variability وتضخيم آثارها في

موضوع المعالجة اللغوية ، نَودُّ أن ننظر من جديد في مشكلة تقليدية في علم اللغة ألا وهي مشكلة تفسير الاشكال المختلفة للأفعال ولتكن نظرتنا هذه المرة من خلال مبادىء نظرية انبثاق المعنى .

لاحظ علماء النحو ، وبشكل تقليدي ، بأن الأفعال في اللغة تأتي بأشكال مختلفة حيث حاولوا أن يصنفوا تلك الاشكال ويربطوها بمعانٍ معينة ، ففي لغة كاللغة الانكليزية ، يتم ، بشكل مألوف ، وضع حالة من التفريق الأولي بين زمن الفعل « Tense » ووجهة حدث الفعل « Aspect » . ومن الشائع كذلك أن يتم تصنيف زمن الفعل في اللغة الى ماضٍ « Past » ومضارع « Present » ومستقبل « Future » أما وجهة حدث الفعل فانها تُصنف الى تام « *Perfect* » وغير تام « *Imperfect* » ومستمر « Progressive » وغير مستمر Non - Progressive ... الخ . أما الصعوبة في مثل هذه التصنيفات فهي انها لا تنشأ ، في الحقيقة ، من توضيح كيفية التفريق بين الأفعال بشكل عام وانما تتأتى من خلال إسباغ المعاني على الاشكال المتنوعة للأفعال . وقد حاول بيرنارد كومري Bernard Comrie ، في سبيل المثال ، في كتابه الموسوم بـ « وجهة حدث الفعل » (Aspect) « أن يفعل هذا من خلال وضع تمييز دلالي صارم بين زمن الفعل وبين وجهة حدثه ، حيث قال بأن زمن الفعل هو في الحقيقة فصيلة تشخيصية *Deictic Category* تعيِّن الحالات في الـزمن ـ ماض أو مضارع أو مستقبل ـ في حين تكون وجهة حدث الفعل معيَّنة بـالتكـويـن الـزمني الـداخلـي « Internal Temporal Constituency » لحالة ما » ، (٥ : ١٩٧٦ ، كومري) . ان الصعوبة في محاولة تمييز زمن الفعل ووجهة حدثه تكمن في امكانية ايجاد روابط ثابتة بين الاشكال Forms والمعاني Meanings . إذ ليس من المحتمل ايجاد بعض من هذه الروابط ان بقي مدى الافعال ضيقاً . وكحالة معروفة ، في سبيل المثال ، ان المضارع التام present prefect في التركيب اللغوي التالي :

Max has painted the gate .

فرغ ماكس من صبغ البوابة الخارجية .

يشير في الغالب الى صِلة مستمرة Current Relevance على عكس ما يُشير اليه الماضي البسيط Simple past ، في العادة ، كما هو واضح في المثال الآتي :
صبغ ماكس الجدار . Max painted the wall

وليس من الصعب ، بالطبع ، أن نجد جملًا في اللغة لا تنطبق عليها فكرة الصِلة

المستمرة ، فالجملة :

Max got up at 6 a.m. in his time .

(استيقظ ماكس في الساعة السادسة صباحاً في وقته) .

تضع النشاطات التي يقوم بها ماكس في الزمن الماضي بشكل قاطع . يبدو ان أصل المشكلة يرجع الى قضية مفادها ان تفسير شكل فعل معين لا يعتمد بالدرجة الأساس على الفعل نفسه ، بل يعتمد ، في الغالب ، على الفعل وعلى الوحدات اللغوية الاخرى المصاحِبة له وكذلك على تجارب وتوقعات مستخدم اللغة في كل حالة بشكل منفرد . ان الاهتمام المحدود بالفروقات النحوية التقليدية Traditional Grammatical Distnctions في مجال توفير القاعدة الأساسية المطلوبة لربط الاشكال اللغوية بالمعاني يُصبح واضحاً ، بشكل خاص ، عندما يتم أخذ الوحدات اللغوية المتغيرة بنظر الاعتبار . فالوحدة اللغوية « have » تُعدُّ وحدة لغوية ذات درجة عالية جداً من التغير كما هو واضح من خلال التراكيب اللغوية الآتية :

1) Alice has a bicycle

تمتلك أليس دراجة هوائية .

2) Alice is having a bicycle .

ستحصل أليس على دراجة هوائية .

ان الفرق الوحيد بين هذين المثالين اللغويين ، كما يمكن أن يُقال بشكل تقليدي ، يكمن في وجهة حدث الفعل Aspect . فالفعل في المثال الأول غير مستمر أما في المثال الثاني فانه مستمر . ان الاختلاف في شكل الوحدة اللغوية « have » والمجسد في المثالين المُشار اليهما في أعلاه لا يرتبط مباشرة باختلاف « التكوين الزمني الداخلي » فبدلًا من ذلك ، ان الشكل « has » يمكن أن يحتمل التسبب في ظهور معنى واحد وهو « possess » بمصاحبة المفردتين اللغويتين « Alice » و « Bicycle » . أما الشكل الثاني « is having » وبمصاحبته للوحدات نفسها فمن المحتمل أن يتسبب في ظهور معنى مختلف وهو « acquire » ، اضافة الى ان « is having » كشكل لغوي مرتبط على العموم في هذا التركيب بالزمن الذي يدل على المستقبل . على أية حال ، لا يمكن اطلاق أحكام عامة من خلال هذه الحالة وافتراض ان الاشكال المختلفة للوحدة اللغوية « have » ترتبط على نحو ثابت بهذا المعنى والزمن بشكل خاص .

أما اذا تأملنا المثالين اللغويين الآتيين :

3) Alice has a problem .

تعاني أليس من مشكلة .

2) Alice is having a problem .

تعاني أليس الآن من مشكلة .

فلا يمكن الخروج بفرق واضح في المعنى وليس للوحدة اللغوية « is having » في المثال الثاني أية علاقة بالمستقبل ، على اننا لو عدنا الى المثالين الاصليين ووضعناهما في سياق لغوي مناسب بدل معاملتهما ككيانين مستقلين ، اذن لتاثر تفسير الربط بين الشكل والمعنى الذي استنتجناه في حينه . لنفترض بأننا وضعنا هذين المثالين اللغويين في سياق حوار بين أب وأم يقومان بتسجيل قائمة بهدايا عيد الميلاد التي اشترياها لأطفالهما :

(Max has football boots) Alice has a bicycle .

ستحصل أليس على دراجة هوائية . سيحصل ماكس على أحذية للعبة كرة القدم .

(Max is having football boots) Alice is having a bicycle .

ستحصل أليس على دراجة هوائية . سيحصل ماكس على أحذية للعبة كرة القدم .

ففي هذا السياق اللغوي ، لم يعد هناك فرق واضح يمكن ملاحظته سواء في المعنى أو في وقت حدوث الفعل . إذ يمكن تفسير الشكلين اللغويين على انهما قد اتيا بمعنى « is to acquire » (سيحصل على) . ان لدى متفهم اللغة في هذه الحالة ، وهو أحد الأبوين ، وحدتين لغويتين مثبتتين وهما : « Alice » (شخص معين) و « bicycle » (شيء معين ذو مواصفات خاصة تم ابتياعه لغرض معين) . وتستطيع هاتان الوحدتان اللغويتان مع التوقعات التي تنشأ عنهما ، عند معالجتهما معاً ، أن تمحوا أية معلومات عن وجهة حدث الفعل قد يرغب نحوي تقليدي أن يثبت عن طريقها بأن الفعل مضارع . وهذا لا يعني ، بالطبع ، بأن الشكل اللغوي لا يمكن تحديده ، بل انما يعني عدم امكانية تبسيط وصف مظاهر اللغة الخارجية عند محاولة توضيح عملها بالفعل لأن التصنيفات القائمة على الشكل تكون صارمة جداً . ان التعريف والتحديد التقليديين للشكل لا يستطيعان مثلًا اعطاء السبب الذي يجعل التركيب اللغوي Alice is having a bicycle يدل على الزمن المستقبل ويجعل التركيب اللغوي Alice is having a problrm يدل على الزمن الحاضر. يجب بالأحرى ، أن نضع هذه المسألة في سياق أوسع لنرى كيف يمكن للمعنى ، في أية حالة لغوية ، أن ينشأ لدى متفهم اللغة من خلال مجموعة وحدات لغوية . وفي

حالتنا هذه نستطيع القول بأن « Alice + bicycle » و « Alice + problem » هي وحدات لغوية مثبّتة ، ومن أجل أن يفهم مستخدم اللغة التركيب « Alice + have + bicycle » فانه يجب عليه ، والحالة هذه ، أن يصل الى منطقة معينة في خزين المعلومات تختلف تماماً عن تلك التي يصل اليها لكي يفهم التركيب اللغوي « Alice + have + problem » .

وبعبارة اخرى فان « having bicycles » (امتلاك وحيازة الدراجات الهوائية) و « having problems » (المعاناة من المشاكل) هما جانبان يمثلان منطقتين مختلفتين تماماً في اطار تجارب مستخدمي اللغة كأفراد ، حيث سينعكس هذا الفرق على تفسير الوحدة اللغوية المتغيرة « have » في الحالتين . بينما في التركيب اللغوي « Alice is having a bicycle » يكون المعنى الناتج « is to acquire » منسجماً مع ما يعرفه مستخدمو اللغة عن العلاقة بين الاشخاص والاشياء التي يكون من السهل الحصول عليها أما في التركيب اللغوي « Alice is having a problem » فان احتواء المعنى على الزمن المستقبل يكون أقل احتمالًا ، فالمشاكل سواء أكانت حالات states أو تجارب Experiences لا يُخطط لها ، في العادة ، بشكل مسبّق ، لذلك فان الوحدة اللغوية المثبّتة في الحالة الثابتة « problem » ستؤدي بالمعنى الناشىء عن المضارع المستمر للفعل « have » لأن يكون (تجربة + الوقت الحاضر) « experience + present time » .

لم نُظهر خلال مناقشتنا لهذه الامثلة سوى جزء من الصعوبات التي تصاحب محاولة ربط شكل الفعل بمعنى معين[4]. والنتيجة التي يمكن أن نخرج بها هنا هي : اذا كان ثمة روابط ثابتة بين أشكال الفعل ومعانيه فان هذه الروابط لا يمكن استنباطها بمعزل عن اللغة قيد الاستخدام بل يجب أن تكون متجاوبة مع طبيعة الجانب المحدُد من الخبرة الذي يتوصل اليه مجمل التعبير اللغوي الذي يتضمن شكلًا معيناً للفعل . سنستخدم في اطار محاولتنا لمعرفة شكل مثل هذه الروابط الثابتة ، المثال « Alice is having a bicycle / problem » حيث سنقترح بأن لا يمكن لمستخدمي اللغة أن يتوقعوا ربط صيغ BE (PRES) + ING بالمستقبل إلّا حينما يكون جانب الخبرة الذي تم التوصل اليه خلال عملية الفهم من النوع الذي يمكن السيطرة عليه أو انه يتضمن نية مسبّقة . لهذا فان الحصول على الدراجة الهوائية في حالة المثال « Alice is having a bicycle » يقع تحت سيطرة شخص معين ، إذ يتوجب على شخص معين أن ينوي جعل « أليس » تحصل على دراجة هوائية . أما

في حالة « Alice is having a problem » فلن نجد ، بالطبع ، مثل هذه السيطرة أو النية .

ان ما قلناه في الأسطر السابقة يتماشى مع الملاحظة القائلة بأنه اذا كان السؤال :

« What is Max doing tomorrow ? »

ماذا سيفعل ماكس غداً ؟

فان من الاجوبة عنه ما يمكن أن يكون :

يقص العشب . cutting the grass

يُعطي محاضرة . Giving a lecture

لذلك ، ستكون جوانب معينة من التجربة تحت سيطرة ماكس ولهذا فستكون الاجوبة مطابقة ، بشكل أكبر ، لمعظم وجهات نظر متفهمي اللغة حول واقع مترابط منطقياً ولا يتوقع أن تكون الاجوبة مشابهة لما ياتي :

تنهار اعصابه أو صحته . Going to pieces

يستاء أو يمتعض . Taking offence

التي تصل الى جوانب من الخبرة لا تسمح بربط النية المسبّقة بالمستقبل برغم وجود المقترح للربط الثابت بين الشكل والمعنى .

لناخذ مثالًا آخر من نوع « is having » مع وحدة لغوية مثبّتة مختلفة كما في التركيب الآتي :

« Alice is having big eyes »

لأليس عينان كبيرتان .

فلو تعاملنا مع هذه الجملة بمعزل عن السياق اللغوي الذي وردت فيه لاعتبرها العديد من علماء اللغة جملة خاطئة وذلك لأن ما يُدعى بالملكية غير القابلة للتحويل الى شخص آخر لا تنسجم مع الحالة المستمرة التي جاء بها الفعل . ولكن لو افترضنا بأن هذه الجملة قد كُتبت في سياق تمثيل ايمائي أو مسرحي مثلًا ، عند ذلك ستكون مجموعة الوحدات اللغوية « Alice + have + big eyes » مفهومة بوضوح . فالوحدة اللغوية « big eyes » ستتمكن من قيادة متفهم اللغة الى منطقة محدّدة جداً في خزين معلوماته . وهكذا فان العينين اللتين يفترض باليس أن تقوم بفتحهما باتساع في تمثيل صامت زائداً المعلومات المحدّدة التي يتم الوصول اليها من خلال الوحدة اللغوية « Alice » كلها ستسمح وبسهولة باضافة صيغة المستقبل « is to

« acquire » الى معنى الوحدة اللغوية « have » ، وضمن السياق نفسه ، ستسمح الوحدات اللغوية « Alice + have + big eyes » بأن تُفسر على ان شخصاً ما ، ربما « أليس » نفسها ، ينوي جعل « أليس » تمتلك عينين كبيرتين مما يُعطي دليلًا آخر يُدعم وجهة نظرنا حول صيغة الربط الثابت بين شكل الفعل ومعناه ومدى استجابته لواقع مستخدم اللغة . أخيراً ، نعود الى الامثلة التي ورد فيها اسم ماكس « Max » ونفترض بأن اجوبة السؤال : What is Max doing tomorrow ?

ماذا سيفعل ماكس غداً ؟

ستكون كالآتي :

تنهار أعصابه أو صحته . Going to pieces

يستاء أو يمتعض . Taking offence

هنا ، علينا أن نُشير ، أولًا ، الى ان معنى الاستقبال في الصيغة BE (PRES) + ING قد فُرض على الجملة من خلال الوحدة اللغوية « tomorrow » (غداً) .

لو افترضنا نجاح فكرتنا المقتَرحة حول الربط الثابت بين الشكل والمعنى وأصبح مستخدمو اللغة يربطون تفسير صيغة المستقبل بالفعاليات التي تشتمل على النية المسبَّقة لكان عليهم اذن أن يقولوا بوجود النية المسبَّقة لدى ماكس (Max) . بعبارة اخرى ، عليهم أن يستنتجوا بأن ماكس ينوي وضع نفسه في حالات لا يسيطر عليها شخص معين ولو عرفنا سياق هذه العبارات لأدركنا سهولة ذلك ومدى الحالة الذهنية المقصودة فيها .

لقد كان غرض القسم الأخير من الفصل الحالي من الكتاب اضافة بُعدٍ آخر لفكرة المعنى المنبثق من خلال مناقشة بعض المشكلات المصاحِبة لأية محاولة منظمة لربط اشكال الفعل بمعانٍ معينة ربطاً مباشراً .

وقد تناولنا بايجاز بعض الأمثلة التي تضمنت حالة المضارع المستمر present progressive .

وقد توصلنا ، في كل الحالات التي تناولناها ، الى ان تفاعل جانب الخبرة التي يتم الوصول اليها عن طريق وحدات التعبير مع خبرات اخرى ومع توقعات فاهم اللغة يلعب دوراً حاسماً في تفسير اشكال الفعل ويسبب فصل اللغة عن مستخدميها وتركيز الانتباه على تلك الاختلافات الدلالية وتطبيقها على قواعد اللغة بصيغ نحوية وصرفية اضطر علماء اللغة الى وضع تصنيفات غير واضحة وغير مُفضية عن ماهيات وكينونات اللغة اثناء استخدامها الفعلي .

الاســـــــتنتاجات

CONCLUSION

لقد عدنا في هذا القسم من الكتاب ، على وفق آراء نورثروب ، الى المرحلة الاولى من البحث ، أي مرحلة تحليل المشكلة . ان أحد الاسباب التي دفعتنا لذلك هو البدء بعملية رسم معالم ميدان جديد للبحث في علم اللغة النظري . لقد أصبحنا مقتنعين الآن بأن تحليلات النحو التقليدي التي ضمّن چومسكي جزءاً كبيراً منها في نظريته الثورية في النحو مضلِّلة وذلك بسبب تركيزها على الخصائص الشكلية ، التي تتسم بسهولة التحديد ، وافراغ الفروقات الدلالية في قوالب نحوية . ونحن ، في محاولتنا لفهم عمل اللغة ، لا نُغالي في اجراء عمليات الأمثَلة بحيث نبتعد عن مستخدمي اللغة ، بل على العكس ، اننا نقترب من تحليلنا حول ميدان البحث حين نقوم بدراسة كيفية تنظيم قواعد المعلومات الخاصة بمستخدمي اللغة والعوامل التي يجب الانتباه اليها لفهم ستراتيجياتهم التفسيرية وقد وضعنا ، في سياق تحليلنا ، بعض الافتراضات الاساسية وقمنا بتطوير عدد من افكار العمل . وأهم تلك الافتراضات ، الافتراض القائل بأنه لا يجوز عد المعنى خاصية متأصلة في المفردات اللغوية بل هو في الحقيقة خاصية ناشئة عن العبارات اللغوية . وقد أطلقنا على ذلك تسمية نظرية انبثاق المعنى .

وأكثر الأفكار ارتباطاً بنظرية انبثاق المعنى هي فكرة التغييرية Variability في الوحدات اللغوية وقد قلنا أثناء عرضنا لهذه الفكرة انه برغم وجود العديد من وحدات اللغة المتغيرة إلا ان هذه الوحدات لا تتغير بشكل مماثل بل يتم ذلك بدرجات متفاوتة . وقد افترضنا امكانية توظيف هذا التفاوت في التغير اثناء عملية معالجة اللغة . وقد استخدمنا عند بحثنا في دلالات التغير افكاراً وظواهر اخرى مثل : الوحدات اللغوية المثبَّتة والوحدات اللغوية غير المثبَّتة ، وتأثيرات الخصائص التنغيمية للغة والعبارات المألوفة وتلك غير المألوفة . وبدأنا ، من خلال المناقشة الموجزة لمفهومي السيطرة Control والنية Intention ، في موضوعي حساسية مفهومي الانتظام والتناسق في فهم مستخدم اللغة للواقع المعيش . إلا اننا ما زلنا نستخدم افكار العمل المؤقتة هذه وذلك لانها تمثل نقلة نوعية في مغادرة ميدان التحليلات اللغوية التقليدية في محاولة فهم تأثير مستخدم اللغة على عمل اللغة بشكل اجمالي . كما انها تقترح طرائق يمكن من خلالها معالجة التساؤلات الجديدة

التي برزت مؤخراً والتي أهمها :

١ ـ كيف يحدث لأشخاص مختلفين ، لا يعرفون مباشرة ، عمليات التحليل Analysing processes وعمليات التركيب Synthesizing processes التي تجري في أدمغة بعضهم بعض وهم مقيدون ضمن حدود خزين معلوماتهم الشخصي ، أن يكونوا قادرين في العديد من المواقف على فهم بعضهم البعض الآخر بدرجات متفاوتة ؟

٢ ـ ما هي العلاقة بين الخبرة المتراكمة والمصنَّفة لشخص ما « Individual's Accumulated and Categorized Experience » وخزينه المعرفي أو قاعدة معطياته ومعلوماته « Data Base » or « knowledge Store » من جهة وبين اللغة التي تمكنه من الوصول الى قاعدة المعلومات تلك من جهة اخرى ؟

٣ ـ كيف يحدث لمجموعةالكلمات نفسها التي ترِد في ائتلافات وتراكيب لغويةمختلفةأن تكون قادرة على تمكين شخص معين من التوصل الى معلومات متعلقة بجوانب معينة من الخبرة تختلف عن بعضها البعض اختلافاً شديداً ؟

٤ ـ كيف يحدث لمجموعة الكلمات نفسها أن تكون قادرة على تمكين شخص معين من التوصل الى انواع مختلفة من المعلومات في مواقف مختلفة ؟ ان هذه التساؤلات ليست اعادة لصياغة الاسئلة القديمة حول العلاقة بين اللغة وبين الواقع المعيش ، تلك الأسئلة التي ظلت تبدو ، وبشكل ثابت تقريباً ، على انها تفترض واقعاً موضوعياً « Objective Reality » ينسجم ويتطابق مع موضوعات مفردات اللغة وتراكيبها الى حدٍ ما .

انها اسئلة مختلفة ومحيرة جداً تختص بالعلاقة. بين ما يعرفه شخص معين وما يستطيع أن يتذكره وبين الكلمات التي تكوّن المجاميع اللغوية التي تمكّنه من اختيار جانب معين من بين الكم المعقد والهائل من الخبرات والمعارف المتراكمة ، وهو الجانب الذي يتعلق بتلك الكلمات . سوف لا تكون هذه العلاقة مستعصية على الفهم لو كان بالامكان ايجاد علاقة نظامية ثابتة بين كلمات معينة واقسام من خزين معارف شخص معين ، لكن شيئاً من هذا غير موجود حتى الآن كما أوضحنا ذلك في سياق مناقشتنا للأمثلة البسيطة التي سقناها آنفاً . ان اجوبة الاسئلة التي طرحناها شديدة الغموض . والأكثر من ذلك ، هو ما يُقال ضدنا من اننا جعلنا البحث فيها أكثر صعوبة إن لم يكن مستحيلًا ، وذلك باصرارنا على مدى اعتماد ومعالجة

اللغة على حالة الواقع كما خبره وفهمه مستخدمو اللغة . بل قد يبدو اننا بطرحنا هذا يمكن أن نكون مغرقين بالانانة(*) Solipsism . دفعاً لهذه التهمة نقول اننا ، وفي سياق محاولتنا لالقاء بعض من الضوء على أسرار اللغة اثناء عملها ، افترضنا بأن في الوقت الذي تعتمد فيه معالجة وحدة لغوية أو مجموعة وحدات لغوية على حالة شخص معين ، فان مثل هذه المعالجة ستبقى تعمل وفقاً لمبادىء عامة ، هذه المبادىء ، هي التي نأمل بأن يتم وصف خصائصها بشكل دقيق وعلمي . على أية حال ، نحن نعتقد بأن لن يكون بالامكان وضع تفسيرات هذه المبادىء في نظرية تُصاغ بشكل استنتاجي ، بل ستكون مثل هذه النظرية غائبة مئة بالمئة . اننا نتوقع أن يتم الالتجاء لأغراض واعتقادات ومعارف وتوقعات مستخدمي اللغة لتكون عناصر حيوية تُعتمد بشكل حاسم في تفسير الطريقة التي تعمل بموجبها اللغة قيد الاستخدام .

ولتطوير تفسيرات وافية من هذا النوع ، نتوقع انقضاء فترة طويلة من الدراسات الاساسية والثانوية كمرحلة اولى في البحث يتبعها اختبار موثوق به ودقيق ومثابر للأفكار والفرضيات والنظريات وذلك خلال مرحلة التأريخ الطبيعي الموسَّعة . هناك بعض من الأسباب التي تدعونا لان نأمل ، في اطار كهذا ، من البحث والتحقيق العلميين ، بأن يقوم علماء اللغة الآن بتطوير تفسيرات معمَّقة وواضحة للعمليات اللغوية التي تتم في جانبها العملي الحقيقي .

(*) نظرية تقول بأن لا وجود لاي شيء غير الأنا . (المورد) .

هوامش المؤلفين

١ - يتضح من الكتاب بان المؤلفين مدركان تماماً للتقييد الخطير الذي تضعه نظرية في المعنى من خلال ادراج مبسّط لمستلزمات الجمل في اللغة .

٢ - بما ان المؤلفين يميلان (كما يقولان نفسيهما) الى أن يكونا متحفظين بشأن درجة المعرفة اللغوية التي يجب أن تُعطى لمدخل دلالي ، فقد وضعا افتراضاً مفزعاً مفاده بأن « العلاقة الدلالية بين (حصان) و (حيوان) هي العلاقة الوحيدة المتاحة في المدخل المعجمي لمادة (حصان) » ، (١٦٧ : ١٩٧٩ ، سمث و ولسن) .

٣ - اضطر جومسكي الى اقتباس نوع المعلومات التي يقدمها النحو التقليدي فضلًا عن ذلك ، كتب قائلًا : « ... ان المعلومات ... بلا جدال ، صحيحة مبدئياً وأساسية لاي تفسير يتعلق بكيفية استخدام اللغة واكتسابها ، إلا ان المسألة الاساسية التي أوَدُّ تثبيتها هي : كيف يمكن تقديم معلومات من هذا النوع باسلوب شكلي في وصف بنيوي Structural Description وكيف يمكن توليد مثل هذه الاوصاف البنيوية من خلال نظام من القوانين والقواعد الصريحة » ، (٦٤ : ١٩٦٥ ، جومسكي) .

٤ - ليس من الصعب ، كما يعلم بذلك علماء اللغة ، مضاعفة عدد الامثلة التي يمكن أن تُفند قضية الربط المزعوم بين أشكال الافعال ومعانيها . فالفعل « hear » (الذي يعني : يسمع ، يعلم من طريق السماع ، يُصغي ، يشهد حفلة أو صلاة ... الخ) ، على سبيل المثال يوصف دائماً بانه « فعل خبري » Stative Verb أي انه يُشير ، بعكس الفعل « Listen » (الذي يعني : يُصغي ، يُنصت) ، الى حالة وليس الى نشاط ، كما انه أقل تغيراً من الفعل « have » . ويُقال ان من صفات ومميزات الافعال الخبرية انها لا تاتي في صيغة الاستمرار Progressiv Form ، أي ان التركيب اللغوي « Max was listening to the music » (يُصغي ماكس الى الموسيقى) يُعَدُّ جملة مقبولة في اللغة الانكليزية ، أما التركيب « Max was hearing the music » فلا يُعَدُّ جملة مقبولة في اللغة الانكليزية .

يقول كومري Comrie بأن :

« ... الافعال عادة ما تميل الى الانقسام الى فئتين منفصلتين (غير متداخلتين) . تضم الفئة الاولى منها الافعال التي يمكن أن تاتي بصيغة الاستمرار وتضم الفئة الثانية الافعال التي لا يمكن أن تاتي بتلك الصيغة . فضلًا عن ذلك ، فان هذا التمييز يقودنا الى ضرورة وجود تمييز آخر بين الأفعال الخبرية Stative Verbs والافعال غير الخبرية Non - stative Verbs ، وعليه نستطيع أن نعرّف الاستمرارية بشكل عام ، على انها مزيج من المعنى المستمر Progressive Meaning والمعنى غير الخبري Non - Stative Meaning . من الطبيعي ، اذن ، أن لا تحتوي الأفعال الخبرية على صيغ مستمرة ما دام الأمر يتضمن

تناقضاً داخلياً Internal Contradiction بين خبرية الفعل Stativity of the Verb ولا خبريته Non - stativity of the Verb التي تشكل أساساً جوهرياً للفعل في صيغة الاستمرار » ، (٣٥ : ١٩٧٦ ، كومري) .

ان الادعاء القائل بان الافعال الخبرية لا تشتمل على صيغ مستمرة ينسجم مع الافتراض الذي ينص على ضرورة وجود ربط مباشر بين الشكل والمعنى . ولكن ليس من الصعب كما يعلم كومري بذلك جيداً ، ايجاد حالات ياتي فيها الفعل « hear » بصيغة الاستمرار كما هو واضح في المثال التالي :

« The Judge is hearing the witnesses »

يستمع القاضي الى اقوال الشهود .

فلو قيلت هذه الجملة في سياق لغوي مناسب فسوف لا ينظر فاهم اللغة الى قضية وقوع الفعل « hear » في صيغة الاستمرار على انه أمر غير اعتيادي ، بل انه لن يلاحظ حتى امكانية تفسير الجملة بعدة طرائق . فلو كان فاهم اللغة محامياً يخاطبه محام آخر فيفهم الجملة على انها ملاحظة حول قوة السمع لدى القاضي (والتي لا بد وأن يكون قد فشل في فهم هذه الملاحظة بشكل ملائم وصحيح) ما دام لا يتوقع ان زميله ينقل له ما يدور في قاعة المحكمة فقط . أما لو كان فاهم اللغة شخصاً لم يدخل قط قاعة محكمة من قبل وكان يتلقى معلومات في العمل القانوني فستقوده توقعاته الى تفسير الجملة على انها ملاحظة حول الاجراءات القانونية ، بعبارة اخرى ، ستؤدي الوحدتان اللغويتان المثبّتتان « Judge » (حاكم) و « Witness » (شاهد) وتوقعات متفهم اللغة الى تفسير مختلف في كل حالة يمكن الوصول اليها بسهولة كبيرة .

خاتمـــة الكتـــــاب

EPILOGUE

لقد بدا هذا الكتاب محاولة لفهم السبب الذي أدى الى أن يكون علم اللغة النظري Theoretical Linguistics حقلًا علمياً دراسياً منقسماً على نفسه . فبالرغم من تقنيات هذا العلم المبتكرة والمتقدمة جداً إلا انه لم يتمكن من أن يتعمق في قضية الكيفية التي يتم بها عمل اللغة ولم يستطع كشف أسرارها إلا قليلًا .

لقد انتهى هذا الكتاب ، بتقديم اعادة تحليل لكل ميدان علم اللغة النظري ، بحيث لم يَعَدْ يُنظر بعد ذلك الى اللغة بوصفها نظاماً تاماً بذاته وانما أصبحت تُعَدُّ نظاماً مقيّداً بالواقع المعيش وكما يدركه مستخدمو اللغة منفردين .

لقد أصبحنا مقتنعين ، ومنذ البداية تقريباً ، بـــأن العامل الرئيس الذي أدى الى حالة التشظي والانقسام الحاصلة الآن في حقل علم اللغة النظري كان المدى الذي ابتعد فيه هذا العلم عن اللغة باعتبارها مادة البحث والتقصي فيه . لقد قمنا بتتبع أكثر الجذور آنية ومباشرة لهذا الابتعاد وبحثنا في الاصول والدوافع التي أدت الى ظهور نظرية جومسكي في النحو Chomsky's Theory of Grammar التي تُدعى في بعض الأحيان ، وبشكل مضلِّل ، بنظرية جومسكي في اللغة Chomsky's Theory of Language .

اذا ما أردنا أن نكشف عمّا تتمخض عنه أهمية التغيرات والتعديلات والتصفيات اللاحقة ونبحث في السبب الذي دعا جومسكي لأن يسير بعلم اللغة النظري بالاتجاه الذي يسير وفقه الآن فيبدو من الجوهري والضروري جداً أن نرجع الى الوراء ، الى المراحل الأولى جداً والبدايات المبكرة لانطلاق نظريته . لذلك بدأنا مع صِلات جومسكي بأسلافه وهم وصفيّو أمريكا الشمالية . لقد أوضحنا بأن هذه الصِلات ، وبالأخص صِلاته مع هاريس Harris التي قادته للبحث عن اساس نظري أكثر ثباتاً وقوة لعملهم الذي كان يدور حول قواعد البنية التكوينية Constituent Structure Grammars ، وكنتيجة لذلك العمل أدخل جومسكي ، الى علم اللغة ، نوعاً جديداً من النظريات التوضيحية التعليلية : أي النظرية المصوغة بشكل استنتاجي . بعد ذلك ، قمنا باستكشاف بعض التاثيرات التي أحدثها ادخال المنهج الاستنتاجي الافتراضي Hypothetico - Deductive Approach الى علم اللغة . لقد تطرقنا كذلك الى مسألة غاية في الأهمية وقلنا بأن بينما يمكن للنظرية المصوغة بشكل استنتاجي أن تكون ملائمة ودقيقة في التعبير عن الموضوعات اللغوية المفهومة

بشكل جيد والمحدَّدة بدقة حيث يمكن لهذه الموضوعات أن تُحال بسهولة ويُسر الى نظام تدويني شكلي Formal Notation إلا ان اللغة لا يمكن أن تُعدَّ ظاهرة يمكن حدها بهذا الشكل ما لم يتم احالتها الى ظل شاحب يعبّر عن كينونتها .

ان محاولة التعسف على اللغة من أجل أن تأخذ قالباً يتطلبه المنهج المصوغ بشكل استنتاجي منطقي Deductively - Formulated Approach أدت الى اجبار جومسكي لأن يلتفت ، بل ويركز بشكل مبالَغ فيه ، على موضوع توزيع الصيغ Distribution of Forms في البنية اللغوية وأن لا يُعطي مثل هذا التركيز والانتباه الى قضية المعنى في اللغة .

لقد فُرِضت هذه الحالة على جومسكي وذلك بسبب ان الصيغ وتوزيعاتها في البنى اللغوية قد تم تطويعها وتكييفها لأن تقبل التشكيل النظري للنوع المطلوب بطريقة لا يقبلها المعنى الذي يكتنفه غموض مزعوم وعدم القدرة على التحديد بشكل دقيق .

لقد توصلنا الى استنتاج مفاده ان متطلبات منهج نظري معين ، ضمن الاطار العام لعلم اللغة ، يمكن توفيرها واجازتها أكثر بكثير من ان لو يوفرها ويجيز تهيأتها موضوع ذلك المنهج ومادته ، حيث تؤدي هذه العملية الى تهذيب وتنظيم ميدان البحث العلمي في اللغة . اننا نظن ان هناك بعض الدروس والعِبَر التي يمكن الاستفادة منها في هذا السياق فيما يتعلق بالعلوم الانسانية والاجتماعية Human and Social Sciences غير علم اللغة . مع هذا ، هناك جذور أكثر عمقاً للأسباب التي أدت الى هذا التباعد بين علم اللغة وبين اللغة التي لا يمكن أن تظهر بوضوح من خلال تحليل الاصول والدوافع التي ظهرت بموجبها نظرية جومسكي في اللغة . ان هذه الجذور مخزونة بل ومتراكمة في الاعتقاد الذي ظل شائعاً وسائداً طيلة القرن الحالي ذلك الاعتقاد الذي يركز على امكانية أن تتم دراسة اللغة باعتبارها تشكل نظاماً قائماً بذاته . يبدو هذا الاعتقاد وكأنه يشكل مقولة بديهية لا سبيل الى انكارها على الأقل منذ عهد سوسير *Saussure* وميليه *Meillet* اللذين اعتقدا بأن أفضل طريقة لدراسة اللغة ومعالجتها تأتي من خلال اعتبارها كياناً مستقلاً عن مستخدمي اللغة كأفراد . لقد انعكس هذا الفهم في الدراسات اللغوية حول المعنى في الفرضية التي تقول بأننا يمكن أن نتعامل مع الجمل في اللغة وكأنها تحتوي على المعنى في ذاتها وانها تستطيع أن تقوم بنقله الى السامع وان المفردات في اللغة تشتمل على المعنى أو تحمل دلالاته .

ان المجازات البلاغية في حقلي الاحتواء Containment ونظام النقل Transport تنطوي كما أشرنا الى ذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب ، على دراسات وافرة بل ما يقارب كل الدراسات الممكنة عن موضوع المعنى .

اننا مقتنعون بأن نظرية وعاء المعنى كان لها تأثير مغرٍ ومغوٍ في كل من علم اللغة والفلسفة على حد سواء . فاذا ما أبعدنا أنفسنا ، بشكل أكيد ، عن هذه النظرية فاننا بعملنا هذا ، سوف نضع اللغة في منظور مختلف . لقد بدأنا مع الفرضية التي تقول بأن اللغة مقيَّدة ، بشكل لا خلاص منه ، بمستخدميها وتجاربهم وتوقعاتهم وادراكهم للواقع الذي يحيون في اطاره العام .

لذلك فان اللغة ، وعلى وفق هذا الفهم ، تُعدّ ظاهرة مصاحِبة Epiphenomenon للتجارب المتراكمة والتعميمات المستقرأة لمستخدميها . من خلال هذا المنظور ، لا يمكن للغة ، بحد ذاتها ، أن تعمل أي شيء ، فبدلًا من أن يستثمر متكلمو اللغة ، عند قيامهم بانتاج الجمل اللغوية ، مخزوناتهم من المعلومات والتجارب المتراكمة والمعرفة والتعميمات المستقرأة ، فان الجمل والعبارات التي يقومون بتوليدها سوف تتسبب ، لدى متفهمي اللغة من خلال تفسير هذه الجمل والعبارات ، في الحصول على طريقة يتم من خلالها التوصل الى مراكز مخزوناتهم من المعطيات والمعلومات التي من الممكن أن تكون مختلفة ، الى حدٍ ما ، عما يمتلكونه من معلومات .

لقد تم اقتيادنا الى حدس Conjecture ، أكثر تحدياً ، مفاده ان المعنى لا يمكن أن يكون شيئاً متاصلًا في العبارات والجمل اللغوية وانه لا يعدو في الحقيقة أن يكون شيئاً منبثقاً عنهما .

لقد توصلنا الى هذا بسبب دراستنا للغة باعتبارها ظاهرة مصاحِبة لمستخدميها . فمن وجهة نظر منهج الظاهرة المصاحِبة في دراسة المعنى في اللغة ، لا يُعد المعنى خاصية متاصلة Inherent Property في اللغة وانما يُعَدُّ ، في الواقع ، خاصية منبثقة Emergent Property عنها ، فبينما لا يمكن لهذا المنهج أن يحل مشكلة الكيفية التي تعمل اللغة بموجبها فانه من جهة اخرى يقوم بتحويل التركيز والانتباه عن هذه المشكلة .

ان الذي نحتاجه الآن ، لان يتميز ويتم وصفه بدقة ، هو العلاقة التي تجمع بين اللغة وبين التجربة المتراكمة والتعميمات المستقرأة لمستخدمي اللغة ، أي مخزوناتهم من المعطيات والمعلومات ذات الصلة .

ان منهجنا الأول والمؤقت في تمييز ووصف هذه العلاقة قد قادنا لأن نركز

انتباهنا ، بشكل خاص ، على ما ندعوه بالوحدات اللغوية المتغيرة Variable Linguistic Units ، تلك الوحدات التي لا يمكن لمعانيها أن تُميز ويتم وصفها بسهولة ويُسر وبشكل مستقل عن ورودها في مجموعات مع وحدات لغوية اخرى . ان قيمة الوحدات اللغوية المتغيرة في نظرية انبثاق المعنى تتلخص في ان هذه الوحدات هي التي تمنح اللغة المرونة التي تمكنها من أن يستخدمها عدد لا يُحصى من الافراد الذين يعكسون ويعلقون على عدد لا يُعَدُّ من التجارب وأنواع من الحدس ذات مداليل جديدة لم يتم التطرق اليها من قبل . لقد ناقشنا وحدات لغوية بدرجات مختلفة من المتغيرية وافترضنا بأن اختلافات كهذه يمكن استثمارها في انتاج اللغة وفي معالجتها . اذن ، ان الخط العام في البحث الذي افتتحته نظرية انبثاق المعنى يتركز حول الكيفية التي يمكن بها لدرجات مختلفة من المتغيرية أن تتفاعل أثناء الاستخدام اللغوي .

ومن المشاكل الاكثر خصوصية ما يُعرف بالوزن النسبي للأشكال المتنوعة للمعرفة التي يمكن أن تلعب دوراً في ظهور درجات من الفهم اللغوي . اننا مهتمون ، بشكل خاص ، بالآثار التي تُحدثها الوحدات اللغوية المتغيرة لفهم الخزين العقلي من المعطيات والمعلومات لدى متكلم اللغة واستراتيجيات المعالجة اللغوية التي يشتمل عليها نظامه العقلي .

تُعَدُّ مجمل الافكار التي تم طرحها في القسم الثاني من هذا الكتاب ذات صبغة مؤقتة حيث انها تؤلف جزءاً من مرحلة « تحليل المشكلة » Analysis of the Problem أثناء عملية البحث العلمي ، مع هذا ، فاننا نعتقد بأن المتغيرية ما هي إلّا مفهوم رئيس في فهم كيفية عمل اللغة . ان الفرضية القائلة بأن اللغة ، أثناء استخدامها ، تعتمد على التفاعل الحاصل بين وحدات لغوية تشتمل على درجات مختلفة من المتغيرية هي التي تحتاج ، مع هذا ، لان تُستكشف بشكل تفصيلي أكبر .

اننا لا نرغب في أن نأتي بادعاءات ومزاعم حول نظرية التغاير في اللغة Variability Theory of Language أو حول نظرية انبثاق المعنى ، وانما كل الذي أردنا التعليق عليه ودراسته هو مفهوم المتغيرية بالاضافة الى دراسة مفهوم الانبثاق في اللغة . فبينما تُعد الآراء والافكار اشياء سابقة لنشوء النظريات وتكوينها ، فان هذا يقودنا الى تفهم ان هذه الآراء والأفكار غير متطابقة تماماً مع النظريات . ففي مجال علم اللغة ، في سبيل المثال ، هناك الكثير من المزاعم والادعاءات المبالغ في جرأتها التي وضعت ، من قبل ، لعدد كبير جداً من النظريات المتسرعة والتي تتسم

بكونها غير مدروسة بشكل جيد ، فاذا ما أردنا أن نحول تلك الآراء والأفكار الى نظريات فاننا نعتقد بأن علماء اللغة سيكونون بحاجة الى استخدام طرائق مختلفة تماماً في بحوثهم اللغوية من تلك التي طبعت كثيراً من الاعمال التي جرت في حقل علم اللغة النظري لفترة ربع القرن الماضي من الزمن .

واذا ما اتبعنا نورثروب Northrop فاننا سنميل الى الرأي القائل بأن من السابق لأوانه ، بالتاكيد ، وان من غير المستحسن كذلك محاولة تطبيق النظرية المصوغة بشكل استنتاجي منطقي في مسألة ابتكار منظومات قوانين توليدية Generative Rule Systems أو قواعد Grammars لوصف جوانب محدَّدة لمعرفة لغوية مشكوك فيها .

ان توضيحات وتعليلات محدَّدة ، إلا انها ، في ذات الوقت ، مقنعة للكيفيات التي تعمل بموجبها اللغة يُحتمل جداً انبثاقها عن المنهج الذي يقوم على أساس التعامل مع المشكلة اثناء البحث اللغوي الذي يدرس مسائل معينة في موضوعات اكتساب اللغة واستخدامها وعلاقة كل منهما بأغراض واعتقادات وتوقعات وتجارب مستخدمي اللغة .

لقد توقعنا اذن بأن التوضيح في علم اللغة سيكون غائياً Teleological بدلًا من أن يكون استنتاجياً Deductive في شكله الخاص . ان أحد هذه التغيرات في شكل التوضيح المعتَمد في البحث اللغوي يمكن ، دون ريب ، أن يقود الى عدم عدّ علم اللغة قادراً على مقارنة نفسه مع العلوم الطبيعية Physical Sciences الاكثر تطوراً وثباتاً . مع هذا ، يمكن لهذا الوضع أن ينهي الابتعاد الكبير لعلم اللغة عن اللغة بوصفها مادة بحثه ويسمح للحقل اللغوي ولو بشكل بطيء أن يبدأ بالاقتراب من الحقول العلمية الاخرى ذات الصِلة بدراسة اللغة اثناء استخدامها الفعلي .

ثبت بمراجع الكتاب

(مصادر النص الاصلي)

References

Abbreviations (مختصرات)

RIL : Readings in Linguistics , ed. M. Joos , New York : American Council of Learend Societies , 1957 .

SL : The Structure of Language , eds J. A. Fodor and J. Katz , Englewood Cliffs , N. J. : prentice - Hall , 1964 .
(page references in the text refer to these Collections)

Black , M. 1970 , Comment on « problems of Explanation in Linguistics » , by N. Chomsky in the Behavioural Sciences , eds R. Borger . and F. Cioffi .

Bloch , B. 1949 , « Leonard Bloomfield » , Language : 25 : 92 – 4 .

Bloch , B. and Trager , G. L. 1942 , Outline of Linuistic Analysis , Baltimore : Linguistic Society of America .

Bloomfield , L. 1914 , An Introduction to the Study of Language , London : G. Bell .

Bloomfield , L. 1924 , Modern Language Journal , 8 .

Bloomfield , L. 1926 , «A Set of Postulates for the Study of Language » Language : 2 : 153 – 64 .

Bloomfield , L. 1939 , « Linguistic Aspects of Science » in International Encyclopedia of Unified Science , ed . O. Neurath , University of Chicago Press .

Bolinger , D. 1965 , « The Atomization of Meaning » Language : 41 : 555 – 573 .

Borger , R. and Cioffi , F. 1970 , eds , Explanation in the Behavioural Sciences , Cambridge University Press .

Bransford , J. D. and Johnson , M. K. 1972 , « Contextual prerequisites for Understanding » Journal of Verbl Learning and Verbal Behaviour , 11 : 717 – 26 .

Carnap , R. 1937 , The Logical Syntax of Language , London : Rontledge and Kegan Paul .

Chomsky , N. 1955 , « Semantic considerations in Grammar » , Monograph No. 8 , Georgetown , Monograph Series .

Chomsky , N. 1957 , Syntactic Structures , The Hague : Mouton .

Chomsky , N. 1962 , « Explanatory Models in Linguistics » , in Logic , Methodology , and philosophy of science , eds E. Nagel , P. Suppes and A. Tarski , Stanford University Press .

Chomsky , N. 1964 a , « Current Issues in Linguistic Theory » Sl , 50 – 118 .

Chomsky , N. 1964 b , « A Review of B. F. Skinner's Verbal Behavior » SL , 547 - 78 , first appeared : Language . 1959 , 35 : 26 – 58 .

Chomsky , N. 1964 c , « The Logical Basis of Linguistic Theory » , in proceedings of the Ninth International Congress of Linguists , ed . H. G. Lunt , The Hague : Mouton .

Chomsky , N. 1965 , Aspects of the Theory of Syntax , Cambridge Mass : Mit Press .

Chomsky , N. 1966 , Cartesian Linguistics , New York : Harper and Row .

Chomsky , N. 1967 , « Recent Contributions to the Theory of Innate Ideas » , Synthese , 17 : 2 – 11 .

Chomsky , N. 1969 , « Comments on Harman's Reply » , in Language and philosophy , ed . S. Hook , New York University Press .

Chomsky , N. 1970 , « Problems of Explanation in Linguistics » , in Explanation in the Behavioral Sciences , eds R. Borger and F. Cioffi .

Chomsky , N. 1971 , « Deep Structure , Surface Structure and Semantic Interpertation » , in Semantics , eds D. D Steinberg and L. A. Jakobovits , Cambridge University Press .

Chomsky , N. 1972 , Language and Mind (enlarged edition) , New York : Harcourt Brace .

Chomsky , N. 1975 , The Logical Structure of Linguistic Theory , New York : plenum .

Chomsky , N. 1976 , reflections on Language , London : Temple Smith .

Chomsky , N. 1979 , Language and Responsiblility , Hassocks , Sussex : Harvester .

Chomsky , N. and Hampshire , S. 1968 , « Discussion : The Study of Language » , Listener , 30 May , London : BBC .

Church , A. 1956 , Introduction to Mathematical Logic , princeton N. J. : Princeton University Press .

Collingwood , R. G. 1940 , An Essay on Metaphysics , London : Oxford University Press .

Comrie : B. 1976 , Aspect , Camridge University Press .

Fries , C. C. 1952 , The Structure of English , New York : Harcourt Brace and World .

Goody , J. and Watt , I. 1972 , « The Consquences of Literacy » in Language and Social Context , ed. P. P. Giglioli , Harmondsworth : Penguin .

Harris , Z. S. 1951 , Structural Linguistics , University of Chicago Press .

Harris , Z. S. 1952 , « Discourse Analysis » , Language , 28 : 1 – 30 .

Haugen , E. 1957 , « Directions in Modern Linguistics » , RIL , 357 – 63 , first appeared : Language , 1951 , 27 : 211 – 22 .

Hill , A. A. 1958 , Introduction to Linguistic Structures : From Sound to Sentence in English , New York : Harcourt Brace .

Hockett , C. F. 1957 a , « A System of Descriptive phonology » , RIL , 97 – 108 , first appeared : Language , 1972 , 18 : 3 – 21 .

Hockett , C. F. 1957 b , A Note on « Structure » , RIL , 279 – 80 , frist appeared : International Journal of American Linguistics , 1948 , 14 : 269 – 71 .

Hockett , C. F. 1957 c , « Two Models of Grammatical Description » , RIL , 386 – 99 , first appeared : Word , 1954 , 10 : 210 – 31 .

Hockett , C. F. 1958 , ACourse in Modern Linguistics , New York : Macmillan .

Hook , S. 1969 , « Empiricism , Rationalism , and Innate Ideas , in Language and philosophy , ed . S. Hook , New York University Press .

Jardine , N. 1975 , « Model Theoretic Semantics and Natural Languages » , In Formal Semantics of Natural Language , ed . E. L. Keenan , Cambridge University Press .

Jones , P. E. « Materialism and the Structure of Language » , Ph. D. Dissertation , Cambridge University , forthcoming .

Joos , M. 1957 a , « Description of Language Design » , RIL , 349 – 56 , first appeared : Journal of the Acoustical Society of America , 1950 , 22 : 701 – 8 .

Joos , M. 1957 b , Editorial Comment to Bloch's « Phonemic Overlapping » , RIL , 96 .

Katz , J. J. and Fodor , J. A. 1964 , « The Structure of a Semantic Theory » SL , 479 – 518 , first appeared : Language , 1963 , 39 : 170 – 210 .

Magee , B. 1978 , Men of Ideas , London : BBC .

– Miller , G. A. and Johanson - Laird , P. N. 1976 , Language and Perception , Cambridge University Press .

Morris , D. et al . 1979 , Gestures and their origins and distribution , London : Jonathan Cape .

Nagel , E. 1961 , The Structure of Science , London : Routledge and Kegan Paul .

Northrop , F. S. C. 1959 , The Logic of the Sciences and the Humanities , New York : Collins .

Owen , M. 1980 , Aspects of Conversational Topic , Interim Report of the SSRĆ project on « Topic Organization in Conversation » ,.. Departement of Linguistics , University of Cambridge .

Passmore , J. 1968 , A Hundred Years of philosophy , Harmondsworth : penguin .

Polanyi : M. 1958 , personal Knowledge , New York : Harper and Row .

Quine , W. V. 1969 , « Linguistics and Philosophy » , in Language and Philosophy , ed . S. Hook , New York University Press .

Sapir , E. 1963 , Selected Writings of Edward Sapir in Language , Culture and personality , ed . D. G. Mandelbaum , University of California Press .

Saussure , F. de 1959 , Course in General Linguistic , eds C. Bally and A. Sechehaye , translated by W. Baskin , New York : philosophical Library , First Edition 1916 .

Sinclair , A. 1951 , The Conditions of Knowing , London : Routledge and Kegan Paul .

Smith , and Wilson , D 1979 , Modern Linguistics , Harmondsworth : Penguin .

Sparck Jones , K. 1965 , « Semantic Markers » , Report M. L. 181 , Cambridge Language (England) Research Unit .

Suppe , F. 1977 , ed . The Structure of Scientific Theories , Second Edition , University of Illinois Press .

Traski , A. 1956 , « The Concept of Truth in Formalized Languages » in Logic , Semantics , and Metamathematics , translated by

J. H. Woodger , London : Oxford University Press .
Watson , I. 1975 , The Embedding , London : Quartet .
Watson , J. B. 1925 , Behaviorism , London : Kegan Paul .
Weinreich , U. Labov , W., Herzog , M. I. 1968 , « Empirical Foundations for a Theory of Language Change » , in Directions for Historical Linguistics , eds W. P. Lehmann and Y. Malkiel , University of Taxas Press .

مسرد بالمصطلحات الفنية

(A)

Absolute	المطلَق (القائم بذاته)
Absolute Form	الصيغة المطلقة
Absolute Presuppositions	الافتراضات المسبَقة المطلَقة
Abstract	مجرد
Abstract Grammars	قواعد اللغة المجردة
Abstract Notion	مفهوم مجرد
Abstract Noun	اسم مجرد (لا يدل على محسوس)
Abstract Principles	مبادىء مجردة
Abstract Structures	بِنى مجردة
Abstract Syntactic Form	شكل نحوي مجرد
Abstract Syntactic Models	نماذج نحوية نظرية مجردة
Abstract Terms	اصطلاحات مجردة
Abstract Theoretical Constructs	تراكيب نحوية نظرية مجردة
Abstraction	التجريد
Act of Speech	نمط كلامي
Active	١ ـ متحرك (صوت) ٢ ـ مبني للمعلوم (نحو)
Active Construction	تركيب لغوي مبني للمعلوم
Active Sentence	جملة مبنية للمعلوم
Adequacy	١ ـ الكفاية اللغوية ٢ ـ كفاية النظرية اللغوية من الناحية الوصفية
Adjective	صفة (نعت)
Adjective Complement	الخبر الصفة
Adjectivization	تحويل كلمة أو عبارة لاداء وظيفة وصفية
Adverb	ظرف

Adverbial	ظرفي
Adverbial Clause	جملة ظرفية
Adverbialization	جعل كلمة أو عبارة تؤدي وظيفة ظرفية
Anology	القياس (منطق) اسلوب استخدام قاعدة عامة في صياغة اشكال لغوية جديدة
Analysis of the Problem	تحليل المشكلة كمرحلة في البحث العلمي
Anchoring Unit	وحدة لغوية مثبّتة
Antepenultimate	المقطع الثالث قبل الأخير من كلمة (علم الصوت الوظيفي)
Anthropo - Linguistics	علم اللغويات الانثروبولوجي
Applicability	ملائمية الانطباق
Aquisition	اكتساب
Aquisition of Language	اكتساب اللغة
Artificial Intelligence	(علم) الذكاء الاصطناعي
Aspect	وجهة حدث الفعل (من حيث كونه دالًا على الاكتمال أو الشروع أو التكرار ... الخ)
Aspiration	انطلاق النَفَس (عند انتاج الصوت الانفجاري)
Atomic Sentence	جملة جزئية
Axiomatic Theory	النظرية البديهية (تعتمد على حقائق بديهية)

(B)

Base	جذر الكلمة / ما يتبقى من الكلمة بعد تجريدها من الاضافات الصرفية كافة
Base Form	الصيغة الاساسية للمورفيم
Behaviourism	١ ـ المذهب السلوكي في علم النفس ٢ ـ المذهب التركيبي في التحليل اللغوي (مدرسة لومفيلد)
Behaviourist Approach	لمنهج السلوكي (في البحث العلمي)
Behaviourist Psychology	لم النفس السلوكي
Bottom - to - Top Ordering Principle	بدأ الترتيب من أسفل الى أعلى في التحليل اللغوي

Bound Morpheme	مورفيم متصل
Boundary Marker	علامة توضح الحدود بين عنصرين لغويين في النحو التحويلي

(C)

Cartesian Linguistics	علم اللغة الديكارتي
Case	حالة الاسم أو الضمير (كحالة الفاعل أو المفعول به أو التملك ... الخ)
Case Grammar	مذهب أو (مدرسة الحالات النحوية)
Category	فصيلة ، فئة ، صنف
Category Symbol	رمز يدل على صنف
Cellular Microbiology	علم الخلايا أو الاحياء المجهرية
Cerebral	دماغي
Cerebral Frames	الأُطُر الدماغية
Cerebral Life	الحياة الدماغية
Cerebral Representations	التمثيلات الدماغية
Classification	تصنيف
Classificatory	تصنيفي
Classificatory Language	لغة كاليانتو تدل فيها الاضافات الى الجذور على اقسام الكلام
Cognitive	عقلي ، ذهني ، فكري
Cognitive Function	الوظيفة الذهنية (للغة)
Cognitive Maps	الخرائط العقلية (المعرفية)
Cognitive Meaning	معنى ذهني (مقارنة بالمعنى التعبيري أو العاطفي أو الحرفي ... الخ)
Cognitive Organization	التنظيم العقلي
Cognitive Processes	عمليات عقلية
Cognitive Reality	الواقع الفكري ، صحة مكونات المعنى (في علم الدلالات)
Cognitive Structure	البنية العقلية

Common Language	لغة مشتركة (لغة عامة الناس)
Comparative Anatomy	علم التشريح المقارن
Component	مكوّن نظري
Componential Analysis	التحليل التكويني
Conditioning	الاشراط (منطق)
Connotation	١ ـ الظلال الدلالية لكلمة ٢ ـ دلالة ايحائية لكلمة في اللغة
Connotative Meaning	معنى له علاقة بالمشاعر
Constituent	مكوّن ، عنصر (لغوي) مكوّن (كالمورفيم في كلمة والكلمة في جملة)
Constituent Analysis	التحليل التكويني (للتراكيب)
Constituent Analysis Grammars	قواعد التحليل النحوي التكويني
Constituent Structure Grammar	قواعد البنية اللغوية التكوينية
Constraints	تقييدات (نحوية)
Constraints of Time	تقييدات الزمن (نحو)
Container Theories	نظريات الوعاء (دلالة)
Container View of Meaning	نظرية وعاء المعنى
Contextual Analysis	التحليل اللغوي المعتمد على قاعدة كون المعنى يحدده السياق اللغوي
Contextual Information	معلومات سياقية لغوية
Conversion	تحويل صنف الكلمة (من فعل الى اسم وبالعكس)
Conversion Rule	قاعدة (قانون) تحويلي
Conveyor View of meaning	نظرية ناقل المعنى
Corpus	عينة البحث اللغوي
Creative	ابداعي
Creative Use	الاستخدام الابداعي (للغة)

(D)

Data Bases	قواعد تخزين المعلومات والمعطيات (اللغوية)

Declarative	خبري
Declarative Mood	الصيغة الخبرية
Declarative Sentence	جملة خبرية
Decompositional	تحلّلي
Deep Structure	البنية العميقة (التركيب العميق) في النحو التحويلي
Definite Article	اداة تعريف
Denotation	المعنى الحقيقي للكلمة (المعنى المعجمي)
Derivation	اشتقاق
Derivational	اشتقاقي
Derivational Affix	اضافة اشتقاقية (غير صرفية)
Derived	مشتق
Derived Constituent Structure	البنية التكوينية المشتقة
Derived Form	كلمة مزيدة (مكوّنة من جذر واضافة)
Derived Phrase Marker	قاعدة ثانوية (في النحو التحويلي)
Derived Sentence	جملة مشتقة من جملة اخرى (بالقواعد التحويلية)
Descriptive	وصفي
Descriptive Linguistics	علم اللغة الوصفي
Descriptive Linguists	علماء اللغة الوصفيون
Descriptive Syntactation	عالم نحو وصفي
Descriptivism	المدرسة الوصفية في اللغة
Dialect Splitting	الانقسام اللهجي
Dictionary Approach	المنهج (القاموسي) المعجمي
Dictionary Entry	مدخل (قاموسي) معجمي
Dictionary Knowledge	المعرفة (القاموسية) المعجمية
Dictionary View	رأي (نظرية) معجمية
Diectic	تشخيصي (اشاري)
Diectic Expression	تعبير تشخيصي (اشاري)
Discovery Procedures	اجراءات الكشف عن الاحكام النظرية في اللغة
Distribution	توزيع (المواقع اللغوية لبدائل المورفيم والفونيم)

في الجملة

Distributional Analysis	تحليل المحيط اللغوي للعناصر اللغوية
Distributional Descriptivists	علماء اللغة الوصفيون التوزيعيون
Distribution of Forms	توزيع الصيغ اللغوية

(E)

Echo Question	سؤال توكيدي (سؤال يؤكد الجملة التي تسبقه)
Ellipsis	حذف (جزء من كلمة أو جملة)
Elocution	فن الخطابة
Emergence View of Meaning	نظرية انبثاق المعنى
Emergent Meaning	المعنى الناشيء أو المنبثق
Emergent Property	خصيصة منبثقة
Empirical Confirmation	توكيد عملي تجريبي
Epiphenomenalist Approach	منهج الظاهرة المصاحِبة
Epiphenomenon	ظاهرة مصاحبة
Epistemic Correlations	ارتباطات ادراكية معرفية
Explanation	توضيح ، تعليل
Explanatory Adequacy	الكفاية التوضيحية التعليلية النظرية
Explanatory Principles	مبادىء توضيحية تعليلية
Explanatory Science	العلم التوضيحي التعليلي
Explanatory Theory	نظرية توضيحية تعليلية
Extended	موسَّع
Extended Model	انموذج نظري موسَّع
Extension	١ ـ توسيع معنى الكلمة ٢ ـ امتداد معنى الكلمة (مقارنة) بـالمعنى الاصطلاحي للكلمة intension ويقصد به الصفات الضرورية لوصف الشيء)
Extensionalism	المذهب الامتدادي في علم الدلالة
External Linguistics	علم اللغة الخارجي
External Meaning	معنىً خارجي أو ظاهري

(F)

Facial Expressions	تعبيرات الوجه
Facts of Speech	حقائق الكلام
Falling Intonation	تنغيم (نازل) منخفض
Features	معالم
Filtering Operations	عمليات تصفية (ترشيح)
Filtering Devices	وسائل نحوية مرشحة
Finite Systems	نُظُم نظرية محدودة
Focus and Scope of Negation	مدى ومركز النفي
Form	شكل / صيغة
Form Theories	النظريات التي تعتمد الشكل مادة لها
Formal	شكلي
Formal Arrangements	ترتيبات شكلية
Formal Language	لغة شكلية
Formal Linguistics	علم اللغة الشكلي
Formal Linguistic Theory	نظرية لغوية شكلية
Formal Logic	المنطق الشكلي
Formal Model	انموذج نظري شكلي
Formal Notation	الرموز الاصطلاحية والتدوينية الشكلية
Formal Properties	خصائص شكلية
Formal Representations	تمثيلات شكلية
Formal Semantic Componant	مكوّن دلالي شكلي
Formal Semantics	علم الدلالة الشكلي
Formal Systems	منظومات شكلية
Formal Techniques	تقنيات نظرية شكلية
Formal Theory	نظرية شكلية
Future Tense	الزمن المستقبل

(G)

General Linguistic Theory	النظرية اللغوية العامة

General Linguistics	علم اللغة العام
General Semantics	علم الدلالة العام
Generation	توليد (الالفاظ أو الجمل من قواعد نحوية)
Generative	توليدي
Generative Grammar	نحو توليدي
Generative Linguistics	علم اللغة التوليدي
Generative Linguists	علماء اللغة التوليديون
Generative Phonology	علم الصوت الوظيفي التوليدي
Generative Rule - Systems	نُظُم قواعد توليدية
Generative Semantics	علم الدلالة التوليدي
Generative Theory	نظرية توليدية
Gestures	ايماءات
Grammar	نحو
Grammatical	نحوي (مطابق للقواعد النحوية)
Grammatical Category	فصيلة نحوية (قسم من اقسام الكلام)
Grammatical Derivation	اشتقاق نحوي
Grammatical Feature	سِمة نحوية / احدى العلامات النحوية
Grammaticality	المقبولية النحوية
Grammatical Meaning	الوظيفة النحوية لكلمة أو تعبير أو أداة
Grammaticalness	المقبولية النحوية
Grammatical Patterns	النماذج النحوية
Grammatical Sentences	جمل لغوية صحيحة البناء النحوي
Grammatical Theory	نظرية نحوية
Grammatical Unit	وحدة نحوية

(H)

Head Word	كلمة رئيسة في مجموعة كلمات
Hesitation Form	لفظ يدل على التردد أو التلكؤ
Hierarchy	الهرمية / الترتيب الهرمي
Histology	علم الانسجة العضوية

Historical Context	سياق تأريخي
Historical Linguistics	علم اللغة التأريخي
Human Engineering	الهندسة الانسانية
	(نسبة الى الانسان) الوراثية
Humanism	المذهب الانساني أو الروحاني في دراسة اللغة (أما بشكل رد فعل ضد شذوذ العامية كما حصل في عصر النهضة أو كرد فعل ضد توكيد اللفظ على حساب المعنى)
Human Sciences	العلوم الانسانية
Hyponomous	العلاقات الاضوائية في علم الدلالة
Hypothetico - Deductive Approach	المنهج الاستنتاجي الافتراضي (في البحث العلمي)

(I)

Idealism	المذهب المثالي (في الفلسفة)
Idiolect	طريقة شخص معين في استخدام لغته
Idiosyncrasies	الخصائص (العامة) غير المطرّدة في اللغة
Immediate Constituent	عنصر أولي (من عناصر التركيب اللغوي)
Immediate Constituent Analysis	طريقة تحليل الكلمات أو الجمل الى مكوناتها الاولية
Imperative	صيغة تدل على الأمر
Imperfect	يدل على الحاضر (غير التام)
Imperfect Aspect	صيغة الحاضر (غير التام)
Imperfect Tense	الزمن (غير التام)
Indefinite	نكرة (في النحو)
Indefinite Article	اداة تنكير
Independent Clause	جملة رئيسة (في النحو)
Indexical Expressions	التعابير الفِهرسية / التعابير الاشارية
Indexical Terms	المصطلحات الفِهرسية / الاشارية
Individual Constants	ثوابت فردية (منطق)

Inflection	تصريف لغوي
Inflectional	صرفي (تصريفي)
Inflectional Patterns	الانماط التصريفية
Informants	رواة اللغة (اشخاص يُتخذون مصدراً لغوياً في البحث الميداني)
Infrasounds	الاصوات دون السمعية
Inherent Property	خاصية متأصلة
Innate Mechanisms	آليات فطرية
Innateness	فطرة
Innateness Hypothesis	فرضية جومسكي الخاصة بالاستعداد الفطري
Innovation	ابداع / خلق / اضافة صيغ لغوية جديدة
Innovative and Creative Use of Language	الاستخدام التجديدي والابداعي للغة
Internal Justification	تبرير داخلي
Internal Structure	بنية داخلية
Interpretative Semantics	علم الدلالة التفسيري
Interrogative	استفهامي
Intonation	تنغيم
Intonational	تنغيمي
Intonational Pattern	نمط أو نموذج تنغيمي
Intuition	الحدس
Intuitive Knowledge	المعرفة الحدسية
Item and Arrangement	نظام المفردة والترتيب في التحليل اللغوي

(J)

Jargon	لغة خاصة بجماعة معينة أو مهنة محددة
Juncture	الوقف / الربط بين الكلمات في تعبير لغوي

(K)

Kernal Sentence	جملة اساسية

	(حسب قواعد النحو التحويلي)
Knowledge Stores	المخزونات المعرفية

(L)

Language Acquisition	اكتساب اللغة
Language Behaviour	سلوك اللغة
Language Change	تطور (تغير اللغة)
Language Contact	تواصل لغوي
	(تفاعل بين لغتين أو أكثر)
Language Learning	تعلم اللغة
Language Production	انتاج (توليد) اللغة
Language Skill	مهارة لغوية
Language Structure	بنية اللغة
Language Teaching	تعليم اللغة
Language Understanding	فهم اللغة
Language Use	الاستخدام اللغوي / استخدام اللغة
Language Variety	تنوع اللغات (التنوع اللغوي)
Level of Analysis	مستوى التحليل
Lexicon	مفردات اللغة
Lexical	معجمي ، متعلق بمفردات اللغة
Lexical Decomposition	تحلّل المفردات (أو تحليلها)
Lexical Meaning	معنى معجمي أو قاموسي لكلمة أو تعبير
Lexical Selection	اختيار المفردات
	(حسب مواءمتها للمفردات الاخرى)
Linguist	عالم اللغة (و المتخصص فيها)
Linguistic	لغوي
Linguistic Ability	قدرة لغوية
Linguistic Analysis	تحليل لغوي
Linguistic Behaviour	سلوك لغوي
Linguistic Categories	فصائل لغوية

Linguistic Competence	المقدرة اللغوية الفعلية
Linguistic Component	مكوِّن لغوي
Linguistic Creativity	الابداع اللغوي
Linguistic Data	المعطيات اللغوية
Linguistic Description	وصف لغوي
Linguistic Form	شكل أو صيغة لغوية
Linguistic Intuition	حدس لغوي
Linguistic Results	نتائج لغوية
Linguistic Skill	مهارة لغوية
Linguistics	علم اللغة
Linguistic Unit	وحدة لغوية .
Literal	حرفي / ملتزم بالنص
Literal Meaning	معنى حرفي
Literary Language	اللغات الأدبية
Local Grammars	القواعد اللغوية المحلية
Locative	مكاني
Logical Conditionals	الاشتراطات المنطقية
Logical Conjunction and Disjunction	الوصل والربط الخَلافي المنطقي
Logical Connectives	ادوات الربط المنطقي
Logical generative Grammars	القواعد التوليدية المنطقية
Logical Negation	النفي المنطقي
Logical Priority	اسبقية منطقية
Logical Variables	متغيرات منطقية

(M)

Marker	(نحو) عنصر لغوي يدل على شيء أو يُشير اليه
Materialism	المذهب المادي (في الفلسفة)

Materialists	الماديون (المؤمنون بالمنهج المادي)
Matrix Sentence	(في النحو التحويلي) جملة رئيسة تتضمن جملة اخرى
Meaning	معنى (دلالة)
Mechanism of Selection	آلية الاختيار
Mental	عقلي / ذهني
Mental Dictionary	معجم (قاموس) عقلي
Mentalistic Terms	اصطلاحات عقلية
Mentalism	المذهب العقلي (الذهني) في النحو والفلسفة
Mental Lexicon	القاموس اللغوي العقلي
Meta - Grammars	القواعد التي تصف القواعد النحوية
Metaphor	استعارة / مجاز
Mini - Grammar	قاعدة بسيطة (غير معقدة)
Model	انموذج نظري
Modulatory process	عملية نغمية
Monosemous	احادي المعنى
Morpheme	مورفيم (وحدة صرفية)
Morphology	علم الصرف
Morphological Level	المستوى الصرفي اللغة
Morphological Markings	علامات صرفية

(N)

Native Speaker	متكلم اللغة الأم
Native Word	كلمة اصيلة (ليست دخيلة)
Natural History Approach	منهج التاريخ الطبيعي (في البحث العلمي)
Natural History Stage	مرحلة التاريخ الطبيعي (في البحث العلمي)
Natural Language	لغة طبيعية (ليست مصطنعة)
	استعمال جملة لتصف كلمة في جملة

	تصف كلمة في جملة اخرى وهكذا
Neurophysiology of Sight	علم وظائف اعصاب حاسة البصر لدى الانسان
Non - Anchoring Units	وحدات لغوية غير مثبّتة
Non - grammatical	غير نحوي
Non - grammatical Sentences	جمل غير صحيحة البناء النحوي
Non - linguistic	غير لغوي
Non - linguistic Components	مكوّنات نظرية غير لغوية
Non - literal Meaning	معنى غير حرفي
Non - progressive Tense	الزمن غير المستمر
Non - restrictive Relative Clauses	عبارات وصل غير مقيدة
Non - stative Meaning	المعنى غير الخبري
Non - stative Verbs	الافعال (اللغوية) غير الخبرية
Non - stativity of the Verb	انتفاء الخاصية الخبرية عن الفعل
Norm	قاعدة / معيار
Normative	متعلق بالمعايير والقواعد
Noun	اسم
Noun Phrase	عبارة اسمية

(O)

Object	مفعول به
Optional	جائز (غير واجب)
operationalism	المذهب العملياتي (في العلم)
Organization of Knowledge	تنظيم المعرفة
Overlapping Distribution	(في النحو) ورود الكلمة في أكثر من قسم من اقسام الكلام

(P)

Paradigm	قائمة الصيغ المصرّفة لجذر معين / قائمة من

البدائيل تصلح للاستخدام في موقع واحد

Paragraph	فقرة
Parole	كلام
Parsing	اعراب
Parts of Speech	اقسام الكلام
Passive Constructions	التراكيب اللغوية المبنية للمجهول
Passive Sentences	الجمل المبنية للمجهول
Passive Voice	البناء للمجهول
Past Participle	صيغة اسم المفعول
Past Perfect	ماضٍ تام
Past Tense	زمن المضي
Pattern	نمط من أنماط التراكيب اللغوية أو قاعدة نحوية
Perfect Tense	زمن تام
Performance	الاداء اللغوي
Personal Pronouns	الضمائر الشخصية
Phenomenon	ظاهرة
Phonemic Shapes	اشكال صوتية وظيفية
Phonetic	صوتي غير وظيفي
Phonetic Interpretations	تفسيرات صوتية غير وظيفية
Phonetics	علم الاصوات (غير الوظيفي)
Phonological Component	مكوّن صوتي وظيفي
Phonological Elements	عناصر صوتية وظيفية
Phonological Explanation	توضيح (تعليل) صوتي وظيفي
Phonological Level	المستوى الصوتي الوظيفي (في التحليل اللغوي)
Phonological System	نظام صوتي وظيفي
Phonology	علم الاصوات اللغوية الوظيفي
Phrase Structure Grammar	نحو تركيب الجمل
Phrase Structure Theory	نظرية بناء الجمل في اللغة
Physical Sciences	العلوم الطبيعية
Physicalism	المذهب المادي (في البحث العلمي)
Physiologist	المتخصص في علم وظائف الاعضاء

Polysemous	متعدد المعاني
Positivists	علماء اللغة الوضعيون
Possessive Pronoun	ضمير تملك
Pragmatics	علم الاستخدام الدلالي للغة
Predicate	محمول (منطق)
Predicate Constant	ثابت المحمول (منطق)
Predicate Logic	المنطق الحملي
Predicate Logician	منطيق حملي
Prepositional Logic	المنطق الافتراضي
Prepositional Phrase	شبه جملة
Prescriptive Grammar	النحو الفرضي (مقارنة بالنحو الوصفي)
"resent Tense	زمن (صيغة) المضارع
Present Participle	صيغ اسم الفاعل
Present Perfect	الزمن المضارع التام
Present Progressive	حالة المضارع المستمر
'esupposition	افتراض مسبّق (منطق)
roblem of Congruence	مشكلة الانسجام (في البحث العلمي)
'roblem of Relevance of De-.cription	مشكلة وثاقة الصِلة بالوصف اللغوي
Productive Congruence	انسجام ذو اثر نظري منتج
Progressive	مستمر
Progressive Form	صيغة الاستمرار
Progressive Meaning	المعنى المستمر
Progressive Tense	الزمن المستمر
Proper Noun	اسم علم
Prosodic	متعلق بالنبر والتنغيم
Prosodic Features	الملامح الصوتية فوق القطعية
Pseudo - Sentence	جملة غير صحيحة ، زائفة (غير صادقة ... الخ)
Psychological	نفسي
Psychological Analogue	المماثِل النفسي

Psychological Analysis	تحليل نفسي
Psychological Correlates	متلازمات نفسية
Psychological Plausibility	المقبولية النفسية
Psychological Significance	قيمة أو دلالة نفسية
Pure Linguistic Knowledge	معرفة لغوية بحتة
Pure Syntactic Operations	عمليات نحوية صِرفة
Purism	الصفائية / التزمت (في قضايا النحو واللغة)

(Q)

Quantification	القياس (في المنطق)
Quantum Theory	النظرية الكمية في علم الفيزياء
Question Mark	علامة استفهام
Question Word	كلمة (أداة) استفهام

(R)

Rationalism	المدرسة العقلية (في البحث اللغوي والفلسفي)
Rationalist	فيلسوف وعالم لغة عقلاني
Real Dictionary	معجم (قاموس) حقيقي (غير نظري)
Real Linguistic Meaning	معانٍ لغوية حقيقية
Recursive Devices	الوسائل التوليدية التكرارية
Rewriting Systems	منظومات اعادة كتابة القواعد النحوية النظرية
Rhetoric	بلاغي / بلاغة
Rising Intonation Pattern	نمط تنغيمي (مرتفع) صاعد
Rules of Correspondence	قواعد التوافق (منطق)

(S)

Saussurean Linguistics	نظرية فردناندي سوسير في اللغة (عالم سويسري ١٨٥٧ - ١٩١٣)
Segment	صوت لغوي (ساكن أو حركة صوتية)

Segmentation	تحليل الكلام الى فونيمات ومورفيمات
Segment Substitutability	امكانية استبدال الصوت اللغوي بصوت آخر
Self - embedded Construction	تركيب لغوي متضمَن (مستتر) ذاتياً
Semantic	دلالي
Semantic Analysis	تحليل دلالي
Semantic Category	فصيلة (صنف) دلالي
Semantic Classes	الاصناف (المراتب) الدلالية
Semantic Component	مكوِّن دلالي
Semantic Elements	عناصر دلالية
Semantic Features	معالِم دلالية
Semantic Field	حقل من حقول الدلالة تغطيه مجموعة من الكلمات والتعابير المتقاربة في المعنى والاستعمال
Semantic Interpretation	تفسير دلالي
Semantic Level	المستوى الدلالي (في التحليل اللغوي)
Semantic Markers	العلامات الدلالية
Semantic Pair	زوجان من الكلمات متقاربة في المعنى
Semantic Range	المجال الدلالي
Semantic Relations	علاقات دلالية
Semantic Representations	تمثيلات دلالية
Semantic Rules	قواعد (قوانين) دلالية
Semantics	علم الدلالة
Semantic Shift	التطور (التغير) الدلالي
Semantic Structure	البنية الدلالية
Semantic Theory	النظرية الدلالية
Semantic Value	قيمة دلالية
Sensory Processes	عمليات حسية (محسوسة)
Sentence	جملة
Sentence Connector	اداة عطف تربط الجمل
Sentence Pattern	نوع من انواع الجمل الاساسية في لغة معينة
Separation of Levels	الفصل بين المستويات اللغوية
Simple Past	ماضٍ بسيط

Simple Predicate	خبر بسيط (مكوّن من شبه جملة فعلية او عنصر واحد)
Simple Sentence	جملة بسيطة
Situation	سياق / حالة
Situational	متعلق بالموقع أو السياق اللغوي
Skill	مهارة
Slang	لغة عامية أو شعبية
Sound Patterns	انماط صوتية وظيفية
Sound Symbols	رموز صوتية
Sound System	نظام صوتي للغة معينة
Sound Waves	موجات صوتية
Specialized Meaning	معنى متخصص
Speculative Grammar	النحو التأملي (نحو القرون الوسطى)
Speculative Psychology	علم النفس التاملي
Speech	كلام (لغة ، لهجة ، نطق ، لفظ)
Speech Act	١ ـ فعل الكلام ٢ ـ انتاج الكلام ٣ ـ وظيفة الكلام ٤ ـ نمط من انماط الكلام
Speech Community	جماعة تتكلم لغة متماثِلة واحدة
Speech Defect	عاهة في النطق
Speech Organs	اعضاء النطق
Speech Perception	فهم وادراك الكلام
Speech Production	انتاج الكلام
Speech Sounds	اصوات (اللغة) الكلام
Spoken Language	اللغة المتكلَمة (اللغة الدارجة)
Standard	فصيح / مقبول للجميع
Standard Theory	النظرية المعيارية (القياسية)
Statement	جملة خبرية
Static	وصفي / ثابت
Stative Verb	فعل خبري

Stativity of the Verb	السمة (الصفة) الخبرية في الفعل
Stimulus	مثير / حافز (في علم النفس السلوكي)
Strict Behaviorism	مذهب السلوكية الصارمة (في البحث العلمي)
String	سلسلة (من العناصر اللغوية)
Structuralists	علماء اللغة البنيويون
Structuralist Theories	نظريات بنيوية
Structural	بنيوي
Structural Description	وصف بنيوي (للتراكيب)
Structural Grammar	النحو البنيوي / الطريقة البنيوية في التحليل اللغوي
Structural Linguistics	علم اللغة البنيوي
Structural Meaning	معنى نحوي بنيوي
Structural Relations	علاقات نحوية بنيوية
Structural Semantics	علم الدلالة البنيوي
Structure	بنية اللغة (تركيب اللغة / تركيب لغوي)
Sub - Category	فصيلة (نحوية) فرعية
Subject and Predicate	المسند والمسند اليه
Sub - Standard	غير فصيح / عامي
Surface Forms	(في النحو التحويلي) صيغ (اشكال) سطحية أو ظاهرة
Surface Structure	(في النحو التحويلي) بنية أو تركيب لغوي سطحي أو ظاهر (غير عميق)
Synchronic Syntex	علم النحو التزامني الوصفي (المعاصر)
Syntax	علم النحو
Syntactic	نحوي
Syntactic Apparatus	الوسائل النحوية
Syntactic Category	فصيلة نحوية
Syntactic Component	مكوّن نحوي
Syntactic Construction	تركيب نحوي أو لغوي
Syntactic Description	وصف نحوي
Syntactic Form	شكل (أو اطار أو صيغة) نحوية

Syntactic Generator	المولِّد النحوي (في النحو التحويلي)
Syntactic Group	شبه جملة
Syntactic Order	ترتيب الكلمات (في الجملة)
Syntactic Pattern	انموذج نحوي
Syntactic Processes	عمليات نحوية
Syntactic Relations	علاقات نحوية
Syntactic Representations	تمثيلات نحوية
Syntactic Structures	بِنىً نحوية
Synthesis	تركيب / دمج / مزج
Synthesis Devices	وسائل تركيبية
Synthetic	تركيبي
System of Communication	نظام اتصال
System of Expression	نظام تعبير لغوي

(T)

Target Language	اللغة الهدف : اللغة التي يراد تعلمها أو دراستها أو الترجمة اليها
Technical Devices	وسائل تقنية
Technical Linguist	عالم لغة تقني
Teleological	غائي
Tense	زمن الفعل أو صيغته
Testing	اختبارات / قياس
Test	اختبار
Tests of Grammaticality	اختبارات درجة المقبولية النحوية في اللغة
Theorem	قضية (منطق)
Theory of Grammar	نظرية في النحو
Theory of Meaning	نظرية في الدلالة
Theory of Mind	نظرية العقل الانساني
Theory of Sentence Meaning	نظرية تتعامل مع المعنى على مستوى الجملة في اللغة
Theory of Truth	نظرية صدق العبارة وصحتها

Theoretical Adequacy	الكفاية النظرية
Theoretical Congruence	الانسجام النظري
Theoretical Dictionary	قاموس (معجم) نظري
Theoretical Framework	اطار نظري
Theoretical Freedom	الحرية النظرية
Theoretical innovation	ابتكار أو تجديد نظري
Theoretical Lexicon	معجم اللغة النظري (مفردات اللغة)
Theoretical Linguistics	علم اللغة النظري
Theoretical Linguists	علماء اللغة النظريون
Theoretical Models	نماذج نظرية
Theoretical Physics	علم الفيزياء النظري
Theorists	منظِّرون
Top - to - Bottom	التحليل اللغوي من أعلى الى أسفل
Trace Theory	نظرية الاثر النحوي
Traditional Dictionary	معجم (قاموس) تقليدي
Traditional Grammar	النحو التقليدي
Traditional Grammarians	النحاة التقليديون
Traditional Grammars	قواعد نحوية تقليدية
Traditional Semantics	علم الدلالة التقليدي
Transformation	تحويل (نحوي)
Transformational	تحويلي (نحوي)
Transformational Analysis	تحليل (نحوي) تحويلي
Transformational Generative Grammar	النحو التحويلي التوليدي
Transformational Generative Theory	النظرية التحويلية التوليدية في النحو
Transformational Grammar	النحو التحويلي
Transformational Level	المستوى التحويلي في التحليل اللغوي
Transformational Rules	القواعد (القوانين) التحويلية في النحو
Transformational Rule - System	منظومة القوانين والقواعد التحويلية

Truth Condition	شرط صحة العبارة في اللغة
Truth Value	قيمة العبارة وصحتها في اللغة

(U)

Ultimate Constituents	(نحو) مكونات نهائية / أصغر العناصر التي تتكون منها التراكيب اللغوية
Ultra - Violet Rays	الاشعة فوق البنفسجية
Unaccaptable	غير مقبول نحوياً
Unanalyzed Wholes	كليّات غير محلّلة (منطق)
Unanalyzed Entities	ماهيات غير محلّلة (منطق)
Underlying Abstract Structures	البِنى النحوية العميقة المجردة
Underlying Formal Properties	خصائص البنية اللغوية الشكلية العميقة المجردة
Ungrammatical	غير مقبول من الناحية النحوية
Unit	وحدة
Universal	شامل / عالمي / كلّي
Universal Grammar	نحو كلّي (عالمي / شامل)
Universal Grammars	قواعد نحوية كليّة (عالمية / شاملة)
Universal Language	لغة عالمية (مصطنعة في العادة)
Universal Principles	مبادىء كليّة شاملة
Universal Syntactic Principles	مبادىء نحوية كليّة شاملة (عالمية)
Universal Syntactic Constraints	تقييدات نحوية كليّة شاملة (عالمية)
Universality of Language	كليّة اللغة وعالميتها
Unmarked	(نحو) خال من الادوات
Unproductive	(نحو) قليل الاستعمال وغير منتج
Usage	استخدام (اللغة)
Utterance	لفظ / تعبير / قول

(V)

Value	القيمة (الدلالية)
Value Judgement	احكام شخصية (غير علمية)
Variable	متغيِّر
Variable Units	وحدات (لغوية) متغيِّرة
Variability	المتغيِّرية
Variable Word	(نحو) كلمة يتبدل شكلها باضافة السوابق أو اللواحق اليها
Variety	تنوع
Verb	فعل (لغة)
Verbal Behaviour	سلوك كلامي
Verb Phrase	(في النحو التقليدي) عبارة فعلية « مجموعة كلمات تؤدي عمل الفعل » (في النحو التحويلي) الخبر / خبر الجملة
Verbal Adjective	صفة فعلية (مشتقة من الفعل)
Verbal Group	شبه جملة فعلية
Verbal Noun	اسم فعل (اسم له بعض وظائف الفعل)
Verbless	خال من الفعل
Verbless Sentence	جملة خالية من الفعل

(W)

Well - Formed Formulae	صيغ صحيحة البناء النحوي
Well - Formedness of Sentences	صحة بنية الجمل في اللغة
Widening of Meaning	توسع المعنى (لكلمة أو تعبير)
Word	كلمة
Word and Paradigm	(نحو) طريقة في تحليل اللغة تعتمد الكلمة كوحدة لغوية اساسية ويعبر فيها عن العلاقات النحوية بالاشتقاقات والتصريف ... الخ
Word Boundary	حدود الكلمة

Word Class	(نحو) جزء من اجزاء الكلام (الاسم والفعل والصفة والظرف ... الخ)
Word Form	صيغة الكلمة
Word Formation	(صرف) صياغة الكلمات الجديدة بالتصريف والاشتقاق والتراكيب والتوليد والابتكار وغير ذلك
Word Frequency	تردد الكلمات في الاستخدام اللغوي
Word Group	شبه جملة
Word Level	المستوى الصرفي (في التحليل اللغوي)
Word List	قائمة مفردات
Word Meaning	معنى المفردة (في اللغة)
Word Order	نظام ترتيب المفردات في تراكيب اللغة (تسلسل الكلمات حسب ورودها في الجملة)
Word Ordering Conventions	تقاليد واعراف ترتيب المفردات اللغوية في الجمل
Word Paradigm	مجموعة من الكلمات مشتقة من كلمة واحدة
Writing System	نظام الكتابة

(Y)

Yes - No Question	سؤال يجاب عليه بنعم أو لا
Young Grammarians	النحاة الجدد

الفهرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

خلال الستينات وبداية السبعينات من هذا القرن كان علم اللغة النظري Theoretical Linguistics حقلاً علمياً مليئاً ببشائر النجاح والثبات والانتاج العلمي الوافر . لقد سيطر رجل واحد على هذا الحقل العلمي المهم ، ذلك الرجل هو نعوم چومسكي Noam Chomsky .

لقد اعتقد الكثيرون بأن هذا العلم هو واحد من أكثر العلوم الانسانية تقدماً سواء أكان ذلك على المستوى التقني أو المنهجي حيث اتصلت نتائجه بموضوعات غاية في الاهمية في مجاليّ الفلسفة Philosophy وعلم النفس Psychology ، مع هذا ، يُعدُّ علم اللغة النظري اليوم من أكثر العلوم انقساماً على نفسه ، بل ان انقسامه عميق جداً ، مع اتفاق قليل وضيق على اهداف هذا العلم وطرائق البحث فيه وان هناك النزر القليل من النتائج التي توصل اليها البحث في هذا العلم والتي لم تُعد مثار اختلاف بين العلماء .

يوضح هذا الكتاب ، من خلال تحليله لاصول نظرية چومسكي في اللغة ، لماذا لم يتم انجاز الهدف الذي سعى چومسكي من أجل تحقيقه وقد لا يمكن أن ينجز الى الابد . يقوم هذا الكتاب كذلك بتوضيح كيف ان رغبة چومسكي في جعل علم اللغة علماً توضيحياً تعليلياً Explanatory Science مماثلاً لاكثر العلوم الطبيعية تقدماً ، قد تسببت في أن يشوّه چومسكي ، بشكل خطير جداً مادة بحثه العلمي وذلك من خلال قسره لأن يتخذ قالباً نظرياً لم يكن ملائماً في البحث اللغوي . ومن خلال استكشاف الفرق بين اللغة المنمّقة وبين جوهر العمل الذي قام به چومسكي فان المؤلفَين قد قاما بالقاء الضوء على التساؤل المحيِّر التالي : كيف يمكن لنظرية محدودة في مجالها وغير ثابتة الاركان كتلك التي ابتكرها چومسكي أن تُصبح ذات تأثير ونفوذ كبيرين جداً في حقل البحث اللغوي ؟

مع هذا ، فان هذا الكتاب لا يُعدُّ كتاباً سلبياً في معالجته للموضوعات التي أشرنا اليها في أعلاه ، فعند توضيحنا لجانب القصور في النماذج النظرية الشكلية التي تعتمد عليها معظم النظريات التي ترد في الاطار العام لعلم اللغة الحديث Modern Linguistics فان المؤلفَين قد مهدا السبيل لتاسيس منهج نظري خاص بهما . انهما يبدءان بمناقشة انه اذا أريد تفهم الكيفية التي تعمل اللغة بموجبها ، وبشكل دقيق وعملي ، فاننا والحالة هذه يجب أن نترك العقيدة الجوهرية العملية التي تشكل الاساس لكل النظريات اللغوية الحالية وهي ان أفضل طريقة لدراسة اللغة Language أو المعرفة اللغوية Linguistic Knowledge هي باعتبارها نظاماً مستقلاً وقائماً بذاته Independent and Self - Contained System . لقد دفع المؤلفان بنظرية الظاهرة المصاحِبة Epiphenomenalist View الى الواجهة كنظرية بديلة حيث تُعدُّ اللغة فيها نظاماً لا يمكن فصله بأية حال من الاحوال عن معارف وتجارب واعتقادات وتوقعات مَنْ يستخدم اللغة . أما القسم الثاني من هذا الكتاب فانه بدأ بتطوير توضيح نظري محفِّز للتضمينات التي تشتمل عليها هذه النظرية في تحليل وفهم اللغة .

- يعمل تيرينس موور Terence Moore محاضراً في مادة علم اللغة ومديراً لمركز الحاسب الآلي للدراسات الادبية واللغوية [illegible] وزميلاً لكلية كلير . لقد تقلد عدة مناصب اكاديمية في جامعة كاليفورنيا في لوس انجيلوس وجامعة اسكس وقد كتب عدد[illegible] موضوعات متنوعة في اطار علم اللغة النظري .
- تُعدُّ كرستين كارلنغ Christine Carling باحثة وكاتبة مستقلة غير مرتبطة بأية مؤسسة أو جهة اكاديمية . لقد عم[illegible] Technical Translator لفترة طويلة وقد اشتغلت محاضرة في مادة علم اللغة التطبيقي ومادة اللغات الحية في معهد ا[illegible] التابع لجامعة مانچستر .



الاشراف الفني : نهلة محمد عبد الوهاب

بغداد - ١٩٩٨

السعر :

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة